أبو الحسن علي القابسي

مربٍّ قيرواني من القرن الرابع الهجري

الرسالة المفصلة

لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين

دراسة وتحقيق وتعليق وفهارس وترجمة فرنسية

أحمد خالد

الشركة التونسية للتوزيع

أبو الحسن علي القابسي

(324 - 403 هـ)

الرسالة المفصلة

لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين

دراسة وتحقيق وتعليق وفهارس وترجمة فرنسية
أحمد خالد

الشركة التونسية للتوزيع

الطبعة الأولى

جانفي 1986

سحب من هذا الكتاب 10.000 نسخة

الثمن : 7.000 د. ت. أو ما يعادلها

© الشركة التونسية للتوزيع 1986
5 شارع قرطاج – تونس.
الهاتف : 255.000 – تيلكس : 15.521



نمنمـة تمثل صورة ضرب بالفلقة ـ أوائل القرن 11 هـ. ـ متحف المتروبوليتان بنيويورك.

مقدمة

هذا العمل أنجزته في قسمين مزدوجين. أما الأول ـ وهو القسم العربيّ من الكتاب ـ فيشتمل على النصّ الأصلي «للرّسالة المفصّلة لأحوال المُتعلّمين وأحكام المُعلّمين والمتعلّمين» لأبي الحسن القابسي القيرواني. وقد أثبتّه كاملا في كتابي بعد المراجعة والتّحقيق والتّعليق وصَدَّرْتُهُ بمقدّمة وذَيّلتُهُ بفهارس. وأمّا القسم الثاني ـ وهو المحرّر باللّغة الفرنسيّة ـ فيحتوى ترجمة لرسالة القابسي ممهّدة بدراسة مقارنة وتعريف بالمؤلف وقد أشفعتها بتحقيقات وملاحظات.

فهذا العمل أتَوَجَّهُ به إذَنْ الى القرّاء الناطقين بالعربيّة والى قرّاء اللّغة الفرنسية سواء كانوا غير مُطَّلِعِينَ من قبلُ على أصول التّربية الإسلامية الشّعبيّة أو كانوا عكس ذلك عارفين بخصائصها مدركين جذورها كما ظهرت عندنا بإفريقيّة (تونس) في العصر الوسيط حسب شهادة مسجّلة في كتاب لِمُرَبٍّ فقيهٍ ينتمي الى المدرسة المالكيّة بالقيروان.

لقد كنت حريصا مُذْ سِنِيِّ الدّراسةِ العليا على اقتفاء أثر النّصوص التّربويّة القديمة في تراثنا العربيّ الإسلاميّ أَستَمِدُّ منها العزم على مواصلة السَّيْرِ في طلب العلم وحفزتني الى المزيد من الاشتغال بها خُصوصًا دروسٌ في المناهج التَّربويةِ كنت أتَلَقَّاهَا وزملائي حديثي العهد بالتَّدريس في نطاق التَّربُّص النَّظريّ المُحْدَثِ لأوّل مرّة في التَّعليم الثَّانوي ببلادنا في مطلع السّتّينات، وكانت غايتُهُ تمكين الأساتذة المُبتدئين من مبادىء تربويّة استنادًا الى مذاهب أعلام المُربّين الأُوروبّيين منذ القرن السّادس عشر حتى عصرنا الحاضر. غير أنّي ما كنت أتبيّنُ أصالتي في مناهجهم على ما فيها من طرافة وحداثة وبعد إنسانيّ لأنها مُتَّصلة بلغة غير لغتنا وبأجواء ثقافيّة وَاجتماعيّة مخالفة لأجوائنا.

وأثناء بحوثي التّربويّة لفت نظري العديدُ من النّصوص المُفيدة لمؤلّفين مغاربة خصوصًا من إفريقيّة في العصر الوسيط كالخواطر القيّمة الثّمينة حول

أساليب التّعليم وقواعده وآداب المربّي كما أوردها ابن خلدون (732 ـ 808 هـ / 1332 ـ 1406 م) في «المقدّمة»، والعيّنات الطّريفة من كتاب «رياض النّفوس» لأبي بكر المالكي (المتوفّى عام 453 هـ / 1061 م)، وكتاب «آداب المعلّمين» لمحمّد بن سحنون (202 ـ 256 هـ / 817 ـ 870 م)، و«الرّسالة المفصّلة لأحوال المتعلّمين وأحكام المعلّمين والمُتعلّمين» لأبي الحسن علي بن محمّد القابسي القيرواني.

ومن دراستي لتلك الرّسالة تَبَيَّنْتُ أن مؤلّفها أعاد العديد من فقرات كتاب «آداب المعلّمين» لمحمّد بن سحنون بصياغةٍ تَكادُ تكون مُمَاثِلةً لصياغة الفقرات المنقولة من ذلك الكتاب مضيفا إليها شروحًا وتعاليق ضافية. غير أن القابسي كان حريصا على النّسق المنطقيّ في بناء النصّ وفي تسلسل أبوابه وفصوله فَجَمَّعَ في المساق المُتماسك ما كان منه مُبعثرا في كتاب «آداب المعلّمين» كما أشار الى ذلك المُستشرق «جيرار لوكونت» الذي نقل كتاب محمّد بن سحنون الى اللّغة الفرنسية. (1) والملاحظ أن كتاب محمد بن سحنون وكتاب خَلَفِه أبي الحسن علي القابسي القيرواني يُعالجان إجمالا نفس الموضوع.

بيد أن طرافة «الرّسالة المفصّلة لأحوال المتعلّمين وأحكام المعلّمين والمتعلّمين» لا تنحصر في النّسق المنهجيّ لأبوابها وفصولها فسحب بل تظهر خصوصا في التّفاصيل الثّمينة عن العقوبة في الكتاتيب بإفريقيَّة في العصر الوسيط وفي مناهج التّعليم وبرامجِهِ بها كما كانت تُطبّق زمنئذ وفي إرشاداتٍ تربويّة وقضائيّة جدّ مفيدة. وهكذا فإن رسالة أبي الحسن علي القابسي أتتْ مُتَمِّمَةً بشمول مواضيعها كتاب محمّد بن سحنون.

---

(1) Gérard Lecomte «Le livre des règles de conduite des maîtres d'écoles» par Ibn Saḥnûn. Revue des Etudes Islamiques, années 1953. éd. Paris, Librairie Orientale Paul Genthner, 12, Rue Vavin, 1954 ; p. 77.

وإن النصّ الذي اعْتَمَدْتُهُ بادىءَ ذي بدءٍ في هذا العمل هو الذي نشره الدّكتور أحمد فؤاد الأهواني في كتابه «التّربية في الإسلام» (1). على أن بعض الجمل المضطربة والتّعابير المُبهمة قد عَكَسَتْ أحيانا ما كان يَشعر به ذلك المُؤلّف من حَرَجٍ لتحقيق بعض الفقرات من رسالة القابسي تحقيقا سليما بالرّجوع الى المخطوطة المُودَعةِ بالمكتبة الوطنيّة بباريس تحت رقم 4595، وهي النّسخة الخطّية الفريدة التي نعرفها لحدّ اليوم من رسالة القابسي، ويرجع تاريخُها الى سنة 706 من الهجرة. وقد لاَقَيتُ أنا بنفسي حرَجا لفهم الجمل المُرْتَبَكة الغامِضة ونقلها الى لغة أجنبيّة، فكنتُ أراجع صورةً أملكها من المخطوطة المذكورة وأعيد قراءتَها بكلّ تثبّتٍ حرْصًا على إتقانِ التّحقيق واستغلال النصّ في التّرجمة بأقصى ما يُمكن من الأمانة.

وبمراجعة المخطوطة ومُقارنتِها بالنصّ المطبوع لأول مرة في ذيل كتاب الأهواني «التّربية في الإسلام» تبيّنتُ أحيانا خِلافا بين النّصين يصل الى النّقص أو التّحريف فرجّحت القراءة الأسلم. كما رجعت الى كتاب محمد بن سحنون «آداب المعلّمين» المطبوع المُرَاجَع من قِبَلِ الأستاذ محمّد العروسي المِطوي لأَتَثَبّتَ من صِحّةِ الفقرات المقتبسة منه في رسالة القابسي.

ورمزتُ عند التّحقيق في مُلحقِ الملاحظات الى النّسخة المخطوطةِ الوحيدة من رسالة القابسي المُودَعة بباريس بحرفَيْ (ق.ب) وهي الأصل، ورمزت الى نصّها المطبوع في ذيل كتاب الأهواني بحرفي (ق.أ)، كما رمزت الى كتاب «آداب المعلّمين» في نسخته المعتمدة بحرف (س).

والنصُّ جافّ في صياغته إلاّ أنه مساعد ثمين للمؤرّخ، ويُحيِي لنا ـ كما يشير الى ذلك بحقّ «جيرار لوكونت» عند تعرّضه لكتاب ابن سحنون ـ

(1) الدّكتور أحمد فؤاد الأهواني «التّربية في الإسلام» طبعة القاهرة (من ص 265 الى ص 347).

«مجموعةَ لَوحاتٍ صغيرة تُصوّر الأخلاق والعادات فكأنّها التُقِطَتْ من صميم الواقع في الجوّ الخاصّ (بالكتاتيب) المَلِيءِ بالحياة الكثير الغوغاء» (1).

ومادَّةُ الرّسالة مكوّنة من أجوبةِ القابسي عن أسئلة طرحها عليه أحد مخاطبيه. والموضوع في أغلبه مجموعةُ فَتَاوٍ وبذلك تَكتسي الرّسالة أهمّيّة قضائيّة ومهنيّة بالإضافة الى ما احْتَوَتْهُ من نظراتٍ ثمينة تستحقّ ـ دون شكّ ـ مُقَارَبَةً جديدةً نفسانيّةً على ضوء دراسةٍ «بيداغوجيّة» مقارنةٍ كما أنها تستحقّ تحليلا آخر للمفاهيم المَذْهَبيّة يأتي متمّما لتحليل أحمد فؤاد الأهواني لرسالة أبي الحسن القابسي المنشورة لأوّل مرّة في سنة 1945.

---

(1) Revue des Etudes Islamiques, op. cit., p. 81.

المؤلّـــــف :

إنّ ابن خَلِّكان (608 ـ 681 هـ / 1211 ـ 1282 م) في كتابه المُخَصَّص لِسيرِ الأعلام بعنوان «وفيات الأعيان» والدّباغ وابن ناجي في كتاب «معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان» (1) الذين نَستعمِل كُتُبَهم كمصادر من القرون الوسطى من ناحية، والدّكتور أحمد فؤاد الأهواني (2) والهادي روجي إدريس (3) المؤلِّفَيْن الحديثَيْن المُستنِدَيْن الى العديد من كتب التّراجم المَرْجَعِيَّة من ناحية ثانية يمدّوننا بإرشادات جمّة عن مؤلّف «الرّسالة المفصّلة لأحوال المتعلّمين وأحكام المعلّمين والمتعلّمين».

ولد أبو الحسن علي بن محمّد بن خلف المعافري القابسي الفقيه القيرواني سنة 324 هـ / 935 م بالقيرون على الأرجحِ ومن ثمّة جاءتْ نسبةُ القيرواني.

ويذكر الدبّاغ وابن ناجي في كتاب «معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان» نقلا عن كتاب «ترتيب المدارك» للقاضي عياض أن أبا الحسن علي القابسي أو ابن القابسي «لم يكن قابسيًا وإنما كان له عمٌّ يَشدُّ عِمامَته بشدٍّ قابس فَسُمِّيَ بذلك وهو قيروانيُّ الأصلِ». قال ابن ناجي : «وهذا فيه نظر» (4).

والحقيقة أنّنا لا نعلم علم اليقين أَوُلِدَ بالقيروان أم أَتَى به إليها في سِنٍّ مُبَكِّرٍ أبوهُ الذي يُنسب للمعافريين وهي قرية من ضواحي قابس مندثرةٌ.

---

(1) أ ـ ابن خلّكان «وفيات الأعيان» ط. القاهرة 1349 هـ / 1948 م/ج 3 ص 9 وما بعدها.

ب ـ الدبّاغ وابن ناجي «معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان» ط. تونس 1320 هـ.

(2) كتاب «التربية في الإسلام» طبع القاهرة 1955 من ص 9 الى ص 20.

(3) Hédi Roger «Deux Juristes Kairouanais de l'époque Ziride : Ibn Abî Zaid et Al Qâbisî (Xè siècle) ; in Annales de l'Institut d'Etudes Orientales, Tome XII, année 1954, pp. 173 - 198.

(4) الدبّاغ وابن ناجي «معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان» ط. تونس 1320 هـ. ص 168.

وتزوّج أبوه قيروانيّةً فلم يلبث أن تبنّاه سَرَاةُ القوم بمدينة عُقبة بنِ نافعٍ (1). قَضَى إذن ابنُه أبو الحسن حياته في تلك العاصمة وتولّى بها خطّةَ الإفتاءِ التي فُرضت عليه فتَأبَّاهَا وَسَدَّ بابَهُ دون النّاس ثمّ قَبِلها عن مضَضٍ. وأصبح بالأخصّ بعد وفاة ابن أبي زيد القيرواني (310 ـ 386 هـ / 922 ـ 996 م) رئيسًا للمدرسة المالكيّة بالغرب الإسلاميّ وهي المدرسة الفكريّة والعقائديّة التي بَنَى أُسُسَها وَرَكَّزَ قواعدَها بصفةٍ حاسمة بالمغرب العربيّ الكبير عموما وبإفريقيّة خصوصا العالِمُ الجليلُ والمُربّي الألمعي سَحنون بن سعيدٍ (160 ـ 240 هـ / 776 ـ 856 م) (2).

وقد جَمَعَتْ بين القابسي وابن أبي زَيدٍ القيرواني صُحْبةٌ وأُلفَةٌ وكان بينهُما وبين مُحرز بن خلفٍ شيخ مدينة تونس نَسَبٌ ولُحمة فكانوا فيها يبدُو أبناء خالات (3).

وإذْ كانت وِلادةُ القابسي في سنة 324 هـ / 935 م ووفاتُه في سنة 403 هـ / 1012 م فقد عاشَ جُزءًا كبيرا من حياته تحت الحُكم الشّيعيّ الفاطميّ الذي تَرك مُلْكَ إفريقيّة إنابةً عن الفواطمِ لبني زيري عندما غادر الخليفةُ المُعزّ لدين اللّه القيروان ليستقرّ بالقاهرة بَدْءًا مِن سنة 362 هـ / 972 م، بعدَ أنْ تمّ له فتحُ مصر على يَدَيْ قائده جوهر الصِقِلّي بَانِي العاصمةِ الجديدة وكان القابسي بالخصوص مثلَ سَلَفِه ابنِ أبي زيدٍ شخصيّةً واسعةَ الآفاق طويلةَ الباعِ في المَذهب المالكيّ المتصارع مع المذهب الشّيعيّ المتطرّف بالقيروان.

---

(1) المرجع السابق ص 173 ـ 174.

(2) راجع أبا بكر المالكي «رياض النّفوس» ط. القاهرة 1951، ج 1 ص 249 ـ 290. وراجع ترجمة سحنون أيضا في «رياض النّفوس» ط. بيروت 1983 ج 1 ص 345 ـ 375.

(3) Chedly Bouyahia «La Vie Littéraire en Ifriquiya Sous les Zirides» Ed. S.T.D 1972, p. 54.

أرْتَحَلَ القابسي الى المشرق سنة 352 هـ / 963 م لِأداءِ فريضةِ الحجّ فَأتاحَتْ له رحلتُه فرصةَ الاتّصال بكبار شيوخِ الحِجاز ومصر، فسمع صحيح البخاري وفقه مالك على مُحدِّثين وفقهاء أجلّاء إفريقيّين ومشارقة في القرن الرّابع الهجري. ولم يعد القابسي الى القيروان إلاّ سنة 357 هـ / 967 م.

* أهـمّ شُيوخِـه

أ ـ الشّيـوخُ الإفريقيّـون :

1) أبو العبّاس الإبْيَاني التّميمي (المتوفّ إمّا في سنة 352هـ / 963 م أو في سنة 361 هـ / 971 م)، هو فقيه شافعيّ من مدينة تونس كان القابسي يعتبره من ألمعِ المشايخ المغاربة والمشارقة وربّما أعلَمهم.

2) ابن مَسرور الدبّاغ (المتوفّى سنة 359 هـ / 969 م) هو أبرز شيوخ القابسي.

3) أبو عبد الله بن مسرور العَسّال (المتوفّى سنة 346 هـ / 957 م) هو وجهٌ بارزٌ من وجوه المالكيّة بالقيروان وكان شيخ ابن أبي زيد القيرواني أيضا.

4) ابن الحجّاج (المتوفّى سنة 346 هـ / 957 م) مَوْسُوعِيُّ المعرفة خَلَّف بعد موته مكتبةً ضخمة أهمّ رصيدها كان بخطّ يده. وينتمي ابن الحجّاج الى رُباعيّ شعراء القيروان وهم ابن رشيق وابن شرفٍ وابن العطّار وابن الحجّاج (1).

5) أبو الحسن الكانِشي (المتوفّى عام 347 هـ / 958 م)، عالمٌ وَرِعٌ وأديبٌ رقيق عاش بالمنستير.

6) درّاس بن إسماعيل الفاسي. تُوفِّيَ هذا الفقيه الأشعريّ سنة 357 هـ / 967 م وكان يدرّس بالقيروان كتاب ابن الموّاز.

7) أبو القاسم زياد بن يونس اليَحْصُبِي السِّدْرِي كان متضلّعا في الفقه وقد رفض خطّة القضاء تَوَرُّعًا وتُوُفِّيَ سنة 361 هـ / 971 م.

(1) Chedly Bouyahia «La Vie Littéraire Sous Les Zirides» Ed. S.T.D 1972, p. 96. (1)

8) ابن زَكرون، فقيه متزهّد، صنّف العديد من المؤلّفات خاصّة في التّشريع والتّصوّف، وتُوُفِّيَ سنة 370 هـ / 980 م.

9) أبو إسحاق الجِبِنْيَاني (المتوفّى سنة 369 هـ / 979 م) من العبّاد، شهر بِابْتِهالاَتِهِ وكان القابسي وابن أبي زيد القيرواني يُجِلاَّنِهِ.

ب - الشّيوخ المشارقة :

من أشهر شيوخ القابسي بالمشرق :

1) أبو القاسم حَمزة بن محمّد الكِناني عالِمٌ مصريٌّ كان له فيما يبدو أكبرُ الأثرِ في تكوين تلميذه أبي الحسن علي القابسي وإليه نقل كتاب النّسائي.

2) أبو زيد محمّد بن أحمد المَرْوَزِي أخذ عنه القابسي صحيح البخاري بمكّة.

3) أبو الفتح بن بدهان (المتوفّى سنة 359 هـ / 969 م) من شيوخ مصر كان حجّةً وَبُرْهَانًا في القراءات.

4) أبو بكر محمّد بن سليمان النّعالي من علماء مصر كان القابسي يُجِلُّهُ كثيرا.

5) أبو أحمد محمّد بن أحمد الجُرجاني من رواة صحيح البخاري.

6) أبو ذَرٍّ الهروي الفقيه المالكي. تُوُفِّيَ سنة 434 هـ أو في السّنة التي تليها وأشهر مؤلّفاته كتاب «مُسند الموطّأ» الذي استقى منه القابسي فيما يبدو كتابه «الملخّص».

* أهـمّ تلاميـذه

- من إفريقيّـة :

1) أبو بكر أحمد بن عبد الرّحمان المتوفّى عام 432 هـ أو 435 هـ / 1040 ـ 1043 م. هو أنجب تلاميذ القابسي وقد أجازه لِلإِفْتاء في حياته.

2) اللّبيدي (عبد الرحمان). اشتهر هذا الإمام المالكي الكبير خاصّة

بكتابه «الشّرح والتفصيل لمسائل المدوّنة» وهو جامع لـ «موطّأ» مالك و «نوادر» ابن أبي زيد القيرواني. تُوُفِّي عام 440 هـ / 1048 م. ولهُ أشعارٌ اعتبرها التّجاني مُهلهلةً.

3)أبو عبد اللّه محمد بن عبّاس الأنْصَاري المعروف بالخَوّاص، فقيه متزهِّد كانت له مكانة في قلوب عامّة النّاس بالقيْروان تُوفّي سنة 428 هـ / 1036 م فرثاه ابن رشيق.

4) أبو عبد اللّه الحسين بن أبي العبّاس عبد الرّحمان الأجدابي المؤرّخ، مؤلّف كتاب «المناقب» في تعداد خصال العُبّاد القيروانيّين، تَتَلْمَذَ له الإمام الشّهير أبو بكر المالكي صاحب «رياض النّفوس» وهو كتاب في جُزءين جدُّ ثريّ بما احتواه من معلومات تتجاوز السِّيرَ فَتُطلعنا على خصائص البيئة التونسية. تُوُفِّيَ أبو عبد الله الأجْدَابي سنة 432 هـ / 1040 م.

5) أبو محمّد مكّي بن أبي طالب المقرىء القيسي. توفّي هذا العالم المتضلّع في العلوم القرآنية بقرطبة سنة 437 هـ / 1045 م، له العديد من الكتب في القراءات منها خاصة «كتاب التّبْصِرَة» الذي ألّفه بالقيروان سنة 392 هـ / 1001 م.

6) أبو بكر عاتق بن خلف التُّجِيبِي مؤلف كتاب «الافتخار في مناقب فقهاء القيروان» وهو مصنّف لم يصلنا. توفّي أبو بكر التُّجِيبي عام 422 هـ / 1030 م.

7) أبو عمران الفاسي، فقيه قيروانيّ من أصل فاسيّ تُوُفِّي عام 430 هـ / 1038 م وهو من ألمع تلاميذ القابسي وكان له أثرٌ كبير على المدرسة الفقهيّة بالقيروان في عهد بني زيري.

8) أبو بكر عتيق السُّوسي، عالم متضلّع في الفقه والحديث والنّحو واللّغة، عاش فقيرا، وعرف بورعه وتوفّي سنة 450 هـ / 1058 م.

9) أبو الحسن علي بن أبي طالب العابر صاحب مائة كتاب، اختصّ بتأويل الرّؤيا.

١٠) أبو القاسم بن محرز. من مشاهير أهل الجدل، ألّف شرحا للمدوّنة بعنوان «التّبصرة» ومصنّفا ضخما بعنوان «القصد والإيجاز».

11) أبو عبد الّله محمّد بن سفيان الهَوَّاري المُقرىء الفقيه، مقرىء مشهور أقام بالمهديّة وألَّف «كتاب الهادي» و «كتاب اختلاف قُرَّاء الأمصار في أدب آيِ القـرآن» وكتاب «التّـذكرة في القـراءات». تُوفّي سنـة 415 هـ / 1034 م.

12) أبو العبّاس أحمد بن عمّار المهدوي : مقرىء ومفسّر مشهور من مواليد المهديّة، استقرّ بالأندلس في العقد الأخير من حياته وتُوفّي بها سنة 440 هـ / 1048 م.

13) أبو حفص عمر العطّار اشتهر كشيخ مدرّس وفقيه، ألَّف شرحا للمدوّنة وتُوفّي سنة 430 هـ / 1038 م.

14) أبو عبد الّله محمد المالكي (المتوفّى عام 438 هـ / 1046 م) مِنْ جِلَّةِ علماء القيروان، أنجب أبا بكر المالكي مؤلّف الكتاب المشهور «رياض النّفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقيّة وزهّادهم ونُسَّاكهم وسِيَرٍ من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم».

15) أبو عبد الّله مَكّي بن عبد الرَّحمان الأنصاري، اشتغل بتدوين كتب شيخه أبي الحسن القابسي.

16) أبو علي الحسن بن خَلدون البَلَوِي، فقيه كان يُجِلُّهُ عامَّةُ النّاس بالقيروان، ويظهر أنّه كان أحدَ من أَذِنَ بذبح الشِّيعة في بداية حكم المُعزّ بن باديس الزِّيري سنة 407 هـ / 1016 م، وهي الواقعةُ التي قال فيها ابن زَنْجِي الكاتب القيروانيّ (المتوفّى عام 416 هـ) قصيدته المشهورة التي يستهلّها بقوله :

سَقَى الغيظ في طَيِّ الضَّمير المُكَتَّمِ دماءُ كِلَابٍ حُلِّلَتْ فِي المُحَرَّمِ

وتُوُفِّيَ عام 407 هـ / 1016 م.

17) أبو القاسم عبد الرّحمان المعروف بابن الكاتب، فقيه ومجادل مشهور كان يتنافس مع أبي عِمْرَانِ الفاسي ويُسَاجِلُه بمَهارة وتُوُفِّيَ سنة 408 هـ / 1017 م.

18) ابن شرف القيرواني الشّاعر والنّاقد الأدبيّ المشهور كان يتنافس مع ابن رشيق صاحب «العمدة» ومن مُؤلّفاته «مسائل الانتِقاد».

19) أبو الحسن بن المقلوب السُّوسي، كان حُجَّةً وبُرْهَانًا في العلوم الشّرعية وشخصيّةً مرموقة في مدينة سوسة، وقد اشتغل أيضا بالتّدريس في المهديّة.

*تلاميــذ آخــرون :

وتخرج على القابسي تلمْيذان صقلّيان هما ابن الحصائري وابن يونس وهذا تُوفّي عام 451 هـ / 1059 م.

ومن بين تلاميذ القابسي الأندلسيّين ابنُ الفَرَضي المتوفّى عام 403 هـ / 1012 م، وأحمد بن محمد القرشي المعروف بابن الصقلّي الذي روى العديد من مؤلّفات شيخِه القابسي، وعبد اللّه بن محمد الجدلي المتوفّى عام 444 هـ / 1052 م، وهو الذي أخذ عن القابسي صحيح البخاري وعبد الرحمان بن سعيد بن فرج المتوفّى عام 439 هـ / 1047 م، وكان يروي من الذّاكرة «كتاب ملخّص المُوَطّأ» لشيخه القابسي، وأبو عبد الملك مروان البُوني المتوفّى قبل عام 440 هـ / 1048 م، وهو من أبرز تلاميذ القابسي، أقام بالقيروان ثم انتقل الى بُونة ومنها نِسبتُه البونيّ إذ استقرّ بها حتى مماته، وهو مؤلّف «شرح كتاب الموطّأ» للإمام مالك.

وأثناء إقامته بالقيروان لمدّة أربعةِ أشهر تتلمذَ أبو عمرو الدَّاني المقرىء الأندلسي المشهور لأبي الحسن القابسي ولمع في حلقات الدرس فأجازه شيخه في كتابه «الممهّد» وعلّمه «الملخّص». توفّي أبو عمرو الدَّاني عام 444 هـ / 1053 م.

وأخذ عن القابسي أيضا الأندلسي محمد بن أبي صفرة، وقد عاش بالمهديّة وتوفّي بالقيروان عام 416 هـ / 1025 م، وألّف شرحا لكتاب الملخّص وتتلمذ أخوه المهلّب بن أبي صفرة المتوفّى عام 433 هـ / 1041 م لأبي الحسن القابسي الذي أملى عليه كتابه «الملخّص».

ووفد على القيروان حاتم بن محمد بن الطرابلسي المتوفّى عام 469 هـ / 1076 م، وهو قرطبيٌّ من أصل سوريٍّ، فاستمع الى دروس القابسي، وروى عنه صحيح البخاري.

ولو استعرضْنا جميع تلاميذِ القابسي المعروفين الذين ذكرهم بإطناب رُوجي هادي إدريس في ثلاث قائماتٍ حسب نسَبهم الإفريقيّ (التّونسي) أو الطرابلسي أو الأندلسي (1 ج)لطالت القائمة وفي ما ذكرنا كفاية.

كان القابسي بصفته عمدةَ المدرسة المالكيّة بالقيروان يسفّه الشّيعة فيرفضُ التّعاونَ مع السُّلطةِ الفاطميّةِ بإفريقيّة وسلطة أخلافِهم بني زِيري مِمّن ظلوا في بداية حُكمهم أوفياءَ للمذهب الشّيعيّ المُتطرِّف. ويُستفاد من خبر ورد في كتاب «معالم الإيمان» للدّباغ وابن ناجي أن القابسي كان لا يأكل ما يباع بِصَبْرَةَ المنصورية ولا مِا يُشترى منها ولا يَشْرَبُ من ماءِ العين الذي يأتي صبرَةَ (2) .

وقد لفَتَ أبو الحسن القابسي الأنظارَ بما كان يتمتّع به من استقامةٍ وكبير وَرَعٍ. قال الدَّبّاغ في ثَنائه عليه : «كان عالما، جمَعَ العِلم والعبادة، والوَرع والزُّهد والإشفاق والخشية، ورقّة القلبِ، ونَزاهة النّفسِ، ومحبّةَ الفُقراء. . . كثيرَ الصِّيام والتَّهجُّدِ باللّيل، والنّاس نيامٌ، مع كثرةِ التِّلاوةِ، وكانت فيه خصالٌ لم تكمُلْ إلاّ فيه، منها القَناعة، والرِّفقُ بأهل الذُّنوب، وكِتمانُ

(1 ج) H.R. Idris «Deux Juristes Kairouanais», pp. 190-195.

(2) الدبّاغ معالم الايمان «ص 174».

صورة خارجية لضريح أبي الحسن علي القابسي، وهي قُبة محدثة قد يرتد تاريخها ـ حسب ما أفادنا به الاستاذ ابراهيم شبوح الى القرن العاشر للهجرة إلا أنها تبرز أن مدينة القيروان العتيقة ظلت تحفظ ذكرى الفقيه المربي الورع القابسي وتخصه بمعلم متميز عن مجموعة القبور التي تحيط به في مقبرة باب تونس «الريحانة». واجهة الضريح.

المصائب والشّدائد، والصّبرُ على الإذاء، وخدمةُ الإخوانِ، والتّواضعُ لهم، والإنفاقُ عليهم، وصِلَتُهمْ بما عنده»(1) .

وتُوفّي القابسي سنة 403 هـ / 1012 م في سنّ تُناهزُ السّابعة والسّبعين، ودُفن بالقيروان في مَقبرة بابِ تونس «الرّيحانةِ» على مِقْرُبَةٍ من بِرْكَةِ الأغالبة، وصلَّى عليه أبو عمران الفَاسي صلاةَ الجنازةِ، وضُرِبَتِ الأَخْبِيَةُ على قبره، وبات عليه خلقٌ كثير، ورثاه الشُّعراءُ بنحوِ المائةِ مَرْثِيّةٍ، وأُنشدتِ المراثي سنةً كاملة.

والقابسي شخصيّة عظيمة من شخصيّات إفريقيّةَ في القرن الرّابع الهجريّ الموافق للقرن العاشر الميلاديّ حيث بَلغتِ الثّقافةُ والحضَارةُ العَرَبِيَّتَانِ أَوْجَهما، فشعّتِ القيروانُ كما شَعَّتْ بغدادُ وقرطبةُ بأنوارٍ خاطفةٍ وفرضتْ نفسَها بِجَهابِذَتها وأعلامِها في العلوم العقليّة والنَّقْلِيّةِ.

*** آثـــار القابســـي :**

كان القابسي مالكيّا يَميلُ الى الأشعريّةِ وكان ـ إلى جانب إيثارِه للقراءة القرآنية ـ فقيهًا مُولعا بأصول الشّريعة المَبْنِيَةِ على العقلِ. وزيادةً على كَونِه مؤلّفَ فَتَاوٍ فقد أبانَ أيضا أنه راسخُ القدمِ في التّربية وفي تأليف الكتب التّعليمية.

وآثاره كثيرةٌ، فمن مُصَنَّفاتِه نذكرُ خاصة :

1) «كتاب الملخّص لِمُسْنَدِ مُوَطّأ مالكٍ بنِ أَنَسٍ» أو «كتاب ملخّص الموطّأ» وتوجد نسخةٌ خَطِّيةٌ قيروانيّةٌ رائعة منه بمتحف دِمشق. وهناك ايضا نسخةٌ منه ثانيةٌ بالمدينةِ المُنَوَّرةِ، ونسخةٌ ثالثة بِبَنْكيبورْ بالهند حسب ما ذكره بروكِلْمان.

---

(1) الدبّاغ «معالم الايمان» ص 171.

2) «كتاب المهّد في الفقه» وهو كتاب كبير مُبوَّبٌ على أبواب الفقه جَمَعَ فيه بين الحديث والأثر والفقهِ، ومات القابسي ولم يُكْمِلْهُ.

3) «كتاب المنّبه للفطن والمبعد من شَبَهِ التّأْوِيل».

4) «أحكامُ الدِّيانة» في الشَّعائر الدينيّة.

5) «كتاب مَنَاسِك الحجّ» وهو كتابٌ تَعْليميٌّ.

6) «كتاب رُتَبِ العلمِ وأحوالِ أهلِه».

7) الرِّسالةُ المفصَّلةُ لأَحوال المُتعلّمينَ وأحكام المُعلّمين والمُتعلّمين».

* مُشكلـــة عَمـــاه :

وفي مشكل عماه هناك اختلافٌ بين الرِّوايات. قال القاضي عِياض : «كان (أي القابسي) فقيها أُصوليّا مُتكلّما مؤلفا مُجيزًا، وكان أعمى لا يرى شيئا، وهو مع ذلك من أَصَحِّ النّاس كُتبا، وأَجودهم ضبطًا، يضبطُ كتبَه بين يديهِ ثقات أصحابه» (1). وهذا القول يقتضي أحدَ أمرينِ إمّا أنّ القابسي خُلقَ أعمى وإمَّا أنّه عَمِيَ في صِغَرِهِ.

والرّاجحُ أن الرّجل لم يُولدْ أكْمَهَ، وأنّما عميَ بعدَ جُهدِ الطّلبِ الجادِّ طيلةَ حياته وجاءهُ العمَى في آخر عُمُرِهِ كما يقتضي ذلك خبرٌ رواه الدَّبَّاغُ في «مَعالِمِ الإيمان» ومفادُه أن القابسي لَمّا مات ابنُ أبي زيدٍ القيروانيّ «بَكى عليه... حتى كادَ يَعمَى» (2) وكان موتُ ابن أبي زيدٍ في سنة 386 هـ في حين تُوفِّيَ القابسي بعده بسبعَ عشرةَ سنةً، وما عمِي بعدُ حسب ما يُستَنْتَجُ من السِّياق.

---

(1) الدبّاغ «معالم الإيمان» ص 175.

(2) نفس المصدر ص 174، ويستنتج الدباغ من خبر آخر في الصفحة 177 دليلا آخر على أن القابسي لم يخلق أعمى.

* تحليـــل الرّسالـــة :

تفرّغ القابسي لطلبِ العلم والزُّهد. وتأثّلَتْ شُهرته بالخصوص في ما حرّره من الفتاوَى. ورسالتُه «في أحوال المتعلّمين وأحكام المُعلّمين والمُتعلّمين» التي نُقدمها هَهُنَا بنصِّها العربيّ مع ترجمةٍ بالفرنسية وشروحٍ وتعليقاتٍ هي ـ فضلا عن صِيغتِها القانونيّة التي تَجعلُها من صنفِ الفتاوَى ـ كتابٌ يجمعُ حقّا مَبادىءَ التَّربية الإسلامية المُتّبعةِ في الكتاتيب (1) .

وللرِّسالةِ ثلاثةُ أبوابٍ كبْرَى :

1) البابُ الأوّلُ وهو في تفسيرِ الإيمانِ والإسلامِ والإحسانِ والاسْتقَامةِ وَصِفَةِ الصَّلاحِ . ويقدِّم القابسي في هذَا البابِ أصولَ التَّعليمِ الأخلاقِي في الإسلامِ ، ويَرْسُم للمعلمينَ خطًّا سلوكيًّا مستوحًى منْ المَبادىءِ الدِّينيةِ المُسْتَهْدفَةِ إبْقاءَ المسلمينَ في حُدودِ عقيدةِ أهْلِ السُّنَّةِ، فيقول إنَّ خيرَ ما يُقتدَى به هو النبيُّ محمّد عليه الصَّلاَةُ والسَّلامُ، ويدْعو أَولياء التَّلاميذِ الى تعليمِ أبنائِهم الصِّغارِ القرآنَ ويُجيب مُخاطَبَهُ في فصلٍ طويل عن أَسئلةٍ طَرَحها عليهِ في فَضَائلِ القُرآنِ، وما لِمَنْ تَعلَّمهُ وعلَّمه من الفضل، وما يُصحَبُ به القرآن، وعن آدابِ حاملِه، ومَنْ ضيَّعَهُ حتَّى نسِيَهُ، وما لِمَنْ علّمه ولدَهُ، وهلْ ذلك في الصَّغيرِ واجبٌ على أبيهِ أوْ على غيرِهِ، ومَنْ يُعلِّم الإناثَ ؟

ونُلاحظ مِنْ خلال ذلك كُلِّهِ أَوْلَوِيَّةَ العامل الدِّيني في التَّعليم الابتدائي بإفريقيَّةَ في القرون الوُسطى. فالمعلِّمُ أو المُؤدِّب يُلقِّنُ التَّلاميذَ القرَاءةَ والكتابةَ وخاصَّةً حفظَ القرآن. وإن ما لاحَظهُ ابن خلدون بعد القابِسي بثلاثةِ قرونٍ بشأْن التَّعليم التقليديِّ الشعبيِّ في زمانِه لَصَحيحٌ كلَّ الصّحةِ، ويأتي مُؤكِّدا ما عَايَنهُ مِنْ قَبْلُ أَصيلُ مَوْطِنهِ أبو الحسن القَابِسي، فأفادَنا به بصورةٍ غيرِ مُباشِرة. فاقرأْ قول ابن خلدون في «المقدّمة» :

---

(1) Voir Salama (Ibrahim) «Bibliographie analytique et critique touchant la question de l'enseignement en Egypte depuis les périodes des Mamelûks jusqu'à nos jours» Ed. Caire, 1938.

«أمّا أهلُ إفريقيّة فيَخلطون في تعليمِهم للوُلْدانَ القرآنَ بالحديثِ في الغالب ومُدارسة قوانينِ العلوم وتلقين بعض مسائلها. إلاّ أنَّ عنايتَهم بالقرآن، واستظهار الوُلْدانِ إيّاهُ، ووقوفهم على اختلافِ رواياتِه وقراءاتِه، أكثرُ ممّا سواه. وعنايتُهم بالخطِّ تَبَعٌ لذلك»(1).

2) وفي الباب الثّاني، في فصلِه الأَوّل يُجيب المُؤَلِّف عمّا كان يَشغَل بال مخاطِبه فيما يأخذُه المعلِّمون على المُتعلِّمين وسُنَّةُ ذلك، وما يَصلُح أن يُعلَّم للصِّبيان مع القرآن، وما على المعلِّم أن يُعلِّمَهم إياه من سائر مصالحهم، وما لا ينبغي له أن يأخذَ منهم عليه أجرًا إنْ هُوَ علَّمهم إياه على الانْفِرادِ، وهل يُعلِّمُ المسلمُ النَّصرانيَّ، أو يُترك النَّصارَى يُعلمون المسلمين، وهل يَشترِطُ المُعلِّم لِحذقهِ القرآن أجَلا معلوما؟

وفي فصل ثانٍ يَذكر سياسةَ مُعلِّمِ الصِّبيان وقيامَه عليهم، وعدلَه فيهم، ورِفْقَه بهم، وهل يَستعين بهم فيما بيْنَهم، أو لِنَفسه، وهل يُوليهم غيرَه إنِ احْتاجَ الى ذلك، وهل يَشتغل مع غيرِه معهم أو يشتغل له، وكيف يُرتِّب لهم أوقاتَهم لدرسِهم وكتابتِهم، وكيف مَحْوُهُمْ أَلْواحَهم وأكتافَهم، وأوقاتُ بِطالتِهم لراحتهم، وحدُّ أدبِه إياهم، وعلى من الآلةُ التي بها يُؤدِّبهم، والمكانُ الذي فيه يُعلِّمهم، وهل يكون ذلك في مسجِد، وهل يَشترك مُعلّمان أو أكثرُ، وهل يَدرس الصِّبيانُ في حِزب واحد مُجتمعين، وهل يَمَسّون المُصحف وهم على غير طُهر، ويُعَلَّمون الوُضوءَ لِمسّ المُصحف، ويصلّون في جماعة يَؤُمُّهم أحدُهم؟

3) والباب الثّالث يحتوي ـ فضْلاً عن التّفاصيل التّشريعيّة والمِهنيّة المتعلِّقةِ بإجارةِ المعلّم والهدايا المُباحَةِ ـ مبادىءَ تربويّةً طريفةً ومفيدةً جدّا تتعلَّقُ خاصّة بالعقوبة في الكتاتيب بإفريقيَّةَ في العصر الوسيط.

وفي ختام الرّسالة نجد بحْثًا في القراءاتِ القرآنيّة المُتّفقِ عليها شرْعًا.

---

(1) ابن خلدون «المقدمة» الطبعة البيروتية ص 538.

واعتبارًا لما تَكْتسيه هذه الرّسالةُ من أهميّة تربويّةٍ فإنّنا نسوق في ما يلي بعضَ التّفاصيلِ عن المذهب التّربويّ عند القابسي. فهذا المُؤلِّفُ يَضعُنا في جوِّ الكتاتيب أو المدارس الابْتدائيَّة في زمانه ويُبيِّن لنا أنّ المُهمّة الأساسيّة للمعلّم تتمثَّلُ في تلْقين الصِّبيانِ القراءةَ والكتابة، وقَبْلَ كلّ شيء تلاوةَ القرآن. وقد دوَّن في كتابِه قوانينَ طرائقِ التَّعليمِ وبيَّنَ فيها قُوّة التَّأثير الدِّينيِّ. فالصِّبيان يبدأُون بحفظ القرآن عن ظهْرِ قَلْبٍ. أمَّا دراسةُ الشَّريعةِ وسائرِ العلومِ الأُخرى - نظرًا الى سَعتِها - فإنَّها تَقوم على الفهم لا الحفظِ. ويشتمِلُ برنامج التَّعليم كما ضَبَطه القابسي على إعرابِ القرآن والشَّكلِ والهِجَاءِ والخطِّ والقراءةِ الحسنةِ بالتَّوقيفِ والتَّرتيلِ، والوضوءِ، والصَّلاةِ وعددِ رُكوعِها وسُجودِها، والقراءةِ فيها، والتَّكبير، وكيفَ الجلوسُ، والإحرامُ، والسَّلامُ، وجميعُ التَّكبير، والتَّشهُّدُ، والقُنُوتُ في الصُّبح، والصَّلاةُ على الجنائزِ، والدُّعاءُ عليها، وسُنَنُ الصَّلاةِ كرَكْعَتيْ الفجرِ والوِترِ وصلاةُ العيديْن والاستسقاءِ والخُسوفِ. فبذلك كلِّه يُعلِّمهم دينَهم.

ويُخشى على الفتاة تعليمُها فَنَّ التَّرَسُّلِ والشِّعرَ وما شابَهَهُما في نظرِ القابسي. أمّا الفِتيانُ فلا يَرى مانِعًا في تعليمهم الحِسابَ والشِّعرَ والرَّسائلَ وأيَّامَ العرب والنَّحوَ وعلمَ اللّغةِ، ولكنَّها مَعارفُ تأتي في الدَّرجةِ الثَّانيةِ عنده.

ولَئِنْ نَصَح القابسي المعلّمين بتلقينِ الحسابِ للصِّبيانِ لأهمِّيَتِه - دون شكّ في صَقْل عقولهم - فإنّه ما اعْتبرَه إجباريًّا في برامجهم إلاَّ إذا اشترَطه الأولياءُ. فها هو يقول: «وينبغي له (أي للمعلّم) أن يُعلّمهم الحسابَ، وليس ذلك بلازمٍ له إلاَّ أنْ يُشتَرطَ عليه ذلك، وكذلك الشّعر والغريب والعربيّة وجميع النّحو، هو في ذلك مُتطوّعٌ. ولا بأسَ أن يُعلّمهم الشّعرَ ممَّا لا يكون فيه فُحْشٌ، ومن كلام العرب وأخبارِها، وليس ذلك بواجب عليه».

فهذا هو برنامجُ التّعليم التّقليديّ الشعبيّ الإجباريّ الذي يَقترحه القابسي في رسالته ويَنْقُدُهُ ابنُ خلدون في المقدّمة. فأبو الحسن يَنصح المعلّمين

بتعليم القرآن قبل كلّ شيء. أمّا العلاّمة العبقريّ ابن خلدون المُنساقُ الى اعتباراتٍ ثَمينة حول طرائق التّعليم في إطار تَصوُّر واسعٍ لعِلمه الجديد، علِم العمران البشريّ الذي يبحث في شؤون البشر مِنْ حَيْثُ الملكُ والكسبُ والصّنائِعُ والعلومُ، فإنّه يَرى وجوب اتّباع روح نظامِ التعليم كما يقترحهُ القاضي أبو بكر بن العربي المتوفّى بإشبيليَّةَ عام 543 هـ / 1148 م في قصّة رحلتِه، وهو النِّظام الذي يَحُضّ على تعليم العربيّة والشّعر قَبْلَ الموادّ الأُخرى. فاقرأ ـ لمزيدِ التَّيقُّنِ من ذلك ـ قول ابن خلدون :

«أمّا أهلُ الأندلس فمذهبُهم تعليمُ القرآنِ والكتاب من حيث هو، وهذا هو الذي يراعونه في التّعليم. إلاّ أنه لمّا كان القرآن أصل ذلك وأُسَّهُ ومَنبعَ الدّين والعلوم، جعلوه أصلاً في التّعليم، فلا يَقتصرون لذلك عليه فقط بل يَخْلِطون في تعليمِهم للولدان رِوايةَ الشّعر في الغالب، والتّرسّلَ، وأخذهم بِقوانين العربيّة وحفظَها، وتجويدَ الخطِّ والكتابة. ولا تختلطُ عِنايتهم في التّعليم بالقرآن دون هذه، بل عنايتُهم فيه بالخطّ أكثر من جميعها الى أن يَخْرجَ الولَدُ من البلوغ الى الشَّبيبة، وقد شَدَا بعضَ الشيءِ في العربيّة والشّعر والبَصَرِ بهما، وبرَّزَ في الخطِّ والكِتابةِ وتعلَّقَ بأَذيالِ العلم على الجملة..» (1).

وهنا فيما يبدو فكرةٌ جدُّ سَديدةٍ إذْ أنَّ الطفلَ بفضلِ هذه العناصرِ المُتوفِّرةِ له في تكْوينِه القاعدِيِّ يصير قادرًا على استِيعابِ بقيَّةِ فُروعِ المعرفةِ وتَتَّضحُ له السُّبلُ. ومِمَّا لا شكَّ فيهِ أن ابنَ خلدون إنْسانيُّ المَنْزَعِ وأنَّ الذي يُهِمُّهُ قبلَ كلِّ شيءٍ هيَ الأفكارُ والتَّأمُّل الصَّائبُ والغَوْصُ الى الجَوهرِ أعني مَا يَسمح للإنسانيَّةِ بأن تتطوَّر وتعرِف نفسَها. ولكنْ كيفَ السَّبِيلُ الى إدراكِ المعنى العميق لكتابةٍ مَا بِلُغةٍ ما إنْ كُنَّا نجهلُ العناصر المُكوِّنة لتلك اللّغة ؟ وقد أدرك ذلك جيِّدا «جانْ فرانْسُوا مَرْمونْتالْ» أحدُ عُلماء البِيداغوجيا في القرن الثَّامن

---

(1) ابن خلدون «المقدمة» طبعة بيروت ص 538.

عشر في فقرة قيِّمة من مذكَّراته يصفُ فيها طُفولتَه وتربيتَه إذ يقول : «لقد تبينتُ أنَّ الفكرةَ المُتَّصِلَةَ باللَّفظةِ هي التي تُجذِّرُها، وقدْ جعلَني إعْمالُ الفِكر أُدرك بسُرعةٍ أن دراسةَ اللُّغاتِ هي أيضا فنٌّ يُمَكِّنُ من تمييزِ دقائقِ الفِكرة وتحليلِها وتشكيلِ نَسيجِها ومَعرفةِ خَصائِصها وعلاقاتِها بِكُلِّ دِقَّةٍ. فبِفَضلِ الكَلماتِ تَتَسرَّبُ على قدر عددِها أفكارٌ جديدة وَتَنمو في أدْمغة الشُّبَّان». ويُضيفُ «مَرْمونْتال» ما يُفيدُ أنَّ الفلسفة تبدأُ بِفِقْهِ اللّغة : «وهكذا كُنّا نتلقّى في الأقسام الأولى درْسا تمهيديًا في الفلسفة أثْرَى وأوْسعَ وأكثرَ إفادةً حقًّا ممّا يُظنُّ عندما يَتذمَّرُ القومُ من أنَّ المدارسَ الثَّانويَّةَ لا تُلَقِّنُ إلَّا اللّغةَ اللاّتِينيَّة» (1).

ولا شكَّ أنَّ هذا السَّببَ نفسه ـ لاَ الرّغبة في حثّ «بانْتاغْرُوِيل» على اكتسابِ ثقافةٍ جامِعةٍ ـ هُوَ الذي جَعلَ والِدَه «قَرْقَانْتُوا» ـ وهو إحدى الشَّخْصِيَّتين المَشهورتَيْن في المُصنَّف الضَّخمِ للكاتب الفرنسيّ «رَابْلي» (2) ـ يَحُثُّ ابنَه على إتقانِ اللّغات أوّلا.

ولِشُعوره بهذه الضَّرورةِ كان ابنُ خلدون ـ قبْلَ «رابلي» بقرنين ـ يَلوم سُكّان المَغرب وبالأخصِّ سكّانَ إفريقيَّةَ على اقتصَارِهم في تعليمِ الوُلْدان على تحفيظِ القرآن فقط. فهم ـ على حدِّ قوله ـ : «لا يَخْلطون ذلك بِسواه في شيء من مَجالسِ تعليمهم، لا مِنْ حديث ولا من فِقْهٍ ولا من شِعْرٍ ولا من كلامِ العرب» (3).

ولَئِنْ سَطَّر القابسي برْنامجًا مُفصّلا للتّعليم الابتدائي بالكتاتيب فقد أعار أهمِّية أساسيّة لتدريس القرآن ورأى وجوبَ ترجيحِ كَفَّتِه على كَفَّة أيِّ مادَّةٍ

(1) Jean François Marmontel «Une éducation au XVIIIè siècle» Extraits des mémoires, Les Belles Lectures ; Paris ; 1953, p. 15.

(2) «فرانسوا رابلي» (Rabelais)كاتب فرنسي (1494 ـ 1553) من أدباء عصر النهضة الأروبية، دعا الى تجديد الفكر القديم، وله خواطر تربوية في مصنفه الضخم ذي الصبغة القصصية (في عدة أجزاء). انظر خاصة : «Vie inestimable du Grand Gargantua, père de Pantagruel» (1534).

(3) ابن خلدون «المقدمة» ص 538.

أخرى من موادِّ التّعليم. وفي إمكانِ الطّفل في نَظَرِه أن يكتفي باستظهار القرآن من الذّاكرة من غير أن يكون قادرًا على قراءة نصِّهِ.

ويُستفادُ مِمّا قرَّرَ ابنُ خلدون أنَّ تعليقَ الأهمّية على تعليم القرآن أوّلاً وبالذّاتِ بدون الْتِفاتٍ الى إعْدادِ الصِّبيان لِفهمِه بتلقينِهم القراءةَ والكتابةَ كان من نتيجتِه أنْ عاق أهلَ إفريقيَّة والمغرب عموما عَنِ امْتلاكِ ناصيةِ اللُّغة العربيّة. فها هو يقول صراحةً : «فأمّا أهلُ إفريقيَّة والمغرب فأفادهم الاقتصارُ على القرآن القُصورَ عن مَلَكةِ اللّسان جُملةً»، ثم يُعلّل قصورَهم بقولِه : «ذلك أنَّ القرآنَ لا يَنْشأُ عنه في الغالب ملكةٌ لِما أنّ البشر مصْروفون عن الإتْيان بمثله، فهُم مَصْروفون لذلك عن الاستِعمال على أساليبه والاحتذاءِ بها، وليس لهم مَلَكةٌ في غير أساليبه، فلا يحصُل لصاحبه مَلَكةٌ في اللّسان العرَبيّ وحَظُّهُ الجمودُ في العِبارات وقلّةُ التَّصرُفِ في الكلام (1).

ومن البَديهِيّ أن يُلاحظ ابن خلدون المُتميِّزُ بدِقّة الملاحظة واقعَ التّعليمِ في بيئته المغربيّةِ الإسلاميّة فيَتبينّ جُنوحَ المغاربة الى جَعل القرآنِ أصْلا في تعليم الصِّبيان لأنه مَنْبَعُ الدّين. وذلك هو ما يُستنتج من رسالة القابِسي. وممّا يُثير الدّهشةَ أن ابن خلدون المُربّي يَشُذُّ برأيه في هذا الموضوع عن مُعاصريه وعَمَّنْ سَبقه من المربّين بإفريقيَّةَ بالرّغم من انْتِسابه الى القضاءِ، وتَفقُّهِه في الدّين، وتَصوُّفِه. فهو يرى وجوب تقديم تعليم مبادىءِ اللّغة على تعليم القرآن وسائرِ العلوم، فَيُجانِس رأيُه في هذا الموضوع رأيَ أبي بكرٍ بنِ العربي وهو لسانُ حال أهلِ الأندلس في قِصَّةِ رِحْلَتِه كما أفادنا بذلك ابنُ خلدون نفسُه (2).

وقد تتساءل عن سرِّ مُخالفةِ ابنِ خلدون أهلَ إفريقيَّةَ ـ ومنهم القابسي ـ في تقديمهم تعليم القرآنِ على اللّغة. وإنكَ لَتَجِدُ الجواب المُقنعَ في قوله : «إنَّ القرآن لا ينشأُ عنه في الغالب مَلَكَةٌ (لغويّةٌ) لما أنَّ البشر مَصْروفون عن الإتيان

(1) ابن خلدون «المقدمة» ص 539.
(2) ابن خلدون «المقدمة» ص 539.

بمثله، فهم مَصروفون لذلك عن احْتذاء أساليبه، فلا يَحصُل لصاحِبه ملَكةُ في اللّسان العربيّ، وحظُّه الجُمودُ في العِبارات وقلّةُ التّصرّفِ في الكلام (1).

وفي ما تقدّم من كلام ابن خلدون جُرْأَةٌ لا يَقدِر عليها إلّا هو صاحبُ العقلِ الثّاقب والنّظرِ البعيد والرُّؤى المُسْتقبليَّة في مجتمع ذي نَزعة مُحافظة آلتْ الى الرُّكود. فلا عجبَ أن يتألّب عليه رجالُ الدّين بزَعامة ابن عرفة إمامِ المالكيّةِ بتونس. ولم يكن مُجرّدُ الحسَدِ هو الذي جعلهم يُوغِرون عليه صدرَ السّلطان الحَفْصيِّ فيُجْبَرَ على مغادرة إفريقيَّة بدون رَجعة. ولِلأسفِ الشّديد يُعتبر انتصارُ ابنِ عَرَفَة على ابن خلدون رفضا للمدرسة الخلدونيّة وللنّهضةِ الفكريّة الحقيقيَّة (2) ولَئِنْ لفَظَتْ إفريقيَّةُ ابنَ خلدون مِثلما تنكّرَتْ قبْلها العديدُ من المجموعات البشريةِ لَأجَلِّ أبنائها وأشهرِهم، فإنّه قد رفَع مَجْدَ مَوْطِنِه الأصْليِّ تونس عاليًا الى الأبَدِ رغم إرادةِ أهل إفريقيّة زمنئذٍ (3).

ولَئِن تعلّل ابن خلدون بإعْجازِ القرآن وصُعوبة مُحاكاتِه في تقديم تعليم العربيّة على تعليم القرآن للصّبيان، فإنّ السببَ الأصليَّ في جُنوحِه الى نِظام الأَوْلَوِيَةِ في موادّ التّدريس هو حِرْصُه على تكوين العقل قبل حَشْوِ الدّماغ بالحفظ. ألَا ترى أنّه يَعتبر مِن رَداءة التّعليم ذهابَ أعمارِ فِئَةٍ من النّاس في العِناية بالحِفظ. فعنهم يقول «عِنايتُهم بالحفظ أكثرُ من الحاجةِ فلا يَحصلون على طائلٍ من مَلَكة التّصرُّف في العلم والتّعليم... فحفظُهم أبلغُ من حفظِ سِواهم لِشدة عِنايتهم به وظَنِّهم أنه المقصودُ من الملَكة العلميّة وليس كذلك» (4).

---

(1) نفس المرجع ص 539.

(2) راجع في هذا المعنى: Robert Brunschvig «La Berbérie Orientale Sous les Ḥafsides» Ed. Librairie d'Amérique et d'Orient, Adrien-Maisonneuve. Paris 1947, T. II, pp. 391 - 392.

(3) نفس المرجع السابق، الجزء الثاني ص 355.

(4) ابن خلدون «المقدمة الطبعة البيروتية بدون تاريخ» ص 531 ـ 532.

أما الكتابةُ التي يُفضّل ابن خلدون أن يَبتدىء الصّبيّ بتَعلُّمها قبْل حفظِ القرآن فهي على حدّ قوله : «أكثرُ إفادةً لِزيادة العقل وتَقْوية مَلَكاتِ الإدراكِ والانْتِقال». وتَفْهم من كلامه أنه فكّر طويلا في تَصْنيفِ موادِّ التّعليم حسَب الأَوْلَويَّة في مذهبه التَّربويّ انْطلاقا من اخْتيارٍ أساسيّ جعلَه غايةَ التَّكوينِ وهو صُنْعُ عقول مُضيئةٍ دَرِبَةٍ على الصّواب، سَريعةِ الفهم والوَعْي، مُتصرِّفةٍ في العلم. وقد علّل ابنُ خلدون ابتداءَ تعليم الصّبيان (وهو الأوّلُ في مُصْطَلَحِهِ أيضا) بالكتابة، بأنّها تَشْمَل «العلومَ والأنظارَ بخِلاف الصّنائع. وبيانُه أنّ الكتابة انتقالٌ من الحروف الخطّية الى الكلمات اللّفظية في الخيال، ومن الكلمات اللّفظية في الخيال الى المعاني التي في النّفس، ذلك دائما، فيحصُل لها ملَكةُ الانْتِقال من الأَدِلّة الى المَدْلولات وهو معنى النّظر العقلي الذي يُكسِب العلوم المجهولة، فيكسِب بذلك مَلَكةً من التَّعَقُّلِ تكون زيادةَ عقلٍ، ويحصل به قوّة فِطْنةٍ وكَيْس في الأمور لِما تعوّدَه من الانْتِقال»(1) .

وفي مذهبه التّربويّ يَنقُل ابنُ خَلدون الصّبيّ من تعلُّمِ القِراءة والكتابةِ الى تعلُّمِ الحِساب لسببٍ تربويّ هامّ، هو أنّ الحسابَ يَصقُل العقلَ ويُهيِّئه لتَقبُّلِ سائرِ العلوم الأخرى لأنّه ـ على حدّ قوله ـ «معارفُ مُتّضحةٌ وبَراهينُ مُنتظِمةٌ، فينشأُ عنها في الغالب عقلٌ مُضيءٌ دَرِبٌ على الصّواب» (2) ، أي بعبارةٍ أخرى يَتعلّم الصّبيّ بالحِساب ما يُسمّيه الغزالي في «المُنقذِ من الضّلال»، ثمّ الفيلسوفُ الفرنسي، «ديكارت» في «خطاب المنهج» (Le Discours de la Méthode) الجَلِيّاتِ والبَديهاتِ (Les Evidences) مثل : 1 + 1 = 2، وأن خَطّيْنِ مُتَوازِيَيْن لا يَلْتَقِيانِ.

وتجد أيضا لأَوْلَويَّةِ الحساب على سائرِ العلوم الأخرى في المَنهج التّربويّ عند ابن خلدون سببًا أخلاقيًا لأنّ الصّبيّ يَنْشأُ على الصّدق بِتَعَلُّمِ الحِساب

(1) ابن خلدون «المقدمة» ص 429.

(2) نفس المرجع ص 483.

أوّلا بعد القراءة والكتابة، ثم يَليها جميعا حفظُ القرآن. فاقرأ ـ لمزيد التّيقّن من رأيه ـ قوله : «مَنْ أخذَ نفسَه بِتعلّم الحساب أوّلَ أمْرِه أنّه يغلُب عليه الصّدقُ لِما في الحساب من صِحّةِ المَباني ومُناقشةِ النّفس، فيصيرُ ذلك خُلُقًا ويتعوّدُ الصّدقَ ويُلازِمُه مَذْهبا» (1) .

ولابْن خَلدون دائما في الحِساب ومِنْهُ الهندسةُ تقييمٌ طريف شبيهٌ بما سَمِعه من شيوخه في مدح الحساب. فاقرأ هذا التّقريظَ من كتاب المقدّمة : «اعْلَمْ أنّ الهندسة تُفيد صاحبَها إضاءَة واستقامةً في فكرِه لأنّ بَراهينَها كُلَّها بَيِّنةُ الانْتِظام جَليَّةُ التّرتيب. . . فَيبعُد الفكرُ بممارَستِها عن الخطأ. . . وقد زعموا أنّه كان مكتوبا على باب أفلاطون «من لم يكُن مُهندسا فلا يدخلْ منزلَنا». وكان شيوخُنا ـ رحمهم الله ـ يقولون : ممارسةُ علمِ الهندسة للفكر بمثابةِ الصّابون للثّوب الذي يَغسل منه الأقذارَ ويُنقّيه من الأوضار والأدران» (2) .

وتفهمُ من سِياقِ كلامِ ابنِ خلدون أنّ غايتَه في مذهبه التّربويّ إنّما هي صَقْلُ العقولِ وتدريبُها على الصّواب، لا حشْوُها بالمعلومات. فاقرأ ـ لمزيدِ الاقتناعِ برأيه في تكوين النّاشِئة على هذا الاتّجاهِ العقلانيّ، قولَه : «المقصودُ من المَلَكة العلميّة هو الفهمُ وليس الحفظَ». وذلك هو السِّرُّ في انتقالِ المتعلّم الى طلب القرآن بعد تعلّمه مبادىءَ اللّغة (قراءةً وكتابةً) ثم الحسابَ في المذهب التّربوي الذي نجدُ عناصرَه في المقدمة. ويَجهر ابن خلدون بأسَفِهِ لتعليم الصّبيان القرآنَ أوّلاً في البيئة المغربيّةِ آنذاك بقوله : «يا غَفْلَةَ أهلِ بلادنا في إن يُؤخذَ الصّبيُّ بكتاب اللّه في أوّل أمرِه يقرأُ ما لمْ يَفهمْ».

أمّا النِّظامُ التّربويُّ الواردُ في «الرّسالةِ المفصّلة لأحوالِ المُتعلّمين وأحكام المُعلّمين والمُتعلّمين» لأبي الحسن القابِسي، فإنّه يَختلفُ عن مشروع ابن خلدون

(1) نفس المرجع ص 483.
(2) ابن خلدون «المقدمة» ص 486.

في ذلك المَنْحى العَقْلانيّ، لاعْتمادِ القابسي أصولَ التَّربيةِ التَّقليديّةِ ذاتِ الهدفِ الدينيّ الصِّرفِ. فنِظامُه التَّربويُّ مُعَدٌّ لتعليم أبناءِ المُسلمين كتابَ اللّهِ ومَبادىءَ دينِهم.

لقد تعرَّضْنا الى مُوازَنة بيْنَ مذهبَيْنِ مُتبايِنيْنِ في التَّربية أحدُهما تقليديٌّ قائمٌ على العُرْفِ والعادة والآخر عَقْلانيٌّ، ثوريٌّ صالحٌ لكلِّ زمان ومكان، وما قَصَدْنا بهذه المُقابلة اسْتِنقاصَ القابسي المُربّي عندما نَوَّهْنا بالبُعْدِ الإنسانيّ العالميّ فيما ارْتَآهُ العَبْقريُّ ابن خلدون ـ مع الفارقِ الزَّمني ـ مِن مذهبٍ تَربويّ شَوَّشَ عقول المُتَزَمِّتينَ مِنْ رجال الدّين في عصره.

والقابِسي بمَنْزَعِهِ التّقليديّ الدّالِّ على وُجْهةِ نظرِ أهل السُّنَّةِ المَالِكِيِّينَ بإفريقيَّةَ في هذا الموضوع لا تنقُصه الطرافةُ في عدّةِ جوانب أخرى تربويّة كنَصيحتِه الى المُؤدّب بتَوخّي الإنْصاف وتَوقّي المُغرِيات الماديّةِ في مُعاملة الصّبيانِ وتعليمهم. فَهَا هو يقول: «ومن حقّهم عليه أن يَعدِل بينهم في التّعليم ولا يُفضّل بعضهم على بعضٍ وان تَفاضلوا في الجُعْلِ (الإجارة أو أُجْرة التعليم) وإنْ كان بعضُهم يُكْرِمه بالهدايا والأَرْفاقِ إلاّ أن يُفضِّلَ من أَحبّ تفضيلَه في ساعةِ راحتِه بعْد تفرُّغِه من العدل بينهم».

ونَسْتطرفُ لأبي الحسن القابسي خواطِرَهُ النَّاقدَةَ الطَّريقةَ الجماعيّةَ في التّعليم، فهو يُلاحظ بِغاية السَّداد أنّه لا يكفي عند مُراجعة القرآن أن يُنْصِتَ التّلميذ بصفة سَلبيّة. فعلى المعلّم أن يُراقب عن كثَبٍ تِلاوةَ النّصّ والنّطقَ به نطقا صحيحا واضحا لأنّ هذه أمور صعبةُ المَنالِ إذا كان التَّلاميذ يَتدارسون القرآن بصوتٍ جَماعيّ. وقد يَجِد المعلم نفسَه مُلزَما بالعدول عن الطّريقة الفَرْدِيَّةِ فيَلتجىءُ الى الطّريقة الجماعيّة المُتزامِنَة إذا كان عددُ الأطفالِ بالكُتّاب مُرْتفعا جدّا. ويُبدي القابِسي سُخْطَهُ على الطّريقة الثّانية التي تَمنع المعلّم من التّمييز بين قَويِّ الحفظ وضعيفِه. غير أنّه لا يحكُم عليها حكما مُبرما إذ يَذهب الى حدِّ السَّماح للمُعلِّم باسْتعمالِها مَتى شاء شريطةَ أن يتّبع خُطَى كلِّ تلميذٍ

على حِدَةٍ. فها هو يجيب عن سؤال لُمخاطبه في هذا الموضوع :

«وسألتَ هل للصِّبيانِ أو الكِبار البالغين أن يَقْرَءُوا في سورة واحدة وهم جماعة على وَجهِ التّعليم، فإنْ كنتَ تريد يَفعلون ذلك عند المعلّم، فينبغي على المعلّم أن ينظر في ما هو أَصلحُ لِتعلّمهم. فيأمرُهم به، ويأخذُ عليهم فيه، لأنّ اجتماعَهم في القراءة بِحَضرتِه يُخفي عنه قويَّ الحِفظ من الضّعيف. ولكنْ إنْ كان على الصّبيان مِن ذلك خِفَّةٌ، فيُخبرهم أنّه سيُعْرِضُ كلّ واحدٍ منهم في حِزبه، فيُؤدِّبُه على ما كان من تقصير».

وهذه الطّريقةِ الجماعيّة المُصاحبة لِعمل الذّاكرة كانت شائعةً في الغرب حتّى القرنِ الثامن عشر. وهاكَ ما قاله أحدُ المُربّين الأُوروبّيين آنذاك في وصف تجربته ـ وهو «مَرْمونْتَال» :

«كان الارْتقاءُ من قسم الى آخر صَعْبا إذ يقتضي اجتياز امتحانٍ شاقّ، وكان مِنْ بين المَهامّ التي يتعينّ علينا الاضطلاعُ بها لذلك الامتحان أداءُ عملٍ يَستلزم الذّاكرة». وكان هذا العملُ يجري بالرّيفِ «حيث كُنّا نَمشي فيُسْمَعُ لنا دَويّ كَطَنِينِ النّحل» (1).

ومن قَبْلُ رأينا ابنَ خلدون في مقدّمته مُنَدِّدًا برَكِيزةِ هذه الطّريقة الجماعيّة المُستندَة الى عمل الذّاكرة، وينصحُ المعلّم بأن يَتَوخّى في تَلْقِين العلوم للمتعلّم «التّدريج شيئا فشيئا وقليلا قليلا، يُلقِي عليه أوّلا مسائلَ من كلّ باب من الفنّ هي أصولُ ذلكِ الباب، ويُقَرِّبُ له في شرحها على سبيل الإجمال ويُراعي في ذلك قوّةَ عقلِه واستعدادَه لِقبول ما يَرِدُ عليه حتّى ينتهي الى آخر الفنّ» (2).

أمّا القابسي فإنه يُسْتَفتى في مقادير حفظِ القرآن وأنواعِ الخَتْمِ فيَتّجِهُ الى الذّاكرة اتّجاها مُفرطا يَنتقده ابنُ خلدون بكل شِدّة، وهو الأَلْمَعِيُّ الذي أَضْفى

(1) Marmontel «Une Education au XVIIIè siècle», op. cit, P. 17.

(2) ابن خلدون «المقدمة» ص 533.

على أُصوله التَّربويَّة بُعْدًا إنسانيًا تجاوز زمانَه وحدودَ عالمِه الإسلاميّ (1) .

ومع ذلك فالعديدُ من المبادىء التّربويّة التي قرّرها القابسي تعادل المبادىءَ التي قدَّمها ابنُ خَلدون ومنها خاصّة التَّقْنِينُ المُشدَّدُ للعقابِ البَدنيِّ في التّأديب الى حَدٍّ يَجعلُ هذا النّوع من الإصلاحِ صعبًا وربّما مُستحيلاً .

*** موازنة بين القابِسي والمُربّين التّونسيّين القُدامى في مفهوم العقوبة وشروطها وحدودها :**

حثَّ الإسلام على رِعايةِ الطّفل وسياستِهِبالتَّعليم والتّأديب والتّهذيب، ولا أدلّ على ذلك من كبيرِ اهتمام الفُقهاء ورجالِ الدّين بشؤون التّربية، ومن قولِ أبي حامد الغزالي حُجَّةِ الإسلام في هذا الشأن : «وإنْ أُهْمِلَ (الصّبيّ) إهمالَ البهائم لَشَقِيَ وهلَك وكان الوِزْرُ في رَقَبة القَيِّمِ عليه والوالي له، وقد قال الّله عزّ وجلّ : «يا أيّها الذين آمنوا قُوا أنفسَكم وأهْليكُم نارا». . . وصِيانتُه بأن يُؤدِّبَه ويُهذِّبَه ويُعملِّه محاسنَ الأخلاق. . . » (2) ألاَ تَرى أنّ الطّفل في المذهب الإسلاميّ يحتاج الى مَنْ يَسوسه ويرعاه ويقوده، ولكنْ كيف يُساس ؟ أيُؤخذُ بالشدّةِ أم يُعاملُ باللّين ؟ (3) .

هذا المشكل انكبَّ على دِراسته المُربّون المسلمون في القرون الوسطى مُبَيِّنين الطُّرقَ النّاجعة في سِياسة الصّبيان، وقالوا فيه وأطالوا، وغرضي ههنا عرضُ آراء القابِسي في العقوبةِ وموازنتُها خاصّة بآراء ثُلّةٍ من المُربّين الإفريقيّين (التّونسيّين في القرون الوسطى) قصد إظهارِ مفهوم العُقوبة وشروطِها

(1) انظر بحثنا باللغة الفرنسية بعنوان : Caractère Génial du Système Educatif d'Ibn Khaldoun» in Revue Pédagogique, Mars 1963.

(2) Al - Ghazzali «L'Education dès le premier âge» texte présenté et traduit par A. Rânon, extrait de la Revue Ibla, 1945, p. 59.

(3) كلمة سياسة واردة في لغة التربية عند القدامى وخاصة عند الاطباء المهتمين بعلاج الصبيان. وتفيد الكلمة التدبير والتأديب والعلاج الاخلاقي والبدني، راجع : «سياسة الصبيان وتدبيرهم» تأليف الطبيب ابن الجزار القيرواني ـ تحقيق وتقديم الدكتور محمد الحبيب الهيلة ـ الدار التونسية للنشر 1968 ص 134 ـ 138 .

وحدُودها في الإسلام من خلال كِتاباتهم وإبرازِ ما كان للبلاد التّونسيّةِ من حَظْوَةٍ ومُساهمةٍ في الميدان التّربويّ مُستنيرًا بِبعض الأضواءِ من عِلْمِ النّفس التّجريبيّ.

ـ كيف تعليلُ استعمال الّلين أو العنف في التّربية ؟

أمّا استعمال الّلين والعُنف في تأديب الصّبيان فَنَجِدُ له تعليلا طريفا بيولجيًا ونفسانيًا عند ابنِ الجزّارِ القيرواني (285 ـ 369 هـ / 898 ـ 980 م) وهو طبيبٌ صيْدلاني تونسي قارب الموضوعَ من جانبيْن عِلاجيَين هُما العلاج البدَني للصّبيّ من ناحية وعلاجه النّفساني والأخلاقي من ناحيةٍ أخرى.

والسّياسة بمفهومها التّربويّ مِنْ ساس يسوس الصبيّ سياسةً أي راضَه وقَادَهُ ومعناها عند ابن الجزّار التّدبيرُ والتّهذيبُ والأدبُ والإصلاحُ. فالأدبُ «يَنقلُ الطَّبعَ المذمومَ الى الطّبعِ المحمودِ» (1) وفي سِنّ الصّبيّ تكون طبيعةُ الطّفلِ مَرِنَةً قابلةً للإصلاحِ والتّهذيبِ «لأنّ الصّغير أسلسُ قِيادةً وأحسنُ مُواتاةً وقَبولاً» (2)، فتسهُلُ تَرْبِيَتُهُ. ويَستشهدُ ابنُ الجزّار بهذا القول لفيلسوفٍ : «إنّ أكثرَ النّاس إنّما أُوتوا في سوء مذاهِبِهم مِن عاداتِ الصِّبا إذا لم يَتَقدّمهمْ تأديبٌ وإصلاحُ أخلاقِهم وحسنُ سِياستِهم» (3) . ويُضيفُ الطبيبُ القيرواني رأيَه الخاصَّ في نفس الموضوع بعميقِ تحليلٍ كما يلي : «فلذلك أمَرْنا نحنُ أن يُؤدَّبَ الصّبيانُ وهم صغارٌ، لأنّهم ليس لهم عزيمةٌ تَصْرِفُهمْ لِما يُؤْمرون به من المذاهبِ الجميلةِ والأفعالِ الحميدةِ والطّرائقِ المُثلى إذا لم تَغلُب عليهم بَعْدُ عادةٌ رديئةٌ تمنعهم من اتّباعِ ما يراد من ذلك. فمن عَوَّدَ ابنَه الأدب والأفعالَ الحميدةَ والمذاهبَ الجميلةَ في الصِّغرِ حاز بذلك الفضيلةَ، ونال المحبَّةَ والكرامةَ، وبلغ غايةَ السعادةِ. ومَنْ ترك فِعْل ذلك، وتَخَلَّى عن العِناية به، أدَّاهُ

---

(1) ابن الجزار «سياسة الصّبيان وتدبيرهم» ص 135.
(2) نفس المرجع ص 134.
(3) ابن الجزار «سياسة الصّبيان وتدبيرهم» ص 135.

ذلك الى عظيمِ النَّقص والخساسةِ، ولعلّهُ يَعْرِفُ فضيلةَ ذلك في وقتٍ لا يُمكنه تَلافِيهِ واستدراك ما فاته منه، فتحصُلُ له الندامةُ التي هي ثمرةُ الخطإ» (1) .

وبَدِيهِيٌّ أن يهتدي هذا الطبيبُ المُربّي القيرواني الى حقيقةٍ مُتَمَثِّلَةٍ في كوْن «العادةِ طبيعةً ثانيةً» وأنْ يَحُضَّ المُرَبِّين والأولياء على تَرْوِيضِ الناشئة على الجمال والخير. فاقرأْ ـ لمزيدِ التَّيقُّن من ذلك ـ قوله :

«إنْ رأيتَ صَبيًّا فيه طبيعةً جيّدةً وعادَةً صالحةً فإنّه لا تُفارِقُه الخِصال المحمودةُ الشّريفةُ، لأنّه طُبِعَ عليها من جِهتَيْن قَوِيَّتين، كما أن ذلك (أي مَنْ طَبيعتُهُ سَيِّئَةٌ) لا تُفارقُه الخِصالُ المذمومةُ الدَّنيئةُ لأنّه طُبِعَ عليها من هاتيْن الجِهتين، أعني العادةَ والطبيعةَ مع أن بعض الحُكماء قال : «العادةُ طبيعةٌ ثانيةٌ» فَلِمَوْقِعِ العادة هذا الموقع وَجب أن يُؤدَّب الأطفالُ ويعوّدوا بالأشياء الجميلة» (2) .

ويُعلّل ابنُ الجزّار القيرواني اختلافَ أساليبِ التَّأديب وطرقِهِ من التَّرغيب الى التَّرهيب واللّجوء حتى الى الضَّرب باختلافِ طبائعِ الصِّغار إذ يقول : «إنّ الصَّواب أنْ يُؤَدَّب الصَّبيُّ، فإنْ كانتْ طبيعتُهُ طبيعةَ مَنْ ليس بأديبٍ ولا لَبيبٍ فهذا بَيِّنٌ للمُعْتَرِضِ طريقَ الصّواب، فأمّا إنْ كان الصبيُّ طبيعتُهُ جيّدةٌ، أعني أن يكون مَطبوعا على الحَياء وحُبِّ الكرامة والأُلْفةِ مُحبًّا للصِّدق، فإنّ تأديبَه يكون سهلا، وذلك أنّ المدح والذّمَّ يبلُغان منه عند الإحسان أو الإساءة ما لا تبلُغه العقوبةُ من غيره. فإنْ كان الصَّبيّ قليلَ الحياء مُستخفًّا للكرامة قليل الألفة محبًّا للكذب، عَسُرَ تأديبًا، ولا بُدّ لمن كان كذلك من إرْغابٍ وتَخويف عند الإساءة ثم يُحقّق ذلك بالضَّرب إذا لم يَنْجَعِ التَّخويفُ» (3) .

---

(1) نفس المرجع ص 135 ـ 136 .
(2) نفس المرجع ص 136 ـ 137 .
(3) نفس المرجع ص 137 ـ 138 .

ـ العقوبـة في الشّريعـة :

شرع الإسلام العقوبة وبيّن أنواعَها المختلفة واعتبرَها وسيلةً للتّربية فأجاز محمّد بن سَحنون (202 ـ 256 هـ) في «كتاب آداب المعلّمين» ضربَ الصّبيانِ على منَافعهم، كما أجازه أبو الحسن القابِسي (324 ـ 403 هـ)، فقال معتبرا الضّرب بمقدارٍ خفيفٍ حافِزًا للتّعلُّم : «وإذا استأهلَ (الصّبيّ) الضربَ فاعْلَمْ أنّ الضّرب من واحدةٍ الى ثلاثٍ، فلْيَسْتعمِل اجتهادَه لِئَلَّا يَزيد في رُتبةٍ فوق اسْتِئهالها. هذا هو أدبُهُ إذا فرّطَ، فتثاقلَ عن الإقبال على المُعلّم، فتَباطأ في حِفظه أو أكْثَرَ الخطأ في حِزبهِ أو في كِتابةِ لَوْحِه مِنْ نَقْصِ حُروفِهِ، وسوءِ تَهَجِّيهِ، وقُبحِ شَكْلِهِ، وغَلَطِهِ في نَقْطِهِ، فَنُبِّهَ مرّةً بعد مرّةٍ، فأكثَرَ التّغافل، ولم يُغنِ فيه العَذلُ والتّقريعُ»...

ـ رفـض العقـاب الانْتقامـي :

ويَحثُّ القابسِي المُربّي على اللّجوء قبل الضّرب الى «العذْل والتّقريع بالكلام الذي فيه التّواعُدُ من غير شتْمٍ ولا سبٍّ لعِرْضٍ كقول من لا يَعرِف لأطفالِ المؤمنين حقّا فيقول : يا مَسْخ ! يا قِرد ! فلا يَفعلْ هذا ولا ما كان مثلَه في القُبح، فإنْ قلتَ له واحدة فَلْتَسْتَغْفِرِ اللّهَ ولْتَنْتَهِ عنْ مُعاودَتِها».

يَمُجُّ المربّون المعاصرون العقوبةَ الفاضِحةَ بالشّتْمِ ومُبْتذَلِ الكلام لأنّها تَجْرَحُ الشّعور، وتتجاوزُ حُدودَ الآداب، وتُثير النّفس، وتَزْرَعُ فيها كراهيةَ المعلّم لِتَجاوُزاتِهِ اللّفظيةِ القبيحةِ. غير أنَّ أبا الحسن القابِسي لا يَجهر بذلك وإنّما يختار تعليلا آخر قيّمًا لِرَفْض العقوبة الفَاضِحة، إذ يرى أنَّ قبيح اللّفظ لا يَفوه به المُربّي الورِعُ إلاّ إذا كان في حالةٍ غَضَبِيَّةٍ أفْقَدَتْهُ اتّزانَه. وقد تُفضي به تلك الحالةُ النّفسيّة الى تسليط العقاب المادّي على ضَحيّتِه بدافعِ الانْتِقام وتصريفِ الطّاقة الانفعاليّة المكبوتَةِ. وهذه ملاحظةٌ من صميم علم النفس التّربويّ قبلَ ظُهوره. فاقرأ قول القابسي :

«إنّما تَجري الألفاظُ القبيحةُ من لِسان التّقيّ إذا تَمكّنَ الغضبُ من نفسِه، وليس هذا مكانَ الغضب، وقد نَهى الرّسول عليه السّلام أن يَقضيَ القاضي وهو غضبان، وأمرَ عمرُ بنُ عبد العزيز رحمةُ اللّه عليه بضربِ إنسانٍ، فلمّا أقيم للضّربِ قال : أترُكوه، فقيل له في ذلك فقال : وجدتُ في نفسي عليه غَضَبًا، فكرِهتُ أن أضرِبَه وأنا غضبان. قال أبو الحسن : كذا يَنبغي لِمعلّم الأطفال أن يُراعي منهم حتّى يُخْلِصَ أدَبهم لِمَنافِعهم».

ويَصف الغزالي في كتاب «إحياء عُلوم الدّين» أثرَ الغضَب فيقول : «أمّا أثرُه في اللّسان فانْطِلاقُه بالشّتم والفُحش من الكلام الذي يَستحي منه ذو العقلِ ويَستحي منه قائلُه عند فُتور الغَضب... وأمّا أثرُه على الأعضاء فالضّربُ والتّهجُّمُ والتّمزيقُ والقتلُ والجرحُ عند التّمكّن من غير مبالاة...» (1).

فمِنَ العدْل أن يُسقِطَ المربّي حبَّ الانْتقامِ من أغراض العقوبة التّأديبيّة في نظرِ الغزالي. وذاك هو رأيُ أبي الحسن القابسي، فاقرأ قوله : «كذا ينبغي لمعلّم الأطفال أن يُراعي منهم حتّى يُخلص أدبَهم لَمنافعهم وليس لمعلّمهم في ذلك شِفاءٌ من غضَبه، ولا شيء يريح قلبَه من غَيْظِه، فإنّ ذلك إنْ أصابَه فإنّما ضربَ أولادَ المسلمين لراحةِ نفسِه».

فما أروعَ هذا القولَ للقابِسي المُبشِّرِ قبْل ألفِ عام بالنّظريّة الحديثةِ لعُلماء النّفسِ في تفسيرِ دوافعِ العِقاب. فالرّأيُ عند هؤلاءِ المُحْدَثين أن بعضَ المُربّين يُعاقِبون مَدْفوعينَ بالتّنفيسِ عن عُقدَةِ التّسلّطِ والخضوع التي تَكوّنَتْ في صِغرهم عندما كانوا مثلَ تلاميذِهم هدَفًا للعقاب والقَسوةِ من جانبِ أوليائِهم ومُعلّميهم (2).

---

(1) الغزالي «إحياء علوم الدين» المطبعة العثمانية العصرية 1933 ـ ج 3 ص 146.

(2) راجع ما كتبه الدّكتور كمال دسوقي في «علم النفس العقابي» ط. القاهرة 1961 ص 6.

ـ نوع الضَّرب وحدوده :

وإذا كان لا بدّ من العقاب المادّي فينبغي ـ حسَب محمّد بن سَحنون وأبي الحسن القابِسي ـ أن يكون «رقيقًا قصيرًا». ولذا تَراهُما يُحَذِّدانِ بإلحاحٍ كبيرٍ عددَ الضَّربات من واحدة الى ثلاثٍ. وإذا زادَ الضَّربُ عَلَى ثلاثٍ فالرَّأيُ عندهُما أنْ لا بُدّ من استِئْذانِ وَليٍّ أمرِ الصَّبيِّ قبْلَ تجاوُزِ الحدِّ الشرعيِّ. فها هو محمّد بن سَحنون يقول :

«ولا بأس أن يضرِبَهم على مَنافعهم ولا يَجوز بالأدبِ ثلاثًا، إلاَّ أنْ يأذَنَ الأبُ في أكثر من ذلك، إذا آذى (الصبيُّ) أحدًا. ويؤدِّبُهم على اللَّعب والبِطالةِ ولا يُجاوز بالأدب عشرًا، وأمَّا قراءةُ القرآن فلا يُجاوز أدبُه ثلاثًا» (1) .

ويقول القابسي في حدود الضَّرب ووجوب استشارةِ الوليِّ فيما تجاوزَ الحدَّ : «إنِ اكْتسبَ الصبيُّ جُرْمًا من أذًى ولعبٍ وهروبٍ من الكُتَّاب وإدْمانِ البِطالة، فينبغي للمعلّم أن يَستشير أباه أو وَصيَّهُ إن كان يَتيمًا، ويُعلِمَه بجُرْمِه إذا كان يَستأهِلُ من الأدب فوقَ الثَّلاثِ، فتكونُ الزِّيادةُ على ما يُوجِبُهُ التَّقصيرُ في التَّعليم عن إذنٍ من القائم بأمر هذا الصبيّ».

ويشترط القابسي شروطًا دقيقةً في حالةِ تجاوز المؤدِّب حدودَ العقاب الشَّرعيِّ، وهذا ـ دونَ شكّ ـ تضييقٌ على مَنْ يَلْجَأُ الى التَّأديب بالعُنف، إذْ مَهما يكن الأَمرُ فلا يُزاد على ثلاثِ ضرباتٍ إلاَّ إذَا كان الصبيّ في نظر القابسي «يُناهز الاحْتِلامَ. . . سيِّءَ الرِّعيَة، غليظَ الخُلق، لا يريعه وقوعُ عشر ضرباتٍ عليه، ويرى للزِّيادة عليه مكانا وفيه محتمل مأمون».

وواضِحٌ من كلام القابِسي أن المُربّي في حالةِ تجاوُزِه ثلاثَ ضرباتٍ مُطالبٌ بمعرفة نَفسيَّةِ الصَّبيّ المُعَاقَبِ من جِهَةٍ وبِتأكُّدِه من احتِماله في أمانٍ أكثرَ

(1) محمّد بن سَحنون «كتاب آداب المعلّمين» تحقيق حسن حسني عبد الوهاب وتعليق محمد العروسي المطوي، تونس 1972 ص 89.

مَن ذلك المِقدار من الضَّرب وهذا أمرٌ صعبٌ، إذْ يَستوجِبُ من المُؤدِّبِ أن يَمْلك تحليلاً نَفْسَانِيًّا دقيقا للمُخالف وأن يكون دَارسا للتّركيب الدَّاخلي في الأجسام الحيَّة.

ويَزِيدُ القابسي في تَضْيِيقِه على المؤدِّب بالعُنف فيعرِّفُه بنوْع الضَّربِ المُباحِ وهو «ما يُؤلِمُ ولا يَتعدَّى الأَلَمَ الى التأْثيرِ المُشنِعِ أوِ الوهن المُضرّ».

وآلةُ الضَّربِ هي الأخرى مُقَنَّنةٌ عنده، فهي الدِّرَّةُ (السَّوْطُ) والفَلَقَةُ (1) . ويَمنع القابِسي استِعمال اللَّوْح أو العصا المُؤْذِيةِ ويَصف الدِّرَّةَ بقوله : «يَنبغي أن تكون. . . رَطْبَةً مأمونَةً لِئَلاَّ تُؤَثِّرَ أثرَ سُوء». أمَّا ما سِواها فمُحَجَّرٌ عليه استعمالُه «لأنَّه لم يُؤْذَنْ (للمعلِّم) أن يَضرِب (الصبيَّ) بعصا ولا بلَوْح».

ولا يَسْتبيحُ القابِسي الضَّرب إلاَّ في الرِّجْلَيْن لأنهما «أحملُ لِلألَمِ في سَلامة». أمّا رأسُ الصَّبيّ ووجهُهُ فينْبَغِي تَجَنُّبُ ضرْبِهما. وفي هذا يَستشهِد القابسي بقول الإمام سَحنون : «لا يَجوز له أن يَضرِب فيهما، وضَرَرُ الضّربِ فيهما بيِّنٌ، قد يُوهِنُ الدِّماغَ أو يَطرِفُ العينَ أو يُؤثِّرُ أثرًا قَبِيحًا فَلْيُتَجنَّبَا».

ـ العدالـة في العقوبـة :

والقابسي حَريصٌ كلَّ الحِرص على تَوَخِّي العدْل في العُقوبة. فإذا استأْهَلَ التِّلميذُ الضَّربَ وكان لا بُدَّ منه، فيَنبغي أن يَتناسَب مع جَسامةِ الجُرْمِ ودرَجةِ المسؤوليَّة لأنَّ المُربّي في تلك الحالةِ يَتعامل مع أكبادِ المسلمين وهو مُلْزَم باحتِرام أعْراضِهم وأبْشارِهم. فاقرأْ قول القابسي : «وفي بعض الأحايِين يُوقعُ الضَّرب. . . بقدْر الاسْتِئهال الواجبِ في ذلك الجُرْم» لكنه يَستدركُ لِتَضْيِيقِ مَجال الإجازةِ بقوله : «وإنَّما هي أَعراض المُسلمين وأَبْشارهم فلا يَتهاونْ بغير

(1) الفَلَقُ (والفَلْقَة في التّعبير الشعبي) الاول بفتح اللاّم والثانية بتسكين اللاّم والجمع أَفْلاَق : عُودٌ يُرْبَطُ حَبْلٌ من أحد طَرَفَيْهِ الى الآخر وَتُجْعَلُ رِجْلاَ المُعاقَب داخِلَ ذلك الحبل وتُشدَّان فيُضْرَبُ عليهما.

الحقّ الواجبِ». ويَنْصحُ المعلّمَ بأن يُوقِع من واحدةٍ الى ثلاثٍ إذا استأْهل التِّلميذ الضّرب، كما يَنصحه بأن يَستعمل جُهده «لِئلّا يَزيد في رُتْبةٍ فوق اسْتِئهالها».

وقد أجمع فقهاء الشَّريعة على إباحة التَّأديب بالضَّرب لكنْ بشرطِ أنْ لا يَكون شديدًا ولا شائِنا. فإذا لم تكن غايةُ العقوبةِ الجسديَّة تربويَّةً ثم جَاوَزَ فيها المعلّم الحدودَ المشروعةَ فَيُزْجَرُ أو يُعاقب. وإن آل الضَّربُ الى القتلِ فعلى المُؤدِّب المتهوِّر القصاصُ. فها هو القابسي يُجيب عن سؤالِ مُخاطبه في حُكم المُعلّم المتجاوزِ الضَّربةَ الواحدة :

«وأمّا سؤالك عمّا يتعدّى به المعلّم في ضرب الصَّبيّ فترقّى الى ما هو أكثر من الضَّربة، فهذا إنّما يقعُ من المعلّم الجافِي الجاهل، وقد قدّمتُ لك في نهيِ المعلّم عن ضربِ الصبيّ وهو غَضبانُ. . . فإنْ ضرَبه باللّوح أو بعصًا فقتلَه فعليْه القَصاصُ لأنَّه لم يُؤذَنْ له أن يَضربه بِعَصًا ولا بلوح».

ويشدّدُ أبو الحسن القابسي في موضع آخر من رسالته على المعلّم الجافي الذي يَقْسُو في تعنيف الصَّبيّ الى حدّ القتلِ فيُبيح القابسي دَمَهُ شرْعا للقَصاص كما تُبَيّنه هذه العيّنة : «وأمَّا العصا واللّوحُ فقصدُه الى ضربِ الصبيّ بهما تَعدٍّ منه فليس له عذرٌ أكثر من أنَّه غضِب فتعدَّى الواجب فَاسْتَأهَلَ القوَدَ (أي قَتْل القاتِل بدلَ القتيل). . . فإنْ جاوزَ الأدبَ فمرِض الصبيّ من ذلك فماتَ، فإن كان جاوزَ بما يَعْلَمُ أنه أراد به القتلَ أقسموا (أي أهلُ الصَّبيّ وشهودُهم) وقتلوه به».

كلّ ذلك التَّشديد على المؤدِّب بالعنف إنّما يُراد به نُصحُه باجْتِناب التَّشَفِّي والانْتقام في الإصلاح حتّى لا ينقلب إصلاحُه الى إجرام.

ـ أضـرار العقوبـة :

ومتى أمعنتَ النَّظرَ في ما تقدّم من الخواطر التَّربويَّة أيقنتَ أنَّ محمّد بن

سحنون والقابسي وابن خلدون وغيرهم من المربّين الإفريقيّين نصَحوا باتّباع سياسة اللّين مع الريِّضِين لما في العقوبَةِ من أضرارٍ نَفسانيَّة وجسديَّة تَحيد بها عن غرَضها الأصْليّ في التَّربية، وهو إصلاحُ الفرد. غير أنَّهم لم يتعمّقوا دائمًا في تحليل الأسباب الخفيَّة للعقوبة ومخلّفاتها في النَّفس كما فعل بعضُ الدّارسين الذين اهتمُّوا بشؤون التَّربية الحديثة. وما ذاك بعيبٍ نَعِيبُ به المُربّين القُدامى، إذْ ما كان في اسْتِطاعتهم دائمًا التَّعَمُّقُ في كلّ شيء نظرًا الى أنَّ العلوم الاجتماعيَّة والانْسانيَّة في تَطوّر مُطّرِد. ومهما يكن من أمر فكلّهم متّفقون على أنّ الإمْعان في الشّدَّةِ والغِلظة يُكسب الريِّض جُرْأةً على التَّمادي في التَّحدِّي والتَّطاول على غيره.

على أنَّ للعِقاب أضرارًا أخرى مِنها أنَّه يَعزِل الفردَ المُعاقب عن المجتمع ـ إذا كَبُرَ به العِقاب ولاَزَمَه ـ فيصيرُ حينئذ عَدُوَّ مجتمعِهِ وتتولَّدُ في نفسِه عُقْدَةٌ كامِنة للانتقام من الآخرين (1). ولا يُفلح العِقاب دائمًا كوسيلةٍ رَدْعٍ وتهذيبٍ، بلْ إنَّه ليُكسِب المعاقَبَ الحَذَرَ والتَّفننَ في تَجنُّبِ العقاب، فتيعلَّمُ المُراوغةَ، وحَمْلَ الأَقْنِعةِ المرضِيَّةِ، وإخفاءَ الحقائق. وذاك هو الكذب والخبث كما بيّنه ابن خلدون في «المقدّمة» (2).

حتَّى لو سلَّمنا بأنَّ العقاب يَردع المخطىء ويُصلحه، فإنَّ مِنْ مُخلّفاته زرعَ الخوْف في النَّفس، والمباعدةَ بين المُربِّي، والمُربَّى، فينقطعُ بذلك الحوار البنَّاء بينهما ويفقد المأخوذ بالشِّدّة شيئا فشيئا ثقتَه بنفسه وشعورَه بِكرامتِه (3).

وفضلاً عمّا ذُكِر من المضارّ النَّفسانيَّة فإن العقاب لا يُعيد بِناء الشَّخصيَّة، بل إنه يُميت الحيويَّة في النَّفس، والقدرةَ على الخَلق والإبداع. وفي هذا المعنى

(1) راجع ما كتبه كمال دسوقي «علم النفس العقابي» ص 133 ـ 135.
(2) انظر ما كتبه في «المقدمة» ط. دار الكتب اللّبناني ـ بيروت 1956 ج 5 ص 1015.
(3) راجع كمال دسوقي «علم النفس العقابي» ص 136 ـ 137.

يقول الدّكتور كمال دسوقي مُستندا الى دراسات علماء النَّفس كَبَلْدوين (Baldwin) وإليانور هولنبرج (Eléanor Hollenberg) ومارْڤريتْ سبيرّي (M. Sperry) : «أنّ الأطفال الذين يتربَّوْن في ظلّ فلسفة منزلية ديمقراطيَّة أكثرُ احْتِمالا لأن يكونوا أكثر حيويّة، وأشدّ جرأة، وأكثر قبولا لأن يتزعّموا، واستعدَادًا لأن يرسموا خطط أفعالهم بأنفسهم. . . أمّا أطفال الأسر التي أشدّ رقابة، فالاحتِمال أكثر لأنْ يكونوا أكثر تقيّدا في ميولهم واستطلاعهم (1) .

ولِلّهِ دَرُّ العلاّمةِ المُربّي التّونسْي ابنِ خلدون في ما اهتدى إليه بِعبقريَّتِه من خواطرَ جدّ عميقة تَتَجانسُ مع ما قادتْ إليه البُحوثُ المِخْبريَّة التي قامَ بها عُلماء النّفسِ المعاصرون فاستَنْتَجوا منها العواقبَ الوخيمةَ للعُنف. فاقرأْ ـ لمزيدِ التيقُن من طَرافةِ تحليلِهِ لِضَررِ الشِّدَّة على المُتعلّمين ـ قولَه في «المقدِّمة» :

ومَنْ كان مَرْبَاهُ بالعَسف والقهر مِن المتعلّمين أو المماليك أو الخَدم سَطَا به القهرُ، وضيّقَ على النَّفس في انْبِساطِها، وذهبَ بنشاطِها، ودعاه الى الكَسل، وحملَ على الكذب والخُبث، وهو التظاهرُ بغيرِ ما في ضميرِه خوفًا من انْبساط الأيدي بالقَهر عليه، وعلّمه المَكرَ والخديعةَ لذَلك، وصارتْ له هذه العادةُ خُلُقا، وفَسدتْ معاني الإنسانيَّة التي له مِن حيثُ الاجتماعُ والتَّمرنُ وهي الحَميَّةُ والمُدافعةُ عن نفسه ومنزلِه، وصار عِيالاً على غيره في ذلك، بلْ وكَسلت النّفسُ عن اكتِساب الفضائلِ والخُلقِ الجميل، فانْقَبَضتْ عن غايتِها ومدى إنسانيتها، فارْتَكَسَ وعاد إلى أسفلِ السّافلينَ».

فَخَبِّرْني هل سمِعت كلاما أبلغَ وأعمق وأكثرَ حَداثة من هذا الكلام لابن خَلدون في تحليل سلبيات التّربيةِ بالعُنف. وإنَّ هذا المُربّي الألْمَعِي لَيَزيدك اقْتِناعا بضرر الشّدة عندما يَسوق لك كَعادتِه بعد عرْضِ نظريّتِه مثالا حيّا من تاريخ الشّعوب التي فقدتِ الثّقةَ بالنّفس في زمانهِ وقبْلَه، عندما سُلّطَ عليها القهرُ وأُخِذت بالعَسْفِ :

(1) نفس المرجع ص 139 .

«وهكذا وقع لكلّ أمّة حصلت في قبضةِ القهر ونالَ منها العسفُ. وَاعتَبِرْهُ في كلّ مَن يُملك أمرُه عليه، ولا تكون الملَكةُ الكافِلة له رفيقةً به. وتجِد ذلك فيهم استقراءً، وانظُرْه في اليهود وما حصل بذلك فيهم من خلُق السوء، حتى أنهم يوصفون في كلّ أفقٍ وعصر بالخَرَجِ ومعناه في الاصطلاح المشهور التّخابثُ والكَيْد، وسببُه ما قلناه» (1).

والرِّفقُ والرّحمةُ واللّينُ كلماتٌ تتردّدُ على ألسنة محمّد بن سحنون وأبي الحسن القابسي وابن خَلدون وغيرهم من أقطاب التّربيَةِ الإفريقيّين القُدامى في سياق حديثهم عن مُعاملةِ الصّبيان من قِبَلِ المُربّين. فأبو الحسن القابسي مثلا يُرَجِّحُ كفّةَ اللّين على كفّة الشّدة. ولَئِنْ قرّرَ أنَّ أقصى عقوبة تُسلّط على الصّبيّ المخطىء هي «عشرُ ضربات رقيقة»، فإنما فعل ذلك بموجب العُرف والعادة، غير أنّه في قرارة نفسه قد اقتنعَ بأنَّ اللّين أحسنُ حافز للتّلعم والإصلاح، وأنَّ الضّرب خاصّة إذا تجاوز الضّربة الواحدة الرّقيقةَ لا يَصدُرُ إلاّ عن معلّم «جافٍ جاهلٍ». ولا أدلّ على ذلك من قوله : «أمّا سؤالك عمّا يتعدّى به المعلّم في ضرب الصّبيّ، فترقّى الى ما هو أكثر من الضّربة، فهذا إنمَا يقعُ من المعلم الجاف الجاهل».

ويريدُ أبو الحسن أن يضبط المعلّم نفسَه ويَحبس غيظَه عملاً بقول اللّه عزّ وجلّ «والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس واللّه يُحبّ المُحسنين» (س. آل عمران)، وعملا بمأثور الحديث إذ يقول : «ومن حُسن رعايتِه لهم أن يكون بهم رفيقا، فإنّه قد جاء عن عائشة أمّ المؤمنين رضي اللّه عنها أنّ رسول اللّه صلّى اللّهمّ عليه وسلّم قال : «اللّهمّ مَنْ وَلِيَ من أمر أُمّتي شيئا فرَفَقَ بهم فارْفُق به. وقد قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم : «إن اللّه يُحبّ الرّفق في الأمر كلّه وإنّما يرحم اللّه من عباده الرّحماء».

---

(1) ابن خلدون «المقدّمة» ط. دار الكتاب اللُّبْناني - بيروت 1956 ج 5 ص 1015.

ومتى نظرتَ فرأيتَ أنّ القابسي الفقيه المحدّث المقرىء المربّي يقتصد شديد الاقتصاد في إباحة العقوبة البدنيّة، فيُحيطها بسياج من الشُّروط المُقيّدة لها، المحرجة للمعلّم، حَكَمْتَ بأنّه يراعي مصلحة الطّفل الى أبعد حدّ، وتيقّنتَ أن التّربية بإفريقيّة الإسلاميّة لا تقوم على الشّدة.

لقد أظهر محمّد بن سحنون قبل القابِسي بقرنَ ونصف تشديدا على المؤدّبين في مسألة ضرب الصّبيان حتى تَذَمَّرَ منه بعضُ من كان يُعاني مهنة التّعليم، وهو أبو اسحاق الجبنياني التّونسي المتوفّى سنة 369 هـ، فقال : «رحم الّله أبا عبد الّله محمّد بن سحنون لو علّم الصّبيان لَرَفق بالمعلّمين، يريد أنه شدّد عليهم» (1). وما من شكّ في توافق نظرة أبي الحسن القابسي مع نظرة محمد بن سحنون في مراعاة الطُّفولة لأنّ الأطفالَ لا يملكون من أمرهم شيئا لصغر سنّهم وبراءتهم في عبثهم ولذا وجب الرّفقُ بهم وإصلاحُهم بالاقناع والتّوجيهِ اللطيف. فاقرأْ ـ لمزيدِ التّيقُّنِ من ميل القابسي الى الرِّفق بالصِّبيان وكُرْهِهِ التّشديدَ عليهم ـ قولَه الآخر :

« إذا أحسن المعلّم القيام وعَنِيَ بالرِّعايةِ وضع الأمور مواضعَهَا لأنّه هو المأخوذ بأدبهم والناظرُ في زَجْرِهم عمّا لا يَصلُح لهم، والقائم بإكراههم على مثل منافعهم، فهو يَسوسهم في كلّ ذلك بما يَنفعهم، ولا يُخرجهم ذلك من حُسن رفقه بهم ولا من رحمته إياهم، فإنّمَا هو لهم عِوَضٌ من آبائهم».

وتأييدًا لهذا الاتّجاه الإسلامي الإنسانيّ في التّربية يستشهد محمّد بن سحنون في كتاب «آداب المعلّمين» بهذا الحديث النّبويّ عن ابن العبّاس : «قال رسول الّله : أشرار أُمّتي مُعَلِّمو صبيانهم أقلّهم رحمة لليتيم وأغلظهم على

(1) القاضي عياض «المدارك» مخطوط بالجامعة التونسية عدد 1011 ج 4 ص 42 في ترجمة أبي اسحاق الجبنياني (ذكر سيرته في التعليم).

المسكين». قال محمّد (أي ابن سحنون) : وإنما ذلك لأنّه يضربهم إذا غضب وليس على منافعهم» (1).

وسواءٌ كان العقاب رادِعًا بالعنف أو واعظًا بغليظ الكلام فإنَّ الذي يُخشى منه هو جعلُ الممنوع لذّة منشودة فيكون من الأفضل تعويضُ الكَبْت العنيفِ والإصلاح الإرْهابِي بنظام يقوم على الرفق والتّسامح وعلى المحبة والاحترام بغير مُيوعة لا تسَيُّبٍ، فإذا أحبَّ التِّلميذ أستاذه ومربِّيه زاده ذلك اجتهادًا وسعيا في طلب العلم ومِرانا على الخير وتعلُّقا بالمبادىء والقيم وقويتْ شحنته الروحية وارتفعتْ مَعْنويَّاتُه واكتملت أسمى معاني إنسانِيّتِهِ.

وإنّ الإمام سحنون المُجَذِّر للمذهب المالكي بإفريقيَّة وشيخ المربّين بالقيروان هو زارعُ بذور تلك الطَّريقة المَرِنَة في إصلاح النَّاشئةِ لما نصح معلّم ولده أبي عبد اللّه محمّد صاحب كتاب «آداب المعلّمين» بقوله : «لا تُؤَدِّبْهُ إلاّ بالمدح ولطيف الكلام، ليس هو مِمّنْ يُؤَدَّب بالضَّرب والتَّعنيف، واتْرُكْهُ على نِحْلتِي» (2).

ويُمكنك معرفة مذهبِه أو ما يُسمِّيه نحلتَه في التَّربية بالرُّجوع الى حادثة جرت للإمام مع تلميذه محمد بن معاوية ورفاقه كما رَواها أبو بكر المالكي في كتابه «رياض النّفوس» فقد حضر محمد بن معاوية يوما حَلْقَة من حلقات دروس الإمام سحنون التي كانت تُعقد أمام بيته في الشَّارع، وجلس في الطَّريق لِضيق الموضع. فَهَا هو يَحكي ما جرى يومئذٍ ومن الغد :

«فَجَاءَهُ (أي لسحنون) حملُ طعام من البادية فنظر إليّ وقال لي : قُمْ من الطَّريق، فلم أقدرِ أن أقومَ، فقال «قد جاءنا رزقٌ فمِنْ أيْنَ يدخل إذا قعدتُم

(1) رسالة آداب المعلمين «لمحمد بن سحنون، مذيّلة بكتاب التربية في الإسلام» لأحمد فؤاد الأهواني، ص 354. وفي طبعة تونس لسنة 1972 راجع ص 89.

(2) أبو بكر المالكي «كتاب رياض النفوس» ط. حسين مؤنس القاهرة 1951، ج 1 ص 345.

لنا في الطَّريق ؟» ثم تخطَّاني وجاز، ثم نظر إلينا ثمَّ قال : «قد نهيتُكم غيرَ مرَّة من أن تَقعُدوا في الطّريق»، وضاق علينا. . . فلمّا كان من الغد خرج علينا وعلى يده الكتب للسّماع. فلمّا قعد في موضع، أخذ الكتاب ليقرأ، فلمّا قرأ «بسم اللّه الرَّحمان الرّحيم» وضع الكتابَ من يده، ثم تبسّمَ قليلا، ثم قال : «كَبُرْنَا وساءتْ أخلاقُنا، ويعلم اللّه (أنّي) ما أصيحُ عليكم إلاّ لأُؤَدِّبَكم، وما أريد بكم ـ يعلم اللّه ـ مكروها، إلا أنَّا ابْتُلينا عند الكِبَرِ ونحن أحوجُ ما كنّا الى أنفسنا»، كأنه يريد أن يعتذر عمّا ابْتُلِي به من أمر القضاء. «وما أريدُ إلاّ لترعَوُوا وتفقَهوا وتعمَلوا بما سمِعتم» (1)

فخَبّرني هل سمعتَ اعتذارا ألطف وأقوى تأثيرًا في نفوس الطلاّب من اعتذار سحنون المُربِّي. لقد تدارك الأمر، وأصلح ما كان بينه وبين الطلاّب من توتّر، وعاد الى لُطفه ولِينه إذ تيقَّن أنَّ ما صدر عنه من لومٍ وتأنيبٍ قد يَتْرُكُ أثرًا سيِّئا في نفوس المُتعلّمين فترقَّبَ الفُرصة للاعتذار عن غضبه بعدما ضاق على طُلاّبه وصاح عليهم، لأنَّ الإمام سَحنون مُتمسِّكٌ بِنحْلَتِه في معاملة الرَّيِّضِين، وهي التي نصح بها معلّم ولده محمّد عندما طلب منه أن يُؤدّبه بالمدح ولطيفِ الكلام.

وفي كتاب «رياض النّفوس» لأبي بكر المالكي القيرواني خبرٌ آخر يفيد اعتماد الإمام سحنون مرّة أخرى سِياسَة التَّرغيبِ والتَّرهيبِ في الإصلاح والتَّربية. فبعد أن صاح سحنون على أحد طَلَبَتِهِ كَلَّمَهُ بِلِينٍ، وعلّل شدّته تعليلا طريفا. فدونك الخبرَ الطريف، فاقرأه، واستمتِعْ به :

«قال سليمان بن سالم : كنت قاعدا قدّام سحنون وهو يقرأ كتاب التَّرغيب من جامع ابن وهب، فرددت عليه حديثا هو في كتابي ولم يكن في كتابه، فقال لي : اقرأ الحديث. فلمّا قرأتُه، أَنْكَرَ الحديث، وصاح عليَّ، وقال : من أين دخل هذا الحديث في كتابك ؟ فأمسكتُ ولم أردَّ عليه، فكلّمه

(1) «رياض النفوس» ج 1 ص 266.

محمّد ولده وقال : أصْلَحكَ اللّه، الكتبُ تختلف. فقال لي : اطرح الحديثَ من كتابك، فخططتُ عليه بالقلَم وهو ينظر، فقال لي : زِد خطًّا عليه، فطلَسْتُه كلَّه. فلمّا كان بعد ذلك خرج، فقعد، فنظرتُ في وجهه زُبُلَ حمام، فقلت له : ايش هو : فقال : قد آذَوْنا بالحمام، وقلتُ لهم يُنحّونه عنّا فأبوا، ثم قال : اذا رأيتَ الطّالب يُصاحُ عليه ويُنهر فلا يبرح من مكانِه فارْجُهُ. وإذا رأيته إذا صيح عليه تَنحَّى من مكانه، ويقعدُ بعيدا، ثمّ لا يرجع، فليس يُفلِح. فقال أصحابُنا الطَّلَبةُ : قد أعتَبك» (1).

- سياسة التّرغيب والتّرهيب :

غير أنّ الرِّفقَ بالمُتعلّمين ليس معناه المُيوعة والاستِسلام، فكلّما تحتّمتِ الشِّدةُ وجب استعمالُها في الحدود المُباحة بلا ضررٍ. وذاك قدِ انْتَبهَ اليه المربُّون الإفريقيُّون كابن خلدون عندما أورد في الفصول التَّربويَّة من كتاب «المقدِّمة» نَصيحَة الرَّشيدِ لِخَلَف الأحمر معلمِ ولده محمّد الأمين، واعتبرَها من أحسن مذاهب التَّربية، فقال :

«ومِنْ أحسن مذاهب التعليم ما تقدَّم به الرَّشيدُ لمعلِّمِ وَلَدِهِ محمّد الأمين، فقال : يا أحمرُ إنَّ أمير المؤمنين قد دفع اليك مُهجة نفسِه وثمرةَ قلبِه، فَصيِّرْ يدكَ عليه مَبسوطةً وطاعتَهُ لك واجبةً... ولا تَمُرَّنَّ بك ساعةٌ إلاَّ وأنت مُغتنمٌ فائدةً تُفيده إيَّاها من غيرِ أن تُحزنه فتُميتَ ذِهنَه. ولا تُمْعِنْ في مُسامحتِه فيَستحلي الفراغ ويأْلَفه، وقَوِّمْهُ ما استطعتَ بالقُرب والمُلاينة، فإنْ أباهما فعليك بالشِّدة والغلظة» (2).

أليس معنى هذا أن التَّربية الحقَّ هي التي تَبني الشَّخصيَّة، وتُفجِّر يَنابيع النَّفس، وتُنَشِّطَ الذِّهنَ، وتُخلِّصه من القيود، وتُمَكِّنه من الخَلق والإبداعِ. ولا

(1) أبو بكر المالكي «رياض النفوس» ج 1 ص 271.
(2) ابن خلدون «المقدمة» ط. دار الكتب اللبناني - بيروت 1956 ج 5 ص 1061.

خلق بدون حرّية، ولكن الحريَّة تُفضي الى الفوضى متى جاوزتِ الحدَّ وأمْعن المُربِّ في مُسامحة المتعلِّم على تماديه في المخالفات. فلا بدَّ إذن من التَّرهيبِ إذا أخْفقتْ سياسةُ التَّرغيب، وهي لا تفشل إلا قليلا.

ولئن اعترف ابن خلدون بأن التَّرغيب والتَّرهيب من أحسنِ مذاهب التَّربية فإنَّه اعتبرَ الِّلين أحْسنَ حافزٍ لها، وأبى أن يكون المعلّم عدوَّ التِّلميذِ، فلم تكن العصا والخيزرانةُ والفلَقَةُ إذنْ هي الوسائل الأولى للتَّأديب في نظر المُربّين المسلمين بإفريقيَّة في القرون الوسطى. وقد فطن المربون المسلمون في تلك العصور الى حافزٍ أكثر نجاعةً وأقوى أثرا في نفس المُتعلّم من الدِّرَّة والفلَقة (1) .

ـ الثّواب أحسن حافز للتّعلّم :

وهذا الحافز القويّ الأثر في التعُّلُم هو التَّشجيع الماديُّ والمعنويُّ للمتعلِّم، فاقرأْ قول أبي حامد الغزالي:«مهما ظهر من الصَّبيّ خلُق جميلٌ وفعل محمود، فينبغي أن يُكْرَمَ عليه ويُجازى عليه بما يَفرح به ويُمدح به بين أظْهُرِ النّاس» (2) .

وكذلك أثبتَتْ تجَاربُ علماء النَّفس أنَّ معرفة نتائج التّقدّم حافز قويّ للتّعليم وهكذا تفهمُ أهميَّة الاحتفال بخَتْمِ الصِّبيان للقرآنِ في الكتاتيب بإفريقيَّة، وما يتبع ذلك من تشجيع وعُطَلٍ قصيرةٍ هي أعْيادُهم الخاصّة. ويكفيك دليلا على ذلك ما ذكره القابسي ومحمّد بن سحنون عن الاحتفاء بِخَتْمَةِ القرآن الجزئيَّة والتّامة.

ونبَّه علماء النّفس التَّربويُّون الى حافز آخر قويّ الأثر في التَّعليم يتمثَّل في

---

(1) هذا عكس ما يراه «جيرار لوكونت» في مقدمة ترجمته لرسالة ابن سحنون. انظر :
Gérard Lecomte «Le livre des règles de conduite des maîtres d'école» par Ibn Sahnoun ; Revue des Etudes Islamiques, Année 1953, p. 85.

(2) الغزالي ـ المصدر المذكور، ص 63.

التّنافس والتّسابق البَريئَيْن. وقد فطِن لنجاعة هذا الحافز المربُّون الإفريقيُّون في القرون الوسطى، فسمّاه محمّد بن سحنون والقابسي «تجاوُزا» و«تخايُرا» أي تسابقا. فاقرأ ـ لتتيقّن من ذلك ـ قول محمد بن سحنون :

«وينبغي له (للمعلّم) أن يجعل لهم وقتا يُعلّمهم فيه الكتابة ويَجعلهم يَتجاوَزون لأنَّ ذلك ممّا يُصلحهم ويُخرجهم» (1) .

أيْقَنتَ ـ حفظك اللّه ـ أنَّ لهذه الوثائق أهميَّة كبرى بالنِّسبةِ الى العصور التي كُتبتْ فيها، وتَجَلَّتْ لك ـ أبعد اللّه عنك الشُّبهة ـ ناحيَةٌ لا يُستهان بها من نواحي تفكير أبي الحسَن القابسي وثُلَّةٍ من علماء المربِّين الإفريقيِّين في القرون الوسطى. فلقد وجدْنا عندهم وإنْ بَلِيَتْ بعضُ آرائهم مبادىءَ ونظرياتٍ في التَّربية صالحةً لزمانِنا، حَرِيَّةً بأن تَبقى سنَدا قويّا للتَّربية العربيَّة الإسلاميَّة وأنْ تحتلّ مكانتها في تاريخ المذاهب التّربوية العالميَّة، وأن تدخل ميدانها من الباب الكبير وأن تُلْهِمَنا مُواصلةَ السَّيْرِ في طلب الأمثلِ والأحسنِ على دَرْبِ الأصالة.

ها أنك غنِمت فوائد جَمّةً من «الرِّسالة المُفصِّلة لأحوال المتعلِّمين وأحكام المعلِّمين والمُتعلِّمين» لأبي الحسن علي بن محمد بن خلف المَعافري القابسي القيرواني. وإنَّ هذه الوثيقةَ القانونيَّةَ التَّربويةَ التي تبدو جافَّة في شكلها لَتُوحي لك ـ مع ذلك ـ بحياةٍ كاملةٍ للعالَم الصَّغير الزَّاخرِ بالحرَكة في الكتاتيب حيثُ لم تَتغيَّر أساليبُ التَّعليم بالمغرب والمشرق منذ القرون الأولى للإسلام الّلهم إلاَّ في بعض الحالات القليلة حينما يَسعى المؤدّبون أو السَّاهرون على تحفيظِ كتاب اللّهِ في تعصيرِ أماكنِ الدّرس.

*** خواطر حول الاحتفاء بالأعياد في إفريقيّة :**

في سياق حديثه عن مناسبات وأيَّام العطل في التَّعليم الكتاتيبي بإفريقيَّة في زمانِه يُدهشنا أبو الحسن علي القابسي بإشاراته الى أعيادٍ أعجميَّة نصرانيَّة

(1) محمّد بن سحنون «رسالة المعلّمين» ملحق بكتاب الأهواني ص 357.

ويهوديَّة ووثنيَّة يبدو أن بعض الأوساط قد تبنّتها بإفريقيَة زمنئذٍ.

والقابِسي بصفتِهِ فقيهًا مُدافعا عن العقيدة لَيُنَدِّدُ باحْتِفالِ بعضِ المُقلِّدين بتلك الأعياد كما يُنَدِّدُ بما يُقدِّمه الصِّبيان من هَدايا لِمُؤدِّبيهم بمُناسبَاتِها وهي أعيادٌ دَخِيلَةٌ على المجتمع الإسلامي ويذكر منها القابسي بالخصوصِ عيدَيْ الميلادِ والفِصْح النَّصرانيَيْن، وعيدَ القِباب اليهوديَّ المُسمَّى «الانْبِداس»، بإفريقيَّة و «الغبطةَ» بإسبانيا، و«الغطاسَ» بمصر. وفي ذلك دليلٌ على تأثيراتٍ مسيحيَّةٍ ويهوديَّةٍ وغيرِها مُتَبَقِّيةٍ في المجتمع الإسلامي بإفريقيَّة حيثُ لم تزَل اللّغةُ اللاَّطِينيَّةُ ماثِلةً في عهد ابن خلدون.

ويُجيب القابسي عن السؤال «هل عَطيَّةُ العيدِ يُقضى بها ؟» بما أفْتى به محمّد بن سحنون وكذلك ابنُ حبيب وهو رَفْضُ الهدَايا الموضوعةِ في صُرَرٍ للمُؤدِّبين بمناسباتِ الأعيادِ إلاَّ إذا كانت تَطوُّعا وفي أعيادِ المسلمين، ثم يُضيف قوله :

«ومكروهٌ عليه (أي المؤدب) أن يفعلَ مِن ذلك شيئا في أعياد النَّصارى مثلِ النَّيْروزِ والمِهْرجانِ، لا يَحِلُّ لِمَنْ فعَله ولا لمن يَقبلُه من المعلِّمين، بل ذلك تعظيمٌ للشِّرك وإعظامٌ لأيَّام أهلِ الكُفر بالَّله...».

«وكذلك المذمُوم أن يُؤخذَ في أعياد أهلِ الكفر، يَدخل فيها أيضا المِيلاد والفِصْحُ والانْبِداس عندنا والغِبطةُ بالأندلس والغِطاس بمصر، كُلّ هذا من أعيادِ الكَفَرَةِ، لا يجب أن يَطلب معلّم المسلمين فيه شيئا. وإنْ أُوتيَ اليه بشيءٍ في ذلك لا يَقبله، وإنْ أطاعوا له به. ولا يَنبغي للمسلمين أن يَتطوَّعوا بذلك ولا يَتزيَّنوا له بشيء من الزِّيِّ، ولا يَتهيَّئوا له بشيءٍ من التَّهْيِئَة، ولا يَفرح الصِّبيانُ كعمَل القِباب في الانْبِداس، والقُصوفاتِ في الميلاد. كلّ ذلك لا يَصلُح من عمل المسلمين، ويُنْهَوْنَ عنه، ويَأْبى المعلّم من قَبول الإكرام منهم فيه، لِيَعْلَمَ جاهلُهم أنَّ هذا خطأٌ فينتهي، ويَخْجَل مستخِفُّهم له فيترك ذلك...».

وَوُلوع المُجتمع الإفريقيِّ بأفراح الأَعياد بِشتّى أنواعِها سواءً كانت من أصل إسلاميٍّ سُنيٍّ أو شيعيٍّ أو مَسيحيٍّ أو يَهوديٍّ أو حتى وَثنيٍّ كَعيد عاشوراءَ، وطُقوسِ طانِيتْ (Tanit) البُونيقِيَّةِ خلال فترات القَحْطِ، والمِهرجان الفارسيِّ، والقَصْفِ في عيد ميلاد المسيح، عدا عيدَيْ الفِطر والأَضحى والأَعياد الإسلاميَّة الأخرى، كلُّ ذلك لا يزال في أيّامنا هذه بالبلاد التونسيَّة واقعًا مُثيرًا لِلانتِباهِ مُنْغرِسا في التَّقاليد. هذا بالإضافة الى الحفلات العائليَّة المُتنوِّعةِ وأفراح الإخوان وما يَتْبَعُها من قَصْفٍ وجَذَلٍ وكلُّها فُرَصٌ مُتَجدِّدة فيها امْتدادٌ لمُيولٍ فِطريَّة عند أهل تونس الى الدّعة وفَرْحة الحياة الرَّاسِبتيْنِ في نفوسهم منذ القِدم.

أحمد خالد

المـــراجع العربيّـــة

- الأهواني (أحمد فؤاد) : « التّربية في الإسلام » ط. القاهرة 1955 ـ (استعملت هذه الطّبعة الأولى في القسم الفرنسيّ من الكتاب. أمّا في القسم العربيّ فقد استعملت الطّبعة الثّانية بالقاهرة 1968)
- ابن تميم (أبو العرب محمّد بن أحمد) ـ والخشني (محمّد بن الحارث بن أسد) : «طبقات علماء إفريقيّة» ط. ابن شنب، باريس 1915.
- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) : «كتاب البيان والتّبيين» ط. القاهرة 1345 هـ/ 1926 م.
- الجوهري (اسماعيل بن حمّاد) : «الصّحاح» ط. القاهرة 1956، 6 مجلّدات.
- الحصري (ساطع) : «دراسات عن مقدّمة ابن خلدون» ط. القاهرة ـ بيروت 1967.
- خالد (أحمد) : «شخصيّات وتيّارات» ط. الدار العربيّة للكتاب ـ تونس ـ ليبيا 1982.
- ابن خلدون (عبد الرّحمان) : 1 ـ «المقدّمة» ط. دار التّراث العربي بيروت بلا تاريخ.
  2 ـ «المقدّمة» ط. دار الكتاب اللّبناني بيروت 1956.
- ابن خلكان (أحمد بن محمد) : «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان» ط. القاهرة 1948، 6 مجلّدات.
- الدّبّاغ وابن ناجي : «معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان» ط. تونس 1320 هـ.
- دسوقي (الدّكتور كمال) : «علم النّفس العقابي» ط. القاهرة 1961.
- الزّركلي (خير الدّين) : كتاب «الأعلام» ط. ثانية ـ دمشق 1954 ـ 1959 في 10 أجزاء.
- ابن سحنون (محمّد) : 1 ـ كتاب «آداب المعلّمين» ملحق بكتاب «التّربية في الإسلام» للدّكتور أحمد فؤاد الأهواني. ط. القاهرة 1955. ص 351 ـ 367.
  2 ـ كتاب «آداب المعلّمين» ط. حسن حسني عبد الوهاب. مطبعة العرب 1931.
  3 ـ كتاب «آداب المعلّمين» طبعة جديدة بمراجعة وتعليق محمّد العروسي المطوي، دار الكتب الشّرقيّة ـ تونس 1972.
- ابن سعد : كتاب «الطّبقات الكبرى» ط. بيروت 1907 في 8 أجزاء.
- عمارة مصطفى : «جواهر البخاري» ط. القاهرة 1371 هـ.
- عياض (القاضي) : كتاب «ترتيب المدارك» مخطوط جامع الزّيتونة رقم 3241.
- القابسي (أبو الحسن علي بن محمد بن خلف) : (1) «الرّسالة المفصّلة لأحوال المتعلّمين وأحكام المعلّمين والمتعلّمين» ملحق كتاب «التّربية في الإسلام» للدّكتور أحمد فؤاد الأهواني، ط. القاهرة 1955 ص 265 ـ 347.
  (2) «الرّسالة المفصّلة لأحوال المتعلّمين وأحكام المعلّمين والمتعلّمين»، نسخة مخطوطة

بالمكتبة الوطنيّة بباريس رقم 4595.
ـ ابن قطيبة : كتاب «المعارف» ط. القاهرة 1960.
ـ المالكي أبو بكر : (1) «رياض النّفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقيّة وزهّادهم ونُسّاكهم وسِيَرٍ من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم» طبعة أولى (الجزء الأوّل) بعناية الدّكتور حسين مؤنس، القاهرة 1951.
(2) «رياض النّفوس» حقّقه بشير البكوش وراجعه محمد العروسي المطوي، الجزءان الأوّل والثّاني ـ بيروت 1983.
ـ ابن منظور (جمال الدّين محمّد بن مكرّم الأنصاري) : «لسان العرب» ط. بولاق 1300 هـ في 10 أجزاء.
ـ مخلوف (محمّد) : «شجرة النّور الزكيّة» ط. القاهرة 1349 هـ.
ـ مسلم (أبو الحسين) : «الصّحيح» ط. 1330 هـ. في أربعة أجزاء.
ـ ابن النّديم : «كتاب الفهرست» ط. فلوقل ـ لاَيْبسِيكْ 1817، جزءان في مجلّد.

المــراجع الأجنبيّــة
والبحــوث باللّغة الفرنسيّــة

– Bišr Fâris : « L'honneur chez les Arabes avant l'Islam » Éd. Adrien-Maisonneuve ; Paris, 1932.
– Blachère (Régis) : « Introduction au Coran » Éd. Librairie G.P. Maisonneuve ; Paris, 1951.
– Blachère (R) : « Le Coran » - Traduction - Éd. Maisonneuve ; Paris, 1949 ; 2 vol.
– Boḫârî : « Aṣ-Ṣaḥîḥ. Les Traditions Islamiques » - Traduction Houdas et Marçais. Dans Publication École des Langues Orientales vivantes. Éd. Paris, 1903-1914 ; 4 vol. in 4°.
– Bouyahia (chédly) : « La Vie Littéraire En Ifriqiya Sous les Zirides » Éd. S.T.D., Tunis, 1972.
– Brunschvig (Robert) : « La Berbèrie orientale sous les Ḥafsîdes des origines à la fin du XI[e] siècle » Éd. Librairie d'Amérique et d'Orient, Adrien - Maisonneuve ;Paris 1940, T2. Chp. XIII.
– Carra De Vaux : « La Doctrine de l'Islam » ; Paris, 1909 ; Chap. VIII, l'enfant et l'éducation.
– Dozy (R) : « Supplément aux dictionnaires arabes ». Paris, 1927 ; 2[e] éd ; 2 vol. in 4°.
– Encyclopédie de l'Islam : (1) Ancienne Édition. Leyde, 1913 ;4 vol. in 4° supplément. (2) Nouvelle Édition. Leyde, à partir de 1975.
– Ghazâlî : « L'Éducation des enfants dès le premier âge ». Texte présenté et traduit par A. Ranon (Extrait de la Revue Ibla ; 1945).
– Ibn Abî Zayd al Qayrawânî : « La Risâla » - Traduction de Léon Bercher ; Alger 1952.
– Ibn Ḫaldûn : « Les Prolègomènes » - Traduction de De Slane ; Librairie Paul Geuthner, Paris 1936 ; 3 volumes.
– Ibn Saḥnûn : « Les règles de conduite des maîtres d'école » - Traduction de Gérard Lecomte, in Revue des Études Islamiques, année 1953. Paris, 1954.
– Ibn Tamîm (Abû-l-ᶜArab Moḥammad ibn Aḥmad) et Ḥošanî Moḥ. ibn al Ḥâriṯ ibn Asad) : « Classes des savants de l'Ifrîqiya » Éd. Ben Cheneb ; Paris, 1915.
– Idris (Hédi Roger) : « Deux Juristes Kairouanais de l'époque Zîride : Ibn Abî Zaid et Al Qâbisî (X[e]/XI[e] siècle). Annales de l'Institut d'Études Orientales ; Année 1954, Tome XII.
– Kazimirski : « Dictionnaire arabe-français » Éd. G.P. Maisonneuve ; Paris, 1960 ; 2 vol.
– Khaled (Ahmed) : « Caractère génial du système éducatif d'Ibn Khaldūn » in Revue Pédagogique ; Tunis, 1963.
– Lammens (Henri) : « La cité arabe de Tâif à la veille de l'hégire ». Dans Mélanges Université St Joseph ; Beyrouth, 1922 ; 1 vol. in 4°.
– Lévi-Provençal : « Histoire de l'Espagne Musulmane » Éd. Maisonneuve ; Paris, 1953. T3, « l'Instruction élémentaire .»
– Marmontel : « Une Éducation au XVIII[e] siècle » - Extraits des « Mémoires » Les belles Lectures ; Paris, 1953.
– Massignon (Louis) : « Essai sur les origines du Lexique technique de la mystique musulmane » - Éd. Paris, 1954.
– Mazigh (Sadok) : « Le Coran » - Traduction. Éd. M.T.E. ; Tunis, 1979.
– Pellat (Charles) : « Le Milieu Basrien et la formation de Ǧâḥiz » Éd. Paris, 1953.

– Salama (Ibrahim) : (1) « L'Enseignement Islamique en Egypte, son évolution, son influence sur les programmes modernes » - Éd. Le Caire, 1938.
(2) « Bibliographie analytique et critique touchant la question de l'enseignement en Egypte depuis les périodes des Mamluks jusqu'à nos jours. » Éd. Le Caire, 1936.
– Ṭâha Ḥusayn : « Le Livre des Jours. » Traduction de Jean Lecerf et Gaston Wiet ; Éd. Gallimard, 1947.

الجزء الأول والثاني والثالث

من التعليق لأصحاب النعت وأحكام العاملين

[illegible]

الحمد لله وحده

[illegible] الرحمن [illegible]
[illegible] الكريم الغفار
[illegible] السلطان [illegible] الله
[illegible] المسلمين [illegible]

طالع هذا الكتاب المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى

بيد كاتبه محمد ابن حجر غفر الله له ولوالديه

المصنف [illegible]

ولمن ترحم عليه وعلى جميع المسلمين آمين

الخط يبقى زمانا بعد كاتبه وكاتب الخط

تحت التراب مدفون يا رب [illegible]

كاتبه يا قارئ الخط قل لا [illegible]

يا قارئ الخط ترحم على [illegible]

الرِّســالـة المُفصِّلـةُ
لأحوالِ المتعلِّمين وأحكام المُعلِّمين والمُتعلِّمين

(جاء في ظاهر النُّسخةِ الخطِّيةِ عبارتان بقلمَيْنْ مُختلفينْ، الأولى : الحمد لله وحده من عوادي الزّمان، وهو المُعان على عفو ربّهِ الكريم الغفّارِ، علي بن أحمد بن محمّد البِيطار. غفر الله له وَلِوَالِدَيْهِ ولِجَميع المسلمين. آمين.

والثّانية : الجزء الأوّل والثّاني والثّالث من المفصِّلة (1) لأحوال المُتعلّمين وأحكام المُعلِّمين والمُتعلِّمين. الحمد لله وحده. طالع هذا الكتاب المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى، المعترف بذنبه محمّد بن حسن. غفر الله له ولِوَالِدَيْهِ ولِمَنْ ترحّم عليه ولجميع المُسلمين آمين.

الخَطُّ يَبقى زمانا بعـد كَاتِبِـهِ وكاتِبُ الخَطِّ تحتَ التُّرْبِ مُدفون
يا ربِّ اِغْفِرْ (2) لعبد كان كاتِبَهُ يا قارِئَ الخطِّ قُلْ يا رَبِّ آمين

تَمّتْ. يا قارِىء الخطّ تَرَحّمْ على مَنْ كَتَبَهُ)

---

(1) في الأصل وفي (ق.أ) «من الفضيلة» وينبغي أن نقرأ «من المُفصِّلة».

(2) في الأصل (مخطوط باريس ق.ب) نجد «اغفر» وفي النصّ الأول المطبوع (ق.أ) نقرأ «فاغفر» والفاء زائدة إذ بدونها يستقيم الوزن في البحر البسيط وكذلك التّركيب.

بســـم الله الرّحمــن الرحيــم
وبه تَوْفيقـــي

قال أبو الحسن علي بن محمّد بن خلَف المَعافري (1) القابسي الفقيه القيرواني :

(الحمد لله الذي أَنْزَلَ على عبده الكتابَ ولم يجعل له عَوَجًا. قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بأسا شديدًا من لَدُنْه ويبشِّرَ المؤمنينَ الَّذينَ يَعمَلون الصَّالحاتِ أنَّ لهم أجرا حسَنا. مَاكثِين فيه أبدًا. ويُنذرَ الذين قالوا اتَّخَذَ اللّهُ ولدًا. ما لهم به من عِلم ولا لآبائهم كَبُرَتْ كلمةٌ تخرجُ من أفواههم إنْ يَقولون إلاَّ كذِبا) (2) و(تبارك الذي نَزّل الفُرقان على عبده ليكون للعالَمين نَذيرًا. الذي له مُلك السّموات والأرض ولم يتّخذ ولدًا ولم يكن له شريكٌ في المُلك وخلَق كلَّ شيءٍ فقدّره تقديرا) (3).

والحمد لله الذي لم يزَل واحِدا، أحدًا، حيًّا، قَيوما، له الأسماءُ الحُسنى، والصِّفات العُلى، ليس [2 ـ أ] كمِثْله شيءُ، وهو السَّميع البصيرُ. تكلَّمَ بالقرآن، وأنزلَه على محمّد خيرِ الأنام، للرّحمةِ والتِّبيانِ، بالنُّورِ والبُرهانِ، والحِكمة والفُرقان، (لِيُثَبِّتَ الذين آمنوا وهُدًى وبُشرى للمسلمين) (4) وقال جلَّ ثناؤه : (طه. ما أنزلنا عليك القرآن لتَشقى. إلا تَذكرةً لِمَنْ يَخشى تَنزيلاً مِمَّن خلقَ الأرضَ والسّمواتِ العُلى. الرَّحْمنُ على العرشِ استوى. له ما في السموات وما في الأرضِ وما بينَهُما وما تحتَ الثَّرى. وإنْ تجهرْ بالقول فإنّه يعلمُ السِّرَّ وأخفَى. اللّهُ لا إلهَ إلاّ هو له الأسماءُ الحُسنى) (5).

---

(1) في (ق.ب) وكذلك في (ق.أ) نجد «المعروف» والظّاهر أنها «المعافري» وهي نسبة القابسي ـ راجع ترجمته في المقدمة.
(2) سورة الكهف، آية 1 الى 5.
(3) سورة الفرقان، الآيتان 1 و 2.
(4) سور النّحل، بعض آية 102.
(5) سورة طه، الآيات 1 ـ 8.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه توفيقي

قال ابو الحسن علي بن محمد بن خلف المعروف

بالقابسي الفقيه القيرواني الحمد لله الذي انزل على

عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر باسا شديدا

من لدنه ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات

ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا وينذر الذين قالوا

اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لابايهم كبرت

كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا وتبارك

الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا

الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم

يكن له شريك في الملك وخلق كل شي فقدره تقديرا

والحمد لله الذي لم يزل واحدا احدا حيا

له الاسما الحسنى والصفات العلى ابدا

أَحَمده، وأُومِن به، وأَستعينه وأتوكَّل عليه وأبرأُ من الحَوْل والقوّة اليه، وأشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحدَه لا شيريكَ له، وأنّ محمّدا عبدَه ورسولَه خاتمُ النَّبيِّين. أرسلَه بالهُدى ودينِ الحقّ ليُظْهِرَهُ على الدّين كلِّه ولو كَرِه المُشركون، فقام بالرّسالة، وأدَّى الأمانة، ونصَح الأُمّة (عزيزٌ عليه ما عَنِتُمْ [2 ـ ب] حريصٌ عليكم بالمُؤمنين رؤوفٌ رحيم) (1).

فسبحانَ الله الذي سبَّح له ما في السَّموات وما في الأرض (المَلِكُ القُدوسُ، العزيز الحكيم. هو الذي بعَث في الأمِيين رسولاً منهم يَتلُو عليهم آياتِه ويزكِيهم ويعلّمهم الكتابَ والحكمةَ وان كانوا من قبْل لفي ضَلال مُبين. وآخرين منهم لمَّا يَلْحَقوا بهم وهو العزيزُ الحكيم. ذلك فضل اللهِ يُؤتيه مَن يشاء واللهُ ذو الفضلِ العظيم)(2).

والحمدُ للّهِ الذي هدانا للإيمان، وعلَّمنا القرآن، ومنَّ علينا باتباعِ نبيهِ محمّد عليه السّلام. اللّهم صلّ على محمدٍ. وعلى آل محمَّدٍ، كما صليتَ على ابراهيم، وبارِكْ على محمدٍ وعلى آل محمّد، كما باركْتَ على ابراهيم، في العَالمينَ إنك حميدٌ مَجيد. اللهم وعلّمْنَا ما بَعثتَ به إلينا محمدًا خاتم النبيِّين من كتابٍ وحِكمةٍ، وما تَلا من آياتِك، وزكّنا إنَّك أنتَ العزيزُ الحكيم [3 ـ أ]. اللّهمَّ وألهِمْنَا شكرَ نِعمَتِك به علينا. فإنك قلتَ: (ولأتمَّ نِعمتي عليكم ولعلّكم تهتدون. كما أرسلْنا فيكم رسولا منكم يَتْلو عليكم آياتِنا ويزكيكُم ويعلمكُم الكتابَ والحِكمَة ويعلّمكم ما لم تكونوا تعلمون)(3).

اللّهمَّ وأعِنَّا على ذِكرِك وشُكرِك وحُسنِ عبادتك، فإنَّكَ قلت: (فاذْكُروني أذكُرْكم واشكروا لي ولا تكْفُرون)(4) وأيِّدْنا على طاعتكَ، بأن

---

(1) بعض آية 128 من سورة التوبة.
(2) اقتباس من سورة الجمعة من آية 1 الى 4
(3) سورة البقرة، بعض آية 150 وآية 151.
(4) سورة البقرة، آية 152.

نَستعين عليها كما أمَرْتنا، فانك قلت: (يا ايّها الَّذين آمنوا استعينوا بالصبرِ والصَّلاة إن اللّه مع الصَّابرين)(5). أنت الحقُّ، ووعدُك الحقُّ، لا إله الا أنتَ، الملِك الحقّ المُبِين. (إيَّاك نَعبُد، وإيَّاك نَستعِين، اِهدِنا الصِّرَاطَ المستقيمَ، صِراط الذين أنعمتَ عليهم غير المَغضوب عليهم ولا الضالين) (6)، من النبيِّين والصّدّيقِين والشُهداء والصَّالحين، وأَنِلْنَا حُسن مُرَافَقَتِهم بفضلك ورحمتك فأنت أرحمُ الرّاحمين، وأنت حَسْبُنا ونِعْم الوكيل، وأنت موْلانا، فنِعْمَ المَوْلى ونعم النّصير [3 ـ ب] فانْصُرْنا بحُسن الخَلاص فيما أولَيْتنا وفيما أبْتَلَيْتنا برحمتك في عِبادك الصَّالحين، الَّذين يُسارعون في الخَيْرات وهم لها سابقون، ولا حول ولا قوّةَ الا باللّه العليّ العظيم.

---

(5) سورة البقرة، آية 153

(6) اقتباس من سورة الفاتحة، من آية 5 الى آية 7.

قال أبو الحسن : قد سألَني سائلٌ، وألحَّ عليّ أن أُجيبه عَن مسائِل كتبها، وشرَط فيها شروطا، واعتذَر من إلحَاحِه عليّ، أنَّه مضطرّ اليها وراغبٌ في فهم ما تعذّر عليه من فَهمها، اذ هِي تَحُلُّ عليه، وتنزِل به فيرْهَبها، ويخشى القدوم عليها، ويخاف ضِيق الإمساكِ عنها، لِبُعده مِمَّن يَصلُح ان يُستعان به فيها، فعذَرْتُه بعُذْره، وأشْفَقْتُ من التَّوقُّف عنه، على وَجَلٍ مِني في مُجاوبته عن كل ما سأل عنه، فتَراخيتُ عن سرعةِ مجاوبتِه طويلا، وهو مُقيم على حَفْزِي فيما أراد منّي، حتّى ألْقى اللّهُ عزّ وجلّ في قلبي الانْقيادَ الى مُجاوبَته، فأعوذُ باللّه أن [4 ـ أ] أكون من المتكلّفين، وأسألُ اللّه الكريمَ العِصْمةَ بالحقّ فيما ابْتلاني به من المقالة في الدينِ، وأن يَهدِيني إلى أحسنِ القوْل فأتَّبِعه بِهدى من عنده، فهو هادي الذين آمنوا الى صِراط مستقيم.

ذكرُ سؤاله عن تفسير الإيمانِ والإسلام والإحسان وعن الاستقامة ما هي وكيف صِفةُ الصَّلاح

قال أبو الحسن : أمَّا تفسيرُ الإيمان والإسلام فقد بُيِّنَ في الصَّحيح(1) قال أبو هريرة: كان النَّبيُّ صلَّى اللّه عليهِ وسلّم بارِزا يوما للنَّاس، فأتاهُ رجلٌ فقال: ما الإيمان؟ قال الإيمان ان تُؤمِنَ باللّه ومَلائِكتِه وبِلِقَائِه ورُسُلِه، وتُؤمنَ بالبَعثِ الآخر. قال : ما الإسلام؟ قال : الإسلام أن تَعبُدَ اللّه لا تُشركَ به وتقيم الصَّلاة، وتؤدّي الزَّكاة المفروضةَ، وتصومَ رمضانَ. قال : ما الإحسان؟ قال : ان تعبد الله [4 ـ ب] كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال : متى الساعة؟ قال : ما المسؤولُ عنها بِأعلمَ من السائلِ، وسأُخبرك عن أشراطِها : اذا ولدت الأمَةُ رَبَّها، واذا تطاول رُعاة الإبل البُهْمُ في البُنيان، في خمسٍ لا يعلمُهنَّ الا اللّه، ثم تلا النّبي صلّى اللّه عليه وسلّم : (إنَّ اللّه عِندَه علمُ الساعَة. . . الآية)(2)، ثم أدبر، فقال : رُدّوه، فلَم يرَوا شيئا، فقال : هذا جبريل، جاء يعلّم النّاس دينَهم (3).

قال أبو الحسن : فبينَّ صلّى اللّه عليه وسلّم أن جميع ما جرى في نصِّ الحديث دينٌ للنّاس ويدلُّ أيضا ما في هذا الحديث أنه كان قبْل نزول فرض الحجِّ، لأن الحجَّ أيضا من عمل الأبدان، وبه كمل العمل الذي هو الإسلام.

---

(1) المقصود هنا هو الحديث النّبويّ الصَحيح وكذلك صحيح البخاري اذ عنه ينقل القابسي.

(2) سورة لقمان: بعض الآية 34. وهي: «انّ الله عنده علم السّاعة، ويُنزِل الغيثَ، ويَعلمُ ما فِي الأرحَام، وما تدري نفسٌ ماذا تكسِبُ غدا وما تدري نفسٌ بايِّ ارض تموتُ، إنَّ الله عليمٌ خبيرٌ».

كثيرا ما يُشارُ في القرآن الى قيامِ السّاعة وما يَليها من يوم الحِساب كالآية 7 من سورة الأعراف، والآية 33 من سورة الأحزاب.

(3) حديث رواه البخاري في باب الإيمان.

يُبَيِّنُ ذلك ما جاء في الصحيح من حديثِ طارقِ بنِ شِهابٍ (1)، عن عمرِ بنِ الخطّاب (2)، أن رجلا من اليهود قال له : يا أميرَ المؤمنينَ آيةٌ في كتابِكم تَقْرءونها [5 ـ أ] لو علينا معشرَ اليهود نَزَلَتْ لاتَّخَذْنا ذلك اليوم عيدا، قال : أيُّ آيَة؟ قال : (اليومَ أكملتُ لكم دينَكم، وأتممتُ عليكم نعمتي، ورضيتُ لكم الإسلامَ دينا) (3). قال : فقال عمر : قد عرَفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلتْ فيه على النّبي صلّى اللّه عليه وسلّم وهو قائمٌ بعرَفةَ يوم جُمعة (4).

قال أبو الحسن : فبَيَّنَ له عمرُ رضي اللّه عنه، أنَّ اليومَ الذي نزلتْ فيه هذه الآيةُ في الإسلام مُعظَّمٌ على مَرِّ الدَّهرِ. هو عيدٌ في سائرِ أمْصارِ المُسلمين كلّما تكرَّر يومُ الجمعة. والمكانُ الذي أُنزِلت فيه هو مكان الحجِّ المُفترَض على جميع المُسلمين. فقد تمَّ التَّعظيمُ لذلك اليوم ولذلك المكان الذي أنزلت فيه، والحمد لِلّه ربِّ العالمين.

والذي سمّاه الرسولُ عليه السّلام، في هذا الحديث إيمانًا هو الإقرارُ بما قد سمَّاه صلَّى اللّه عليه وسلّم. والّذي [5 ـ ب] سمّاه إسلاما، هو عملُ الجَوارحِ بما افْتُرِضَ عليها، لأنّه هو الّذي يدلُّ على استسلامِ مَنْ قال : أسلمتُ لِلّهِ، ومن قال : آمنتُ باللّهِ، ومَلائِكته، وبلقائِه، ورُسله، وآمنتُ بالبَعْثِ بعد الموت، فإنّما هو مُخبرٌ عن تَصديقِه لما جاء به الرَّسولُ عليه السّلام. ومَحلُّ صِحَّتِهِ التَّصديقُ فيما عقد عليه القلب واطمأنَّ اليه. وكذلك هو في

(1) طارق بن شهاب (أبو عبد الله): صحابي تُوفيَّ عام 83 هـ رُوِيَ عنه العديدُ من الأحاديث النّبوية في صحيحيْ البخاري ومسلم. راجع الزّركلي ج 3 ص 314، وكتاب «الطبقات الكبرى» لابن سعد ج 6 ص 66.

(2) عمر بن الخطّاب: الخليفة الرّاشدي الثّاني، اغتالَه أبو لُؤْلُؤة العبد المسيحي للمغيرة بن شعبة والي البصرة عام 23 هـ. راجع دائرة المعارف الإسلامية، الطّبعة القديمة ج 3 ص 1050 ـ 1052.

(3) سورة المائدة بعض الآية 3.

(4) حديث في صحيح البخاري، الباب الثاني (الإيمان).

الإيمان بجميع ما جاءت به الرّسلُ. قَوْلُهُ : آمنتُ بذلك، إنّما هو إخبارٌ عن قَلبه، أنّه قَبِلَ ذلك، واطمأنَّ به، وفي ذلك إيمانه بِفرْضِ الصَّلاةِ والزَّكاة، وصِيام رمضان، والحجِّ المُفترَضِ على المسلمين مع سائرِ ما افْترِضَ عليهم من الحقوق كلِّها. فتصديقُه بذلك كلِّه ـ أنَّ اللّه عزّ وجلّ فرَضه، وأنّه هو الحقُّ الذي لا شكَّ فيه ـ كُلُّ هذا هو إيمانٌ، القولُ يُعَبِّرُ عنه، ولا يَعْلَمُ صحة ما وراء (1) القولِ من هذا [6 ـ أ] المُخبِرِ عن نفسِه بالإيمانِ، إلاّ اللّهُ عزّ وجلّ، فإذا أقامَ الصَّلاةَ، وآتى الزَّكاةَ، وصام رمضانَ، وحَجَّ البيتَ اذا استطاعَهُ، وفعلَ بِجوارِحِهِ جميع ما أُمِرَ به أنّه واجبٌ عليه، فقد استسلمَ، وصدّقَ باستِسْلامِه هذا قولُه : إنّي آمنتُ به، عند من ظهر له ذلك منه، وهو عند اللّهِ جلّ وعزّ على ما علِمَهُ من صِحَّةِ اعتقادِهِ، وصدقِه فيما صدق به. وقولُ الرّسول عليه السّلام، حين فسَّرَ الإسلام : تعبدُ اللّهَ لا تشرك به، معناه : بذلك يصحُّ لهذا العمل المذكور ان يكون إسلامه كما قال الله عزّ وجلّ : (فَمَنْ كان يرجو لقاءَ ربِّه فلْيَعْمَلْ عملا صالحا ولا يشرك بعبادةِ ربِّهِ أحدا) (2). والإيمان هو القَبول من الرّسول ما جاء به، يُصَحِّحُهُ لِقائِله اعتقادُ قَلْبِه بتصديقه. والإسلامُ هو العملُ بما أمر به ودعا اليه، والانْتِهاء عمّا نهى عنه، يُصحِّحُهُ اعتقاد قلبِ [6 ـ ب] عامِله أنَّ اللّه عزّ وجلّ أمَرَ به على لِسان رسولِه عليه السّلام. فاذا كان كذلك كان ههنا الإسلام هو الإيمان، لقول اللّه جلّ وعزّ : (إنَّ الدّين عند اللّه الإسلام) (3). وقوله تعالى : (ومن يَبْتَغِ غيرَ الإسلام دينا فلَنْ يُقْبَلَ منه وهو في الاخرة من الخاسرين. كيف يَهدي اللّهُ قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أنَّ الرّسول حقّ) (4) وقال جلّ ذكره : (ومن يكفر بالإيمان

(1) في الاصل «ماوري» والصحيح كما في (ق . أ) «ما وراء» وفي المخطوطة تكثر اغلاط الرسم وخاصة في رسم حرف العلّة الياء في لام الفعل كثيرا ما يجعلها ألفا كأنّ أصل اللام واو وليس كذلك.

(2) سورة الكهف، بعض آية 110.

(3) سورة آل عمران، بعض آية 19.

(4) سورة آل عمران، آية 85 وبعض آية 86.

فقد حَبِطَ عملُه وهو في الآخرة مِنَ الخاسرين) (1) فبَيَّنَ أن المُبتغي غيرَ الإسلام كافرٌ بالإيمان. وتَبَيَّنَ بذلك أنّ الإيمانَ على الحقيقة إسلامٌ، والإسلامَ على الحقيقة إيمانٌ. ويَزيدك بيانا ما جاء في قِصَّةِ آلِ لُوطٍ (2) عليه السّلام قوله : (فأخرجْنا مَنْ كان فيها مِن المُؤمنين. فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) (3). واذا لم يكن الإيمانُ من قائلِهِ على الحقيقةِ، كان إظهارُ ذلك مِمَّنْ أقرَّ به نِفاقا (4) [7 ـ أ] كما قال اللّهُ جلّ وعزّ : (يا أيّها الرّسولُ لا يُحْزِنْكَ الذين يُسارعون في الكُفر من الذين قالوا آمنّا بأفْواههم ولم تُؤمن قلوبُهم) (5).

وكذلك مَن أظهر الإقرارَ بالإيمان، وعَمِل فيما أظهر بما أُمر به، وانتهى فيما يُرى منه عمّا نهى عنه، وقلبُهُ غيرُ مُؤمنٍ بذلك أنَّهُ من عندِ اللّه، فليس هو إسلاما على الحقيقةِ. وهو كما قال اللّهُ جلّ وعزّ : (قالتِ الأَعرابُ آمنّا قلْ لم تُؤمنوا ولكنْ قولوا أَسلمنا ولما يَدخُلِ الإيمان في قلوبكم) (6) فنبّأهم انَّ الإيمان ـ الذي هو التَّصديقُ في القول والعمل ـ لم يَدخُلْ قلوبَهم، ولكنْ عمِلوا عملا هو إسلامٌ، أي اسْتسلموا وألقَوْا السَّلمَ مُداراةً لِمن قَهَرهم، يَحمون بذلك

---

(1) سورة المائدة، بعض آية 5.

(2) ورد ذكر قوم لوط في عديد من الآيات وفي سور هود ـ الحجر ـ الحج ـ الشعراء ـ النّمل ـ العنكبوت ـ صاد ـ قاف ـ التحريم ـ الأنعام ـ الأعراف ـ الأنبياء ـ الصافات.

(3) سورة الذاريات آية 35 ـ 36.

(4) في معنى الإيمان يتّفق القابسي مع سائر أهل السُّنَّة على أنّه «قول باللّسان وإخلاص بالقلب وعمل بالجوارح» ـ راجع : «الرّسالة» لإبن أبي زيد القيرواني، ط. الجزائر 1952 ص 24 ـ 26.

(5) سورة المائدة أول آية 41

(6) سورة الحجرات، بعض آية 14.

أنفسَهم وأهليهم وأموالَهم، ممَّا يَلقاه الصَّابئون بالكُفر (1). وقد قال اللَّه عزّ وجلّ : (ومِمَّنْ حولَكم من الأعراب [7 ـ ب] مُنافقون ومِن أهلِ المَدينة مَرَدوا على النِّفاقِ) (2) وقال : (الأعرابُ أشدُّ كُفرًا ونِفاقا وأجْدرُ ألَّا يَعلموا حُدودَ ما أنزلَ اللَّهُ على رسولِه) (3).

وقال عزّ وجلّ : (فمَنْ يُردِ اللَّهُ أنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صدرَه للإسلام، ومَن يُرد أن يُضِلَّه يَجعلْ صدرَه ضيقا حَرَجًا كأنما يَصَّعَّدُ في السَّماء كذلك يجعل اللَّهُ الرِّجسَ على الذين لا يُؤمنون) (4). فبيَّنَ أيضا أنَّ الإسلامَ هو ما انْشرحَ الصَّدرُ اليه، وأمَّا ما ضاق الصَّدرُ عن قَبولِه، ونفَرَ منه عند سَماعه، فصاحبُه غيرُ مُؤمنٍ، فقامتْ كلمةُ الإيمان مَقامَ كلمةِ الإسلام. وكذلك قوله : (أفَمَنْ شرَح اللَّه صدرَه للإسلام فهو على نورٍ من ربِّه، فوَيْلٌ لِلقَاسِيَةِ قلُوبُهم مِنْ ذِكرِ اللّهِ، أولئك في ضَلالٍ مُبين) (5).

قال أبو الحسن : فَافْهَمْ، قد (6) بَيَّنتُ لك أن تفسيرَ الإيمانِ أنَّه التَّصديقُ. [8 ـ أ] وقال اللَّهُ جلّ ذكرُه يَصِف رسولَه عليه السَّلام : (يؤمنُ باللَّهِ ويؤمنُ للمؤمنين) (7) أي يُصدِّق المؤمنين. وأمره أن يقول لِمَن اعتذرَ عن

(1) الصَّابئون أو الصَّابئة: قوم ذكرهم القرآن في سور المائدة (آية 69) والبقرة (آية 62) والحج (آية 17)، واعتبرهم القرآن من بَيْنِ أهل الكتاب. وتَعتبرُ هذه النِّحلةُ النَّصرانية أنَّ التَّعميد او التَّنصير يجب أن يكون بعد سِنِّ البُلوغ، وهم أتباع يُوحَنّا المَعْمَدَان من أنسباء يسوع المسيح. مَقرُّهم في حرَّانَ بين النَّهْرَيْن. ومن الصَّابئة مَن كان يعبد الكواكب (وثنيّون). وهذه الطَّائفة ظلَّتْ موجودةً مدَّةً طويلة بعد ظهور الإسلام ومنها برَّز عديد من العلماء في العراق. وهم المقصودون في هذه الآية. راجع دائرة المعارف الإسلامية «الطَّبعة القديمة ج 4 ص 22 ـ 23».

(2) سورة التَّوبة، بعض آية 101.

(3) سورة التَّوبة، بعض آية 97.

(4) سورة الأنعام، آية 125.

(5) سورة الزّمر، آية 22.

(6) في الأصل «قد»، وفي (ق . أ) «فقد» والرَّبط بالفاء زائد، يستغنى عنه.

(7) سورة التَّوبة بعض آية 61

تخلّفه من المُنافقين : (لنْ نؤمن لكم) أي لن نُصدِّقكُم (1) (وقد نبَّأنا اللّه من أخباركم. . .) الآية (2) وأمره أيضا أن يقول لهم : (وقُل اعْمَلوا فسَيَرى الله عملَكم ورسولُه والمؤمنون وسَتُرَدُّون الى عالم الغيْب والشَّهادة فيُنبِّئكم بما كنتُم تعملون) (3) . وبيَّنتُ لك أن تفسير الإسلام، اذا لم يكن من قائِله على الحقيقةِ أنَّهُ هو الإِسْتسلام، وذلك بأنَّه إنَّما يُلقِي السَّلَم إظهارًا لطاعةِ مَنْ قهرَه، فيكون من فاعِله نِفاقا. قال الَّلهُ عزّ وجلّ : (فما لكم في المُنافقين فِئتيْنِ) الى قوله : (فإنِ اعْتزَلوكم فلم يُقاتِلوكم وألقَوْا إليكم السَّلَم فما جعل الَّلهُ لكم عليهم سبيلا سَتجدون آخرينَ يُريدون أن يَأمَنوكم ويأمَنوا قومَهم، كُلّما رُدوا الى [8 ـ ب] الفِتنة أركسوا فيها، فإن لم يَعتزلوكم ويُلقوا اليكم السَّلَم ويَكفُّوا أيديهم. . .) (4) الآية : فبيَّنتُ لك وجه ما يكون به الإيمانُ إسلامًا، وما يكون به الإسلام إيمانا، بما فيه الكفايةُ إنْ شاءَ اللّه تعالى.

وأمّا قول الرّسول عليه السّلام في تفسير الإحسان : أنْ تَعبُدَ اللّه كأنَّك تراه، فإنْ لم تكنْ تراه فإنَّه يَراك، فمعناه : أنَّ هذا هو إحسانُ عِبادةِ اللّهِ في كلّ ما تعبّد، مِن الشَّهادة له بالألوهِية وحدَه، ومِنْ كلّ ما أمر به من عمل بطاعتِه، أن يكون العاملُ بذلك يعمَلُه لِلّه (5)، وهو يعلم أنّ اللّه يراه فيما يُؤدّيهِ إليه من طاعتِه، ولا يَخفى عنه ما في سِرِّه من ذلك. وكذلك فيما تَعبَّده به من الإِنْتهاء عمَّا نهاه عنه، يكون في ذلك يعلمُ أنّ اللّه جلّ وعزّ يراه، ويعلم ما في سرّه من الإِنْتِهاء عن ذلك وما (6) أراد به، لِتَخلُصَ عبادةُ العبد لِلَّه [9 ـ أ]

---

(1) يفسّر القابسي كلمة بمرادفها. الإيمان هو التّصديق.
(2) سورة التّوبة، بعض آية 94.
(3) سورة التّوبة، آية 105.
(4) سورة النساء من الآية 87 الى الآية 91. وبقيّة الآية: «فخذوهم واقتلوهم حيث ثقِفْتُموهم وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا».
(5) في (ق . ب) «لله» وهي القراءة الصّحيحة، لا «اللّه» كما في (ق . أ).
(6) في الأصل «ما»، وفي (ق . أ) «عمّا» والقراءة الصّحيحة هي «وما».

على الحقيقة، سالمٌ (1) من كلّ خلط ينزع به الشّيطان، ويميل اليه سوءُ الهوى. وقد عرَف النّاسُ فيما بينهم، انَّ عبد الرَّجلِ اذا عمِل ما أمرَه به سيّدُه بحضْرَةِ سَيِّدِهِ، وهو يراه، أنَّ العبد يَجهَدُ نفسَه في ذلك العمل، لِيُرضي سيِّدَه بحُسنِ طاعتِه. فإنْ كان سيِّدُه سُلطانا كان أشدَّ لِاجْتهادِ العبدِ في نُصحةِ سيِّده، وإذا خلا العبدُ من مُعايَنةِ سيّده له، أو استغْفلَه، قصَّرَ. فهذه صِفة العبدِ مع من يغفل، ويشغَلُه شأنٌ عن شأن. فأمّا عبدُ اللّهِ يُؤدّي طاعتَه إليه، فلا يغفل عن مُراقبةِ ربِّه فيما يُطيعه به في السِّرِّ والعَلانيَة، فإنّك أيُّها العبد، إنْ لم تكن تَرى ربّك بعينك في حينِ عِبادتِك إيّاه، فقد أيقنتَ أنتَ أنَّهُ يَراك، ولا يَخفى عنه ما تُسِرُّ وتُعلن، فأَخْلِصِ العملَ له والْتَزِمْ مُراقبتَه، فإنَّه يقول عزّ وجلّ: (وما تكون في شأنٍ وما تَتْلو منه من قرآن [9 ـ ب] ولا تعملون من عمل إلاّ كُنّا عليكم شهودا اذ تُفيضون فيه وما يعزب عن ربّك من مِثقالِ ذَرَّة في الأرض ولا في السّماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلاّ في كتاب مُبين) (2) وقال عزّ وجلّ: (واعْلَموا أنّ اللّهَ يعلم ما في أنْفُسِكم فاحْذروه واعلَموا أنَّ اللّه غفورٌ حليم) (3) وقال: (ولقد خلقنا الإنسانَ ونعلمُ ما تُوَسْوِسُ به نفسُه) (4). في آيٍ كثيرٍ يُحذِّرُ فيهنّ العبدَ من غَفلة نفسه. وقال عزّ وجلّ: (واذكرْ ربَّكَ في نفسك تَضرُّعا وخِيفةً ودون الجهر من القول بالْغُدوِّ وَالآصالِ ولا تكنْ من الغافلين) (5) وقال تعالى: (إنّ الذين عند ربّك لا يستكبرون عن عِبادته ويُسبّحونَه وله يَسجدون) (6)، فوصف عبادةَ الملائكة. وقال في موضع آخر

(1) كذا في الأصل، والمقصود «وهو سالم» (أي العبد).
(2) سورة يونس آية 60.
(3) سورة البقرة بعض آية 235.
(4) سورة ق بعض آية 16.
(5) سورة الأعراف آية 205.
(6) سورة الأعراف آية 206.

يَصف عِبادة المَلائكة: (يُسبِّحون الَّليلَ والنَّهارَ لا يفتُرون) (1). وأنتم عِبادَ الَّلهِ إنَّما أمرَكُم أن تتَّقوا الَّلهَ. فَيَا (2) [10 ـ أ] المُوقِنُ بهذا تعبُدُ ربَّك كأنَّك تراه، وأنتَ قد أيْقنتَ بَعْدُ أنَّه يَراكَ. قال الَّله جلّ وعزّ: (وهو الَّله في السَّمواتِ وفي الأرض يعلمُ سِرَّكم وجَهْرَكم ويعلَم ما تكسبون) (3). وقال تعالى: (وهو معكم أينما كنتم والَّلهُ بما تعملون بصير) (4). وقال تعالى: (إنِّي معكم لَئِنْ أقَمتُمْ الصَّلاةَ وآتيتمُ الزَّكاةَ وآمنتم برُسلي وعَزَرْتُموهمْ وأقْرضْتُمُ الَّلهَ قرْضا حسنا لأُكَفِّرنَّ عنكم سَيِّئاتِكم ولأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تجري من تحتِها الأنهارُ) (5)، فبيَّنَ عزّ وجلّ لِمَنْ عمِل بطاعتِه، أن يعمَل ذلك عملا حسنا. وكذلك قوله عزّ وجلّ: (إنَّا لا نُضِيعُ أجرَ مَنْ أحسنَ عملا) (6)، و(إنَّ الَّلهَ لا يُضيعُ أجرَ المُحسنين).

وما كان بمِثْلِ هذا كلِّه، فمعنى ذلك إحسانُهم ما عمِلوه لِلَّه عزّ وجلّ. وتفسيرُ هذا الإحسانِ هو الذي جرى بين جِبريل ورسولِ الَّله [10 ـ ب] صلَّى الَّله عليه وسلَّم، من قولِ النَّبيِّ صلَّى الَّله عليه وسلَّم: أنْ تَعْبُدَ الَّلهَ كأنَّك تراه فإنْ لم تَكنْ تراه فإنَّه يَراكَ. ثمّ أخبرَ أصحابَه، صلَّى الَّله عليه وسلَّم، عنِ السَّائلِ أنَّه جبريلُ يُعَلِّمُ النَّاسَ دينَهم. فبيَّنَ أنَّ مُراقبةَ العَبيدِ رَبَّهُمْ في عِبَادَتِهم إيَّاه، أنَّ ذلك من دينِهم لِيُحافِظوا عليه. فَافْهَمْ، فقد طَوَّلْتُ لك لِيَرتفعَ الإشكالُ عنْكَ فيما فسَّرتُ لك، والَّله وليُّ التَّوفيق.

وأمَّا سُؤالُك عن الاِسْتقامة ما هي؟ فاعْلَمْ أنَّ وصفَها قد مرَّ فيما تَقدَّم

---

(1) سورة الأنبياء آية 20.

(2) في (ق . ب) «ما» وكذلك في (ق . أ) وإن اقتراح الأهواني «أيّها» أو «فيا» دون إثبات ذلك في نصّ طبعته، والصّواب لِيستقيم المعنى أن نقرأ «فيا».

(3) سورة الأنعام آية 3.

(4) سورة الحديد بعض آية 4.

(5) سورة المائدة بعض آية 12.

(6) سورة الكهف بعض آية 30.

من هذا الباب. وقال اللَّهُ عزّ وجلّ لِنَبيِّهِ عليه السَّلام : (فاسْتَقِمْ كما أُمِرْتَ ومَنْ تابَ معكَ ولا تَطْغَوْا إنّه بما تَعملون بصير) (1) فالإسْتِقامةُ هي القيامُ بما أَمَرَ اللَّهُ به. وفي الذي قدَّمْنا قولُ اللَّهِ جلّ وعزّ : (أفَمَنْ يعلم أنَّما أُنْزِلَ إليك من ربّك الحقّ كمن [11 - أ] هو أَعْمى إنّما يتذكر أُولو الألْباب) (2)، وفي وَصْفِ أُولى الأَلْباب، والذين يَصِلُون ما أمرَ اللَّهُ به أنْ يُوصلَ، فتِلكَ الأوصافُ كلُّها، مَنْ وفَّى بها فهو المُستقيمُ كما أُمر. وإنَّ مِمَّا يَزيدُك بَيانًا لِما وَصفتُ لك قول اللَّهِ جلّ وعزّ : (فلا وربِّك لا يُؤمِنون حتى يُحكِّموكَ فيما شَجَرَ بينهم ثمّ لا يجدوا في أَنفُسِهم حَرَجًا مما قَضَيْتَ ويُسلّموا تَسليما) (3). ثم قال : (ولو أنّا كَتَبْنا عليهم أنِ اقْتُلُوا أنفُسَكم أو اُخْرُجوا من دِيارِكم ما فعلوه إلاّ قليلٌ منهم ولو أنَّهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرًا لهم وأشدّ تَثْبيتًا. وإذًا لآتَيْناهمْ من لَدُنَّا أجرًا عظيما. ولهدَيْناهم صِراطًا مُستقيما) (4). ثمّ قال : (ومَنْ يُطِعِ اللَّهَ والرَّسولَ فأُولئك مع الَّذين أنْعَمَ اللَّهُ عليهم مِن النَّبيِّين والصِّدِّيقين والشّهداء والصَّالحين وَحَسُنَ أُولئك رفيقًا) [11 - ب] - الى قوله : (وكَفَى باللَّهِ عليما) (5) وقد أمر اللَّهُ عزّ وجلّ في فاتِحة الكتابِ المؤمنين أن يقولوا : (اِهدِنا الصِّراطَ المُستقيمَ، صِراطَ الَّذين أنْعَمْتَ عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضَّالين) (6). وفسّر عزّ وجلّ لهم في سورة النِّساء من الّذين أنعم اللّهُ عليهم، وذلك بما هَداهم له من طاعتِه وطاعةِ رَسولِه، وقبولِهم لما جاء عنهما، ففَعلوا ما يُوعظون به، ذلك الفضل من اللّهِ وكفى باللّهِ عليما.

---

(1) سورة هود آية 112.
(2) سورة الرعد آية 19.
(3) سورة النساء آية 65
(4) سورة النساء آية 66 الى 68.
(5) سورة النساء آية 69 - 70.
(6) سورة الفاتحة، آية 6 الى 7.

والإسْتقامةُ في الدّين هي مُداومة المقام فيه، على اسْتِوائِه واعتداله. لا يُنكِّبُ عنه يَمينا ولا شمالا، ولا يلتزم منه ما لا يُطيقه.

قالتْ عائشةُ (1) رضي اللَّهُ عنها : كان أَحَبُّ العملِ الى رسول اللَّه صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم الذي يَدوم عليه صاحبُه. وقالتْ أيضا : سُئِل النَّبيُّ صلّى اللّه عليه وسلّم [12 ـ أ] أي الأعمال أحبّ الى اللّه؟ قال : أَدْوَمُهُ وان قلَّ (2). وقال : اِكْلَفُوا من الأعمال ما تُطيقون.

وقال أبو هُرَيْرَةَ (3) عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم : إنَّ الدِّينَ يُسرٌ، ولنْ يُشادَّ الدِّينَ أحدٌ (4) إلاَّ غلَبَهُ، فسددوا وقاربوا وأَبْشِروا واسْتَعينوا بالغُدْوَةِ والرَّوْحَةِ وشيء من الدُّلْجة (5). فافْهَمْ، فقد بَيَّنْتُ لك من وَصفِ الإسْتِقامةِ ما لا يَدَعُ إنْ شاءَ اللَّهُ عليك إشكالاً. فاسْتَعِنْ بِاللَّهِ واقْتَصِدْ، فإنَّ ابنَ عبّاسٍ (6) رَضي اللَّهُ عنه قال : القَصْدُ والتُّؤَدَة وحسنُ السَّمت، جزء من خمسةٍ وعشرينَ جُزءًا من النُّبوَّة، وهذه الثَّلاثُ خصالٍ (7) تَجتَمِع لِمَنِ ائْتَمَرَ لأمر رسولِ اللَّهِ صلّى اللّه عليه وسلّم، وانتهى لِنَهْيِهِ وتأَسّى به صلّى اللّه عليه وسلّم في هَدْيِهِ. قال اللَّهُ جلّ وعزّ : (لا تَجعلُوا دعاءَ الرَّسولِ بينكُم كدُعاء بعضكم [12 ـ ب] بعضا، قد يعلَمُ اللَّهُ الَّذين يَتسلَّلون منكم لَوَاذًا فلْيَحْذَرِ

---

(1) عائشة، زوجة الرّسول عليه السّلام، عارضتْ عليّا في خلافه مع مُعاوية وتُوفّيت عام 58 هـ.

(2) مقتبس من صحيح البخاري من باب الإيمان.

(3) ابو هريرة صحابيّ من اشهر من روى الحديث عن الرّسول عليه السّلام. تُوفّيَ بالمدينة عام 57 او 58 هـ.

(4) لفظ «أحد» ساقط في الاصل، وقد اثبت في (ق . أ) وهو الصّواب.

(5) الحديث بلفظة في صحيح البخاري.

(6) عبد الله بن عبّاس، ابن عمّ النبيّء، حجّة وبرهان في الدّين، ومعروف بأنه أوّل مفسّر للقرآن، توفي حوالي سنة 68 هـ.

(7) في (ق . ب) اي في الأصل «الثلاث خصال» وفي (ق. أ) «الخصال الثلاث».

الَّذين يُخالفون عن أَمْره أن تُصيبَهم فِتنةٌ أو يُصيبَهم عذابٌ أليمٌ)(1). وقال تعالى : (وما آتاكم الرَّسولُ فَخذُوه وما نَهاكم عنه فانْتَهوا واتَّقوا اللّهَ إنَّ اللّهَ شديدُ العقاب) (2) وقال : (لقد كان لكم في رسولِ اللّهِ أُسْوةٌ حسَنةٌ لِمَنْ كان يرجو اللّهَ واليومَ الآخر وذَكرَ اللّهَ كثيرًا) (3) وقال : (قُلْ إنْ كُنتم تُحبُّون اللّهَ فاتَّبِعوني يُحبِبْكم اللّه ويغفِرْ لكم ذنوبكم واللّهُ غفور رحيم) (4).

قال حذيفةُ بنُ اليمانِ (5) يا معشرَ القُرى إنْ تَستقيموا، فقد سبقتُم سبقا بعيدا، وان أخذتم (6) يمينا وشمالا، لقد ضلَلْتُم ضلالا بعيدا.

قال أبو الحسن : يريد حذيفةُ ـ رحمةُ اللّهِ عليه ـ بقوله هذا مَنْ لم يُدرك النَّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم يأمُرهُم [13 ـ أ] أنْ يستقيموا في مُتابعة أصحابِ النّبيّ عليه السّلام، لأنَّ أصحابَ النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلم، هم المُتَّبَعون على السَّبيل الذي (7) دعا اليها الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم قال اللّه عزّ وجلّ لِنَبيّه عليه السّلام : (قُلْ هذه سَبيلي أُدعو الى اللّه على بصيرة أنا ومَنِ اتَّبعني) (8). وقال جلَّ من قائل : (. . . ويتبع غير سبيل المؤمنين نُولِهِ ما تَوَلّى ونُصْلِهِ جهنَّمَ وساءتْ مصيرا) (9). والصَّحابة هم الذين قال اللّه عزّ وجلّ فيهم : (مُحمَّدٌ رسولُ اللّهِ والذين معَهُ أَشِدَّاءُ على الكُفَّار رُحماء بينهم ـ الى آخر

---

(1) سورة النور آية 63.

(2) سورة الحشر، بعض آية 8.

(3) سورة الأحزاب، آية 21.

(4) سورة آل عمران، آية 31.

(5) حذيفةُ بن اليمان: أمير الجيش الإسلامي، شارك في غزو أرْمينيا حوالي سنة 30 للهجرة. أدرك الرّسول عليه السلام. راجع الزِرْكِلي ج 2 ص 180.

(6) أخذتم يمينا وشمالا أي مِلْتم وبعدتم عن الطّريق المستقيم.

(7) هكذا في الأصل. وليس تحريفا كما قيل في (ق . أ) لأن السّبيل يُذكّر ويؤنّث.

(8) سورة يوسف، بعض آية 108.

(9) سورة النساء، بعض آية 115 وتبدأ الآية بقوله تعالى: «ومن يُشاقِقِ الرّسول من بعد ما تبين له الهدى. . .» وبقية الاية مذكور في النصّ.

السّورة) (1). وقد قال ابن مسعود (2)، أرى أحسنَ الحديث كتابَ اللّهِ، وأحسنَ الهَدْيِ هدْيَ محمّد، وشرُّ الأمور مُحدثاتِها، وإنَّ ما تُوعَدون لآتٍ، وما أنتم بمُعجزين.

وأمّا قولك : كيف صِفةُ الصَّلاح، فَصِفةُ الصّلاح هي ما تقدّم وصفُه في هذا الباب [13 ـ ب]من أوّله الى آخرِه، مَنْ وَفَّى (3) بجميعِه وفاءً حسنا، فقد استكمَلَ صِفةَ الصّالحين، ومَن عجزَ عن شيء منه، فَبِمقدارِ ذلك الذي عجَزَ عنه. إذا كان عن تفريطٍ مِنه فيه يكون نزولُه عن وَصْفِ مَنِ اسْتكملَ ذلك كُلَّه. قال اللّه عزّ وجلّ : (مَنْ عَمِل صالِحا مِنْ ذَكَرٍ أو أُنثى وهو مُؤمن فَلنُحْيِيَنَّهُ حياة طَيّبةً، ولنجزينَّهم أُجْرهم بأحسن ما كانوا يعملون) (4). فقد بَيَّنْتُ لك ما عندي في تفسيرِ الإحسان، وقول الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم : أنْ تَعبُدَ اللّهَ كأنّك تراه، وأَنَّ هذا يَلْتَزِمُه العبدُ لِلّهِ في أحوالِ مُتَقلَّبِهِ ومَثْواه، وهو سهلٌ على مَنْ يَسَّرَهُ اللّه له، وبركتُه عظيمةٌ لانّه يُجدِّدُ للمؤمن إيمانَه كلّما ذكرَه. وذلك أنّه إذا أخذ في طاعة ربِّهِ، وهو ذاكرٌ مشاهدةَ ربِّه [14 ـ ب] له في ذلك الشّأن، قَوِيٌّ اعتصامُه بِربِّه، فإنْ همَّ به الشّيطانُ أن يَلْبِسَ عليه شيئا، فاسْتغاثَ ربَّهُ، واستعاذَ به منه، كَفاهُ (5) عدوَّه، وأعانَه عليه، فلم يجدْ اليه سبيلا كما يجده الى مَنْ كان في شأنه غافِلاً في غَمْرة الوَسْواس والشّهواتِ، وإنّما المعصومُ مَنْ عصَمَهُ اللّه عزّ وجلّ. وإنِ اقْتصرَ العبدُ الحسنُ العِبادةِ على أداء

---

(1) سورة الفتح، آية 28 الى 29.

(2) ابن مسعود (عبد الله) تُوفِّيَ عام 30 هـ. صحابيّ مشهور كان في أوّل الأمر راعي إبل. هو جامع القرآن ومصحفُه كان معتمَدا بالكوفة. روى الحديث عن النبي عليه السّلام. راجع دائرة المعارف الإسلامية ج 2 ص 428.

(3) في الأصل (ق . ب): «وفاءً» وينبغي كما في (ق . أ) أن نقرأ «وَفَّى» حتّى يستقيم التّعبير.

(4) سورة النّحل، آية 97.

(5) في الأصل «فكفاهُ»، والصواب كما في (ق . أ) «كفاهُ».

الفرائض، واجتنابِ المَحارمِ، ولم يزد، فهو أيضا من الصَّالحين، قال الّله عزّ وجلّ: (ومَن يعمَلْ مِن الصّالحات مِنْ ذكَرٍ أو أُنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنَّةَ ولا يُظلمون نقيرا) (1). فما سلِم العبدُ من الخَطايا فهو من الصّالحين، وما زاد بعد ذلك من طاعةِ ربِّهِ زاده خيرا.

وإنَّ (2) في الصَّحيح من حديث أبي هُرَيْرةَ قال رسول الّله صلّى الّله عليه وسلّم: إنَّ الّلهَ قال: مَنْ عادَى لي وليًّا فقد آذنته [14 ـ ب] بالحربِ، وما تقرّبَ إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ ممّا افترضت (3) عليه، وما يَزال عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافلِ (4) حتّى أحبَّهُ، فكنتُ سمعَه الذي يَسمع به، وبصرَه الذي يُبصر به، ويدَه التي يَبطِشُ بها، ورجلَه التي يَمشي بها، ولئن سألني لأُعْطِينَّهُ، ولئن استعاذَ بي لأُعِيذنَّهُ.

قال أبو الحسن: وهذا حديثٌ حسن التِّبْيانِ، بالغٌ في الموعِظة والبشرى لِمن أخذ بما فيه، سواءٌ (5) اقتصرَ على أداءِ الفرائض، أو زادَ بعد اسْتكمالِها مِنَ النَّوافِلِ، لأنَّ النّوافلَ إنّما تكون من بَعْدِ استكمالِ الفرائضِ، والفرائضُ جاريةٌ في أعمالِ البِرِّ الّتي أمرَ الّلهُ بها، والنَّوافلُ كذلك هي جاريةٌ في سائرِ

---

(1) سورة النساء، آية 124.

(2) هكذا في الاصل، وتبديل «وإنَّ» بـ «وأتى» كما في (ق. أ) تصرفٌ ليس ضروريا.

(3) «الواجب» او «الفرض»: ما يُجازى على فعلِه ويُعاقبُ على تركه. وواجبات الدّيانةِ خَمسةٌ في الإسلام. راجع «الرسالة» لابنِ أبي زيد القيرواني.

(4) «النّوافل» مفرده النّافلة ـ وفي الأعمال التي تُعتبر سُنَّةً وليست واجبة نَجِدُ «السُّنَن المؤكّدة» وهي التي تعوّد الرّسول ان يفعلها جَهْرًا، و «السنن الرغائبَ» وهي التي كان يفعلها في حياته الخاصة ولايجهر بها، و «السُّنَن النّوافلَ» وهي التي لم يكن يفعلها ولم يحدد كم مرة تباح. ويفسر القابسي النوافل في السّياق بأنها مازاد على الفرائض.

(5) «سواء» ساقطة في الأصل وكذلك في (ق. أ) وبها يستقيم التركيب.

الطّاعات التي ندب (1) اللّهُ إليها، ورغّب (2) فيها رسولَه. وقولُه في هذا الحديثِ : فكنتُ سمعَه الى آخر هذا الوصف، معناه : كنت [15 ـ أ] حافظًا له، أحمي سمعَه الذي يسمعُ به أن يسمعَ مأثمًا، وكذلك بصرَه الذي يُبصر به، ويدَه التي يَبطِش بها، ورجلَه التي يمشي بها، فلا يستعمل أشياء من هذه الجوارحِ في مأثم (3) ولا يصل اليه مكروه، مع الحفظ الذي استأهلَه بتقرّبِهِ ذلك.

فقد شرحتُ لك وَصْفَ ما إذا اقتصرَ عليه المؤمنُ كان به من الصّالحين، وما إذا زادَ منه زاده رِفْعَةً وقُربا. وكمالُ ذلك كلِّه في قول اللّه جلّ وعزّ : (وما أُمِروا إلاّ لِيَعبُدوا اللّه مخلصين له الدّينَ حُنَفَاءَ، ويُقيموا الصّلاةَ ويُؤتوا الزّكاةَ وذلك دينُ القَيِّمَةِ) (4)، وقال عزّ وجلّ : (ومن يَقتَرِفْ حسَنَة نَزِدْ له فيها حُسنا، إنَّ اللّهَ غفورٌ شكور) (5). وأحسنُ الأعمالِ ما عهَد صاحبُها فيه على أن يُؤدّيَهُ، وهو كأنّه يراه، كما بيَّنَهُ الرّسول عليه السّلام. وجَرى [15 ـ ب] فيما بيّنَ عليه السّلام، أن جِبْريلَ عليه السّلام جاء يُعلّم النّاسَ دينَهم، قوله : متى السّاعة؟ وقول الرّسول عليه السّلام ما المسؤول بأعلمَ مِن السّائلِ، الى قوله : في خمسٍ لا يَعْلَمُهنّ إلاّ اللّه، ثم تَلا عليه السّلام : (إنّ اللّه عنده علمُ

(1) «المندوب» هو ما يستحب فعله في الاسلام ولا يعاقب على تركه وترتيب صفات الافعال بين الواجب او الفرض من جهةوَالحرام من جهة ثانية يكون اما مندوبا أو مباحا او مكروها.

(2) «الرغائب» تاتي في درجة افضل من النوافل.

(3) الجوارح التي أمر الله ان تُستعملَ في غير مَأْثم هي: السمعُ والبصر واللّسان واليدان والرجلان والبطن والعضو التّناسُلي.

(4) سورة البينة، آية 5.

(5) سورة الشّورى، بعض آية 23.

السّاعة. . . الآية) (1)، يُخبِرُهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم أنَّ هذه الخمسَ لا يعلم أحدٌ ما فِيهنّ إلاّ اللّه، كما قال عزّ وجلّ : (قلْ لا يعلمُ مَنْ في السّمواتِ والأرضِ الغيبَ إلاّ اللّهُ) (2)، وقال : (وعندَهُ مَفاتِحُ الغيبِ لا يَعلمها إلاّ هو) (3).

وإنما يعلمُ الخَلْقُ منها ما أظهرَه اللّهُ إليهم بعد ظهورِه عند المُشاهدة لحلول ذلك، أي فقد علمتَ ما ليس لكم أن تَتَكلّفوا السُّؤالَ عنه. وللسّاعةِ أشراطٌ (4) قَبْلَها تدلُّ على قُرْبِها، فاستدِلُّوا واحْذَرُوا، فإنّ اللّه عزّ وجلّ يقول : (لا يجليها لوقتها الاّ هو، ثَقُلَتْ [16 ـ أ] في السّموات والأرض لا تأتيكم إلاّ بغتةً) (5)، وفي آية أخرى : (يومَ يأتي بعضُ آيات ربك لا ينفعُ نفسا إيمانُها لم تكن آمنتْ من قَبْلُ أو كسبت في إيمانها خيرا) (6). وجاء في الصّحيح قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم : لا تقوم السّاعة حتى تطلع الشّمسُ مِن مَغرِبها، فإذا طلعتْ ورآها النّاس آمنوا أجمعون، وذلك حِينَ لا يَنفعُ نفسا إيمانُها، ثمّ قرأ الآية (7).

---

(1) سورة لقمان، آية 34 وهي : «إنّ الله عنده علمُ السّاعة ويُنَزِّلُ الغيث ويعلم مافي الأرحام».

(2) سورة النّمل، بعض آية 65.

(3) سورة الأنعام، بعض آية 59.

(4) في الأصل «وليس للسّاعة أشراط» والصّواب أن «ليس» زائدة.

(5) سورة الأعراف بعض آية 187.

(6) سورة الأنعام، بعض آية 158.

(7) الحديث بلفظه رواه البخاري ـ راجع مصطفى محمد عمارة «جواهر البخاري» ط. القاهرة 1371، ج 4 ص 383.

«ذكرُ سؤالِه عمّا جاء في فضائلِ القرآن، وما لِمَنْ تعلّمهُ وعلّمهُ وما يُصحبُ به القرآنُ، وعن آداب حامِله، ومَنْ ضَيَّعه حتّى نسِيَه، وما لِمَن علّمه ولدَه، وهل ذلك في الصّغير واجبٌ على أبيهِ أو على غيرِه، ومَن يعلّم الإناث».

قال أبو الحسن : أمّا سُؤالك أن نبدأ لك بشيءٍ من فضائل القرآن فيكفيك من فضلِ القرآن، معرفتُك [16 ـ ب] أنَّ القرآنَ كلامُ اللّهِ عزّ وجلّ، وكلامُ اللّهِ غيرُ مخلوقٍ (1)، ثم ثناء اللّه على هذا القرآن في غير موضع منه. قال اللّه عزّ وجلّ : (اللّه نزّلَ أحسنَ الحديث كِتابا مُتشابها مَثانِيَ تَقْشعرُّ منه جلودُ الّذين يَخْشَوْنَ رَبّهم ثم تَلينُ جلودُهم وقلوبُهم الى ذكرِ اللّه، ذلك هُدَى اللّه يَهدي به مَن يشاء ومن يَضْلِلِ اللّهُ فما له من هادٍ) (2) وقوله تعالى : (الر. تلك آياتُ الكتاب المبين. إنّا أُنزلناه قرآنا عربيًّا لعلّكم تعقلون. نحن نَقُصُّ عليك أحسنَ القصص بما أوحَيْنا اليك هذا القرآن وإن كنت من قَبْلِه لَمِنَ الغافِلين) (3) (ألم. ذلك الكتابُ لا رَيْبَ فيه هُدًى للمُتّقين) (4) (المص. كتابٌ أُنزِلَ اليك فلا يكنْ في صدرِك حَرَجٌ منه لِتُنْذِرَ به وذِكرَى للمؤمنين) (5)

---

(1) يُشاطر القابسي رأيَ فقهاء المالكية بإفريقيّة في القول بأزليّة القرآن ورفض قول المعتزلة بخَلْقه. وقد امتُحِن إمامُ المالكيّة سَحنون بن سعيد في زمانِه بالقيروان كما امتُحِن الإمام أحمد بن حنبل ببغدادَ لرفضِهما القولَ بخَلْق القرآن. (راجع في موضوع محنة الإمام أحمد بن حنبل ما كتَبْتُهُ في «شخصيات وتيّارات» ط. الدّار العربيّة للكتاب 1982 ص 460 وما بعدها من دراستي «مع الجاحظ السياسي».
وراجع في ترجمة الإمام سحنون مثلا صَدَى الخصومة بين علماء إفريقيّة وأمراء بني الأغلب الموالين لبني العبّاس في موضوع خَلْق القرآن (كتاب «رياض النفوس» لأبي بكر المالكي ط. بيروت 1983 ص 367).

(2) سورة الزمر، آية 23.

(3) سورة يوسف من آية 1 الى 3.

(4) سورة البقرة، آية 1 الى 2.

(5) سورة الأعراف، آية 1 الى 2.

وكلّ ما جرى في أوائل السُّور من هذا، فهو تعظيمٌ [17 ـ أ] للقرآن، وتعريفٌ للمؤمنين بفَضلِه، وكذلك قولُه عزّ وجلّ : (يا أيُّها النّاس قد جاءكم برهانٌ من رَبِّكم وأَنْزَلْنا اليكم نورًا مُبينا) (1) وقولُه تعالى : (قد جاءكم مِن اللّهِ نورٌ وكتابٌ مُبين يَهدي به اللّهُ مَنِ اتَّبعَ رِضْوانَه سُبُلَ السّلام ويخرجهم من الظّلمات الى النّور بإذنه ويَهديهم الى صِراطٍ مُستقيم) (2) وقولُه سبحانَه لِنَبِيِّه صلّى اللّه عليه وسلّم : (وأَنْزَلنا إليك الكتاب بالحقّ مُصَدِّقًا لِما بين يَدَيْه من الكتاب ومُهَيْمِنًا عليه) (3)، (وإنّه لكتابٌ عزيز. لا يأتيهِ الباطلُ مِن بين يديْه ولا مِن خَلْفِه، تنزيلٌ من حكيم حميدٍ) (4)، (إنّ هذا القرآنَ يَهدي لِلَّتي هي أَقْوَمُ ويُبشِّرُ المُؤمنين الذين يعملون الصَّالحاتِ أنَّ لهم أجرًا كبيرا، وأنَّ الَّذين لا يُؤمنون بالآخرةِ اعْتَدْنَا لهم عَذابا أليمًا (5)، (وهذا كتابٌ أَنْزلْناه مبارَكٌ فاتَّبِعوه واتَّقوا لعلَّكم تُرْحمون)(6) . ومِنْ هذا المعنى [17 ـ ب] في القرآنِ كثيرٌ معروفٌ تَتَبُّعُ ذكرِه في هذا الكتاب يُطيلُه، وهو شيء بَيِّنٌ في القرآن، يُغني عن كُلّ كتابٍ، والحمدُ لِلّه ربِّ العالمين.

وأمّا ما لِمن تَعلّمه أو علّمه من الفضلِ ، ففيهِ حديثٌ مشهور ومنشورٌ، وهو حديثُ سَعدِ بنِ عُبَيْدةَ (7) عن أبي عبد الرَّحمنِ السُّلَمي (8) عن

---

(1) سورة النساء، آية 174.
(2) سورة المائدة، آية 15 الى 16.
(3) سورة المائدة، آية 48.
(4) سورة فصّلت، بعض آية 41 وآية 42.
(5) سورة الإسراء، آية 9 الى 10.
(6) سورة الأنعام، آية 155.
(7) سعيد بن عُبيدة (السُّلمي)، محدث كوفيّ، روى الحديث عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عبّاس راجع ابن سعد «طبقات» ج 6 ص 298.
(8) أبو عبد الرّحمان السُّلمي، صحابي من الجيل الثاني ومحدّث ثِقَةٌ. توفي بالكوفة في عهد عبد الملك بن مروان ـ راجع ابن سعد «كتاب الطّبقات» ج 6 ص 172 ـ 175.

عثمانَ (1) رضي اللّه عنه، عن النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم قال : «خيرُكم من تعلّم القرآنَ وعلّمه» (2)، قال : وأقرأ أبو عبد الرّحمن في إمارة عثمان حتّى كان الحجّاجُ (3). قال : وذاك الذي أَقْعدني مَقْعدي هذا (4). قال أبو الحسن، قال : فأبو عبد الرّحمن هو القائلُ : «وذاك الذي أقعدني مقعدي هذا» يُريد أنَّ حديث عثمان رضي اللّه عنه، عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم في فضل مَن تعلّم القرآن أو علّمه، هو الذي أُقعده لِتعليم النّاسِ القرآنَ يُقرِئُهم [18 ـ أ] إياه. وقد قال أبو عبد الرّحمن النّسائي (5)، أخبرَنا عُبَيْدُ اللّه بن سعيد (6)، قال : حدّثنا يَحْيى (7) عن شُعبة (8) وسفيان (9)، قالا (10)

---

(1) عثمان بن عفّان، الخليفة الرّاشدي الثّالث (23 ـ 35 هـ) ـ راجع «دائرة المعارف الإسلامية» ج 3 ص 1077.

(2) حديث في صحيح البخاري بلفظه.

(3) الحَجّاج بن يوسف، رجل دولة ولد بالطّائف حوالي عام 41 هـ، مخلص لبني أميّة ـ راجع دائرة المعارف الإسلامية ج 2 ص 215.

(4) حديث في صحيح البُخاري.

(5) أبو عبد الرّحمان النّسائي (215 ـ 303 هـ) قاضٍ محدّث من اصل فارسي استقرّ بمصر وجمع كتابيْن في الحديث هما «السنن الكبرى» و «المُجتنى» أو «السنن الصغرى» راجع الزركلي «كتاب الأعلام» ج 1 ص 164.

(6) عبيد الله بن سَعيد (أبو قُدامى) تُوفي عام 241 هـ. محدّث ثقة من أصل فارسي يروي عنه البُخاري ومسلم ـ راجع الزركلي ج 4 ص 349.

(7) يَحيى (أبو زكرياء يحيى بن حسان الزكري) مُحدث ثقة ولد بدمشق عام 144 هـ. واستقر بمصر حيث مات سنة 208 هـ. راجع الزّركلي ج 9 ص 170.

(8) شُعبة بنُ الحجّاج بن الورد العتكي الأزدي الواسطي البصري: من كبار المُحدثين (82 ـ 160 هـ) ـ راجع الزركلي ج 3 ص 241.

(9) سُفيان. هناك مُحدثان مشهوران يَحملان هذا الاسم وهما :

أ ـ سُفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (97 ـ 161 هـ) من أصل كوفي وعاش في مكّة والمدينة وله كتاب «الجامع الكبير» وكتاب «الجامع الصغير» ـ راجع ابن خلّكان «وفيات الأعيان ج 2 ص 127».

ب ـ سُفيان بن عُيَيْنة (107 ـ 198 هـ) من أصل كُوفي، له كتاب «الجامع» في الحديث. ـ راجع ابن خلّكان «وفيات» ج 2 ص 129.

(10) في الأصل «قالا» وهو الصّواب لا «قال» كما في (ق . أ).

حدّثنا علقمةُ بن مَرْثَدٍ (1)، عن سعدٍ بن عُبيدة عن أبي عبد الرّحمن (2)، عن عثمان (3)، عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم، قال (4) : خيرُكم من تعلّم القرآن أو علّمه (5) . وقال سُفيان : أفضلُكم من تعلّم القرآن وعلّمه (6) . وقال النّسائي أيضا ـ أخبرنا عبيد اللّه بن سعيد، عن عبد الرّحمن (7) قال حدّثني عبد الرّحمن بن بُدَيْل بن مَيْسَرةَ، عن أنسٍ بن مالك (8) قال : قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم : «إنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ من خَلْقِه» قالوا : من هم يا رسولَ الله ؟ قال : أهلُ القرآن هُمْ أهلُ اللّهِ وخاصَّتُه (9) . وقد بَيَّنَ اللّهُ سُبحانَه مَراتِبَ أهلِ القرآن، وذلك قولُه عزّ وجلّ : (ثم أَوْرَثْنا الكتاب الذين اصطفَيْنا من عِبادنا فَمنْهُم ظالمٌ [18 ـ ب] لِنَفسه ومنهم مُقْتَصِدٌ ومنهم سابق بالخيراتِ بإذنِ اللّه، ذلك هو الفضلُ الكبير. جنّاتُ عَدنٍ يَدخلونها. . . ـ الى قوله ـ لا يَمَسُّنا فيها نَصَبٌ ولا يَمَسُّنا فيها

---

(1) علقمةُ بن مَرْثَدٍ، محدث كوفي من الطبقة الثالثة ـ راجع «طبقات» ابن سعد ج 6 ص 331 .

(2) أبو عبد الرحمان (السّلمي) تقدمت ترجمته.

(3) في (ق . ب) «عن عثمان» وقد سقطت في (ق . أ) فأثبتناها.

(4) في (ق . ب) وكذلك في (ق . أ): «قال شُعبة» وشعبة زائد لأن الكلام على لسان الرّسول عليه السلام ولذا نسقط «شعبة» وقد ذكر من قبل في سند هذا الحديث.

(5) حديث في صحيح البخاري.

(6) نفس الحديث في صحيح البخاري مع فارق في حرف العطف «أو» بمعنى التّخيير.

(7) عبد الرحمان عديدٌ من رُواة الحديث اسمهم عبد الرحمان كعبد الرّحمان بن مهدي وعبد الرّحمان بن نَوْفَل وعبد الرحمان بن إسحاق.

(8) أَنَس بن مالك ـ لا ينبغي خَلْطُه بمالك بن أنس إمام المذهب المالكي المتوفّى عام 179 هـ. أما أنس بن مالك هذا فقد أهْدتْهُ أمّه وهو في سنّ العاشرة الى الرسول عليه السلام لِيخْدِمه وظل في خدمة الرسول الى وفاته. شارك أَنَس بن مالك في حروب الفتوحات ومات بالبصرة بين سنتيْ 91 و 93 هـ. راجع «دائرة المعارف الإسلامية ج 1 ص 350 ـ 351».

(9) نفس الحديث نجده بسَند آخر في «كتاب آداب المعلمين» لمحمد بن سحنون راجع ط. تونس 1972 ص 75 ـ 76.

لغوبُ) (1). وفي الصَّحيح من حديث سعيد(2)، عن قَتادة (3)، عن أنس، عن أبي مُوسى (4)، عن النَّبيِّ صلّى اللّه عليه وسلّم، قال : المؤمنُ الذي يَقرأ القرآن ويعملُ به كَالأُتْرُنْجَةِ (5) طعمُها وريحُها طيِّبٌ، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالثَّمرة طعمُها طيِّبٌ ولا ريحَ لها. ومَثَلُ المُنافق الذي يقرأ القرآن، كالرَّيْحانةِ ريحُها طيِّبٌ، وطعمُها مُرٌّ. ومَثَلُ المُنافق الذي لا يقرأ القرآن، كالحَنْظَلةِ طعمُها مُرٌّ أو خبيثٌ، وريحُها مُرٌّ (6). وفي الصَّحيح مِن حديث أبي هُريرة أنَّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم قال : لا حَسَدَ إلاّ في اثْنَيْنِ(7) : رجلٍ علّمهُ اللّه القرآن فهو يَتْلوه آناءَ اللّيل وآناء النَّهار، فسَمِعَه [19 ـ أ] جارٌ له فقال : لَيْتني أُوتيتُ مِثلَ ما أُوتيَ فلانٌ، فعملت مثلَ ما يعمل، ورجلٍ آتاه اللّه مالاً فهو يُهلِكه في الحقّ، فقال رجلٌ : لَيتني أُوتيت مثلَ ما أُوتيَ فلانٌ (8) فعملتِ مثل ما يَعمل (9). وقد بَيّنَ اللّهُ سُبحانه في كتابه وصفَ قارىءِ القرآن، وذلك قولُه عزّ وجلّ : (إنَّ الّذين يتلونَ كتابَ اللّهِ وأقاموا الصّلاة وأنْفقوا مِمّا رَزقناهم سِرًّا وعَلانِيَةً يرجون تجارة لَنْ تَبور. ليوفِّيَهُم أجورَهم ويزيدهم من فضله إنّه غفورٌ شكورٌ. والذي أوْحَيْنا إليك من

---

(1) سورة فاطر، آية 32 الى 35.

(2) سعيد. عديدٌ من المُحدثين يحملون هذا الاسم كسعيد بن هارون وسعيد المغربي وسعيد بن المسيّب (13 ـ 94 هـ) وسعيد بن جبير وهو صَحَابيٌ من الجيل الثاني تُوفيَ عام 95 هـ راجع الزّركلي ج 3 ص 145.

(3) قَتادةُ بن دِعامة : مفسر ومحدث بصريّ (61 ـ 118 هـ) ـ راجع ابن خلّكان «وفيات» ج 3 ص 248 وابن سعد «طبقات» ج 7 ص 229.

(4) أبو موسى الأشعري، تقيّ ورع لعب دورا في الخلاف بين علي ومعاوية وتوفي حوالي عام 52 هـ ـ راجع «دائرة المعارف الاسلامية» ج 1 ص 448.

(5) في الأصل «كالأُتْرُنْجَةِ» وفي (ق . أ) «كالأُتْرُجّةِ» وكلاهما صحيحٌ.

(6) حديث في صحيح البخاري بلفظه (كتاب فضائل القرآن).

(7) في المخطوطة «اثنين» وهذا صحيح، لا «اثنتين» كما في (ق . أ).

(8) في الأصل أي في مخطوطة باريس «فلان» وقد سقطت في (ق . أ)

(9) حديث في صحيح البخاري.

الكتاب هو الحقُّ مُصدِّقا لما بين يديه إن الّله بعباده لخبيرٌ بصير) (1).

قال أبو الحسن : فقد بيّنتُ لك ما جاء في فضلِ مَن تَعلّم القرآن وعَلّمه، وبيّنتُ لك من وَصفِ حاملِ القرآنِ ما يَكفيك عن سُؤالك عمّا يُصحَب به القرآنُ وعن آدابِ حامِله، كلٌّ ذلك من كتاب الّله عزّ وجلّ، [19 ـ ب] وعمًّا جاء (2) عن النّبيّ صلّى الّله عليه وسلّم تسليما.

وأمّا سؤالك عمّن تعلّمَ القرآن ثمّ ضيّعه حتّى نَسِيه، فإنْ كان تضييعُه إياه، زَهادةً فيه ـ ليس بِغالبٍ عليه عملُه (3) يَقوم له به عُذْرٌ ـ فهو الذي أخشى عليه مِنْ شيء قد جاء فيمن تعلّم القرآن ثم نسيه، فهي نِعمةٌ كَفرَها. وإنّما يكون ذلك فِيمَنْ تَعمَّدَ التَّشَاغُلَ به عنه. فَإنْ كان تشاغلُه عنه بعمل من أعمال السُّفَهاءِ، كان أشدَّ. وما يُدريك أنَّ ذلك النّسيان إنّما أصابَه عُقوبةً لِاشتغالِه عنه بسوء الِاكْتِساب. فكان اكتسابُه السُّوءَ ذنْبًا منه عُجِّلَتْ له عُقوبتُه بأنْ نسيَ القرآن بعدما حفظه.

إنّ في الصّحيح من حديث سَمُرَةَ بن جُنْدُب (4) عن النّبيّ صلّى الّله عليه وسلّم أنّه قال لهم ذات غَدَاة : أتاني اللّيلةَ اثْنان، وإنهما ابْتَعَثاني، وإنّهما قالا لي : انْطَلِقْ، وإنّي انْطَلَقتُ [20 ـ أ] معهما، وإنّا أتينا على رجل مُضطجِعٍ وإذا آخرُ قائمٌ عليه بصخرة، وإذا هو يَهوي بالصَّخرة لِرأسِه، فَيَثْلُغُ رأسَه، فيَتَدَهْدَهُ (5) هذا الحجرُ هَهُنا، فيتبع الحجر فيأخذه، فلا يرجع إليه حتّى يصحَّ

---

(1) سورة فاطر، آية 29 ـ 31

(2) في (ق . ب) «وعمّا جاء» وهو الصواب لا «وممّا جاء» كما في (ق . أ).

(3) في (ق . ب) وهو الاصل «غَيُّه»، والصواب عملُه. ويؤكد هذا التصويب قول القابسي في السّياق من بعد «فإن كان تشاغله عنه بعمل من الأعمال. . . .».

(4) سمرة بن جندب بن هلال الفرازي، من أصحاب الرّسول عليه السّلام، اختاره زياد في ولاية البصرة لمُحاربة الخوارج وتُوفي عام 60 هـ ـ راجع الزركلي ج 3 ص 203.

(5) في الأصل «يتدهدأ» والصواب «يتدهده» كما في (ق . أ) وهو بمعنى يتدحرج.

رأسُه كما كان. ثُمَّ يعود عليه، فيفعلُ به مِثلَ ما فعل المرَّةَ الأولى، قال : قلتُ لهما سُبحان اللّه ما هذا ؟، قال : قالا لي انْطَلِقْ، وذكر الحديث الى قوله : قلتُ (1) لهما : فإنّي رأيتُ منذ الّليلةِ عَجَبًا فما هذا الذي رأيت ؟ قال قالا لي : إنّا (2) سَنُخبرك : أمّا الرّجل الأوّلُ الذي أتيت عليه يثلغ رأسُه بالحجر، فإنّه الرّجل يأخذ القرآن فيرفضه، وينام عن الصّلاة المكتوبة (3).

قال أبو الحسن : ولقد أُمر من نسي شيئا من القرآن أنْ لا يقول نَسِيتُهُ (4) كما في الصّحيح من حديث سُفيان، عن منصور (5) عن أبي وائل، عن عبدِ الله (6) قال : قال رسول اللّه صلّي عليه وسلّم مَا لأَحَدِهم يقول : نَسيتُ [20 ـ ب] آيةَ كيت وكيت، بلْ هو نُسِّيَ (7). ومن حديث شُعبة وغيره عن منصور، عن أبي وائل، عن عبد اللّه، قال : قال رسول اللّه صلّى عليه وسلّم : بِئْسَ ما لأحدهم أن يقول نَسِيتُ آيةَ كيتْ وكيتْ بل نُسِّيَ. واستذكروا القرآن، فإنّه أشدُّ تَفَصِّيًا من صدور الرّجال مِن النَّعم (8).

قال أبو الحسن : فانْظُرْ كيف عاب عليه السّلام على أحدِهم أن يقول نَسيتُ آيةَ كيتْ وكيت. وقال عليه السّلام «بل هو نُسِّيَ»، معناه أن اللّهَ أنْساهُ

(1) في الأصل «قلت» ونثبت النص هكذا لا كما في (ق. أ) «فقلت».
(2) في الأصل «أمّا إنّا» و «أمّا» زائدة.
(3) في صحيح البخاري مع تصرّف في اللفظ (كتاب الجنائز وكتاب التهجدّ).
(4) اشارة الى الحديث النبويّ الموالي في السّياق، واشارة أيضا الى الآية 6 من سورة الأعلى وهي «سنقرئك فلا تنسى».
(5) منصور ـ قد يكون أبا عطّاب منصور بن المعتمر بن عبد الله السّلمي، وهو من كبار المُحدِّثين بالكوفة تُوفيّ عام 132 هـ ـ راجع الزركلي ج 8 ص 245.
(6) عبد الله بن عمر بن الخطاب هو الإبن الأكبر للخليفة عمر، ويذكر عادة بابن عمر. صحابي ومحدث مشهور توفي بمكّة عام 73 هـ ـ راجع «دائرة المعارف الإسلامية» ج 1 ص 29.
(7) حديث في صحيح البخاري بلفظه.
(8) حديث في صحيح البخاري بلفظه.

ما نسيَ. فههُنا يَنظرُ العبدُ فيما شغلَه (1) عن القرآن حتّى نَسيَ منه ما نسيَ، هلْ له في ذلك عذرٌ أم لا عذر له، فيحسنُ الإنابةُ الى ربِّهِ ممّا لا عُذرَ له فيه. وقد قال اللّه عزّ وجلّ لِنبيِّهِ: (سنُقرئُكَ فلا تَنْسى، إلّا ما شاء اللّهُ إنّه يعلَمُ الجَهرَ وما يَخفَى) (2). وقد وَصّى الرَّسول عليه [21 ـ أ] السّلام أهل القرآن بالمُحافظة على اسْتِذكارِه، وأخبرَهم أنّه أشدُّ تَفصِّيًا من صُدور الرِّجال من النَّعَمِ. وفي حديث أبي مُوسى عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم قال: تعاهَدوا القرآنَ فوَ الذي نفسي بيدِه لَهو أشدُّ تَفَصِّيا من الإبل في عُقُلِها (3). وأما ابنُ عمر (4) فذكر من حديث مالك (5) وغيره أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم قال إنّما مَثَلُ صاحبِ القرآن كمَثَلِ صاحب الإبل المُعَقَّلَةِ، إنْ عاهدَ عليها أمْسَكَها، وإنْ أطْلَقها ذهبتْ (6)... واعْلَمْ أنَّ صاحبَ الإبلِ المُعَقَّلةِ، إنْ تعمّدَ إطْلاقَها إطلاقا يُتْلِفُها، فإنّه (7) ارْتَكب النَّهيَ الذي جاء عن رسول اللّه عليه السّلام، أنّه نَهَى عن إضاعَةِ المال، وإنْ أطْلَقَها بعُذر يُجيز له إطْلاقَها خلص من ركوب النّهي، وفقد نفعها. فَمَثَّلَ صاحبَ القرآن إنْ ترَكَ [21 ـ ب] تَعاهُدَ اسْتِذْكارِه بصاحبِ هذه الإبلِ.

---

(1) في الأصل «شغله» ونثبته هكذا لا «يشغله» كما في (ق. أ).
(2) سورة الأعلى، آية 6 الى 7.
(3) حديث في صحيح البخاري بلفظه.
(4) هو عبد الله بن عمر ـ راجع الملاحظة عدد 4 أعلاه.
(5) هو المحدث أنَس بن مالك وينبغي أن لا يخلط بالإمام مالك بن أنس
(6) حديث في صحيح البخاري بِلفظه.
(7) في الأصل «انه» والصّواب الرّبط بالفاء «فإنه» كما في (ق. أ).

وقد قال النَسائي : أخبرَنا قُتَيْبةُ بنُ سعيدٍ (1) قال : أخبرَنا يَعقوبُ (2) عن موسى بن عُقبةَ (3). عن نافعٍ (4). عن ابنِ عُمَرٍ، أنّ رسول الّله صلّى الّله عليه وسلّم قال : إنّما مَثَلُ القرآن كمَثَلِ الإبل المُعَقَّلَةِ، إذا عاهَدَ صاحبُها (5) على عَقْلِها أمْسَكَها، وإذا أغْفَلها ذهبتْ، واذا (6) قام صاحبُ القرآن فقرأهُ بالّليلِ والنّهار ذكَره، وإذا لم يَقْرَأْه نَسِيَهُ.

قال أبو الحسن : قد بُيِّنَ في هذا الحديثِ كيف المُعاهدةُ التي يثبت بها حفظ القرآن ويقوى على الحفظ حتّى لا يتلعثم فيه. وقد قال النّسائي : أخبرَنا عبدُ الّله بن سعيد قال : حدَّثنا مُعاذُ بن هِشامٍ قال حدَّثني أبي عن قَتادةَ، عن زُرارَة بنِ أوْفَى (7)، عن سعدِ بنِ هشامٍ (8)، عن عائشةَ، عن النَّبيِّ صلّى الّله عليه وسلّم قال : مَثَلُ الذي [22 ـ أ] يقرأُ القرآن وهو ماهرٌ به مع السَّفَرَةِ الكرام البَرَرَةِ، يَقْرَؤُهُ وهو عليه شاقٌّ فلَهُ أجران.

---

(1) قتيبة بن سعيد بن جميل الثَّقفي : عبدٌ مَعتوقٌ من كبار المُحَدِّثين، عاش في العراق وروى عنه البخاري ومسلم (150 ـ 240 ه) ـ راجع الزركلي ج 6 ص 27.

(2) يعقوب : عديدٌ من المحدثين يحملون هذا الاسم كيعقوب بن كاسب ويعقوب بن حُميد ويعقوب الدروقي ويعقوب الحضرمي وهذا بصريّ وأحد القرّاء العشرة وتوفي عام 205 هـ.

يظهر أنّ المحدث المعني في النص هويعقوببن حميد بن كاسب وهو من كبار محدّثي المدينة وعنه أخذ محمّد بن سحنون مباشرة الحديث. تُوفِّيَ عام 242 أو 243 ـ راجع كتاب آداب المعلمين ط. تونس 1972 ص 77.

(3) موسى بن عُقبة (أبو محمّد موسى بن عقبة بن أبي عيّاش) : مولى بني زُبير محدّث من الثّقات، من أهل المدينة حيث مات عام 141 هـ. راجع الزّركلي ج 8 ص 276.

(4) أبو عبد الله نافع المدني : من كبار علماء المدينة من الجيل الثّاني وكان فقيهًا ومحدّثا من الثّقات، توفي عام 117 هـ. راجع الزّركلي ج 9 ص 319.

(5) في الأصل «صاحبها» وهو الصّواب لا «أصحابها» كما في (ق . أ).

(6) في (ق . ب) «اذا» والصواب إضافة واو العطف «واذا» كما في (ق . أ).

(7) زُرارة بن أوْفَى : محدّث بصريّ من الثّقات، توفي عام 73 هـ راجع ابن سعد «الطبقات» ج 7 ص 150.

(8) سعد بن هشام بن عامر الأنصاري : محدث ثقة، توفي في واقعة أُحُد. راجع ابن سعد «الطبقات» ج 7 ص 207.

قال أبو الحسن : والماهرُ بالقرآن يُؤمرُ بتَرْتيلِه، قال الله عزّ وجلّ : (يا أيّها المزمِّلُ قُم اللّيلَ إلاّ قليلا . . . الى قوله : ورتِّل القرآنَ تَرتيلا، إنّا سَنُلقي عليك قولا ثقيلا، إنّ ناشئة اللّيل هي أشدُّ وطأً وأقومُ قِيلا) (1). قيل معنى هذا أشدُّ وطأً، أي مُواطأة للقرآن بسمعك وبصرك، أي فهمك، فالقراءةُ على هذه الصِّفةِ أقومُ قِيلا أي أصوبُ قيلاً (2).

ذَكَرَتْ حَفصةُ (3) أمُّ المؤمنين عن رسولِ الّله صلّى الّله عليه وسلّم أنّه كان يقرأ السّورةَ فيُرَتِّلها حتّى تكون أطولَ من أطول منها. وقال النّسائي : أخبرَنا اسحاقُ ابن منصورٍ (4)، قال : أخبرَنا عبدُ الرّحمن عن سُفيان، عن عاصمٍ (5) عن أبي ذَرّ (6) عن عبد الّله بن عمر، قال رسول الّله صلّى الّله عليه وسلّم : يقال لصاحب القرآن اقرأ وارْتَقِ [22 ـ ب] ورَتّلْ كما كنتَ تُرتِّل في الدّنيا فإنّ منزلَك عند آخرِ آيةٍ تَقرؤُها. قال أبو الحسن : إنّ التّرتيلَ في القراءة يُحيِي الفهمَ للعالِم، فيستعينُ به على التّدَبُّرِ الذي له أُنْزِلَ القرآنُ، قال الّله عزّ وجلّ : (كتابٌ أنزلناهُ إليك مُبارَكٌ ليدبَّرُوا آياته وليتذكر أولُو الألباب) (7). وأهلُ حفظ القرآن أيضا، فيختلفون في القُوّة على دراستِه.

---

(1) سورة المزمّل، آية 6.

(2) في الأصل «أي أصْوَبُ قيلًا» وقد سقطت في (ق . أ).

(3) حفصة: ابنة الخليفة عمر وزوجة النّبيّ عليه السلام وكانت مُتعاطفةً مع عائشة. راجع «دائرة المعارف الإسلامية» ج 2 ص 229.

(4) اسحاق بن منصور بن بَهْرام (أبو يعقوب المروزي): شهر الكُوسَج وهو فقيهٌ حَنْبليٌّ من أهل الحديث، تُوفي عام 251 هـ. ـ راجع الزّركلي ج 1 ص 289.

(5) عاصم بن عديّ: من اصحاب الرّسول عليه السّلام، تُوفي عام 45 هـ. راجع الزّركلي ج 4 ص 13.

(6) أبو ذرّ الغِفاري: صحابيٌ شهر بوَرَعِه ومعرِفَتِهِ الجيّدة بالقرآن. تُوفي إمّا سنة 32 هـ. وإما في السّنة الموالية قرب المدينة. ويسمّى أيضا جُنْدُب بن جُنادة ـ راجع «دائرة المعارف الاسلامية» ج 1 ص 85.

(7) سورة ص، آية 29.

قال مُعاذ بن جَبَلٍ (1) لأبي مُوسى الأَشْعَري : كيف تقرأ القرآن ؟ قال : قائمًا وقاعدا، وعلى راحِلَتِي، وأَتَفَوَّقُهُ تَفوُّقا. قال : أمّا أنا فأنامُ وأقوم وأحتسِبُ نَوْمَتي كما أحتسب قَوْمَتي. فأخبرَ كلُّ واحدٍ منهما عن نفسِه بما يطيق.

وأمّا سؤالك عن الماشي هل يقرأ القرآن، أو الرَّاكبُ، أو الواقفُ أو من في السُّوق، أو من في الحَمّامِ ، تُريد في غيرِ الصّلاةِ، فإنَّ هذا للمُتصرّفِ في حاجاتِه في الأَسواق [23 ـ أ] وغيرِ ذلك من أزِقَّةِ الحضَر، والصّانعِ على صَنْعَتِه، فلم يَستحبَّ مالكٌ (2) من ذلك شيئا. وإنما يخفّف من ذلك ما كان من فاعلِه من وجه التَّحفيظ للمُتعلّمين لِيَقُوا حفظَه بدراسته. فأمّا ما كان على وجه التَّبَرُّزِ (3)، قال مالكٌ فإنّما يقرأ في المساجد، وفي الصّلاة، وعلى حال التَّفَرُّدِ بقراءته، أو في السَّفَر، فيقرؤُه ماشيًا وراكبا في سفره (4)، إلاّ أنّه إنْ مَرَّ

---

(1) مُعاذ بن جبل الأنصاري: صحابيّ أوفَدَه الرّسول قاضيا الى اليمن ويروي عنه البخاري ومسلم الحديث. تُوفي عام 18 هـ راجع الزّركلي ج 8 ص 166.

(2) مالك بن أنس: من أيمّة الفقهاء وأحد أيمّة المذاهب الفقهيّة السنّية الأربعة. ولد عام 90 هـ ومات بالمدينة عام 179 هـ. له كتاب «المُوطّأ» وهو أوّل كتاب في الفقه ـ راجع «دائرة المعارف الإسلامية» ج 3 ص 218 وما بعدها.

(3) التّبرُّزأي التفوّق في الحفظ، من بَرَّزَ الرّجلُ: فاق أصحابه.

(4) يقول ابن أبي زيد القيروان في حالات وأماكن الصّلاة: «ولاينبغي أن يَقرأَ في الحمام الاّ الآيات اليَسرة ولا يُكثر، ويقرأُ الرّاكب والمضطجعُ والماشي من قرية الى قرية، ويُكره ذلك للماشي الى السّوق، وقد قيل إنّ ذلك للمُتعلِم واسعٌ» (الرّسالة ص 318).

بسَجْدَةِ تِلَاوَةٍ (1)، لم يَقُم بها الرّاكبُ، ولكن ينزل فيسجدها اذا كان على طهارة، وفي وقتٍ يَجوز أن يسجد فيه، الا أن يكون في سفَر تُقْصَرُ في مثلِه الصّلاةُ (2)، فيُومِيء الرَّاكبُ بِسجودها ايماءً. وأمّا الحَمّامُ، فقال مالك : يقرأ الرّجلُ القرآنَ إنْ شاءَ في الحَمّامِ ، والحَمّامُ بيتٌ من البيوت، وذكر عنه الإباءُ منه في الحَمّامِ.

وأما قولُك هلْ على المُعلّم أو المتعلّم اذا قرءا سجدةً أن يَسجُدا (3) [23 ـ ب] في كلّ مرّة أو في أوّلِ مرّة، فقد خفّفَ مالكٌ عنهما، واستحبَّ لهما أيضا أن يسجدا في أوّل مرة إذا تكرّرتِ السّجدةُ بعَيْنِها. وأمّا المعلّم فيكثُر ذلك عليه على قدْرِ كثرة أصحابِ الأحزاب (4)، فأكثرُ القول التّخفيفُ عنه من ذلك، فإنْ سجَدَ في أوّل مرّةٍ فحسَنٌ. ولقد قال مالكٌ : ولو كان على من تعلّم إذا مرّ بسجدةٍ يَسْجُدُ لسجَدَ الرّجلُ سُجودا كثيرا، فليس التّعليمُ كغيرِه.

---

(1) «سجدةُ تِلاوة»: هناك إحدى عشرة سجدةَ تِلاوةٍ:وتُسمى العزائم يقوم بها قاريء القرآن. وقد بيّنَ شروطَها ومواطِنَها ابنُ أبي زيد القيرواني.

وتكون سَجْداتُ التِلاوة عند تِلاوة بعض الآيات من السّور التّالية: الأعراف (آية 206) والرعد (آية 16)، والنّحل (آية 52) وبني اسرائيل (آية 109)، ومريم (آية 59)، والحجّ (آية 19)، والفرقان (آية 61)، والنّمل (آية 26)، وألف لام ميم تنزيل (آية 15)، وصاد (آية 23)، وحاء ميم تنزيل (آية 37).

وعن شروط سَجْدة التِلاوة يقول ابن أبي زيد: «ولا يُسجد السُّجدة في التِلاوة إلاّ على وضوء ويكبّر لها، ولايسلّم منها. وفي التكبير في الرّفع منها سَعَةٌ وان كبّر فهو أحبّ الينا. ويسجدها من قرأها بعد الصُّبح ما لم يُسفر، وبعد العصر مالم تَصْفَرّ الشّمسُ». (رسالة ابن أبي زيد ص 88 ـ 91).

(2) في صلاة السّفر وأحكامها راجع رسالة ابن أبي زيد القيرواني ص 92 ـ 93.

(3) في الأصل وفي (ق. أ) «اذا قرءوا سجدة أن يسجدوا»، والصّواب «اذا قرءا سجدة أن يسجُدا».

(4) الحزب هو المقدار الذي يقرؤه الطّالب من القرآن، وفي القرآن ستّون حزبًا.

قال أبو الحسن : فافْهَمْ، فقد بيّنتُ لك عن مسائلِك التي جرَتْ في هذا المعنى بيانًا حسنا. وسألتَ عمّا ذُكر من أنّ القرآنَ في صلاةٍ خيرٌ من القرآنِ في غيرِ صلاةٍ، والقرآنَ في غيرِ صلاةٍ خيرٌ من الذِّكْرِ (1)، والذّكرَ خيرٌ من الصَّدَقَةِ (2)، هل هذا ثابتٌ أم لا ؟ فاعلَمْ أنّي قد سمعته سَماعا هكذا ولم أقِفْ على صِحّتِه بهذا النّص. ولكنّ قول الرّسول [24 ـ أ] عليه السّلام إنّ المُصلّي يُناجي ربَّه فلْيَنظُرْ ما يُناجيه به، فقد تَبيّنَ لك أنّه قد جاء في المُصلّي ما لم يأتِ في غيرِ المُصلّي، وهو زِيادةُ فضلٍ. وأمّا فَضلُ قراءةِ غيرِ المصلّي على سائر الذِّكْرِ، فقول اللّه عزّ وجلّ : (اللَّهُ نَزَّلَ أحسنَ الحديثِ) (3) يُبيِّنُ أنّ القرآنَ أحسنُ القول، مع سائر ما جاء في القرآن من حسن الثّناء على (4) القرآن وما لقارِئِه فيه من اتّساع الفوائد. وأمّا الذّكر خيرٌ من الصّدقة، ففي الصَّحيح من حديث أبي هُرَيْرَةَ، قالوا : يا رسولَ اللّهِ ذهب أهلُ الدُّثورِ (5) بالدَّرجاتِ والنَّعيمِ المُقيم، قال : كيف ذلك ؟ قال : صَلُّوا كما صَلَّيْنا، وجاهدوا كما جاهَدْنا، وأنْفقوا من فُضول أموالهم وليستْ لنا أموالٌ. قال : أفلا أُخْبِرُكُمْ بأمرٍ تُدرِكون مَن كان قبلَكم وتسبقون من جاء بَعْدَكم، ولا يأتي أحدٌ بمِثلِ ما جِئتمْ به إلاّ مَن جاء بمِثْلِهِ : تُسَبِّحون في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ عشرًا [24 ـ ب] وتَحمدون عشرًا، وتُكبّرون عشرًا (6).

---

(1) في ذكر اللّه وهو غير الدُّعاء : راجع رسالة ابن أبي زيد القيرواني ص 314. يقول : «أفضل من ذِكر اللّه باللّسانِ ذكرُ اللّه عند أمره ونَهْيه».

(2) في الصَّدقة والهبة : راجع أحكامَها في رسالة ابن أبي زيد القيرواني ص 230 ـ 231.

(3) سورة الزّمر بعض آية 32.

(4) في الأصل «عن» والصّواب «على» كما في (ق. أ).

(5) أهل الدُّثور هم الأغنياء، والدَّثْرُ هو المال الكثير.

(6) الحديث مختلف في لفظه في البخاري ومسلم. ويقول ابن أبي زيد القيرواني في التّسبيح والحمد والتّكبير والتّوحيد إثر كلّ صلاة : «ويُستحبُّ الذّكر بإثْرِ الصّلوات يُسبِّحُ اللّه ثلاثًا وثلاثين، ويُحمدُ اللّهُ ثلاثا وثلاثين، ويُكَبِّرُ اللّهُ ثلاثا وثلاثين، ويُختَمُ المائة بلا إله الاّ اللّه وحده لا شريكَ لَهُ، الملكُ ولَهُ الحمد، وهو على كلّ شيء قدير» (الرّسالة ص 64 ـ 66).

قال أبو الحسن : الإقبالُ على ذِكرِ اللّه عزّ وجلّ يُورثُ القلوبَ الإشْفاقَ من خِشيَةِ اللّه، ويُدخلها التّذكارَ لِعظمةِ اللّه، فهي مع ذلك تَستلينُ لِربِّها وتَتَضرَّعُ. والصّدقةُ عطاءٌ يفعلهُ المرءُ ـ إذا كان مُتَطوّعًا ـ لِلّهِ جلّ وعزّ، لا يكاد يُحيط بِصحّته له عِلما، مع ما يدخل في ذلك من وسواس الشّيطان، واللّه أعلمُ وذكرُ اللّه حِرزٌ من الشّيطانِ، وحُسْنُ الظنّ باللّهِ أولَى على كلِّ حالٍ، واللّهُ وليُّ التّوفيق.

وأمّا سؤالك عمّا لِمَنْ علّم القرآن، لِوَلَدِه، فيكفيكَ منه قولُ الرّسول عليه السّلام : خيرُكم من تعلّم القرآن وعلّمه (1).

والذي يعلّم القرآنَ لِولَدِه داخلٌ في ذلك الفضلِ. فإنْ قلتَ : إنّه لا يَلِي تعليمَه بنَفسِه، ولكنّه يستأجرُ له من يُعلّمه، فاعلَم أنّه هو [25 ـ أ] الذي يعلّم ولدَه، إذا أنفق مالَه عليه في تعلِيمه القرآنَ، فلعلّه أن يكونَ بما علّمَه من ذلك، مِن السّابقين بالخَيْرات بإذنِ اللّهِ تعالى، وتكون هذه الدّرجةُ هي نِيّة هذا الوالد في تعليم ولدِه القرآنَ. وما زال المسلمون وهم يَرغبون في تعليم أولادهم القرآن، وعلى ذلك يُرَبُّونَهم، وبه يَبْتَدُونَهم وهم أطفالٌ لا يملِكون لأنفُسِهم نفعًا ولا ضرّا (2)، ولا يعلمون إلاّ ما علّمَهم آباؤُهم. فقد جاء في

(1) الحديث بلفظه في صحيح البخاري.

خلافا لما يراه القابسي وأيمّةُ التّربية في المدرسة المالكيّة بالقيروان في موضوع الابتداء بتعليم القرآن للصّبيان قبل أيّ تعليم آخر، فإنّ ابنَ خلدون ينتقدُ تلك الطّريقةَ مُؤاخذًا إياها بأنّها تركتْ أهلَ المغرب قاصرين في ملَكة اللّسان، ويرى وجوب تأخير تعليمِ القرآنِ للصّبيان الى أن تَزْدادَ قابليّتُهم لِلفهم والتّعلّم بتعليمهم القراءة والكتابة والحسابَ ـ راجع ما كتبتُهُ في هذا الموضوع في مقدّمتي لرسالة القابسي.

الصَّحيح، من حديثِ هِشامٍ (1) عن أبي بِشْرٍ (2)، عن سَعيد بن جُبَيْرٍ (3)، عن ابنِ عبّاسٍ (4) : جَمَعْنَا المُحْكَمَ (5) في عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، فقلت له : وما المُحكَمُ؟ قال : المَفَصَّلَ (6). وفي حديث أبي عُوانةَ (7)، عن أبي بِشر، عن سعيدِ بن جُبَيْرٍ : أنَّ الذي تَدْعُونَه المَفَصَّلَ هو المُحكمُ (8). وقال ابن عبّاس : تُوفّي رسولُ اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، [25 ـ ب] وأنا ابنُ عشرِ سنينٍ وقد قرأتُ المُحكَمَ (9). وقد قال أبو موسى : قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم : أيُّما رجلٍ كانت عندَه وليدةٌ فعلَّمَها فأحسنَ تعليمَها، وأدَّبها فأحسنَ تأديبَها، ثمّ أعْتَقَها وتزَوَّجها فلَهُ أجرَان، وأيُّما رجلٍ من أهلِ الكتاب آمنَ بِنَبيِّه، وآمنَ بي، فلَهُ أجران، وأيُّما مملوكٍ أدَّى حقَّ مَوالِيه، وحقَّ ربِّه، فلَهُ أجران (10). فإذا كان لِمَنْ علَّم وليدةً فأحسن تعليمَها،

---

(1) هشام ـ عديد من المحدّثين يحملون هذا الاسم ومنهم هشامُ بن حسّان الأزدي المتوفّى عام 147 هـ بالبصرة، وهشام بن عروة المتوفّى بالمدينة عام 146 هـ ـ راجع الزّركلي ج 3 ص 85 والجزء 9 ص 81.

(2) أبو بشر جعفر بن أبي وحشيّة : محدّث بصريّ ثقة، توفّي عام 125 هـ. ـ راجع ابن سعد «طبقات» ج 7 ص 253.

(3) سعيد بن جُبَيْر : صحابيّ من الطّبقة الثّانية، عالم بالحديث من أصل حبشيّ، مات عام 95 هـ ـ راجع الزّركلي ج 3 ص 145 ـ وابن قتيبة كتاب «المعارف» ص 445.

(4) ابنِ عبّاس : ابن عمّ الرّسول وجامع المُصحف وهو حُجّةٌ وبُرهان في علوم القرآن والتّفسير، توفّي عام 68 هـ. ـ راجع «دائرة المعارف الإسلامية» ج 1 ص 19.

(5) المُحكَم من القرآن ضدّ المُتشابِه ويُطلق على الآيات البيّنات الواضحات المعاني.

(6) المُفصَّل هو الجزء من القرآن الذي يبدأ من سورة الحِجْر وينتهي بآخر سورة، ويشمل سورا قصيرة ومتوسّطة وطويلة، والمفصّل ضدّ المجمل. يقول ابن منظور في «لسان العرب» : «آيات مفصّلات بين كلّ آيتينْ فصلٌ تمضي هذه وتأتي هذه بين كل آيتينْ مُهلَةٌ وقيل مفصّلات مبيّنات واللّه أعلم».

(7) أبو عُوانة الوضّاحُ بنُ خالد : محدّث ثِقَةٌ تُوفّي عام 176 هـ ـ راجع الزّركلي ج 9 ص 133.

(8) الحديثان رواهما البخاري بلفظِهما.

(9) رواية البخاري بلفظه.

(10) رواية البخاري مع تغيير في اللّفظ.

وصنَع فيها ما قال في هذا الحديث يكون له أجران، فالذي يُعلِّم ولَدَه فيُحسِن تعليمَه، ويُؤدبُه فيحسن تأديبَه، فقد عمل في ولده عملا حسنا، يرجى له من تضعيفِ الأجرِ فيه، كما قال اللّه عزّ وجلّ : (من ذا الذي يقرضُ اللّهَ قَرْضًا حسَنا فيُضاعِفَه له أضعافا كثيرةً) (1). وقد جاء أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم مرَّ بامْرأةٍ في مِحَفَّتِها (2)، فقيل لها : هذا رسول [26 ـ أ] اللّه، فأخذَتْ بعَضُدِ صبيّ معها وقالت : ألِهذا حجٌّ ؟، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم : نعم ولكِ أجرٌ (3)، فهل يكون لهذه المرأةِ أجرٌ فيما هو لِصَبِّيها حجٌّ، إلاّ من أجلِ أنّها أحْضَرَتْهُ ذلك الحجَّ وَوليَتِ القِيامَ به فيه. وإنّما له من ذلك الحجّ برَكةُ شهودِ الخيْرِ، ودعوَةُ المُسلمين. والذي يَنالُه الصَّبيُّ من تعلِيمِه القرآنَ هو علمٌ يَبقى له بِحوْزِهِ، وهو أطولُ غِنًى، وأكثرُ نَفَقَةً. وهذا أبينُ مِنْ أنْ يُطالَ فيه بأكثرَ من هذا. وقد قال رجلٌ لِابنِ سَحنون (4) رحمةُ اللّه عليه، ممَّن يطلب ابنه العلم عنده : إنِّي اتَوَلَّى العملَ بنفسي، لا أُشْغِله عما هو فيه، فقال له أَعَــلِمْــتَ أنّ أجرَك في ذلك أعظمُ من الحجّ والرِّباطِ والجِهادِ.

وأما سُؤالك عن رجلٍ امتنَع أن يجعَل ولدَه في الكتّاب هل للإمامِ أن يُجْبِرَهُ ؟ وهل الذَّكَرُ والأُنثى في ذلك [26 ـ ب] سواءٌ ؟ فإنْ قلتَ لا يُجبِرُه فهل

---

(1) سورة البقرة، آية 245.

(2) المِحَفَّةُ : مركبٌ للنّساء كالهَوْدَج.

(3) حديث رواه مسلم مع خلاف طفيف في اللّفظ.

(4) ابن سَحنون (أبو عبد اللّه محمّد بن سحنون بن سعيد بن حبيب التّنوخي)، هو ابن الإمام المشهور، ولد بالقيروان عام 202 هـ وعاش في رِعاية والِده الى سنة 235 هـ وهي السّنة التي رحل فيها الى المشرق للحجّ وطلب العلم. تزعّم المدرسة المالكيّة بالقيروان بعد وفاةِ والده. ومات عام 256 هـ. ويذكر أبو بكر المالكي في «رياض النّفوس» أنّ محمّد بن سحنون ترك مائتيْ كتاب لم يصلنا منها الاّ اثنان هما :
ـ كتاب «أجْوِبَة محمّد بن سحنون برواية محمّد بن سالم القطّان عنه» (مخطوطة بالإسْكوريال عدد 1162، ومنه نسخة خطّية في رصيد حسن حسني عبد الوهاب).
ـ كاب «آداب المعلّمين» ـ راجع ط. تونس 1972.

يُوعظ ويُؤْثَمُ. وكيف إنْ لم يكُنْ له والِدٌ وله وَصيٌّ، فهل يلزم ذلك الوصيّ (1) بالجبر ؟ فإن لم يكن له وصيٌّ فهل ذلك للوليّ أم للإمام ؟ فإنْ كان لا أحدَ لهذا الولَدِ فهلْ للمُسلمين أن يفعلوا ذلك من مالِه ؟ فإنْ لم يَكن له مالٌ فهل على المُسلمين أن يُؤدُّوا عنه، أوْ يكون في الكُتّاب ولا يُكَلِّفُهُ المعلِّمُ إجارةً ؟ وكيف إنْ كان له أبٌ (2) وله مالٌ ولا يُبالي ذلك، فهل للإمام أن يَسجنَه، أو يضرِبَه على ذلك أم ليس ذلك عليه ؟ وكيف ان كان هذا في بلدٍ لا سُلطانَ يُكرِهُهم على الواجباتِ، ويَنْهاهم عن المُنْكَرات، فهل (3) نُبيح لجماعة من المسلمين المَرْضِيِّينَ دينهم، أن يقوموا مقامَ السُّلطان، أم ليس يَجوز ذلك ؟

- تمّ الجزء الأول -

(1) في (ق.ب) «الوصيّ» وهي ساقطة في (ق.أ).
(2) في (ق.ب) «أب» وهو الصّواب، لا «أدب» كما في (ق.أ).
(3) «فهل» وهو الصّواب كما في (ق.أ)، لا «فقد» كما في (ق.ب).

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد

قال أبو الحسن إن الذي قدمت لك مما يرجى للوالد

في تعليم ولده القرآن إنما هو على وجه الترغيب للوالد

في تعليم ولده الطفل الذي لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا

ولا تمييز لنفسه ما يأخذها وما يدفعه عنها وليس له ملجأ

إلا والده الذي يجب عليه نفقته لمعيشته فما زاد بعد

ذلك الواجب فهو إحسان من الوالد لولده كما الإحسان

للأجنبيين أو من لا يلزمه نفقته ولكن يرجى له فيما

أحسن به لولده لحاجته إليه ما هو أفضل إذ ليس

يشركه فيه غيره ولا حيلة للطفل يستغني بها فيستغني

بنفسه فيها عن نظر والده له فيها وقد أمر المسلمون

أن يعلموا أولادهم الصلاة والوضوء لها ويدربوهم

عليها ويؤدبوهم بها ليسكنوا إليها ويألفوها فيخف

الجـــزء الثّانـــي
بســم الله الرّحمن الرّحيــم
وصلّى اللّه على محمّــد

قال أبو الحسن : ان الذي قَدّمتُ لك ممّا يُرجى للوالِد في تعليم ولِده القرآنَ، إنّما هو على وجه التّرغيبِ للوالد في تعليم ولده الطّفلِ، الذي لا يملِكُ لِنفسِه نَفْعا ولا ضَرًّا، ولا يُميِّز لنفسِه ما يأخذُ لها، وما يدفعُه عنها، وليس له ملجأٌ إلاّ لوالِده الذي تجبُ عليه نَفَقتُه لِمعيشتِه. فما زاده بعد ذلك الواجب، فهو إحسانٌ من الوالد للولَد، كما لو أحسن للأَجْنَبِيِّينَ، أو لِمَن لا يلزَمُه نفقَتُه ولكن يُرجى له فيما أحسنَ به الى ولده المُحتاج اليه ما هو أفضلُ، إذ ليس يُشرِكه فيه غيرُه، ولا حيلةَ للطِّفلِ يَستعينُ بها فيَسْتَغني بنفسه فيها عن نظرِ والدِه له فيها.

وقد أُمِرَ المسلمون أن يُعلّموا أولادَهم الصَّلاةَ، والوضوءَ لها، ويُدرِّبوهم عليها، ويُؤَدِّبوهم بها ليسكنوا اليها ويألفوها، فَتَخِفَّ [27 ـ ب] عليهم إذا انتَهَوْا الى وُجوبها عليهم. وهم لا بُدَّ لهم إذا علّموهم الصَّلاةَ، أَنْ يعلّموهم من القرآن ما يَقرؤونَه فيها. وقد مضى أمرُ المسلمين أنّهم يعلّمون أولادَهم القرآنَ، ويَأْتونَهم بالمعلّمين، ويجتهدون في ذلك، وهذا مِمّا لا يَمتنعُ منه والدُ لِوَلدِه وهو يَجد اليه سبيلا، إلاَّ مداركة شحّ نفسِه، فذلك لا حُجَّةَ له. قال اللّهُ سُبحانه : (وأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ (1)) وقال تعالى : (ومن يُوقَ شُحَّ نفسِه فأولئك هم المُفْلِحون (2)). ولا يدعُ أيضا هذا والدُ واحدً تَهاوُنا واستِخفافا لِتَرْكِهِ، إلاَّ والدُ جافٍ لا رغبةَ له في الخير. إنَ اللّهَ سُبحانه وَصفَ في كتابه عِباده فقال سُبحانه : (وَعِبادُ الرَّحمنِ الذين يمشون على الأرض هَوْنًا. . . الى

(1) سورة النساء، بعض آية 128.
(2) سورة التّغابن، بعض آية 16.

قوله عزّ وجلّ الذين يقولون رَبَّنا هَبْ لنا من أَزْوَاجِنَا وذُرِّياتِنا قُرَّةَ أَعْيِنٍ واجعلْنا للمُتَّقِين إمامًا) (1). فمن رغب الى ربّه أن يجعل له [28 ـ أ] من ذُرِّيَتِه قُرَّةَ عَيْنٍ، لم يَبْخَل على ولدٍ بما يُنفق عليه في تَعليمِه القرآنَ. قال اللّهُ جلّ ذكرُه. (والَّذين آمنوا واتَّبَعَتْهُم ذُرِّيَتُهم بإيمانٍ أَلْحَقنا بهم ذُرِّيَتَهم وما أَلَتْنَاهُمْ من عملهم من شيء) (2) أي وما نَقصْناهُم من عملهم من شيء. فما يدَعُ الرَّغبةَ في تعليمِ أهلِه وولدِه الخيرَ شُحًّا على الإنْفاقِ أو تهاوُنًا به يُفقدهم ذلك الخيرَ، إلاّ جافٍ أو بخيلٌ. إنَّ حُكم الوَلَدِ في الدّين حكمُ والدِه، ما دام طفلاً صغيرا، أفَيَدعُ ابنه الصّغيرَ لا يُعلّمُه الدّينَ، وتَعلّمُهُ (3) القرآنَ يُؤكِّدُ له معرفةَ الدّين؟ أَلَمْ يسمعْ قول الرّسول عليه السّلام: «كلُّ مَوْلُودٍ يُولد على الفِطْرَةِ فأبَوَاه يُهَوِّدانِه أو يُنَصِّرانِه كما تَنَاتَجُ الإبِلُ من بَهيمة جَمْعاء، هل تُحِسُّ مَنْ جَدْعاء (4)، فقالوا يا رسول اللّه: أفرأيتَ مَنْ يموتُ وهو صغير؟ فقال: «اللّهُ أعلم بما كانوا عامِلينَ (5)». فأخبرَ بما يُدرك الولَدَ من أبوَيْهِ ممّا يُعلّمانِه. فَمَنْ [28 ـ ب] ماتَ قبْل أن يَبلُغَ أن يُعلَّمَ، ردّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم أمرَه الى علمِ اللّهِ بهم ما كانوا عامِلين لو عاشوا. فاذا كان وُلْدُ الكافرين يُدركُهم الضّررُ من قِبَلِ آبائهم، انْبغى أن يُدرك أولادَ المؤمنين النَّفعُ في الدّين من قِبَلِ آبائهم. ولقد اسْتَغنَى سَلَفُ المؤمنين أن يتكلَّفوا الاحْتِجاجَ في مِثْل هذا، واكتفوا بما جعل اللّهُ (6) في قلوبهم من الرَّغْبةِ في ذلك فعمِلوا به، وأبقَوْا ذلك سُنَّةً يَنْقُلها الخلفُ عن السَّلَفِ ما احْتُسِبَ في ذلك على أحد من

(1) سورة الفرقان من آية 63 الى آية 74.
(2) سورة الطّور، بعض آية 21.
(3) في الأصل «تعَلُّمُه» لا «تعليمه» كما في (ق.أ).
(4) جدعاء من الجدع وهو القطع، وناقة جدعاء قطع سدس أذنها أو ربعها أو ما زاد على ذلك (لسان العرب). وللنّبيّ عليه السّلام ناقة تسمّى جدعاء.
(5) الحديث في البخاري ومسلم مع خلاف يسير في اللفظ.
(6) في الأصل «بما جعل اللّه» وقد سقطت كلمة «اللّه» في (ق.أ).

الآباءِ، ولا تُبيِّنَ على أحدٍ من الآباء أنّه ترك ذلك رغبةً عنه ولا تَهاونا به، وليس هذا من صِفَةِ المُؤمن المسلم.

ولَوْ ظهرَ على أحدٍ أنه ترك أن يُعَلِّمَ ولَدَه القرآن تَهاونا بذلك، لجُهِّلَ وقُبِّحَ ونَقُصَ (1) حالُه، وَوَضُعَ عن حال أهل القَناعةِ والرِّضا. ولكن قد يُخلِّفُ الآباءَ عن ذلك قِلَّةُ ذاتِ اليدِ، فيكون معذورا حسَب ما يُتبَيَّنُ من صِحّة عُذرِه [29 ـ أ].

وأمّا إنْ كان للولَدِ مالٌ، فلا يَدَعُهُ أبوه أو وَصِيُّهُ ـ إنْ كان قد مات أبوه ـ ولْيُدْخَلِ الكتّابَ، ويُؤاجَر المُعلّمُ على تعليمِه القرآنَ من مالِه حسَب ما يَجب. فإنْ لم يكنْ لِليَتيم وصيٌّ نَظَرَ في أمرِه حاكِمُ المُسلمين، وسار في تَعليمِه سيرة أبيهِ أو وَصيِّهِ. وإنْ كان ببلدٍ لا حاكمَ فيه، نُظِرَ له في مِثلِ هذا، لو اجتَمَعَ صَالِحُو ذلك البلدِ على النَّظرِ في مَصالح أهلِه، فالنظرُ في هذا اليَتيم من تلك المصالحِ.

وإنْ لم يكنْ لليتيم مالٌ. فأُمُّهُ أو أَوْلِياؤُهُ الأقربُ فَالأقربُ به، هم المُرْغبون في القيام به في تعليم القرآن. فإنْ تَطوَّع غيرُهم بحَملِ ذلك عنهم، فلَهُ أجرُه. وإنْ لم يكنْ لليتيم من أهلِه مَن يُعْنَى به في ذلك، فمَنْ عُنِيَ به من المسلمين فلَهُ أجرُه، وإنْ احتَسَبَ فيه المُعلّم فعلَّمَهُ لِلَّهِ عزّ وجلّ، وصَبرَ على ذلك، فأجرُه إنْ شاءَ اللَّهُ يُضَعَّفُ في ذلك، إذْ هِي صنعتُه التي [29 ـ ب] يقومُ منها مَعاشُه، فإذا آثَرَهُ على نفسِه استأْهَلَ ـ إنْ شاءَ اللَّهُ ـ حَظًّا وافِرًا من أجورِ المُؤْثِرين على أَنْفُسِهم. ويكفيكَ من البيانِ عمّا وصفتُ لك من ثَوابِ مَنْ رَغِب في ذلك وسارع اليه، الذي تقدّم عن الرّسول عليه السّلام، اذ قال للمرأة: نعمْ، ولك أجرٌ.

---

(1) في الأصل «نَقُصَ حالُه»، وهو الصّواب كما يبيّنه السِّياق من بعد «ووضع عن حال أهل القناعة» وليس «نُقِّصَ حاله» كما في (ق.أ).

وأمّا تعليم الأُنثى القرآنَ والعلمَ فهو حسنٌ ومن مَصالحها. فأمّا أن تُعَلَّم التَّرسُّلَ والشِّعرَ وما أشبهَهُ، فهو مَخوفٌ عليها. وإنّما تُعلَّمُ ما يُرجى لها صَلاحُه، ويُؤْمَن عليها من فِتْنتِهِ. وسلامَتُها من تعلُّم الخطِّ أنْجى لها. ولمّا أذِنَ النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم للنِّساءِ في شُهودِ العيدِ أمرَهُنَّ أن يُخْرِجْنَ العَواتِق ذواتِ الخُدورِ (1) أو العَواتِقَ وذواتِ الخُدورِ، وأَمرَ الحائض أن تَعْتزِلَ مُصلّى النّاس، وقال: يَشْهدْنَ الخيرَ ودعوةَ المسلمين (2). فعلى هذا يُقْتَبَلُ (3) في تَعليمِهنَّ الخيرَ الذي يُؤمَنُ عليهنّ [30 ـ أ] فيه، وما خِيفَ عليهنَّ منه، فصرفُهُ عنهنّ أفضلُ لَهنَّ، وأوْجبُ على مُتولِّي أمرِهنَّ. فَافْهَمْ مـابيّنـتُ لك، واسْتَهْدِ اللَّهَ يَهْدِ، وكفَى به هاديًا ونصيرا.

واعلَمْ أنَّ اللَّهَ جلّ وعزّ قد أخذَ على المُؤمناتِ فيما عليهنّ، كما أخذَ على المؤمنينَ فيما عليهم، وذلك في قوله جلّ وعزّ: (وما كان لِمُؤمنٍ ولا لِمُؤمنةٍ اذا قَضَى اللَّهُ ورسولُه أمرًا... الاية (4)) وقوله: (والمؤمنين والمؤمنات... الآية) وجمعهما في حُسن الجَزاء في غير آيةٍ من كتابه، وفي قوله تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ المؤمنين والمؤمنات... الآية)، وأمر أزواجَ نَبِيِّه عليه السّلام أن يذكُرْنَ ما سَمِعْن منه صلّى اللّه عليه وسلّم فقال: (واذكُرْن ما يُتْلَى في بُيوتِكُنَّ من آياتِ اللّه والحكمة) (5) فكيف لا يُعلَّمْنَ الخيرَ، وما يُعين عليه ويَصرِفُ عنهنَّ القائم عليهنّ ما يُحذَرُ عليهنّ منه، إذ هو الرّاعي فيهنّ والمسؤولُ عنهنّ، والفضلُ [30 ـ ب] بيدِ اللَّهِ يُؤْتيهِ مَن يَشاء واللَّهُ ذو الفضلِ العظيم.

(1) في الأصل «العَواتق ذوات الخدور» وهو الصّواب، لا «العواتق وذوات الخدور» بالعطف كما في (ق. أ).
(2) حديث في صحيح البخاري (باب في العيدْين).
(3) في الأصل «يقتبل» بمعنى الإقْبال على عمل الشيء واستئنافه، ونُفَضِّلُ هذه القراءة على «يُقْبَلُ» كما في (ق. أ).
(4) سورة الأحزاب، بعضِ آية 36 وهي «وما كان لِمُؤمنٍ ولا لِمُؤمنةٍ اذا قضى اللَّه ورسوله أمرا أن يكون لهم الخِيَرَةُ من أمرِهم، ومَنْ يَعْصِ اللَّهَ ورسولَه فقد ضَلَّ ضَلالاً مُبينا».
(5) سورة الأحزاب بعض آية 34.

البــــــاب الأوّل

ذكرُ ما أراد أن يُبيِّنَ له فيما يأخذُه المعلِّمون على المتعلّمين، وسُنَّةُ ذلك، وما يَصلُح أن يُعلِّم للصِّبيانِ مع القُرآن، وما على المُعلّم أن يُعلِّمَهم إياهُ مِن سائرِ مَصالحهم، وما لا ينبغي له أن يأخذَ مِنهم عليه أجرًا إنْ هُوَ علَّمَهم إياه على الإنْفِرادِ. وهل يُعلّم المسلمُ النَّصرانيَّ، أو يُترِكُ النَّصارى يعلّمون المسلمين؟ وهل يَشْتَرِطُ المُعلّم للحَذقةِ أجلاً معلوما.

قال أبو الحسن: قَدّمتُ فوق هذا الباب ما جاء لِمَنْ علَّم القرآنَ، وبيَّنتُ ما يُؤكِّدُ تعليمَه، والحِرصَ عليه، ويُحذِّرُ مِمّا يُشغِلُ عنه لِئلاَّ يَنساه مَنْ حَفِظَ، بما فيه الكِفايةُ. وفي قول اللّهِ عزّ وجلّ لِنَبيّه عليه السّلام: (قُلْ أيُّ شيءٍ أكبرُ شَهادةً قُلِ اللّهُ شهيدٌ بيني وبينَكم وأوْحَى إليّ [31 ـ أ] هذا القُرْآن لأُنذِرَكم به ومَن بَلَغَ) (1) مَا يُلزِم القيام بتعلُّم القرآن حتّى يَقوم له من يُبلِّغُه الى يوم القِيامةِ. وكذلك قولُه عزّ وجلّ: (ولقد يَسَّرْنا القرآنَ للذِّكْرِ فهلْ من مُدَّكِرٍ) (2). هو مُيَسَّرٌ للذِّكرِ الى يومِ القِيامة، وما اخْتلَفَ المُسلمون أنّ القرآن هو حُجَّةُ اللّهِ على عِباده الى يوم القِيامة، وأنّ على المُسلمين القيامَ به، والدَّعوةَ اليه الى يوم القيامة.

وفي الصَّحيح لِطَلْحةَ بنِ مُصَرِّفٍ (3) قال: سألتُ عبدَ اللّهِ بن أَبي أوْفَى (4): أوصى النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم؟ فقال: لا، فقلتُ: كيف كتبَ على النّاس الوَصيّةَ أُمِرُوا بِها ولم يُوصِ؟، قال: أوْصى بكتابِ

---

(1) سورة الأنعام، بعض آية 19.

(2) سورة القمر، آية 17.

(3) في الأصل «طلحة بن مصرّف» وهو الصّواب، لا «مطرّف» كما في (ق. أ). هو أبو عبد الله طلحة بن مُصرّف: مُقرىء ومحدّث ثِقَة من الكوفة حيث توفّي عام 112 هـ ـ راجع «طبقات» ابن سعد ج 6 ص 308 ـ 309. وراجع الزّركلي ج 3 ص 332.

(4) عبد الله بن أبي أوْفى: صحابيّ ومحدّث ثِقةٌ بالكوفة، مات أعمى سنة 86 هـ.

اللّهِ (1). ومشتهر عند المسلمين أنه جاء عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم أنه قال : تركتُ فيكم أمريْن لن تضلُّوا ما تمسّكْتُم بهما : كتابَ اللّهِ وسُنَّتي.

فهو شيءٌ لا بدّ من تعلّمِه، ولكنَّ مَنْ قامَ به فلَهُ أجرُه، ومن لم يَقُم [31 ـ ب] به ترك حظَّهُ، وأعوذُ باللّهِ أن يَتّفِقَ المُسلمون على تَرك القِيام به، ولوْ كان كذلك لكانتِ الهَلَكَةُ المُبيرةُ، فأعوذُ باللّه من غَضَبِه ومن أن يُنْتَزَعَ كتابُه من صُدور المؤمنين، وأسألُه أن يُثْبِتَ القرآنَ في قلوبِ المؤمنين، وأن يَشرَحَ صُدورهم له، وأن يُقبِلَ (2) بِقُلوبهم على استذكارِه وحُسنِ تَدَبُّره حتى يُفَقِّهَهُمْ فيه على ما بيَّنَهُ لهم الرّسول المُبين، محمَّدٌ خاتِمُ النّبيِّينَ، وصلّى اللّه على سيّدنا محمَّدٍ وآله وصحبِه وسلّم تسليما، فيَهديهم بذلك صِراطَه المستقيمَ، وسبيلَه المستبينَ، الذي دَرَجَ عليه صَالحو سلَفِ المؤمنين (3) فإنّه عزّ وجلّ قال : (ووَصَّيْنا الإنسانَ بوَالديْه حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهنًا على وهنٍ وفِصالُه في عامَيْن أنِ اشْكُرْ لي ولِوالديْكَ الى المصير. وإنْ جاهدَاك على أن تُشْرِكَ بي ما ليس لك به علمٌ فلا تُطِعْهُما وصاحِبْهما في الدُّنيا معروفًا [32 ـ أ] واتّبِعْ سبيلَ من أنابَ إليَّ ثم إليَّ مَرْجِعُكم فأُنَبِّئُكُم بما كنتم تعمَلون) (4).

وأعوذ باللّه من مَضلّات الفِتَنِ التي حَذَّرَ منها ومن كَوْنها في آخر الزّمانِ الرّسولُ عليه السّلام، وأسألُ اللّهَ الكريمَ أن يُدخِلنا برَحمتِه في عِباده الصّالحين، المُعتصمين به المَنصورين، فإنّه قد جاء عن الرّسولِ عليه السّلام أنّه قال : لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي على الحقِّ (5) ظاهرينَ، لا يَضُرُّهم من خَالَفَهم حتّى يأتِيَ أمرُ اللّهِ. وأهلُ الحقّ لا يَزالون يَستشيرون القرآن ويهتدون

(1) حديث في صحيح مسلم.
(2) في الأصل «أن يُقبِل» وهو صوابٌ، والفاعلُ دائما هو اللّه، والمفعول به مفهوم من السّياق أي (المسلمين) ولا فائدة في قراءة «أن يقبلوا» كما في (ق. أ).
(3) في الأصل «صالِحو سلَف المؤمنين» لا «صالحو السَّلَفِ المؤمنين» كما في (ق. أ).
(4) سورة لقمان، الآيتان 14 ـ 15.
(5) الحقّ هنا بمعنى الإسلام، ويستعمل هذا اللّفظ أيضا بمعنى القرآن وكذلك بمعنى اللّه.

في اسْتِبانتِه بما بيّنَهُ الرّسولُ عليه السّلام، مُقتدين في ذلك بما عرَفه أئمّةُ الدّين من سالِف الأمّة المَرْضِيِّين.

ثمّ اعلَمْ أنّ أئِمّةَ المسلمين في صدرِ هذه الأُمّة، ما منهم إلاّ من قَد نَظَرَ في جميع أمورِ المُسلمين بما يُصلحهم في الخاصّة والعامّةِ، فلم يَبْلُغْنا أنَّ أحدا منهم أقام مُعلّمين يُعلّمون لِلنّاسِ أوْلادَهم [32 ـ ب] من صغرهم في الكتاتيبِ، ويَجعلون لهم على ذلك نَصيبًا مِنْ مالِ اللّه جلّ وعزّ، كما قد صَنعوا لِمَنْ كلّفوهُ القِيام للمسلمين، في النَّظرِ بينَهم في أحكامِهم، والأذان لِصَلاتِهم في مساجِدِهِمْ، مع سائرِ ما جعلوه حِفظًا لِامورِ المسلمين، وَحِيطةً عليْهم. وما يُمكن أن يكونوا أغْفَلوا شأنَ معلّم الصّبيان، ولكنّهم ـ واللّهُ أعلمُ ـ رأوْا أنّه شيءٌ ممّا يختصّ أمرُه كلَّ إنسانٍ في نفسِه، إذْ كان ما يَعمَلُهُ (1) المرء لولدِه فهو من صلاح نفسِه المختصِّ به، فأبْقوه عملاً من عملِ الآباء، الذي يكون لا ينبغي أن يَحمِلَه عنهم غيرُهم إذا كانوا مُطيقِيه. ولمّا تَرك أئمّةُ المسلمين النّظرَ في هذا الأمرِ، وكان ممّا لا بُدّ منه للمسلمين أن يفعلوه في أولادِهم، ولا تَطيبُ أنفسُهم إلاّ على ذلك، واتّخذوا لأوْلادِهم معلّما يَختصُّ بهم، ويُداوِمُهم، ويرْعاهم حسب ما يَرعى المعلّم صِبيانَه، وبَعُدَ [33 ـ أ] أنْ يُمكن أن يُوجد مِنَ النّاس مَنْ يَتطوّعُ لِلمسلمين فيعلِّمَ لهم أولادَهم ويَحْبِسَ نفسَه عليهم، ويَترك الْتِماسَ مَعايِشِهِ، وتَصرُّفَهُ في مَكاسبه وفي سائرِ حاجياتِه، صَلُحَ للمسلمين أن يستأجروا مَنْ يَكفيهم تعليمَ أولادِهم، ويُلازمهم لهم، ويَكتفي بذلك عن تَشاغُلِه بغيره.

ويكونُ هذا المعلّم قد حَمَلَ عن آباء الصِّبيان مَؤُونَةَ تأديبهم، ويُبصِّرُهم استقامةَ أحوالِهم، وما يُنَمّي لهم في الخير أَفْهامَهم، ويُبْعِدُ عنِ الشرِّ مالَهم، وهذه عِناية لا يَكْثُرُ المُتطوِّعون بها. ولو انتظر مَنْ يَتطوّعُ بِمعالجة تعليمِ الصّبيان

---

(1) في (ق.ب) وفي (ق.أ) «يَعْلَمُهُ» وهو خطأ، فينبغي أن نقرأ «يَعْمَلُه».

القرآن، لَضاعَ كثيرٌ من الصّبيان، ولَمَا تعلَّم القرآنَ كثيرٌ من النّاس، فتكونُ هي الضَّرورةُ القائدةُ الى السّقوطِ في فَقْدِ القرآنِ من الصُّدور، والدّاعيةُ التي تُثَبِّتُ أطفالَ المسلمين على الجَهالةِ، فلا وَجْهَ لِتَضييقِ ما لم يأتِ فيه ضِيقٌ، ولا ثَبَتَ [33 ـ ب] فيهِ عن الرَّسول عليه السّلام ما يَدُلُّ على التَّنْزيهِ عنه.

ولقد ذكرَ الحارثُ بن مِسكينٍ (1) في تاريخِ سنةِ ثلاثٍ وسبعينَ (2)، أخبرنا ابنُ وَهبٍ (3) قال : سمعتُ مالكًا يقول : كُلُّ من أدركتُ من أهلِ العلم لا يرى بأَجْرِ المعلّمين ـ مُعلّمي الكُتّابِ ـ بأسًا. ولابنِ وهبٍ أيضا في مُوَطَّئِهِ (4) عن عبد الجَبّارِ بن عمر قال : كلّ من سألت بالمدينة لا يرى لتعليم المعلّمين بالأجر بأسا. وللحارث عن ابن وهبٍ قال : وسُئِلَ مالكٌ عن الرّجلِ يَجعلُ لِلرّجلِ عشرينَ دينارا، يُعلّم ابنَه الكِتابَةَ والقرآنَ حتّى يَحذِقَه، فقال لا بأسَ بذلك، وإنْ لم يَضرِب أجلاً. ثم قال : والقرآنُ أحَقُّ ما يُعلّم أو قال عُلِّمَ. وقال ابنُ وهب في مُوطَّئِه : سمعتُ مالِكا يقول : لا بأس بأخذِ الأجرِ على تَعليم القرآنِ والكِتابةِ. قال : فقلتُ لمالكٍ : أفرأيتَ إذا شَرَطَ مع مَالَهُ من الأجرِ في ذلك شيئًا مُسمًّى كلّ فِطْرٍ أو أضحى ؟ [34 ـ أ] قال لا بأسَ بذلك.

قال أبو الحسن : ولقد مرّتْ بِي حكايةٌ تُذكر عن ابنِ وهبٍ أنّه قال : كنتُ جالسًا عند مالكٍ فأقبلَ إليه معلّمُ الكُتّاب، فقال له : يا أبا عبدِ اللّهِ، إنّي رجُلٌ مُؤدِّبُ الصِّبيانِ، وإنّه بَلغَني شيءٌ، فكَرِهْتُ أن أُشارِط، وقد امتَنعَ النّاسُ عليَّ، وليس يُعطونَني كما كانوا يُعطون، وقد اضطررت بِعيالي وليس لي حيلةٌ إلاّ التّعليم، فقال له مالك : اِذْهَبْ وشارِطْ. فانْصرَفَ الرّجلُ. فقال له بعضُ

---

(1) الحارث بن مسكين (أبو عمرو) : قاض وفقيه مالكي ومحدّث ثقة (154 ـ 250 هـ).
(2) المظنون أنّها سنة 173 هـ.
(3) ابن وهب (عبد اللّه بن وهب بن مسلم الفهري المصري) : فقيه مالكي (125 ـ 197 هـ) ـ راجع الزّركلي ج 4، ص 289.
(4) المُوطّأ، هو كتاب في الفقه والحديث رواه عن مالك بنِ أنس تلاميذه.

جُلَسائِه : يا أبا عبدِ اللّه، تَأمُرُه أن يشتَرِط على التّعليم ؟ فقال لهم مالك : نعمْ فمَنْ يُمَحِّطُ (1) لنا صِبيانَنا ؟ ومَنْ يُؤدبُهم لنا ؟ لولا المعلّمون أيَّ شيءٍ كُنّا نكون نحنُ ؟ ويَشُدُّ ما في هذه الحِكاية عن مالك ما ذكرَه ابنُ سَحنون قال : حدّثونا عن سُفيان الثّوري (2) عن العَلاء بنِ السّائبِ، قال : قال ابنُ مسعودٍ : ثلاثٌ لا بُدَّ للنّاسِ منهم، مِنْ أميرٍ يَحكُم [34 ـ ب] بينَهم، ولولا ذلك لأكَلَ بعضُهم بعضًا، ولا بُدَّ للنّاسِ من شِراء المَصاحف وبَيْعِها، ولولا ذلك لبَطَلَ كتابُ اللّهِ، ولا بُدَّ للنّاس من مُعلّمٍ يُعلِّم أولاَدَهم، ويأخذ على ذلك أجرا، ولولاَ ذلك كان النّاسُ أُمِّيين ـ يُريد لولا المَصاحفُ لَنُسيَ القرآنُ ـ وكلُّ هذا يَشُدُّ لك قولي، فتكونُ هي الضّرورة القائدةُ الى السُّقوطِ في فَقْدِ القرآنِ مِنَ الصُّدور.

وقد احتجَّ كثيرٌ من علمائنا في جوازِ أَخذ الإجارةِ بشرطٍ كانت أو بغير شرطٍ أنَّ الناسَ قد عمِلوا به، وأجازُوه، وذَكروا ذلك عن عَطاءِ بنِ أبي رَباح (3)، وعن الحسن البَصريّ (4)، وعن غيرِ واحدٍ من الأئمّة والصّالحين، فَمَنْ زعمَ أنّه يَكرَهُ الشَّرطَ فيه ويُجيزُه بغير شرط لَم فَرَّق بينَهما ؟ هل يَكرَهُهُ اذا اشتَرَط إلاّ من قِبَلِ أنّه أخذَ عِوَضًا على تَعليمِه القرآنَ ؟ وإنّما يَجب أن يُعلِّم لِلّه. أفلَيْس هكذا اذا أخذَه بغيرِ شرْطٍ ؟ ومَنْ عَلِمَ أنّه سَيُعطى [35 ـ أ] أليسَ هو كالشَّرط ؟ وإذا كان مَقامُ التَّعْلِيمِ مَقامَ الصَّدقاتِ التي إنّما يُراد بها وجهُ اللّهِ، كيفَ يَصلح أنْ يُؤخذ عليها عِوضٌ (5) ؟ هذا ما لا يَنْبغي، ولكنَّ ما

---

(1) مَحَطَّ الوتر : أَمرَّ عليه الأصابعَ لِيُصلِحَه، وهنا بمعنى ربى الصِّبيان وأصلَحهم.

(2) أبو عبد اللّه سُفيان بن سعيد الثّوري الكوفي : فقيه ومحدّث مشهور مات عام 161 هـ. راجع «دائرة المعارف الإسلاميّة» ج 4 ص 523.

(3) عَطاء بن أبي رَباح : محدّث مشهور، مات عام 114 أو 115 هـ. راجع «دائرة المعارف الإسلاميّة» ج 1 ص 512.

(4) الحسن البصري : من مشاهير الزُّهّاد وخطيبٌ كانت له مكانةٌ في قلوب أهل البصرة، تُوفّي عام 110 هـ ـ راجع ابن خلّكان «وفيات» ج 1 ص 227.

(5) في الأصل «كيف يصلح أن يُؤخذ (منها) عليها عوض» ومنها زائدة.

يُؤخذ على تعليم القرآنِ، ليس مَعناه أن يُؤخذ مُعاوَضةً هكذا لِعِلّةٍ ما، فَهَمُّ المُعلّم مِن القرآن، إنّما هو (1) عِوَضٌ من العِناية بالتَّعليم، والقِيامِ لرِياضتِه حسَبَ ما تقدّم من أوّلٍ. وما كان إنّما يُعمَلُ لِلَّهِ، لا يجوز أن يُعمَلَ لغير ذلك من الأَعوَاضِ التي تُنال في الدُّنيا، إلاَّ على معنى غيرِ المُعاوَضَةِ من العمَل نفسِهِ الذي لا يكون إلاّ لِلَّهِ.

وذُكِرَ في الصّحيحِ من حديثِ أبي سعيدٍ الخدْرِي (2) قال: انطلق نَفْرٌ من أصحابِ رسولِ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وسلّم في سفْرَةٍ سَافَروها، حتّى نَزَلوا على حيٍّ مِن أحياء العرب فاسْتَضافوهم، فأبَوْا أنْ يُضِيفوهم، فَلُدِغَ سيّدُ ذلك الحيّ، فسَعَوْا إليه بكلّ شيءٍ لا يَنفعه شيءٌ، فقال بعضُهم: لو أتَيتُمْ هؤلاء [35 ـ ب] الرَّهْطَ الذين نزَلوا، لَعلَّهُ أنْ يكون عند بعضِهم شيءٌ. فأتَوْهُم، فقالوا: يا أيُّها الرَّهْطُ، إنَّ سَيِّدنا لُدِغَ، وسعَيْنا له بكلّ شيءٍ لا يَنْفعُه، فهلْ عند أحدٍ منكم من شيء؟ فقال بعضُهم: نَعَمْ واللّهِ انّي لأَرْقَى (3) ولكنْ واللّهِ لقد اسْتَضَفْناكُم، فلم تُضيفونا، فما أنا براقٍ لكم حتّى تجعلوا لنا جُعْلاً، فَصالَحهُم على قطيعٍ من الغَنَمِ، فانْطلقَ يَتفُل عليه ويقرأ: الحمدُ لِلّهِ ربّ العالمين، فكأنّما نَشِطَ من عِقال، فانْقلبَ يَمشي وما به قَلَبَةٌ (4) فقال: فأوفَوْهُم جُعْلَهم الذي صالَحوهم عليه. فقال بعضهم: اِقْسِمُوا. قال الّذي رَقَى: لا تفعَلوا حتّى نأتيَ رسولَ اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، فَنَذكُرَ له الذي كان، فنَنْظرَ ما يأمرُنا. فقدموا على رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم فذكروا له فقال: وما

---

(1) في الأصل «فهمّ المعلّم من القرآن إنّما هو» وليس كما في (ق. أ) «وإنّما».

(2) أبو سعيد سعد بن مالك الخدري الأنصاري الخَزرجي: صحابيّ ومُحدّث، مات عام 74 هـ. راجع الزّركلي ج 3 ص 138.

(3) رَقى يَرقِي رُقْيًا ورُقْيَةً: استعمل الرّقْيَةَ نفعا للإنسان، والرُّقيةُ هي أن يُستعان للحصول على أمر بقُوًى تفوق القُوى الطّبيعيّة، وهنا تِلاوة القُرآن.

(4) قَلَبَةٌ بفتح القاف واللاّم: الدّاء الذي يتقلّبُ منه صاحبُه على فِراشه.

يُديركَ أنّها رُقْيَةٌ ؟ ثمّ قال : قد أصَبْتُمْ، اقْسِموا واضْرِبوا لي معكم سَهْمًا [36 ـ أ]، وضَحِكَ النّبيّ صلّى الّله عليه وسلّم (1).

قال البُخاري (2) : وقال ابنُ عبّاسٍ ، قال النّبيّ صلّى الّله عليه وسلّم : أَحقُّ ما أخذتُمْ عليه أجْرًا كتابُ الّلهِ (3). قال، وقال الحكَمُ (4) : لم أسمع أحدا كرِه أجرَ المعلّم.

وقال الشَّعْبي (5) : لا يَشترِط المعلّمُ إلاّ أن يُعْطى شيئا فيقبَلُه، وأعْطى الحسنُ عشرَةَ دراهمَ. وأما النّسائي فقال : أخبرنا عَمرو بن علي، قال : حدَّثنا محمّد بن جعفر (6) قال : حدّثنا شُعبَة عن عبد الّله بن أبي السَّفْر، عن الشعبيّ، عن خارجةَ بنِ الصَّلْتِ (7)، عن عمِّه قال : أقْبَلْنا من عندِ النّبيّ صلّى الّله عليه وسلّم، فأتيْنا على حيٍّ من العرَب، فقالوا : هل عندكم دواءٌ أو رُقْيَةٌ، فإنّ عندَنا مَعتوهًا في القُيود. فجاءوا بمَعْتُوهٍ في القُيود، فقرأتُ عليه فاتحةَ الكتاب ثلاثةَ أيّامٍ غُدْوَةً وعَشِيَّةً، أجمعُ بُزاقي وأَتْفُلُ، فكأنّما نَشِط من عِقالٍ. فأَعْطَوْني جُعْلاً، فقلتُ : لا. فقالوا [36 ـ ب] : سَلِ النّبيَّ صلّى الّله عليه

(1) حديث رواه البخاري.

(2) البُخاري : من علماء الحديث، سَمِع علماء الحديث في مكّة والمدينة وسافر الى مصر وجال في بلاد آسيا 16 سنة. اشتهرَ بكتابهِ «الجامع الصّحيح» أخرجه عن ستمائة ألف حديث ورتّبه على ترتيب علم الفقه. وله أيضا «التّاريخ الكبير» عن تراجم رجال السَّنَدِ. تُوفّي بِبُخاري عام 256 هـ.

(3) حديث رواه البخاري (باب في الإجارة).

(4) الحكم بن عمرو بن مُجَدَّعِ الغَفّاري : صحابيّ من رواة الحديث، تُوفّي بمَرْو عام 50 هـ.

(5) الشّعبي (أبو عامر بن شَرَحْبيل بن عمرو) : محدّث من جنوبيّ الجزيرة العربيّة، مات قُبيل سنة 110 هـ ـ راجع «دائرة المعارف الإسلاميّة» ج 4 ص 252.

(6) محمّد بن جعفر (أبو عبد الّله)، مشهور باسم غُنْدُر : من أتقياء البصرة ومحدّثيها، تُوفّي عام 193 هـ ـ راجع الزّركلي ج 6 ص 295.

(7) خارجة بن الصّلت : محدّث كوفيّ من الجيل الأوّل بعد الصّحابة، راجع «طبقات» ابن سعد ج 6 ص 197.

وسلّم. فسألتُه. فقال : كُلْ، فلَعَمْري مَنْ أكلَ برُقيةٍ باطلٍ، فلقد أكلتَ بِرُقية حقٍّ.

وقال أبو داود السِّجِسْتاني (1) حدّثنا عن عبد اللّه بن مُعاذ، قال : حدّثنا شُعبةُ بإسنادِه عن خارِجةَ بن الصَّلْتِ عن عبد اللّه، أنّه مَرَّ بقَوْمٍ فأَتَوْه، فقالوا : إنّك جِئْتَ مِن عند هذا الرَّجلِ بخيرٍ فارْقِ لنا هذا الرَّجلَ، فأتوه برجلٍ مَعتوهٍ في القُيود، فرقاهُ بِأُمِّ القرآن ثلاثةَ أيّامٍ غُدْوَةً وعَشِيَّةً، كُلّما ختَمها جَمَعَ بُزاقهُ ثمّ تَفَلَ، فكأنّما أُنْشِطَ من عِقال، فأعْطَوْهُ شيئا. فأتى النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم، فذكر له. فقال له النّبيُّ صلّى اللّه عليه وسلّم : كُلْ فَلَعَمْري فَلمن أكل برقيةٍ باطلٍ لقد أكلتَ برقيةِ حقٍّ.

قال أبو الحسن : فهذا الحديثُ مُوافق للّذي تَقدّمَ ذكرُه عن الصّحيح يُصدّق بعضُه بعضا، في إجازةِ أخذِ الإجارةِ على كِتابِ اللّه مِمَّن يَنتفعُ به. وقد بُيِّنَ في حديث أبي سَعيد الخدري، أن الرَّاقي يَشترِطُ عليهم [37 ـ أ] الجُعْلَ على رُقيَتِه وهو إتفالُهُ في ذلك العَناءِ الذي عَنِيَ بالملدوغ حتّى شفاه اللّه بكتابه. وفيه قال النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم واضْرِبوا لي معَكم بِسَهْمٍ. فذهبَ عن هذا الكسبِ الذمُّ كلُّهُ، ولا إعافة فيه، ولا فيما مَعناه مَغْنًى.

وفي حديث خارِجةَ بن الصَّلتِ، عن عَمِّهِ. أنَّ أهلَ المعتوهِ أعطَوْهُ، ولم يكن شَرَطَ. فذَكَر عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم إباحَته له، وإنْ كان لم يَشتَرِط. وبَيِّنٌ في حديثِ النّسائي أنّه أبَى أن يأخذَ، فقالوا له : سَلِ النّبيَّ صلّى اللّه عليه وسلّم، وفي هذا بيانُ أنّه رَقَى، ولم يكنْ في نفسِه أخذُ شيءٍ، فلم يمنع

(1) أبو داود سُليمان بن الأشعث الأزدي السِّجستاني، ولد عام 202 هـ، ورحل منذ شبابه في طلب الحديث وتتلمذ ببغداد للإمام أحمد بن حنبل ثمّ استقرّ بالبصرة حيث مات عام 275 هـ. له في الحديث «كتاب السّنن» ـ راجع «دائرة المعارف الإسلاميّة ج 1 ص 85.

من قَبولِه. وما في حديث أبي دَاوُدَ أنّه أخذَ ما أعطَوْهُ، وإذا كان لم يَأخذ ما أعطِي حتى سأَلَ، فيُحْتَمَلُ أنَّ قول النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ إنْ صحَّ الحديثُ كُلّ الى آخره ـ معناه الإذنُ له ـ فيما يُستَقْبَلُ ـ أن يفعل ذلك، ليأخذ عليه الأجرَ [37 ـ ب] ولا يَتَأَثَّمُ منه. وما في نصّ حديثِ خارجةَ، ما يَدُلّ على أنّه أخذ من هذا المعتوه شيئا بعد إذْنِ النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم في ذلك. وكذا يُحتمل أنه ما فعل لأنّ قَصدَهُ في أوّل رُقياه إنّما كان لِلّهِ عزّ وجلّ احْتِساباً، والاِحْتِسابُ لا يَصلُح أخذُ العِوَضِ منه.

فإنْ قيلَ: فقد قال ابنُ وهبٍ (1) أخبَرَني عمرو بن الحارث (2)، واللّيثُ بن سعد (3)، عن سُليمان بن عبد الرّحمن عن القاسمِ بن أبي عبدِ الرّحمن، أنّه بَلغهُ أنَّ رجلا من الأنصار (4) جاء النّبيَّ صلّى اللّه عليه وسلّم ومعه قوسٌ، فأبصرَها النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم فقال: من أيْنَ لك هذه القَوْسُ فقال: أعْطانِيها رجلٌ مِمَّن يَسْتَقْرِئُني. فقال: أُرْدُدْها وإلاّ فقوسٌ من نارٍ. وقال اِقْرَءوا القرآنَ ولا تَأكلُوا به، ولا تَرَاءَوْا به، ولا تَسَمَّعُوا به.

قال أبو الحسن: هذا يُوضِّحُ لك أنّ [ذلك] في الصّحيح له أصلٌ، كما بحديث خارجةَ بنِ الصّلتِ الذي [38 ـ أ] قَدَّمْناهُ. فأمّا قولُه اِقْرَءُوا القرآنَ الى

---

(1) ابن وهب (أبو محمّد عبد اللّه بن وهب بن مسلم الفهري المصري) (125 ـ 197 هـ): مالكيٌّ من أعلام فقهاء مصر ومُحدّثٌ ـ راجع الزّركلي ج 4 ص 289.

(2) عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري (أبو أُمَيَّةَ)، ولد بالمدينة عام 90 هـ، وهو فقيه ومحدّث كبير اشتهر بمصر حيث مات عام 147 هـ راجع الزّركلي ج 5 ص 242.

(3) اللّيث بن سعد (أبو الحارث اللّيث بن سعد بن عبد الرّحمن الفهمي): فقيه ومحدّث مصريّ شهير (94 ـ 175 هـ) ـ راجع الزّركلي ج 6 ص 115.

(4) الأنصار هم الذين آوَوْا الرّسول عليه السّلام وناصرُوه بالمدينة. ـ راجع «دائرة المعارف الإسلاميّة» ج 1 ص 362 ـ 363.

آخرِ الحديثِ، فمعناه ليس من معنى الإجارة على تعليم القرآن والرُّقْيا به في شيءٍ (1). إنّما معنى ما صَحَّ نَقلُه من هذا، عيبُ مَنْ لا يَقرأ القرآنَ إلاّ لِيَأكُلَ به، أي من أجلِ أنّه يقرأُ القرآنَ يُطْعَمُ، فيقرأُ هو القرآن لهذه العِلَّة. وقارِئُهُ للرُّقيا ولِلتَّعليم، إنّما يريد به نَفْعَ المُرْقَى والمعلَّم بالعِوَضِ ليس مِنْ قِراءَتِه القرآنَ، إنّما هو من عِنايتِه بالمُرْقَى والمُعلَّمِ. والأجرُ المَعيبُ إنّما يُطْعَمُ لِقراءتِه. وللإطعامِ قرأَ، لا لِيَنْفَعَ بقراءته أحدا. ألا تَرى كيف قِيل: ولا تَرَاءَوْا به ولا تَسَمَّعوا به. وقصد هَذَيْن (2) الثَّناءَ عليهما بما أظهرَا من ذلك، كما قصدَ الآخر أن يأكلَ به لا منفعة في ذلك لأحد.

وأمّا قِصّة القَوْس فقد قال فيها أبو داود: حدّثنا أبو بكر بن أبي شَيْبَةَ (3)، قال: حدّثنا وَكيعٌ (4)، وحُمَيْد بن عبدِ الرّحمن الرُّؤاسي، عَن مُغيرةَ [38 ـ ب] بن زِيادٍ (5)، عن عُبادةَ بنِ نُسَيْ (6)، عن الأسود بن ثَعلبةَ (7)، عن عُبادة بن الصَّامِتِ (8)، قال: علَّمتُ ناسًا من أهل

(1) قال ابن أبي زيد القيرواني في الرُّقَى: «ولا بأس بالاسْترقاء من العين وغيرها والتعوُّذ...» وقال: ولا بأس بالاكتواء والرُّقَى بكتاب الله، وبالكلام الطَّيب ولا بأس بالمُعاذةِ تُعَلَّقُ وفيها القرآن» (راجع رسالة ابن أبي زيد القيرواني ـ باب في التَّعالج وذكر الرُّقَى... ص 320).

(2) هذين أي من قرآه لِلرُّقْيا وَلِلتّعليم.

(3) أبو بكر بن أبي شيبة: محدّث من القرنْ الثّاني. راجع «الفهرست» لابن النَّديم ص 229.

(4) وَكيعُ بن الجَرَّاحِ: محدّث كوفيّ، توفّي عام 196 هـ. راجع «الفهرست» ص 34.

(5) مُغيرة بن زِياد: مُحدّث عراقي ـ راجع «طبقات» ابن سعد ج 7 ص 487.

(6) عُبادة بن نُسَيْ الكِندي الشّامي الأردني، قاضي طَبَرِيَّةَ ومحدّث ثِقَةٌ مات عام 118 هـ. راجع «طبقات» ابن سعد ج 7 ص 456.

(7) الأسود بن ثَعلبةَ اليَرْبوعي: صحابيّ ومحدّث ـ راجع «طبقات» ابن سعد ج 6 ص 45.

(8) أبو وليد عُبادة بن الصّامت بن قيس الأنصاري الخَزْرجي: صحابيّ وأوّل قاض لفلسطين، تُوفّي عام 34 هـ. راجع «الطّبقات الكبرى» لابن سعد ج 5 ص 387.

الصُّفَّةِ (1) الكتابَة والقرآن، فأَهدَى لي رجلٌ منهم قَوْسا، فقلتُ : ليستْ بمالٍ، وأَرْمي عليها في سَبيلِ اللّه، لآتِيَنَّ رسولَ اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، فَلأَسْأَلَنَّهُ. فأتَيْتُهُ، فقلتُ : يا رسولَ اللّه، رجلٌ أَهْدَى لي قوْسا مِمَّن كنتُ أُعَلِّمُه الكتابةَ والقرآنَ، وليست بمالٍ، وأَرْمي عليها في سَبيلِ اللّهِ. فَقال : إنْ كنتَ تُحبّ أن تكون طَوْقا مِن النّار فاقْبَلْها.

وقال : حدّثنا عمرُ بن عُثمانَ (2) وكُثَيْرُ بن عبيد، قالا : حدّثنا مَعبد (3)، قال : حدّثني بِشرُ بن عبدِ اللّه بن بشار. قال عمرو : قال حدَّثني عُبادة بن نُسَيْ، عن جُنادةَ بن أبي أُميّةَ (4)، عن عُبادة بن الصّامت بنَحْوِ هذا الخبر، والأولُ أتمُّ، فقلتُ ما تَرى فيها يا رسول اللّه، فقال جمرة بين كَتِفَيْك تَقلَّدْتَها أو تَعَلَّقْتَها.

قال أبو الحسن : هذه الأسانيدُ ليس بمثلِها [39 ـ أ] تَضيقُ ما دلّت الأسانيدُ الصّحيحةُ على جَوازِه وسَعَتِهِ، ولوْ ثبتَ نقلُ حديثِ هذه القَوْسِ على ما ذُكر، لَتَوجَّهَ الى معانٍ : منها أنّ المعلّم إنّما كان يُعلِّمُه لِلّهِ، لا يَرجو على ذلك من المتعلِّم أخذَ شيءٍ من الدُّنْيا، فيُمكن أن يكون هذا المتعلِّم ممَّن لا يصلُح أن يُقبَلَ منه تَطوُّعُ عَطائِهِ، ورأى هذا المعلّم أنّ القوسَ ليستْ مالاً كما قال، وإنّما هي آلةٌ يُستعان بها في الحربِ. ولعلَّ مُعْطِيها لا يَصلُح لشُهودِ الحرب، فرأى

---

(1) أهل الصُّفَّةِ : جماعة كانوا يلازمون مسجد المدينة للعبادة.

(2) عمرُ بنُ عُثمان بن عفّان : محدّث مدنيّ من الجيل الأوّل ـ راجع ابن سعد «الطّبقات» ج 5 ص 151.

(3) مَعبَد. هناك اثنان :
أ ـ مَعبد بن خالد الجُهَني : صحابيّ مات عام 72 هـ.
ب ـ معبَد الجُهني البصري : محدّث ثِقة مات عام 80 هـ. راجع الزّركلي ج 8 ص 176 ـ 177.

(4) جُنادةُ بن أبي أُميَّة : صحابيٌّ وأحد الفاتِحين في عهد بني أميّة. مات عام 80 هـ. راجع «الطّبقات» لابن سعد ج 7 ص 439.

المعلّم أنَّ أخذَه إياها لِيُقاتِلَ بها في سبيلِ اللّه يَتَّسِعُ له، فأخذَها لِيَسْتشيرَ فيها رسولَ اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، كما نُصَّ في حديث أبي دَاود هذا له، فقال له : إنْ كنتَ تُحبُّ أن تُطوَّقَ طوْقا من النّار فاقْبَلْها. فَمَثَّلَ له العُقوبةَ في أخذِها بما جاء من العُقوبةِ في أكل أموالِ اليَتامى ظُلمًا، (إنّما يأكُلون في بُطونهم نارًا). والقوسُ ليستْ تُؤكَلُ [39 ـ ب] إنّما تُوضَعُ على العُنُقِ وبينَ الأكتافِ، لأنّها تُتَقَلَّدُ، إذْ رأى رسولُ اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم أن أخذَه إياها مِنَ الظُّلمِ لِدَافِعِها، إذْ ليس ذلك واجبا عليه، إذ كان تَعليمُه من وجه الصَّدَقةِ عليه، وهو ممَّن لا يصلُح له أن يُعْطَى.

ويمكن أن يكون هذا كما قال ابنُ حبيب (1) على إثْرِ رِوايتِه لِقصّة القوْس. إنّما تأويل هذا النّهي، ومعنى هذا الحديثِ، أنَّ ذلك كان في مُبْتَدَإِ الإسلامِ، وحين كان القرآنُ قليلا في صدور الرّجال، غير فاش ولا مستفيض في النّاس، وكان الأخذ على تعليمه يومئذ، وفي تلك الحالِ، إنّما كان ثمَنًا للقرآن. وأما بعدَ أن صار فاشيًا في النّاس، قد أثْبَتوه في المَصاحف، وصارتِ المَصاحفُ وما فيها مُباحةً لِلجاهلِ والعالِمِ، وللقارىء وغيرِ القارىء، غيرَ محجوبةٍ ولا مَمنوعةٍ، ولا مَطْلوبةٍ الى قوم [40 ـ أ] دونَ قوم ، ولَا مَخصوصٍ بها قومٌ دون غيرِهم، فإنّما الإجارةُ على تعليمِه إجارةُ البدَنِ المُشتَغِل بذلك، وليس ثمنًا للقرآن، كما أن بيعَ المصاحف إنما هو بيع لِلرُّقوق والخطِّ والصَّنْعةِ، وليس بيعا لما فيها، لانَّ الذي فيها موجودٌ غيرُ مَطلوبٍ الى أحدٍ، ولا محجوبٍ عن أحد، ولا مَمنوع من أحدٍ، ولا مخصوصٍ به بائعُ المُصحَفِ دون مُشْتريهِ. وكذلك تعليمُ ما في المَصاحف إنّما هو ثمنٌ وإجارة للمعلّم في اشْتِغالِه بمَنْ علّمَه، وانفرادِه بمن علّمه، وشغَلَ نفسَه بمَن قعَدَ لِتَعليمِه. وقد علّم الكتابةَ

(1) أبو مَروان عبد الملك بن حبيب السّلمي : فقيهٌ أندلسي مشهور، رحل الى المدينة وأخذ الفقه المالكي ونقله الى الأندلس. له مؤلّفات عديدةٌ منها «شرح موطّأ مالك» راجع «دائرة المعارف الإسلاميّة» ج 2 ص 402 ـ 403.

والقرآنَ رجالٌ من أئِمّةِ هذا الدّينِ، لم يَرَوْا به لأَنْفُسِهم بأسا ولم يُرَ لهم به بأسٌ (1).

قال أبو الحسن : يُريد ابنُ حَبيب بقوله : وصارتِ المَصاحف مُباحةً غيرَ مَحجوبةٍ ولا ممنوعةٍ، أي مَنْ أرادَ شِراءَها أوِ اكْتِتابَها وجَدَ ذلك مُمْكِنًا، فَإِذْ كان كذلك [40 ـ ب] وكذلك أيضا مَن أرادَ أن يتعلّم القرآنَ من عِند المُعلّمين يَجِدُه كثيرا غيرَ محجوبٍ ولا مَمْنوعٍ اذا أَعطى عليه الإجارةَ، كما يُعْطِي الثَّمنَ في المَصاحف لِيَشْتَرِيَ منها ما يَجوز شراؤُه، كذلك يُؤاجَرُ من المُعلّم ما يَجوز إجارتُه من اشْتِغالِه به، وحركاتِه في تعليمِه. وهذا كلُّهُ حسَب ما قدّمتُ لك من البَيان كلّه يُؤَكِّدُ بعضُه بعضًا، ويُجيز إجارةَ المُعلّمِ على تعليم القرآن، ويُجيزُ للمعلّم أن يأخُذَ الأَجْرَ على ذلك، ولا يَضُرُّهُ أخذُ الأجرِ شيئا اذا وَفَّى بِشروطِ التَّعليم. وقد قدّمتُ لك قولَ مالكٍ عن كلّ مَن أدركَ أنّهم يُجيزون إجارة المعلّمين. وقد قال سَحنون : قال ابنُ وهب : قال مالكٌ : لا بأسَ بما يَأْخُذُ المُعلّم على تَعليم القرآنِ وإنِ اشترَطَ شيئا كان له حَلالاً جائزًا، ولا بأسَ [41 ـ أ] بالاِشْتِراطِ (2) في ذلك. وحَقُّ الخِتمةِ (3) له واجبٌ، اشْترَطَها أو لم يَشْتَرِطْها، وعلى ذلك أهلُ العِلْمِ بِبَلَدِنا.

الحارثُ عَنِ ابنِ وهبٍ، قال : سُئل مالكٌ عن الغُلام يُدْفَعُ الى المعلّم يُعلِّمه ثُلثَ القرآن، ويُشْتَرَطُ ذلك عليه بشيءٍ مُسمًّى، فقال : لا أرى بذلك بأسًا.

---

(1) في الأصل «ولم يُرَ لهم به بأسا» والصّواب «بأْسٌ».

(2) في (ق.ب) وكذلك في (ق.أ) «بالاِشْتراك»، والصّواب «بالاشتِراطِ» كما تؤكّده رواية محمّد بن سحنون (س) (راجع كتاب آداب المعلّمين، ط. 1972 ص 83).

(3) الخِتمة، مصطلح بمعنى «حفظ القرآن كلِّه» كما تفيد «حفظ جزءٍ مُعيَّنٍ منه». وقد تستعمل بمعنى الإجارة على الجزء المحفوظ من القرآن أو على الكتّاب كلّه.

قال أبو الحسن : ولقد مرَّتْ بِي حِكاية لِموسى بن مُعاوية (1) عن معْنٍ بن عِيسى (2)، قال : جاء رجلٌ الى مالكٍ قال : عَلَّمْتُ رجلاً سُورةً بالأَجْرِ، قال : لا بأسَ به.

قال أبو الحسن : وتعليمُ سورةٍ على المعلّم فِي حفظِ المتعلّم لها عناء وشغل (3)، فيُمكن أخذُ الأجرِ على ذلك.

وحكايةٌ أخرى عن عليّ بن أبي طالب (4) قال : لا بأسَ أن يأخُذَ الرّجلُ من الرّجلِ الأجرَ على تعليم القرآنِ، ولا يَجوزُ له إن قال له : افْتِني هذا الحرفَ [41 - ب] بِجُعْلٍ، أنْ يأخذَ منه عليه جُعْلاً، لأنَّ الحرفَ أمرٌ يسير، أو هو مِثْلُ رجلٍ يُريد الإسلامَ فيقول للرّجل : عَلِّمْني الإسلامَ، فيقول له : فَاعْطِني على تَعليمي إياكَ جُعْلاً، فإنّ هذا أيضا لا يَجوزُ مع ما فيه مِن القُبح. قال أبو الحسنِ : فهذا يُبَيِّنُ لك أن ما لم يكن على المعلّم في تعليمِه من الخير مؤونَةُ كُلْفَةٍ وتَشاغُلٍ، أنَّ عليه أنْ يُعلّمَه لِمَن لا يَعْلَمُه إذا كان لا بُدّ من تعليمِه في الوقتِ. ومثْلُ هذا لو أنَّ أحدا من أهل الكُفر أتى لُمسلم، فسأله أنْ يُعلّمَه الإسلامَ لَوَجَبَ عليه أن يُعلِّمَه ذلك، ولا يسألُه عليه أجرًا. وإذا علّمه الإسلامَ فَلْيُعَلِّمْهُ ما يكون به مُسلما : مِن الشَّهادةِ، وصِفَةِ الفُروض، يُخبرُه أنّ

---

(1) موسى بن مُعاوية الصُّمادحي : فقيهٌ ومُحدّث قيرواني، رحل الى المشرق وتتلمذ لمشاهير العلماء بالمدينة والكوفة والبصرة ثمّ عاد الى القيروان حيث مات سنة 225 هـ. راجع «طبقات» أبي العرب، ط. تونس 1968 ص 106.

(2) مَعْنٍ بنِ عيسى : تلميذ مالك وصديقُه، مات سنة 198 هـ - راجع «دائرة المعارف الإسلاميّة» ج 4 ص 22.

(3) في الأصل «لها غِنًى وشغلٌ»، والسّياق يفرض قراءة «لها عَناءٌ وشغل».

(4) علي بن أبي طالب : ابن عمّ الرّسول عليه السّلام ومن المُبادرين الى اعتناق الإسلام، وهو ثالث الخلفاء الرّاشدين.

طالب بالخلافة بعد مقتل عثمان فانقسم المسلمون وتحاربوا في وقعة الجمل، وخرج عليه معاوية في وقعة «صفّين». قتل سنة 40 هـ. راجع «دائرة المعارف الإسلاميّة» ج 1 ص 285.

عليه خمسَ صَلواتٍ يُصَلِّيهنَّ على طَهارةٍ في كلِّ يوم وليلةٍ، ويُوقِفُهُ على عدد ركوع كُلِّ صلاةٍ، ويُريه كيفَ [42 ـ أ] الرُّكوعُ، وكيف الصَّلاةُ، وإنْ لم يَجد من يُعلِّمه القرآنَ وجبَ على هذا الذي ابْتُلِيَ به أنْ يُعلِّمه أُمَّ القرآن (1) لِيصليَ بها، ولا يأخذُ منه على شيء من ذلك أجرًا. ثُمَّ يذهب هذا الدَّاخِلُ في الإسلام فيتعلَّمُ ما يَحتاجُ اليه مِن زيادةٍ على ما يجب عليه في يومِه، ويصير الى حال الواجِدين للتَّعليم بالأُجرة. والذي أجازَ أهلُ العلم أخذَ الإجارةِ على تعليمِه القرآنُ والكتابةُ، ليس بين مَن يُجيز الإجارةَ على التَّعليم اختلافٌ في ذلك.

فأمّا تعليمُ الفِقهِ والفرائضِ (2)، يستأجرُ الرّجلُ مَنْ يُعلِّمُ ولَده ذلك، فَسُئِلَ ابنُ القاسِم (3) عنه فقال: ما سَمِعتُ ـ يعني من مالك ـ فيه شيئا، إلاّ أنّه كَرِهَ بَيْعَ كُتُبِ الفِقه، فإنّا نرى الإجارةَ على تعليم ذلك لا تُعجِبُني، والشَّرط على تعليمها أَشَرُّ.

وأمّا ابن سَحنون فذكر في كتابه (4)، قال [42 ـ ب] قال مالكٌ: لا أرى أن يجوز إجارة من يُعلِّم الفقهَ والفرائضَ.

---

(1) أمّ القرآن هي الفاتحة.

(2) في الفرائض انظر رسالة ابن أبي زيد القيرواني (باب جُمل من الفرائض والسّنن الواجبة والرّغائب ص 286 وما بعدها)

(3) ابن القاسم (عبد الرحمان) من أتباع مالك عرّف الإفْريقيّين بمذهبه بواسطة تلميذه سَحنون بن سعيد. له كتاب «المدوّنة» وهو مجموع إجابات عن أسئلة طرحها عليه تلميذه أسد بن الفرات في الفقه.

راجع «دائرة المعارف الإسلاميّة» ج 2 ص 416 ـ 417.

(4) يعني «كتاب آداب المعلّمين».

وقال لأبيهِ (1) : رَوى بعضُ أهل الأندلسِ أنّه لا بأسَ بالإجارة على تعليم الفقه والفرائض والشّعرِ والنّحو، وهو مِثْلُ القرآن، فقال : كَرِهَ ذلك مالكٌ وأصحابُنا، وكيفَ يشبه القرآن، والقرآن له غايةٌ يُنْتَهى اليها، وما ذكرتَ ليس له غايةٌ يُنْتَهى اليها، فهذا مجهولٌ، والفقهُ والعلمُ أمرٌ قد اختُلِفَ فيه، والقرآنُ هو الحقُّ الذي لا شكّ فيه، والفقهُ لا يُسْتَظْهَرُ مثلَ القرآن، وهو لا يُشبِهُهُ، ولا غايةَ له ولا أمدَ يَنْتَهِي اليه.

قال ابن حبيب : قلت لأَصْبَغَ (2) فكيف جَوَّزْتُمُ الشَّرطَ على تعليم الشِّعر والنَّحوِ والرَّسائلِ، اذا لم تُسَمُّوا لذلك أجَلاً، وهو ممّا ليس له مُنتهَى يُنْتَهى منه الى حدٍّ معروفٍ. فقال لي : هو عندنا معروفٌ بمنزلةِ الخِياطَةِ والخَبْزِ، وقد أجاز مالكٌ الشَّرطَ على [43 ـ أ] تعليم الخِياطة والخَبْز، وما أشبَهَ ذلك من الصِّناعاتِ، فإذا بلغَ من ذلك مَبْلَغَ أهلِ العِلمِ به مِنَ النّاس، وجَبَ في ذلك حَقُّهُ.

قال أبو الحسن : أمّا الاِسْتِئجارُ على تعليم الشِّعر لِوَلَدِه، فقال فيه ابنُ القاسم : قال مالكٌ : لا يُعجِبُني هذا (3). والذي اختلف فيه من قدَّمنا ذكره، إنَّما هو في إفْرادِ المُعلّم بالإجارة على غير القرآن والكتابِ، فأمّا ما كان من مَعاني التَّقْوِيَةِ على القرآن : من الكتابة والخطِّ، فما اختلَفوا فيه.

---

(1) في (ق.ب) وكذلك في (ق.أ) «وقال لابنه»، والصّواب «وقال لأبيه» أي محمّد لأبيه سحنون. وهذه القراءة تؤكّدها رواية (س). فقد جاءت الفقرة المنقولة من «كتاب آداب المعلّمين» (ص 136) كمال يلي :

«قلت (أي محمّد بن سحنون) : روى بعض أهل الأندلس الخ... فقال (أي سحنون) : كره ذلك مالكٌ وأصحابُنا».

(2) أَصْبَغُ بن الفرج بن سعيد بن نافع : من كبار الفقهاء المصريّين وكان كاتب ابن وهب ـ مات عام 225 هـ ـ راجع الزّركلي ج 1 ص 336.

(3) في تعليم الشّعر يقول ابن أبي زيد القيرواني في رسالته : «ولا بأس بإنْشاد الشّعر وما خفَّ من الشّعر أحسن، ولا ينبغي أن يكثر منه ومن الشّغل به وأولَى العلوم وأفضلُها وأقربها الى الله علمُ دينِه وشرائعه...» (الرسالة ص 326).

ولقد ذكرَ ابن سَحنون أنّه يَنبغي أن يُعلّمهم إعرابَ القرآن، ذلك لازمٌ له، والشّكلَ والهجاءَ والخطَّ الحسنَ، والقراءةَ الحسَنةَ بالتَّوْقيفِ والتَّرْتيلِ (1)، يَلزَمُه ذلك، ويلزَمُهُ أَنْ يُعلّمهم ما عَلِمَ من المَقارِىءِ الحَسَنةِ وهو مَقْرَأُ نَافِعٍ (2)، ولا بأسَ إنْ أَقْرأَهم بغيرِه إذا لم يكن مُسْتَشْنَعًا (3) [43 ـ ب]، ولا بأسَ أن يُعَلِّمَهم الخُطَبَ إنْ أرَادوا. قال: ويُعلِّمُهم الأدب، فإنه منَ الوَاجِبِ لِلَّهِ عليه، وهو من النَّصيحةِ لهم وحِفْظِهم ورِعايتِهم.

وينبغي للمُعلّم أنْ يأمرَهم بالصّلاة إذا كانوا بَني سَبْعِ سِنِين، ويَضربَهم عليها إذا كانوا بني عَشرٍ. وكذلك قال مالكٌ، أخبرَنا عنه عبدُ الرّحمن وقال: قال مالكٌ: يُضرَبون عليها بنحو عشرٍ، ويُفَرَّقُ بينَهم في المَضاجِع. قلت الذكورُ والإناثُ؟ قال: نعم.

قال: ويلزَمُه أن يعلّمهم الوضوءَ والصّلاةَ لأنَّ ذلك من دينِهم، وعددَ رُكوعِها وسجودِها، والقراءةَ فيها والتكبيرَ، وكيفَ الجلوسُ والإحرامُ والسَّلامُ وجميعُ التّكبير، وما يلزَمهم في الصّلاةِ، والتَّشهدِ والقُنوتِ في الصُّبح، فإنه من سُنَّةِ الصَّلاة، ومن واجبِ حَقِّها (4). ولْيُعلِّمْهُمُ الصَّلاةَ على الجنائزِ والدعاءَ

---

(1) قال ابن منظور في «لسان العرب» (ج 13 ص 381 من ط. الدّار المصريّة للتّأليف والترجمة) في صفة قِراءة النّبيّ عليه السّلام: «كان يُرتّل آيةً آيةً ـ ترتيلُ القراءة التّأنّي فيها والتّمهّلُ وتَبْيِينُ الحروف والحركات».

(2) نافع: هو أحد القرّاء السّبعة وقراءتُه فَرَضَتْ نفسَها أوّلا على أهل المدينة وتبنّاها أهلُ المغرب.
ولد نافع بالمدينة ومات بها عام 169 هـ.

(3) في الأصل «مستشنَعٌ» والنّصبُ الصّواب.

(4) راجع جميع هذه المصطلحات في رسالة ابن أبي زيد القيرواني (باب صفة العمل في الصّلوات المفروضة وما يتّصل بها من النّوافل والسّنن) ص 56 ـ 72.

عليها (1)، فإنّه من دِينِهم، وينبغي [44 ـ أ] له أنْ يُعلِّمهم سُنَنَ الصّلاةِ، مثلَ رَكْعَتَيْ الفجرِ، والوترِ، وصَلاةِ العِيدَيْن (2)، والاِسْتِسقاء (3)، والخُسوف (4)، حتى يُعلِّمَهم دينَهم الذي تَعَبَّدَهُمُ اللّهُ عزّ وجلّ، وسُنَّةَ نَبِيِّهم صلّى اللّه عليه وسلّم، ولْيَتَعَاهَدْهُم بتعليم الدُّعاء لِيَرْغَبوا إلَى اللّهِ عزّ وجلّ، ويُعَرِّفهُم عظمتَه وجلالَه، لِيَكْبُروا على ذلك. واذا أُجْدَبَ النّاسُ، فاسْتَسْقَى بهم الإمامُ، فأحبُّ للمعلّم أن يخرج مِنهم بمن يَعرِفُ الصّلاةَ (5) لِيَبْتَهِلوا الى اللّه عزّ وجلّ ويرغبوا اليه، فإنّه بَلغني أنَّ قومَ يُونس عليه السّلام لمّا عايَنوا العذابَ خرَجوا بِصِبيانهم يتضرّعون الى اللّه تباركَ وتَعالى بهم معهم، فرفع عنهم.

ويَنبغي له أن يُعَلِّمهم الحسابَ، وليس ذلك بلازمٍ له إلاَّ أن يُشْتَرَطَ عليه ذلك، وكذلك الشّعرَ، والغريبَ، والعربيّةَ، وجميعَ النّحوِ، هو في ذلك متطوّعٌ. ولا بأسَ أن يُعلّمهم الشّعرَ ممّا لا يكون فيه [44 ـ ب] فُحْشٌ، ومن كلام العرب وأخبارِها، وليس ذلك بواجبٍ عليه، كُلُّ هذا عندَ سَحنون لا

---

(1) راجع رسالة ابن أبي زيد (باب في الصّلاة على الجنائز والدّعاء للميت ـ ص 108 ـ 144)، وكذلك (باب في الدّعاء للميت ـ ص 108 ـ 114)، وكذلك (باب في الدّعاء للطفل والصلاة عليه وغسله ـ ص 114 ـ 116).

(2) راجع رسالة ابن أبي زيد (باب في صلاة العيدَيْن والتّكبير في مُنَى) ص 98 ـ 100.

(3) راجع رسالة ابن أبي زيد (باب في صلاة الاِسْتِسقاء) ص 102.

(4) راجع رسالة ابن أبي زيد (باب في صلاة الخسوف) ص 100 ـ 102.

(5) ينبغي أن نقرأ «بمن يعرف الصّلاة» كما في (س)، وكلمة الصّلاة ساقطة في (ق.ب) وفي (ق.أ).

في كتاب آداب المعلّمين «لمحمّد بن سحنون» نقرأ ما يلي: «واذا أجدبَ النّاسُ واسْتَسْقَى بهم الإمامفأَحَبُّ لِلمُعلِّم أن يخرج بهم، مَنْ يَعرفُ الصّلاة منهم وليبتهلوا الى اللّه...» ص 111.

الله عليه وسلم انه قال ان من الشعر لحكمة فاما انما
الشعر كلام مما ادري ولكن ثبت عن الرسول عليه
السلام قوله لان يمتلئ جوف احدكم قيحا خير له من
ان يمتلئ شعرا يعني خير له من ان يمتلئ شعرا معناه وثبت
ايضا قوله لان يمتلئ جوف رجل قيح معناه فيما قال
بعض العلماء ان يكون الشعر غالب على الانسان حتى
يصده عن ذكر الله عز وجل و العلم والقران وثبت
ايضا ان الرسول عليه السلام قال اصدق كلمة قالها
الشاعر الا كل شيء ما خلا الله باطل وكاد امية بن ابي
الصلت ان يسلم معناه لما في شعره من الثناء على الله فلم
ينفعه ذلك اذا مات ولم يجب الى الاسلام واما لبيد
فقد اجاب الى الاسلام ويقال انه كف نفسه في الاسلام
عن قول الشعر تعظيما للقران والله اعلم ولبيد بعد

بأسَ أن يُعلِّمه الذي يُعلِّمُ القرآنَ والكتابة، يتطوَّعُ به، أو يُشْتَرَطُ عليه (1).
فأمّا إقرارُه بالإجارةِ على تعليم هذه الأشياءِ، ولم يَكُنِ القَصْدُ الى تعليم القرآنِ والكتابة، فسَحنون يَأْباهُ، كما تقدّم عنه كلّ ذلك، لقول مالك في الإجارةِ على تعليم الشّعر : لا يُعْجِبني.

وأمّا ابنُ حبيبٍ فقال لا بأسَ بإجارةِ المعلّم على تعليم الشّعر والنّحوِ والرَّسائل وأيَّامِ العرب، وما أَشْبَهَ ذلك من عِلم الرّجال، وذوي المُروءات، لا بأسَ بالإجارة على ذلك كُلِّه. إلاّ أنّي أكرَه من تعليم الشِّعر وتعلُّمِه وروايته الكبير والصّغير، ما فيه ذكرُ الحَمِيّة والخَناءِ، أو قَبيحُ الهجاء. قال : وقد ثَبَتَتِ الرِّوايةُ عن رسول اللّه صلّى [45 ـ أ] اللّه عليه وسلّم أنّه قال : إنّما الشّعرُ كلامٌ فَحَسَنُهُ حسَنٌ وقَبِيحُهُ قَبِيحٌ (2). وقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم : إنَّ مِن الشِّعر حكمةً (3).

قال أبو الحسن : فَثَبَتَتِ الرِّوايةُ عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم بقوله : إنَّ مِن الشّعرِ لَحِكْمةً. فأمّا، إنّما الشّعرُ كلامٌ، فَمَا أدْري، ولكنْ ثَبَتَ عن الرّسول عليه السّلام قولُه : لَئِنْ يَمتَلِىء جَوْفُ أَحَدِكُم قَيْحا خيرٌ له من أن يَمْتلِىء شعرًا (4). معناه ـ وثبت أيضا قولُه : لَئنْ يَمْتَلِىءُ جوفُ رجلٍ قَيْحا ـ معناه فيما قال بعضُ العلماء : أنْ يكون الشِّعرُ غالبًا على الإنسان حتّى يَصدَّهُ عن ذكرِ اللّهِ عزّ وجلّ والعلمِ والقُرآنِ. وثبتَ أيضا أنَّ الرّسول عليه السّلام قال : أصدقُ كلمةٍ قالَها الشّاعرُ كلمةُ لبيدٍ (5) «ألا كلّ شيء ما خَلا اللّه

---

(1) انظر موازنة بين القابسي وابن خَلدون في ما اقترحاه من برامج تعليم بالكتاتيب في مقدّمتي التّحليليّة لهذه الرّسالة.
(2) حديث في صحيح البخاري.
(3) حديث أَوْرَدَهُ البخاري.
(4) حديث في البخاري ومسلم.
(5) لبيد بن ربيعة (أبو عقيل) : شاعر مخضرم عاش بين الجاهليّة وفجر الإسلام ـ راجع «دائرة المعارف الإسلاميّة» ج 3 ص 1 ـ 2.

باطلٌ». وكادَ أُميّةُ بن أبي الصَّلْتِ (1) أن يُسْلِمَ (2)، معناه لِما في شعرِه من الثَّناء على الّله، فلم يَنْفَعْهُ ذلك إذْ ماتَ ولم يُجِبْ الى الإسلام. وأمّا لَبيد، فقد أجاب الى الإسلام. ويُقال إنّه كَفَّ في الإسلام عن قول الشّعر تعظيما للقرآن والّلهُ أعلم. وليس يُعدُّ [45 ـ ب] شاعِرًا مَنْ جرى له في بعضِ الأوقاتِ كلامٌ مَوزونٌ (3)، ولا سيما إذا كانت الفصاحةُ من طَبْعِهِ، كما قال جُندب (4). بينما النَّبيّ صلّى الّله عليه وسلّم يَمشي إذْ أصابَه حجَرٌ فعثَر، فدَمِيَتْ إصْبِعُهُ، فقال :

«هَـلْ أنْتِ إلاَّ إصبِعٌ دَميتِ وفي سبيلِ الّلهِ ما لَقيتِ» (5)

ولا يُعَدُّ رَاويهِ شاعرًا. ومن كان حفظ منه شيئًا يُقيِّمُ لِسانَه ويُفَصِّحُهُ، ويأنسُ اليه في بعضِ الأوقات، ويستشهِدُ به فيما يُريدُ بَيانَه، لا بأسَ.

---

(1) أميّة بن أبي الصّلت : شاعر ثقفيّ عاش في الطّائف ومات سنة 8 هـ. أو في السّنة الموالية وهناك اختلاف في موضوع اتّصاله بالرّسول والرّاجح أنّه مات على جاهليّته كما في نصّ القابسي. ـ راجع «دائرة المعارف الإسلاميّة» ج 4 ص 1051.

(2) ورد في البخاري ومسلم.

(3) في تعليقه على مفهوم الشّعر لا يوافق القابسي التّعريف التّقليديّ بالشّعر كما أورده قُدامة بن جعفر في كتابه «نقد الشّعر» وهو : كلام موزون مقفّى يدلّ على معنى» إذ تنقص هذا التّعريف عناصر أخرى كالطّبع والحسّ والخيال. والقابسي ههنا أقرب الى شاعريْ القيروان : ابن رشيق صاحبِ العمدة (390 ـ 456 هـ) وابنِ شرف (390 ـ 460) في تعريفِهما بالشّعرِ. فابن شرَف مثلا يقول في «مسائل الاِنْتِقاد» : «الشّعر هِبَةٌ في الموالد وفيه زيادةُ طارفٍ الى تالد».

(4) هو أبو ذرّ جُندب بن جُنادة بن سُفيان بن عُبيد : صحابيٌّ ومحدّث مشهور ـ راجع «دائرة المعارف الإسلاميّة» ج 1 ص 85.

(5) هذا الكلام المنسوب الى النّبيّ عليه السّلام موزون على بحر الرّجز (مستفعلن، مستفعلن، فعول) مرّتين.

فقد قال ابنُ وهبٍ : قال اللَّيْثُ (1) سألت ربيعة (2) عن تعليم النّحو لإعراب القرآن فقال : وَدِدْتُ لوَ أَنّي أُحْسِنُه. وقال ابنُ وهب أيضا : حدّثني حمّادُ بن زيدٍ (3)، عن يَحْيى بن عَتيقٍ (4) قال : قلتُ للحسن (5) أرأيتَ الرَّجلَ يتعلّم العربيّةَ لِيُقَيِّمَ بها لِسانَه، ويُصلِح بها مَنطِقَه ؟ قال نعمْ، فلْيَتَعَلَّمْها (6) فإنَّ الرّجل يقرأُ الآية فَيَعْيى (7) [46 ـ أ] بِوَجْهِها فيهلك.

وإنّما قصَدَ ابنُ حبيبٍ الى جوازِ الإجارة على تعلُّمِ الشّعرِ وما ذُكرَ معه دونَ تعلُّمِ القرآنِ والكتابةِ، وهو الذي خالفَ فيه قولَ سَحنون، ولكن اذا اشْتُرِطَ ذلك على المعلّم للقرآن فما بَيْنَهُما في جوازِه خلافٌ إنْ شاء اللّه : وكذلك ذكر ابن حبيب يعلّمه من الشّعر ما يُخالِفُهُ فيه سحنون. ولِسحنون : لا بأسَ بأنْ يَستأجر من يعلّم ولَدَه الخطَّ والهجاء.

(1) اللّيث بن سعد : فقيه ومحدّث مصريّ من أصل فارسيّ (94 ـ 175 هـ)، صاحب مالك وتلميذه ـ راجع «دائرة المعارف الإسلاميّة» ج 4 ص 22.

(2) ربيعة (أبو عثمان بن فرّوخ التّيْمي المدني) : عبدٌ معتوق ولد عام 136 هـ وهو محدّث وفقيه بالمدينة وشيخ الإمام مالك. ـ راجع الزّركلي ج 3 ص 42.

(3) حمّاد بن زيد بن درهم الازدي الجَهْضَمي : عبدٌ معتوقٌ من مواليد البصرة في سنة 98 هـ. كان أعمى يروي أربعة آلاف حديث ومات بالبصرة عام 179 هـ. راجع الزّركلي ج 3 ص 301.

(4) يَحيى بن عتيق : محدّث بصريّ ثقة من الطّبقة الرّابعة ـ راجع «طبقات» ابن سعد ج 4 ص 253.

(5) هو الحسن البصري.

(6) في الأصل «فَلْيَتَعلَّمْها» وهو الصّواب : لا «فيتعلّمها» كما في (ق.أ).

(7) في الاصل «فيعيا» وينبغي أن نرسمها «فيَعْيَى» مِنْ عَيِيَ يَعْيَى عِيًّا في النّطق بمعنى جهل وحَصِرَ، فهو عَيٌّ وعَيِيٌّ.

وقال في المُدَوَّنَة (1) ابنُ وهبٍ : حفصُ بنُ عمر (2)، عن يونس، عن ابن شِهاب (3) أنّ سعدَ بنَ أبي وَقّاصٍ (4)قدِم برجُلٍ من العراق يُعلِّم أبناءَهم الكتابَ بالمدينة ويُعطونَه على ذلك الأُجْرَةَ. وكذا هو في مُوطَّأ (5) ابنِ وهب من رِوايتنا (6) عن أبي الحسن بن مسرور (7) عن أبي سُليمان (8) عن سَحنون، عن ابن وهبٍ أخبَرَني حفصُ بن عمر، عن يونس بنِ [46 ـ ب] يَزيدٍ، ثمّ كما قال في المُدوَّنةِ.

وقال ابنُ حبيبٍ فيه : حدَّثَني أصبَغُ، عن ابن وهبٍ، عن يُونُسَ، عن ابنِ شِهابٍ، أنَّ سعدَ بنَ أبي وقّاصٍ قدِمَ برجلٍ مِنْ أَهْلِ العراق وكان يُعلِّم أبناءَهم الكتابَةَ والقرآنَ بالمدينة، ويُعطونَه على ذلك الأَجْرَ. فأسقط من الإسناد حفصَ بنَ عُمر وزاد مع تعلّمهم الكتابةَ والقرآنَ، فاللَّهُ أعلمُ.

وقال محمّد (9) : سَمعت سَحنون يقول : لا أرى لِلمعلّم أن يُعلّم أبا جادْ، وأرى أن يتقدّم الى المعلّمين في ذلك. وقد سمعت حفصَ بنَ غِياث(10) يُحدِّث : أنَّ أبا جادْ أسماء الشّياطين أَلْقَوْها على أَلْسِنَة العربِ في الجاهليّة فكتبوها. قال محمَّدٌ : وسمعتُ بعض أهلِ العلم يَزْعُمُ أنّها اسمُ ولدِ سَابور

---

(1) المُدوَّنةُ : مجموع أجوبة ابن القاسم المتوفّى عام 191 هـ على أسئلة أسد بن الفرات في الفقه المالكي. وقد ألّف سحنون كتاب «المدوّنة» في الفقه المالكي واعتمد فيه كأصل نصّ أسد بن الفرات ـ راجع «دائرة المعارف الإسلاميّة» ج 4 ص 66 ـ 67.

(2) حفص بن عمر : مقرىء مشهور وكذلك محدّث بغدادي مات عام 246 هـ ـ راجع الزّركلي ج 2 ص 291.

(3) ابن شهاب (محمد بن مسلم بن عُبَيْد اللّه بن شهاب الزُّهري) : صَحابيّ من الجيل الثّاني، أوّل جامع للحديث وفقيه [58 ـ 124 هـ] ـ راجع الزّركلي ج 7 ص 317.

(4) سعد بن أبي وقّاص : صحابيّ وأحد قوّاد جيش المسلمين، أمره عمر بن الخطّاب بفتح العراق. مات عام 50 هـ أو سنة 55 ـ راجع «دائرة المعارف الإسلاميّة» ج 4 ص 30 ـ 31.

(5) الموطّأ : كتاب مالك بن أنس في الفقه، رواه تلاميذه كابن وهب ـ راجع «دائرة المعارف الإسلاميّة» ج 3 ص 218 وما بعدها.

(6) يعني المؤلّف أبا الحسن القابسي.

(7) هو أبو الحسن بن مسرور الدّبّاغ الفقيه وأحد شيوخ القابسي في القرن الرّابع.

(8) أبو سليمان : أحد شيوخ القابسي، فقيه من القرن الرّابع.

(9) هو محمّد بن سحنون.

(10) حفص بن غِياث بن النّخعي : فقيه ومحدّث ولد سنة 117 هـ وتولّى قضاء محلّة الشّرقيّة ببغداد ثمّ قضاء الكوفة وبها مات سنة 194 هـ. ـ راجع «طبقات» ابن سعد ج 6 ص 271.

ملكِ فارس (1)، أمر العرب الذين كانوا في طاعتِه أن يَكتبوها، فلا أرى لأحدٍ أن يَكْتُبَها [47 ـ أ] فإنَّ ذلك حرامٌ. قال أَخْبَرَني سَحنون بن سعيدٍ (2)، عن ابن وهبٍ، عن يَحيى بن أيوبٍ (3)، عن عبد اللّه بن طاوُوس (4)، عن أبيهِ، عن ابنِ عبّاس، قال : قومٌ يَنظرون في النُّجوم، يكتبون أَبَا جادْ أولئك لا خَلاقَ لهم.

ولسحنون قال : ولا أرى أن يعلّمهم ألحانَ القُرآنِ، لأنَّ مالِكًا قال : لا يَجوز أن يُقرَأَ القرآنُ بألحانٍ (5) : ولا أُرى أن يُعلِّمهم التَّغْبِيرَ (6)، لأنَّ ذلك

(1) سابور : اسم لعدّة ملوك بني ساسان الفرس :
ـ سابور الأوّل (241 ـ272 م) هزم الإمبراتور فَالِرْيانْ ومَاتَ مقتولا.
ـ سابور الثّاني أو العظيم (311 ـ 380 م) حاربه الإمبراتور جولْيان فهُزِم وقُتل.
ـ سابور الثّالث (385 ـ 390 م).
ـ راجع «دائرة المعارف الإسلاميّة» ج 4 ص 323.

(2) سحنون بن سعيد القيرواني (160 ـ 240 هـ) : هو مع أسد بن الفرات مُرسي قواعد المالكيّة بإفريقيَةَ ـ ألّف كتاب «المدوَّنة» في شرح «الموطّأ» لمالك ـ راجع «رياض النّفوس» لأبي بكر المالكي ط. بيروت ج 1 ص 345 ـ 373.

(3) يحيى بن أيّوب (أبو زكرياء) : محدّث وفقيه بغدادي ـ راجع «طبقات» ابن سعد ج 7 ص 357.

(4) عبد اللّه بن طاووس : (182 ـ 230 هـ)، فقيه يمني مشهور ومحدّث ثقة ـ راجع «كتاب المعارف» لابن قتيبة ط. القاهرة 1960 ص 455.

(5) اعتبر ابن أبي زيد القيرواني على غرار القابسي قراءةَ القرآن بالألْحان بِدْعَةً ولم يُجزها في قوله : «ولا يحِلّ لك أن تتعمّد سماع الباطل كلّه. . . ولا سماع شيءٍ من الملاهي والغناء ولا قراءَة القرآن باللّحون المرجّعة كترجيع الغناء ولْيُجَلَّ كتابُ اللّه العزيز أن يُتلى الا بسكينةٍ ووقار. . .» (الرّسالة ص 300 ـ 302).

(6) «التّغبيرُ» هكذا في الأصل وفي (ق. أ)، واللّفظ صواب بمعنى قراءة القرآن بالألحان. وأفضّل هذه اللّفظة على كلمة «التّحبير» التي يقترحها محمّد العروسي المطوي في تحقيق «كتاب آداب المعلّمين» لمحمّد بن سحنون (ط. تونس 1972 ص 104). والظّاهر أن التّحبير يُستعمل في الأغلب للخطّ الحسن. (راجع لسان العرب ج 5 ص 229).
قال ابن منظور في تفسير التّغْبير : «قال الأزهري وقد سمّوا ما يطرّبون فيه من الشّعر في ذكر اللّه تغبيرا كأنّهم إذا تناشدوها بالألحان طرّبوا فرقّصوا وأرهجوا فسمّوا مُغبّرة لهذا المعنى. قال الأزهري وروينا عن الشّافعي رضي اللّه عنه أنّه قال أرى الزّنادقة وضعوا هذا التّغبير ليصدّوا عن ذكر اللّه وقراءة القرآن. . .» (لسان العرب ج 6 ص 307).

داعيةٌ الى الغناء، وهو مَكروهٌ. وأرى أن يُنهى عن ذلك بأشدِّ النَّهيِ. قال ولقد سُئل مالكٌ عن هذه المَجالسِ التي يَجتمعون فيها للقراءة، فقال : بِدعةٌ وأرى لِلوَالي أن يَنْهاهم عن ذلك (1)، ويُحْسِنَ أدبَهم.

وقال أبو الحسن : نَهى مالِكٌ عن الاِجْتماع في المجالس لاِسْتِماع القراءةِ بالألحان وما يصحبها من تَغْبير، وغير ذلك مشهور. فكلٌّ ما نَهى عنه سَحنون المعلِّم والمُتعلِّم في هذا الباب كلُّهُ صحيحٌ [47 ـ ب] المُوافقةِ لمذهبِ مالكٍ، على ما جرى من تَشديدٍ أو كراهيةٍ.

فافْهَمْ، فقد بَيَّنتُ لك وجوه جواز أَخْذِ الإجارةِ على تعلّم القرآن، وما يجوز أن يُعلَّمَ بالأجرِ، وما يُكرَهُ من ذلك للمُعلّم والمُتعلِّمِ، وما اختَلَفَ أصحابُنا فيه من كراهيةٍ له أو تَوْسِعَةٍ، لِيَسْتبينَ طالبُ الحَلال ما يَصْفُو لَهُ بِهِ الحالُ في أُجرَةِ التّعليم، وما يَنْزَهُ منه ذو الوَرَعِ من ذلك. وبَيَّنْتُ لك ما يَنبغي للمُسلم أن يَتعلَّمَه أو يُعلِّمَه ولدَه، وما يختلف من ذلك.

ومِنْ ذلك أيضا قال ابنُ وَهبٍ : سمعتُ مالِكًا سُئِلَ عنِ الذي يَجعلُ ابنَه في كُتَّابِ العجمِ، يُعلِّمُهُ به الوَقْفَ، فقال : لا. فقيل له : فهلْ يُعلِّم المسلمُ النَّصرانيَّ ؟ فقال : لا. فقيل له فيعلّم أبناءَ المشركينَ الخطَّ ؟ فقال : لا. ولابنِ وهب أيضا في تاريخ سنةِ ثلاثٍ وسبعين قال : وقال مالكٌ : لا أرى أن يُتْرَكَ أحدٌ من اليَهود والنَّصارى يعلِّم المسلمينَ القرآنَ [48 ـ أ].

قال أبو الحسن : إنْ كان معنى هذا القرآنَ الذي أُنزِلَ على محمّد صلّى اللّه عليه وسلّم، فيمكن النَّهْيُ عن ذلك، والمسلم يُنْهَى أن يُعلِّمَ الكافرَ القرآنَ. قال اللّه سُبحانه وتعالى : (إنّه لقرآنٌ كريمٌ في كِتابٍ مَكنونٍ لا يَمَسُّهُ

---

(1) تشديدا على أصحاب البدع في الدّين يُجيز ابن أبي زيد القيرواني للمسلم قطعِ كلّ صِلة بأصحاب البدع فيقول : «والهِجرانُ الجائز هجرانُ ذي البِدعة أو متجاهرٍ بالكبائر» (الرّسالة ص 300).

إلاّ المُطهَّرون) (1). فالكافرُ نَجِسٌ، ولذلك يُنْهى أن يُعلِّموا الخطَّ العربيَّ، والهجاءَ العربيَّ، لأنّهم يَصِلون بذلك الى مَسّ المُصحَف إذا أرادوه. وإن كان إنّما أرادَ مالكٌ لا يُتْرَكوا أنْ يعلِّموا كتابَهم المسلمينَ، فيصِحُّ أيضا مَنعُهُمْ من ذلك، لأنّهم غيرُ مأْمونِينَ على كتابِهم.

قد جاء كَعْبُ الأحبارِ (2) الى عمر بنِ الخطّاب رضي اللّه عنه، فقام بين يدَيْه، فاسْتخرجَ من تحتِ يدِه مُصحفا قد تَشَرَّمَتْ حَواشِيهِ، فقال : يا أميرَ المؤمنين في هذه التَّوراةِ، أفأقْرَؤُها ؟ فسَكتَ عمرُ طويلا، فأعادَ عليه كَعْبٌ مرّتيْنِ أو ثلاثا، فقال [48 ـ ب] عمر : إنْ كنت تعلمُ أنَّها التّوارةُ التي أُنزِلَتْ على مُوسى بنِ عِمرانَ يوم طُورِسِينَا، فاقرَأْها آناءَ اللّيلِ وآناءَ النَّهار، وإلاَّ فلا. فراجعَهُ كعبٌ، فلمْ يَزِدْهُ عمرُ على هذا. وكَعْبٌ قَد بانَ فَضْلُهُ في الإسلامِ في فِقْهِهِ في الدّينِ، فلمْ يُطلقْ لهُ عمرُ ما سأله فيه، إنّما ردَّ الأمرَ في ذلك إليه، ثمّ لم يُذكر عن كعب أنّه دام على دِراسة ذلك المُصحف (3). واللّهُ أعلمُ ما صنعَ من (4) ذلك.

وأمّا المُقيم على كُفرِه فهو بعيدٌ من أنْ يُؤمَنَ على كتابِ اللّه، أو على أولاد المسلمين، ليعلّمهم شيئا ما، أو يخالطَ صبيانُ المسلمين صبيانَ الكافرين في تعليم كلّ ما قدَّمْنا، عن ابنِ وهبٍ عن مالكٍ يمْنَعُ من ذلك.

---

(1) سورة الواقعة، آية 77 ـ 79.

(2) كعب الأحبار (أبو اسحاق كعب بن ماتِع بن هَيْسوع) : هو من أقدم رواة الحديث. كان يهوديًا من اليمنِ فاعتنق الأسلامَ في أيّام أبي بكر أو عمر. لُقِّبَ بكعب الأحبار لِمعارفه الواسعة في التّوراة. مات في حمص في عهد عثمان عام 32 أو 34 هـ. راجع «دائرة المعارف الإسلاميّة» ج 2 ص 620.

(3) يقصد التوراة، والمصحف استعمله في معناه اللّغويّ وهو ما جمع من الصّحف بين دفّتي الكتاب المشدود.

(4) في الأصل «ما صَنَعَ من ذلك» وهو الصّواب، وقد سقط الحرف «من» في (ق. أ).

وفي المَوّازِيَةِ (1) : وكَرِهَ مالكٌ أن يَطرحَ المسلم ولَدَه في كُتَّابِ النَّصارى، ولسَحنون قال : ولا يَجوز لِلْمُعلّم [49 ـ أ] أنْ يُعلّم أولادَ النَّصارى الكتابةَ ولا القرآن. وقال ابنُ حبيب قِيل لمالكٍ : أيُعلِّمُ أبناءَ المُشركين الخطَّ دونَ القرآنِ ؟ فقال : لا، وعظَّم فيه الكَراهيَةَ. وقال ابنُ حبيبٍ : وكلُّ مَنْ لَقِيتُ يَكرهون ذلك، ويرون للإمام العدلِ أن يُغيِّرَ ذلك ويُعاقِبَ عليه، ومن فَعلَه من جُهّال المعلّمين فذلك طارحٌ شهادتَهُ، موجِبٌ لِسُخْطَتِهِ، لِمَسِّهم لِكلامِ اللّهِ وكتابِه وهُم أنْجاسٌ.

والذي وصفتُ لك أيضا في هذا الفصل صوابٌ كلُّهُ. وقد وصفتُ لك فيما تقدَّمَ احْتِجاجَ سَحنون في الإباء مِنْ تَحذير الإجارة على تعليم الفِقه والفَرائضِ وغيرِ ذلك ممّا فَرَّقَ بينَه وبين الإجارةِ على تعليم القرآنِ، فافْهَمْهُ، إذا مَرَرْتَ به، فإنَّه حَسَنٌ أخبرَ فِيهِ أنَّ القرآنَ لِتَعَلُّمِه غايةٌ يُنْتهَى اليها، والفقهَ وغيرَه من العلوم ليس له غايةٌ. يريد أنَّ القرآن [49 ـ ب] إنّما يُتعلَّمُ استظهارُه، وهو شيءٌ مجموعٌ. إنْ يُشْرَطِ اسْتِكْمالُه، فلَهُ غايةٌ : وهو ما حواهُ المُصحف المُجتمع عليه مِن سُوَرِ القرآن المعدودة. والفقهُ إنّما التَّعلُّم به الفَهمُ فيه، وهو شيءٌ لا يُحاطُ به، ولا يُعرَفُ مِن الفهمِ فيه (2) جزءٌ مُقتَصَرٌ عليه. والنَّحوُ مِثْلُه. وكلُّ شيء يُحتاجُ الى الإسْتِنباطِ منه بالفَهْمِ فيه فهذا سبيلُه. وقد يَرى الفهمُ فيه شيئا ثم يَنتقلُ عنه بعدَ ذلك لمعنىً يحدث عند المُتَفَهِّم فتبعُدُ الغايةُ فيه، ويختلف عليه.

وأمَّا مَا (3) طريقَةُ حِفظِه، كالشّعر وما أَشْبَهَهُ مِن مَقالات العرب يَستأجره لِيَحفظ ذلك ظاهرًا، فوجهُ الكَراهيةِ فيه أنّه يُراد لِيفْهَم منه ما يُستعان

---

(1) المَوّازية : كتاب فقه لإبن الموّاز (أبي عبد اللّه محمد بن ابراهيم) وهو أحد كبار أيمّة المذهب المالكي، توفي عام 281 هـ.

(2) في الأصل «ولا يعرف من الفهم فيه جزء مقتصر عليه» وقد سقطت «فيه» من (ق. أ).

(3) «ما» ساقطة من الأصل وبها يستقيم المعنى والمبنى.

به، والتَّفَهُّمَ فيه أيضا لا غايةَ له، واستظهارُه لِغير التَّفهُّم أيُّ فائدةٍ فيه ؟ وأيُّ أَجْرٍ يُؤْجَرُ عليه ؟ وليس هو كالقرآن. فإنْ [50 ـ أ] قُلتَ لِيَسْتَظهِرَ حفظَ حُروفِه خاصّةً، ثم ينظرَ في تَفَهُّمِهِ بعد اسْتِظهارِه بغير أجْرٍ على يديْ غير هذا المعلّم، فاعْلَمْ أنَّ الباب المكروهَ، لَا وَجْهَ الى أن يُستثْنى منه شيءٌ إلّا بِتَوْقيفٍ، ولا يُحمى البابُ إلّا بمنعِ جميعِه، وإنْ دخلَ فيه ما لا تَقْوى حُجَّتُه إلّا لإحماءِ الباب، ولذلك جرى فيه الإِخْتِلافُ الذي وصفناه. على أنَّ القاصِد الى تحفُّظِ حروفِ ذلك لِيَفْهَمَ فيه بعد ذلك، قد لا يَنتهي الى التَّفهُّمِ، فيحصُلُ بما يَحفظ على غيرِ فائدةٍ تُفيدُه في دينِه. والقرآنُ مَن اسْتَكْمَلَ حِفظَه انتفعَ به، وإنْ حفِظَ منه حَرْفًا انتفَع به في دينِهِ، فخالفَ القرآنُ كلَّ شيء يُحْفَظُ من كلامِ النّاسِ خلافا بيِّنا، لَا إِشْكالَ فيه. ولذلك أجازوا إجارَةَ التّعليم على أجزائِهِ واستكمالِه، فقد تَقدَّمَ مِن ذلك في صدر الباب فصلٌ (1).

وأزيدُك [50 ـ ب] ها هنا منه ما يكون عَوْنًا لك في اسْتِبانَتِهِ. قيل لابْنِ القاسم : إنِ استأجرتُ رجلًا يُعلِّمُ لي ولدي القرآنَ، يُحَذِّقُهُ القرآنَ بكذا وكذا دِرْهما، قال مالكٌ : لا بأس بذلك. وقال ابنُ القاسم : ولا بأسَ بالسُّدُسِ أيضا مثل قول مالكٍ في الجميع. وقال ابنُ القاسم : لا بأسَ أن يُقدَّم الى مُعلِّم الكُتّابِ حَقُّهُ، قبْل أنْ يدخل الصّبيُّ. وعند ابنِ سحنون قال مالك : لا بأسَ أن يَستَأْجِرَ الرّجلُ المعلّمَ على أن يعلّم ولدَه القرآنَ بأجرٍ مَعلومٍ، الى أجَلٍ معلوم أو كلَّ شَهرٍ، وكذلك نصفَ القرآنِ، ورُبُعَه، وما سُمِّي منه.

قال أبو الحسن : أمّا قوله أو كلّ شهر، فقد قيلَ لِابنِ القاسم إنْ يَستأجِرْهُ على تعليم ولده القرآنَ كلَّ شهر بدرهم، أو كلَّ سنةٍ بدرهم. قال : قال مالك : لا بأسَ بذلك. قيل إنِ [51 ـ أ] استأجرَه على أنْ يُعلّم ولدَه الكتابةَ كلَّ شهر بدرهم ؟ قال لا بَأْسَ بذلك. قيل ـ وهو قول مالك ـ قال :

(1) في الاصل وفي (ق.أ) «فضل» والقراءة الصّحيحة «فصل».

قال مالك في إجارة المعلّمين سنةً بسنَةٍ، لا بأسَ بذلك. والذي يَسْتَأْجِرُه يعلّم ولدَه الكتابةَ وحدَها، لا بأس بذلك مثل قول مالك في إجارة المعلّمين سنةً بسنَةٍ.

قال أبو الحسن : وأمّا قولُه الى أجَلٍ معلوم، فإنْ كان يريد أن يكون يعلّمه القرآنَ كلَّه الى أجَلٍ معلوم، فإنَّ ابنَ المَوّازِ ذكر في قول مالك، لو اشترط أن يُعلِّمَهُ سنَةً أو سنتيْنْ كان ذلك لازمًا. قال محمّد بن ابراهيم (1) : جائزٌ، ما لم يقل له : تُعلِّمُه في سنَةٍ أو سنتيْنْ.

قال أبو الحسن : قولُ مالكٍ في سَماع ابنِ القاسم وابنِ وهب كما حكاه محمّدٌ، ورواهُ مُطرِّفٌ عن مالكٍ، قال : وجميعُ علمائِنا بالمدينةِ. وفسّرهُ محمّد أنّه لم يَشترِط استكمالَ القرآنِ في هذا [51 ـ ب] الأجلِ، وتفسيره جارٍ على الأصولِ في سائر الإجارات.

ولكنْ قال ابنُ حبيب : قد أجازَ مالكٌ أن يُشارِطَ المعلِّم في الغُلام على الحَذْقَةِ (2) ظاهِرًا أو نَظَرًا، سَمَّيَا في ذلك أجلاً أوْ لم يُسمِّيا. ولقد قلتُ لأَصْبَغَ : كيف أجاز مالك الشَّرطَ على الحَذْقةِ إذا سمَّيَا لها أجلاً، أرَأَيْتَ إذا انْقضَى الأجلُ ولم يَحْذَقْهُ، ما يكون له ؟ قال : يكون له أُجرَةُ مِثلِهِ فيما علَّمَه في تلك السَّنة، وليس على حِساب الأُجرةِ الأولى. قلتُ : ولا ترى هذا من شَرطيْنْ في شرطٍ ؟ قال : لا، وإنّما كان يَدْخُلُه شَرْطان في شرط لو كان عاقدَه على هذا اللّفظِ بَدِيًّا، فأما اذا عاقدَه على أن يُحَذِقَهُ في سَنَةٍ فإنّما هو على شرطٍ واحدٍ، حتّى يحدُث بينَهما الذي وصَفْنا في تقصيرِه عمّا شُرِط عليه، فيُرَدُّ الى أُجْرَةِ مثلِه على تحذيقِه إياه في أكثر من السَّنةِ، لأنَّ أبا [52 ـ أ] الغُلام إنّما كان

---

(1) محمّد بن ابراهيم بن مسلم البغدادي الطُّرْسُوسي : محدّث جمع أحاديثَه في كتاب سمّاه «المسند» وتُوفّي بطرسوس عام 273 هـ. ـ راجع الزِّركلي ج 6 ص 183.

(2) الحَذْقَة بفتح الحاءِ وكسرها تُطلق عامّة على حفظ القرآن كلّه.

رَضيَ بالأُجرَة الأولى على أن يُحَذِّقَ ولدَه في سنَةٍ، فلمّا جاوز المعلّمُ توقيتَ ما وَقَّتَ له، لم يكن له أن يَأْخُذَ على التَّأخيرِ ما سَمَّى له على التَّعْجيلِ، وكان ذلك مَظلَمةً على أبي الغلام، إنْ أخذَ ذلك منه. وإنّما الذي لا يَجوز فيه التَّوْقيتُ مع الحَذْقَةِ، أن يُوَقِّتَ وقْتًا ضيّقا يُرى ويُخشَى أنّه لا يَبلُغُ ذلك فيه لِضيقِه، فالعُذْرُ والحَظْرُ يَدْخُلُه.

قال أبو الحَسن : وفَرَقَ أُصْبَغُ في هذا الجواب بين معلّم الكُتّاب وبينْ الخَيّاطِ (1) يشتَرِط الفراغَ في أَجَلٍ معلومٍ، فأجراه مَجارِيَ الإجارَةِ الدّاخِلَة في معاني البُيوع على ما استحسن، إذا كان الأجلُ الـمُوَقَّتُ يُمكن الفراغُ ممّا اشتَرَط عليه فيه قبْل ذهاب الوقتِ، فلا بأس به، كذا قال في المعلّم والخَيّاطِ. وقَضِيَّتُهُ لِلمُعلّم، اذا تَمَّ الأَجلُ قبل تمام الحَذْقةِ بأُجْرةِ مثلِه ليس على حسابِ مَا استُؤجِرَ [52 ـ ب]، صوابٌ مُستقيمٌ.

* * * *

---

(1) ليس من الغريب أن يجمع القابسي في مقارنتِه بين صناعة التّعليم بالكتاتيب وصناعة الخِياطَةِ اذ يظهرُ أنّ بعض المعلّمين بإفريقيّة في القرون الوسطى كانوا يجمعون بين الصِّناعتيْن كما يؤكّده خبرٌ رواه أبو بكر المالكي في «رياض النّفوس» قال : «وعن ابن الحدّاد عن أبيه، قال : حدّثني محمّد بن عبد اللّه، قال : كنت أَخِيطُ وأنا غلامٌ حدث السنّ مع شباب عند معلّمنا في المسجد المعروف اليوم بمسجد ابن أبي نصر إذْ أقبل اسماعيلُ بن رَباح الجزري فقال لمعلّمنا : «يا شيخ، بكم اكتريْتَ هذا الحانوت ؟» فقال له مُعلّمنا : «ليس هذا بحانوتٍ وإنّما هو مَسجدٌ» فقال له إسماعيل : إنّ المساجد لم تُبْنَ للصُّنّاعِ، إنّما بُنِيَتْ للصّلاة وتِلاوة القرآن الخ. . . (راجع بقيّة الخبر في «رياض النّفوس» ط. بيروت 1983، ج 1 ص 336).

البـــــاب الثّـانـــــي
ذكر ما أراد بيانَه مِن سياسة (1) معلّم الصّبيان

وقيامِه عليهم، وعَدْلِه فيهم، ورِفْقِهِ بهم، وهل يَستعينُ بهم فيما بينَهم أو لِنفسِهِ، وهل يُولِيهم غيرَه إنِ احْتاجَ الى ذلك، وهل يَشْتغِلُ مع غيرِه معَهم أو يَشتغِلُ له، وكيفَ يُرتّب لهم أوقاتَهم لدَرسِهم وكتابَتِهم، وكيفَ محْوُهمْ ألْوَاحَهم وأكتافَهم، وأوقاتُ بطالتِهم لراحاتِهم، وحدُّ أدبِه إياهُم، وعلى مَنِ الآلةُ التي بها يُؤَدِّبُهم، والمَكانُ الذي فيه يُعلِّمُهم، وهل يكون ذلك في مَسجِدٍ، وهل يَشترِك مُعلّمان أو أكثرُ، وهل يُدرّسُ الصِّبيانَ في حِزْبٍ واحدٍ مُجتمِعين، وهل يَمَسُّون المُصحف وهم على غيرِ طُهْرٍ، ويُعلِّمُون (2) الوُضوءَ لِمَسِّ المُصحفِ، ويُصلُّون في جَماعَةٍ يَؤُمُّهمْ أحدُهم.

قال أبو الحسن : قد تَقدَّم من بَيانِ [53 ـ أ] ما يُجيزُه (3) الشّرطُ لِمُعلّم الصِّبيان على آبائهم من إجارتِهم، وما على المُعلّمين أنْ يُعلِّموهُ الصِّبيانَ، وما لا يَنْبغي أن يُعلّموه لهم ما فيه الكِفايةُ. فالواجبُ على المُعلِّم الاِجْتِهادُ حتّى يُوفِيَ ما يَجِب عليه للصِّبيانِ، فإنْ وَفَّى ذلك يَطيب له ما يَأْخُذُه على التَّعليم بِشرْطٍ. ولْيَعلَم أنّه إنْ فَرّط في وفاءِ ما عليه، أنّه لا يَجب له ولا يَطيب له ما يَأخُذُ من ذلك، لأنَّ الذين أجَازوا له شرطَ الإجارةِ، بَيَّنوا له ما يَجب عليه، فإنْ خالَف

---

(1) السياسة مُصْطلح تربويّ مِن ساس الصّبيَّ يَسُوسُهُ سِياسة بمعنى راضَه وقادَه والمعنى المقصود هنا هي القواعد السّلوكيّة التّربويّة لمعلّم الصّبيان وتستعمل الكلمة أيضا كما عند الطّبيب المربّي ابن الجزّار القيرواني (285 ـ 369 هـ) بمعنى التّدبير والتّهذيب والإصلاح. (راجع كتاب «سياسة الصّبيان وتدبيرهم» لابن الجزّار ـ ط. الدّار التّونسية للنّشر 1968 ص 134 ـ 135).

(2) في الأصل وفي (ق . أ) : «ويَعْمَلون الوضوء» وهو تكرار لمعنى سابق ليس فيه زيادة إفادة، والأصوبُ أن نقرأ «ويُعَلّمون الوضوءَ» وبذلك يستقيم المعنى.

(3) في الأصل «ما يخبره» والصّواب «ما يجيزه».

ما بَيّنوا له لم يُطِيبُوا له ما أَخَذَ بِشَرْطِه. فليس يَجِدُ الى مَنْ يَسْتَنِدُ من العُلماء في جَواز ما فعَل من التَّفريطِ، لِما في الأخذِ على تعليم القُرْآنِ من الخِلاف الذي قَدَّمنا التّعريضَ به. وبَعدُ، فإنَّ الْتِزَامَه لما التَزَمَ من هذا يَدخُلُ في العُقود التي أمر اللّه سُبحانَه بِوَفائِها، ونَظَرُهُ فيمن التزم النَّظرَ له من الصِّبيان رعايةٌ يَدخل بها في قول الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم : [53 ـ ب] «كُلُّكم راعٍ وكلُّ راعٍ مَسؤولٌ عن رَعِيَّته» (1).

وَلْيَعْلَمْ أنّه إنْ قام فيهم بالواجب عليه لهم ونصح لهم، ووَفاهم كما ينبغي أنّه يدخل في معنى قول الرّسول عليه السّلام : أيُّما مملوكٍ أدّى حقَّ مَوالِيه وحقَّ ربِّه فلَهُ أجرَان (2)، لأنَّ المَملوكَ إنّما (3) اسْتَأْهَل ذلك بما وَفَى به مِمّا وَجَب عليه لمالِكِه. هذا وَلْيَعْلَم (4) المُلتزمُ الصِّبيانَ إنّما اسْتأْهَل ذلك بما وَفَى به ما وجَب لهم عليه بشَرْطِهِ أَخْذ الإجارةِ عليهم، قد ملَكوا مَنافِعَه وتصرُّفَاتِه حتّى يَسْتَوْفُوا واجبَهم (5)، وكان لِمَنْ وَفاهُم ذلك تَأْدِيَةً لحقّهم الواجبِ لهم عليه، ولِحَقّ ربِّهِ فيما أمَره به من أداءِ ما عليه لهم، في المعنى الذي استأْهَل به المملوكُ أجريْن. وكذلك كُلُّ أجيرٍ مُلِكَتْ عليه مَنافِعُه، لأنَّ المُؤدّي لِما عليه طِيبةً بذلك نَفسُهُ من المُحسنين. وقال اللّهُ سبحانه وتعالى : (إنّا لا نُضِيعُ أجرَ مَنْ [54 ـ أ] أحسنَ عَملاً (6).

ومِنْ حُسن رِعايتِه لهم أنْ يكون بهم رَفيقًا، فإنَّهُ قد جاء عن عائِشةَ أمِّ المُؤمنين، رضيَ اللّهُ عنها، أنَّ رسول اللّه صلّى اللّهُ عليه وسلّم، قال : «اللّهمّ

---

(1) حديث في صحيح البخاري.

(2) حديث في صحيح البخاري.

(3) في الأصل «لأنّ المملوك إنّما استأهل ذلك بما وَفَى به «وقد سقطت» «إنّما» في (ق . أ).

(4) في الأصل «وهذا ليعلم المُلتزم»، والصّواب «هذا وَلْيَعلم الملتزم».

(5) واجبُهم، استُعمِلَتْ هنا بمعنى «حقّهم».

(6) سورة الكهف، بعض آية 30.

مَنْ وَلِي مِن أَمْرِ أُمَّتي شيئًا فَرَفَق بهم فيه فارْفُقْ به» (1). وقد قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم : «إنّ اللّه يُحِبُّ الرِّفقَ في الأمرِ كُلِّه، وإنّما يرحَمُ اللّهُ من عِباده الرّحماءَ» (2).

قال أبو الحسن : فقولُك هلْ يُستَحبُّ للمعلّم التَّشديدُ على الصِّبيان، أو تَرى أن يَرفُقَ بهم ولا يكونَ عَبوسا، لأنّ الأطفالَ كما عَلِمْتَ تدخلُ في هذه الوَصِيّةِ المُتقدِّمةِ، ولكنْ إذا أحسنَ المُعلّمُ القيامَ، وعُنِيَ بالرِّعايةِ، وضعَ الأمورَ مواضِعَها، لأنّه هو المأخوذُ بأدَبِهم، والنّاظرُ في زَجْرِهم عمّا لا يَصْلُح لهم، والقائمُ بإكْرَاهِهِمْ على مِثلِ مَنافِعِهم، فهو يَسوسهم في كلِّ ذلك بما يَنْفَعهم، ولا يُخْرِجُهم ذلك من حُسن رِفقِهِ بهم، ولا من رَحْمته إيّاهم [54 ـ ب] فإنّما هو لهم عِوَضٌ من آبائهم. فكَوْنُهُ عَبوسا أبدًا من الفَظاظةِ المَمقوتةِ، ويَسْتأْنِسُ الصِّبيانُ بها فيَجْرُؤُونَ (3) عليه، ولكنّه اذا اسْتَعْمَلها عند اسْتِئهالِهم الأدبَ، صارتْ دَلالةً على وُقوع الأدب بهم، فلمْ يَأْنَسوا اليها. فيكون فيها إذا استُعمِلَتْ أدبا لهم في بعضِ الأحايِين دونَ الضَّربِ. وفي بعض الأحايِين يُوقَعُ الضّربُ مَعها، بقدْرِ الإسْتِئْهال الوَاجبِ في ذلك الجُرْمِ. ولكنْ يَنبَغي له أنْ لا يَتبسَّطَ إليهم تَبَسُّطَ الإسْتِيناسِ في غيرِ تَقَبُّضٍ مُوحِشٍ في كُلِّ الأحايِين، ولا يضاحك أحدا منهم على حال، ولا يبتَسِم في وَجهِهِ، وإنْ أَرْضاهُ وأوْفاهُ (4) على ما يَجِبُ، ولكنَّهُ لا يغضَبُ عليه فيُوحِشُه إذا كان مُحسنا.

وإذا اسْتأْهَلَ الضَّربَ فاعْلَمْ أنّ الضّرب من واحدةٍ الى ثلاثٍ، فلْيَستعمِلِ اجْتِهادَه لِئَلاَّ يَزيدَ في [55 ـ أ] رُتْبَةٍ فوْقَ اسْتِئْهالِها. وهذا هو أدَبُهُ

(1) حديث في صحيح البخاري.
(2) حديث في صحيح البخاري.
(3) في الأصل «فيجترو» والصّواب إمّا «فيَجْتَرِئُون» أو «فيجرُؤون».
(4) في الاصل وفي (ق . أ) : «وأرجاه» والصّواب هو «وأوفاه» أي أدّى للمعلّم جميع واجباته.

اذا فرَّطَ، فتثاقَلَ عن الإقْبالِ على المعلّم، فتَباطَأ في حِفْظِه، أو أكْثَرَ الخَطأ في حِزْبِهِ، أو في كِتابةِ لَوْحِه، مِنْ نَقْصِ حُروفِه، وسوءِ تَهجِّيهِ، وقُبحِ شَكلِه، وغَلَطِه في نَقْطِه، فنُبِّه مرّةً بعد مرّةٍ، فأكثَرَ التَّغافُلَ ولم يُغْنِ فيه العَذْلُ والتَّقريعُ بالكَلام الذي فيه التَّواعدُ من غير شتْمٍ ولا سَبٍّ لِعِرْضٍ، كقولِ من لا يعرِف لأطفالِ المؤمنينَ حقًّا فيقول : يا مِسْخُ، يا قِرْدُ. فلا يَفعَلْ هذا ولا ما كان مِثْلَه في القُبح، فإنْ قلتَ له واحدةً، فلْتَسْتَغْفِرِ اللّهَ منها ولْتَنْتَهِ عن مُعاودتِها. وإنّما يُجري الألفاظَ القبيحةَ مِن لِسانِ التَّقيِّ تَمَكُّنُ الغضبِ من نفسِه (1). وليس هذا مكانَ الغضبِ. وقد نَهى الرّسول عليه السّلام أن يَقضِيَ القاضي وهو غَضبانُ. وأمَرَ عمرُ بن عبد العزيز (2) [55 ـ ب] رحمةُ اللّه عليه ـ بضربِ إنسانٍ، فلمّا أُقيمَ للضَّربِ قال : أتْرُكوهُ. فقيل له في ذلك فقال : وجدتُ في نفسي عليه غضبًا، فكرِهْتُ أن أضرِبَه وأنا غضبانُ.

قال أبو الحسن : كذا يَنبغي لِمُعلِّم الأطفالِ أنْ يُراعِيَ منهم حتّى يُخْلِصَ أدبَهم لِمَنافِعهم، وليس لِمُعلِّمهم في ذلك شِفاءٌ من غضَبِه، ولا شيء يُريح قلبه من غَيْظِه، فإنَّ ذلك إنْ أصابَه فإنّما ضرَبَ أولادَ المسلمين لراحةِ نفسِه، وهذا ليس من العدْلِ. فإنِ اكتسَبَ الصّبيُّ جُرْمًا من أذًى، ولَعِبٍ، وهُروب من الكُتَّاب، وإدمانِ البِطالَةِ فيَنْبَغِي لِلمُعلّم أن يَسْتَشيرَ أباه، أو وَصِيَّهُ إنْ كان يَتيمًا، ويُعْلِمَهُ إذا كان يَسْتَأْهِلُ من الأدب فوْقَ الثّلاثِ، فتكون الزيادةُ على ما يُوجِبُه التَّقصيرُ في التّعليم عن إذنٍ من القائم بأمر [56 ـ أ] هذا الصّبيِّ، ثم

(1) في الأصل «وإنّما تجري الألفاظ القبيحة من لسان التقيّ تمكّن الغضب»، والصّواب إمّا إضافة «إذا» بعد «تمكّن» أو قراءة النصّ هكذا «وإنّما يُجري الألفاظَ القبيحةَ من لسان التقيّ تمكُّنُ الغضب» فيكون المفعول به «الألفاظ» متقدّما على الفاعل وهو «تمكّن» فيستقيم بذلك التّركيب والمعنى.

(2) عمر بن عبد العزيز : الخليفة الأموي سليل عمر بن الخطاب ولد بالمدينة عام 63 هـ وعُرف بوَرَعِه وحسن رِعايته للأمّة. توفّي عام 101 هـ ـ راجع «دائرة المعارف الإسلاميّة» ج 3 ص 1044 ـ 1046.

يُزادُ على الثّلاث ما بَيْنَهُ وبينْ العشر، اذا كان الصّبيّ يُطيقُ ذلك. وَصِفَةُ الضّربِ هو ما يُؤلِمُ ولا يَتعدّى الألَمَ الى التّأثير المُشْنِع ، أو الوَهَنِ المُضِرِّ. ورُبّما كان من صبيان المعلّم من يُناهِزُ الاحْتِلامَ، ويكون سيّءَ الرِّعْيَةِ (1)، غليظ الخُلُقِ، لا يريعه (2) وقوعُ عشرِ ضرباتٍ عليه، ويرى للزِّيادةِ عليه مَكانا، وفيه مُحْتَمَلٌ مأمونٌ، فلا بأسَ ـ إنْ شاء اللّهُ ـ من الزِّيادة على العشرِ ضرباتٍ، واللّه يعلم المُفسِدَ من المُصلِحِ. وإنّما هي أعْراضُ المسلمين وأبْشارُهم فلا يَتهاوَنْ بِنَيْلِها بغير الحقِّ الواجبِ، وَلْيَلِ أدبَهم بنفسِه، فقد أحبَّ سَحنون أنْ لاَ يُولِيَ أحدًا من الصِّبيانِ الضّربَ.

قال أبو الحسن : ونعمَ ما أحبَّ سحنون من ذلك، من قِبَلِ أنَّ الصّبيانَ تَجري بينَهم الحَمِيَّةُ والمُنازَعَة، فقد [56 ـ ب] يَتجاوزُ الصبيُّ المطبِّقُ (3) فيما يُؤلِمُ المضروبَ، فإنْ أمِن المعلّم التّقيُّ من ذلك، وعلِم أنَّ المُتَولِّي الضّربَ (4) لا يتجاوزُ فيه وَسِعَهُ ذلك، إنْ كان له عذرٌ في تخلُّفِه عن وِلايةِ ذلك بنفسِه. وَلْيَتَجنَّبْ أن يَضرِب رأسَ الصّبيّ أو وجْهه، فإنَّ سحنون قال فيه : لا يجوز له أن يَضرِبَه فيهما، وضررُ الضّربِ فيهما بَيِّنٌ، قد يُوهِنُ الدِّماغَ، أو يَطْرِفُ (5) العينَ أو يُؤثِّرُ أثرًا قَبيحا، فَلْيُجْتَنَبا. فالضّربُ في الرِّجْلَيْن آمنٌ، وأحمَلُ لِلألَمِ في سَلامة.

ومن رِفْقِهِ بالصّبيان أنَّ الصّبيّ إذا أُرسِلَ وراءَه لِيَتَغَدَّى فيأذنُ له ولا يمنعُهُ من طعامِه وشرابِه، ويأخذ عليه في سرعةِ الرُّجوع إذا فرغ من طعامه.

---

(1) الرِّعْيَةُ بكسر الرّاء : الاِسم من رَعى يَرْعى بمعنى أحاط وربّى، والرِّعيَةُ هي التّربية.
(2) هكذا في الأصل والأفصح أن تقول «لا يروعه» أي لا يفزعه.
(3) في الأصل وفي (ق . أ) : «الصّبيّ المُطِيقُ» والصّواب «الصبيّ المُطَبِّق، أي للعقوبة، ويؤكّد هذه القراءة السّياق من بعد.
(4) في الأصل «المتولّي للضّرب» والتّعدية بلا حرف أفصح فنقول «المتولّي الضّرب».
(5) في الأصل «أو تطرِف العين» والصّواب «أو يَطرِفُ العينَ» والفاعل للضّرب والمفعول به هي العين، من طَرف العين أي أصابها بمكروه.

ومن حَقِّهِمْ عليه أن يعدِلَ بينَهم في التّعليم، ولا يُفضّل بعضَهم على بعض، وإن تَفاضَلوا في الجُعْلِ (1)، وإنْ كان بعضُهم يُكرِمُه بالهدايا والأَرْفاق، إلاَّ أنْ [57 ـ أ] يُفضِّلَ مَنْ أَحَبَّ تَفْضيلَه في ساعةِ راحاتِه، بعد تَفرُّغِه من العدْل بينَهم. وذلك من قِبَلِ أنَّ القليل الجُعْلِ إنّما رَضيَ أن يُؤدِّيَ أداءَه ذلك على إتمام تعليم ولَدِه، كما شَرَطَ الرّفيعُ الجُعْلِ. إلاَّ أنْ يُبيِّنَ المُعلّمُ لآباءِ الصِّبيان أنَّه يُفاضِلُ بينَهم على قَدْرِ ما يَصِلُ اليه من العَطاء من كُلِّ واحدٍ منهم، فيرضَوْا له بذلك، فيجوز له، وعليه أن يفي بما التزم من قدر ذلك.

ومن صَلاحِهم، ومِن حُسن النَّظرِ لهم، أنْ لا يَخلط بين الذُّكْران والإناثِ، وقد قال سحنون: أكرَهُ للمعلّم أنْ يُعلّم الجوارِيَ، ويَخْلِطَهُنَّ مع الغِلمان، لأنَّ ذلك فسادٌ لهنّ.

قال أبو الحسن: وإنّه لَيَنْبَغي للمعلّم أن يَحْتَرِس الصّبيان بعضهم من بعض إذا كان فيهم من يُخْشَى فَسادُه، يُناهِزُ الإحْتِلامَ، أو يكون له جُرْأةٌ.

وعليه ـ كما قال سحنون ـ أن يَتَفَقَّدَهُم بالتّعليم [57 ـ ب] والعَرْضِ، ويجعلَ لِعَرْضِ القرآنِ وقتًا مَعلوما، مثلَ عَشِيّةِ الأَرْبعاء ويومِ الخَميس. قال: فيَنْبَغي له أن يَجعل لهم وقتا مِنَ النَّهار يُعَلِّمُهم فيه الكِتابةَ، ويجعلُهم يتخايَرون (2)، لأنَّ ذلك مما يُصْلِحُهم، ويُخْرِجُهم، ويُبيحُ لهم أدبَ بَعضِهم بعضًا، ولا يُجاوِزُ ثَلاثًا. ويَجعَلُ الكِتابَ يُعنَى به (3) في كُلِّ يومٍ من الضُّحَى الى وقت الإنْقِلابِ.

---

(1) الجُعْلُ بِضمّ الجيم هو أجر العامل.

(2) يتخايرون مضارع تخايَر، ويقال «خايرَه في العِلم فَخارَهُ» أي سابَقَه فيه فغلَبه وكان خيرا منه. والمقصود هنا التّنافس في المعرفة.

(3) في الأصل «ويجعل الكتاب يعنى في كلّ يوم» والصّواب اضافة «به» بعد يعنى ليستقيم التّعبير.

ويأخُذ عليهم أنْ لا يُؤْذِيَ بعضُهم بعضًا، فإنْ شَكا بعضُهم أذَى بعضٍ، فقد سُئل سَحنون عن المعلّم يأخذُ الصّبيان بقولِ بعضِهم على بعضٍ في الأذى قال: ما أرى هذا مِن ناحيةِ الحُكْمِ، وإنّما على المُعلّم أن يُؤدِّبَهم اذا آذى بعضُهم بعضا. وذلك عندي إذا اسْتفاضَ على الإيذاءِ من الجَماعةِ منهم، أو كان الاِعترافُ، إلاّ أن يكونوا صبيانا قد عرَفهم بالصِّدقِ فيَقبَلَ قولَهم، ويُعاقبَ على ذلك، ولا يُجاوز (1) في الأدب [58 ـ أ] كما أعْلَمْتُكَ.

قال أبو الحسن: يريد كما تقدَّم من واحدَة الى ثلاثٍ، فإنِ اسْتأْهَلوا الزّيادةَ لِلأذى، فعلَى قدْر شِدَّةِ ذلك، يُريد من الثّلاثِ الى العشر، ويأمُرُهم بالكَفّ عنِ الأذى، ويَرُدُّ مَا أخذَ بعضُهم لبعضٍ، وليس هو من ناحيةِ القَضيّةِ، وكذلك سمعتُ من غيرِ واحدٍ من أصحابِنا. وقد أُجيزَتْ شهادةُ الصِّبيانِ في القَتْلِ والجِراح، فكَيف هذا؟ واللّهُ أعلَمُ.

قال أبو الحسن: وما يُوجد في الفصلِ الذي تقدَّم ابْتعدَ (2) به مِن كلامِ سَحنون. هذا وتعلَمُ به أنَّ على المُعلِّم أن يَتعاهدَهُمْ، ويَتَحفَّظَ منهم، ويَنْهاهُم عن الرِّبا، فإنْ باع بعضُهم مِن بعضٍ كِسْرَةً بزَبيب، أو زَبيبا برُمّانٍ، أو تُفّاحًا بِقِثّاءٍ، كما ذكرت، فان أدرك ذلك بأيدِيهمْ، رَدَّ كلَّ واحد ما كان له، وان أفاتوهُ أعلمَ آباءهم بما صنعوا من ذلك فيكون غُرم [58 ـ ب] ما صار الى كلّ واحدٍ مِن الصِّبيان من صاحبه في مالِه إنْ كان له مالٌ، أو يَتْبَعُهُ به إنْ لم يكنْ له مالٌ، إذا وقع الاِسْتِقصاءُ في ذلك. وإنْ كان إنّما أسلَمَ بَعضُهم الى بعضٍ طعامًا في طعامٍ، فيغرم القابض مثلَ ما قبض، أو قيمتَه إن لم يكنْ له مثلُ إنْ كان لهُ مالٌ. وإلاّ فَلْيَتَّبِعْ بما وجب عليه من ذلك، ويفسخ ما كان بينهما، ثمّ يأخذُ عليهم المعلّم، ويُشدِّدُ عليهم في الأَخْذِ أنْ لاَ يَعودوا الى التّبايُع

---

(1) كذا في الأصل بمعنى لا يتعدّى.

(2) في الأصل «أسعد به» والظّاهر أنها «ابتعد به».

فيما بينهم، لا في ما يحلّ بين الأكابر، ولا في ما لا يَحلُّ. ويُعرِّفُهم وجه الرِّبا في ما صَنَعوا على ذلك : يخبره بِعَيْبِهِ (1) ويُقَبِّحهُ عنده، ويتواعدُه بِشدّةِ العقوبةِ عليه إنْ هو عاوَدَه، لِيَتدرّجَ الى (2) مُجانَبةِ الخَطأ. وإذا هو أحسَن يَغْبِطُهُ بإحسانِه في غير انْبساطٍ اليه، ولا مُنافرَةٍ له، لِيَعرِفَ وجهَ الحَسَنِ من القَبيح فيتدرّجَ الى اختيارِ الحَسنِ [59 ـ أ]، وهذا ما يدُلُّ الاجتهادُ. واللّهُ يُزَكّي مَن يشاء، وهو السّميعُ العليم.

ومن الاجتهاد لِلصّبيّ أنْ لا يَنْقُلَه من سورة حتّى يَحفِظَها بإعْرابها وكتابتها. قال سَحنون : إلاّ أن يُسهِّل له (3) الآباءُ، فإنْ لم يكن لهم آباءٌ وكان لهم أولياء أو وَصيٌّ، فإنْ كان دفعَ أجرَ المعلّم من غير مالِ الصّبيِّ إنّما هو من عندِهم، فَلَهُم أنْ يُسهِّلوا كما للأب، وإنْ كان من مال الصَّبيِّ الأَجرُ لم يَجزْ (4) لَهم أن يُسَهِّلوا حتّى يَحفَظها كما أعلمتُك. قال : وكذلك إذا كان الأب يُعطي من مالِ الصّبيّ. قال : وأرَى ما يلزَمُ الصّبيَّ من مؤُونَةِ المعلّم في مالِه إنْ كان له مالٌ بمنزلةِ كِسْوتِه ونَفَقَتِهِ.

قال أبو الحسن : صوابٌ. ولكنّ قولَه إنْ كان ما يأخذ المعلّم من غير مالِ الصّبيّ، أنَّ لأَبيهِ أو مَن قام له أن يُسَهِّلَ للمعلّم في نَقْلِه من السُّورة قبْلَ [59 ـ ب] تمامِها، ما أدري ما وجهُ العطاءِ للمعلّم على الصّبيّ، إنّما كان على

---

(1) في الأصل «يُخبِرُه بِعينِه» والصّواب «يخبره بعيْبِه».

(2) في الأصل «ليندرج على مجانبة الخطأ» ويقال «اندرج في كذا لا على كذا» بمعنى دخل فيه، وهنا المقصود التّعوّد شيئا فشيئا على اجتناب الخطأ، فنقترح أن نقرأ كما يلي «ليتدرّج الى مجانبة الخطا» وهو المعنى المقصود ويتعدّى الفعل بحرف الى لا بعلى.

(3) في الأصل «أن يسهّل لهم» والصّواب «أن يسهّل له» كما في (س). قال محمد بن سحنون» ولا يجوز أن ينقلهم من سورة الى سورة حتّى يحفظوها بإعرابها وكتابتها الا أن يسهّل له الآباء «(كتاب آداب المعلّمين» ط. تونس 1972 ص 106).

(4) في الأصل «لم يجز» وقد سقطت في (ق . أ).

حُسن العنايةِ بالصّبيّ فقد صار الحقُّ للصّبيّ فَمِنْ أين لأحدٍ أن يُسهِّل فيه، إلاّ أن يكون مرادُ سحنون ـ رحمهُ اللّه ـ أنَّ التّسهيلَ في ذلك وَقعَ (1) عندَ عَقْدِ الإجارة، فيكون صوابًا في الجواب، والأحسنُ ما هو أتمُّ للصّبيّ.

وأمّا ما يَصْنَعُه الصّبيان من مَحْوِ أَلْوَاحهم وأكتافِهم، فذكر ابنُ سَحنون فيه عن أنَسٍ بنِ مالكٍ بإسنادٍ ليس هو مِن رِواية سحنون، قال : إذا مَحَتْ صِبْيَةُ الكُتّاب تنزِيلَ ربِّ العالَمين بِأَرْجُلِهم، نَبَذَ المعلّم إسلامَه خلْفَ ظَهْرِه، ثمّ لم يُبال حينَ يَلقى اللّهَ على ما يَلقاه عليه.

قيل لأنسٍ : كيف كان المؤدِّبون على عهد الأئِمّةِ أبي بكـر وعُمَـرٍ وعُثمان وعليّ رضوان اللّه عليهم ؟ قال أنس : كان المؤدِّبُ لَه إنْجانةٌ (2) وكل صبيٍّ يَجيءُ كلَّ يوم بِنَوْبَتِهِ ماءً [60 ـ أ] طاهرًا فيَصُبُّهُ فيها، فَيَمْحونَ به أَلْوَاحَهم. قال أنس : ثمّ يحفرون له حُفْرَةً في الأرض، فيصبُّون ذلك الماء فينشُفُ، قال محمّدٌ : قلت لِسَحنون فترى أن يُلعَطَ ؟ قال لا بأسَ به، ولا يُمسَح بالرِّجْلِ، ويُمسَحُ بالمِنديلِ وما أشبَهَهُ. قلت له : فما تقولُ في ما يَكتُبُ الصّبيان في الكَتِفِ من الرّسائلِ. فقال : أمّا ما كان من ذكرِ اللّه تعالى، فلا يَمْحِيهِ برِجْلِه، ولا بأسَ أن يَمحِيَ غير ذلك ممّا ليس من القرآن. وقال محمّد : وحَدَّثني مُوسَى (3) عن جابرٍ بن منصورٍ، قال : كان ابراهيمُ النَّخعِي (4)

---

(1) في الأصل «أنّ التّسهيل في ذلك وقع» وهو الصّواب لا كما في (ق . أ) : «أنّ للصّبيّ التّسهيل في ذلك وقع» وعبارة «للصّبيّ» زائدة وبها يختلّ التّعبير.

(2) الإنْجانَةُ وأفصحُها الإجَّانةُ ج أجاجين : قَصعَةٌ تشبه المِطهرة تُغسَلُ فيها الثّياب، وهنا . تُمحَى الألواحُ بمائها. والأصل أَجَن الماءُ : تغيّر لونُه وطعمه.

(3) موسى بن عبد الرّحمان بن حبيب (أبو الأسود) عُرِف بالقطّان : هو تلميذ محمّد بن سحنون عُيِّن قاضيا بطرابلس الغرب وتوفّي عام 306 هـ.

(4) ابراهيم النّخعي (أبو عمران ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود) : صحابيّ من الجيل الثّاني ومحدّث ثِقَةٌ، مات عام 96 هـ. راجع الزّركلي ج 1 ص 76.

يقول : مِنَ المُروءةِ أن يُرى في ثوبِ الرّجلِ وشفتيْه مِدادٌ. قال محمّد : وفي هذا دليلٌ أنّه لا بأسَ أن يَلعَطَ الكتابَ بلسانِه. وكان سحنون ربّما كتب الشيءَ ثم يَلعَطُهُ. وهذا الوصفُ يكفيكَ فِيما سألتَ عنه من هذا المعنى، فإنّه وصفٌ حسَنٌ. وما جاء فيه عن أنَسٍ من التّغليظِ، فيَنْبَغي [60 ـ ب] أنْ يُحذَرَ منه فإنّه تغليظٌ شديدٌ على المعلّمِ إنْ هُوَ تَرَكَ الصِّبيانَ يَمْحون القرآنَ بِأَرْجُلِهِم.

وأمّا بِطالةُ الصّبيانِ يومَ الجُمُعةِ فقال سحنون : يُؤْذَنُ في يوم الجمعة، وذلك سُنَّة المعلّمين منذُ كانوا، لم يُعَبْ ذلك عليهم. وذُكر أنّ محمّدَ بن عبدِ اللّه بن عبد الحكَمِ (1) قال في المعلّمِ يُستأْجَرُ شهرا، له أن يَتبَطَّلَ يوم الجُمُعَةِ، وما كان النّاس قد عَمِلوا به، وجرَوْا عليه فهو كالشَّرطِ. وأمّا تَخْلِيَةُ (2) الصّبيان يومَ الخميس منَ العصرِ فهو أيضا يَجري عُرفَ النّاس، إنْ كان قد عُرِفَ ذلكَ (3) من شأن المعلّمين، فهو كما عُرِف من شأنِهم في يوم الجمعة. فأمّا بِطالتُهمْ يومَ الخميس كُلِّه، فهذا بعيدٌ، إنّما دِراسةُ الصِّبيانِ أَحْزابَهم وعَرْضُهم إيّاها (4) على مُعلّميهم في عَشيٍّ يوم الأربعاءِ، وغُدُوٌّ يوم الخميسِ، الى وقتِ الكِتابةِ، والتَّخايُرُ الى قبْل انْقِلابِهم نصفَ [61 ـ أ] النّهار، ثمّ يَعودون بَعْدَ صلاة الظُّهر للكُتّاب، والخِيارُ (5) الى صلاة العصر،

---

(1) محمد بن عبد اللّه بن عبد الحكم (182 ـ 268 هـ) : فقيه مالكيّ مصريّ ـ راجع الزّركلي ج 7 ص 94.

(2) في (ق.ب) وفي (ق.أ) : «وأمّا تخليه الصّبيان» (وتقرأ هكذا تخلّيه، وهو مصدر تخلّى قائم مقام الفعل مضاف الى المعلّم. وان كان كذلك فينبغي أن يتعدّى بعن). والصّواب أن نقرأ «وأمّا تَخْلِيَةُ الصّبيان» وهو مصدر خلّى تَخْلِيةً الصبيَّ أي ترك سبيله وأطلقه.

(3) «ذلك» موجودة بالأصل، ساقطة من (ق.أ).

(4) في الأصل وفي (ق.أ) «وعرضهم إيّاه»، والصّواب أن نقرأ «إيّاها» وهوضميرمنفصل منصوب عائد على الأحزاب.

(5) الخيار هو التّسابق في العلم. ويقال : خايَره في العلم فخارَهُ أي سابَقَه فغلَبَه وكان خيرا منه. ويلحّ القابسي على هذا المعنى اذ يعتبر التّنافس في حفظ القرآن وفي الكتابة بين الصّبيان من حوافز التّعليم ودوافعه المحمودة.

ثم يَنْصرِفون الى يوم السَّبتِ يُبَكِّرون فيه الى معلّميهم. وهذا حسنٌ نافعٌ رَفيقٌ بالصِّبيان وبالمُعلّمين لا شَطَطَ فيه. وكذلك بطالةُ الأعيادِ أيضا على العُرْفِ المُشتَهَرِ المُتواطَإِ عليه.

وقال ابن سَحنون لأَبيهِ، كم تَرى أن يُؤْذَنَ لهم في الأعياد؟ فقال: الفِطْرُ يوما واحدا، ولا بأسَ أن يَأْذَنَ لهم ثلاثةَ أيّام، والأَضحى ثلاثةَ أيّام، ولا بأسَ أن يَأْذَنَهم خمسةَ أيّام.

قال أبو الحسن: يريد ثلاثةَ أيّام في الفِطر، يومًا قبلَ العيد، ويومَ العيدِ، -فيومَ ثانِيهِ. وخمسةَ أيّامٍ في الأَضْحَى: يومَ قبلَ يومِ النَّحر، وثلاثةَ أيّام النَّحرِ. واليوم الرّابع هو آخرُ أيّام التَّشريقِ (1)، ثُمّ يعودون الى معلّميهم في اليوم الخامس من يومِ النَّحرِ (2)، وهذا وسطٌ في الرِّفق.

وأمّا بِطالَةُ [61 ـ ب] الصِّبيان من أجلِ الخَتْم، فقيل لسَحنون أيضا: أترى للمعلّم سَعَةً (3) في إِذْنِهِ للصِّبيان اليومَ ونحوَه، قال: مازال ذلك من عمل النّاس مثلَ اليوم وبعضه، ولا يجوز له أن يأذَن لهم أكثرَ من ذلك إلاّ بإذنِ آبائِهم كلِّهم، لأنه أجيرٌ لهم. قيل له: رُبّما أهدى الصَّبيُّ الى المعلّم أو أعطاهُ شيئا، فيأذَنُ لهم (4) على ذلك؟ فقال: إنّما الإِذْنُ في الخَتْم اليومُ ونحوُه، وفي

---

(1) أيام التّشريق في المصطلح الاسلاميّ هي ثلاثة أيّام بعد عيد الأضحى، وسمّيت هكذا لأنّ الأضاحي تُشرَّق فيها أي تنحَر موجّهةً الى الشّرق.

(2) في الأصل «في اليوم الخامس من يوم النّحر» وهو الصّواب، لا «في اليوم الخامس من أيام النّحر» كما في (ق. أ). وقد يُفهم من هذا أنّ أيّام النّحر خمسة في عيد الأضحى وهذا خطأ لأنّها ثلاثة وأفضلُها أوّلُها. (راجع رسالة ابن أبي زيد القيرواني ص 154).

(3) في الأصل «أترى للمعلّم في إذْنِهِ للصّبيان» ويجب أن نقرأ كما في (س) لأنّ الكلام منقول عن سحنون «أترى للمعلّم سَعَةً» بمعنى قدرة وإمكانية وبهذا يكون التّعبير أثبتَ. (راجع «كتاب آداب المعلّمين» ط. تونس 1972 ص 95).

(4) في نصّ محمّد بن سحنون الذي ينقل نفس الكلام عن أبيه نجد «فيأذن له» (راجع كتاب آداب المعلّمين ص 95).

الأعياد. وأمّا في غير ذلك فلا يجوز إلّا بإذْنِ الآباءِ. قال: ومِنْ ها هنا أُسْقِطَتْ شهادةُ أكثرِ المعلّمين (1)، لأنّهم غيرُ مُؤَدِّينَ لما يَجب عليهم، إلّا من عصَم اللّهُ.

تمّ الجزء الثّاني والحمد للّه

(1) كانت مهنة معلّم الكُتّاب في القرون الوسطى نازلةً في نظر بعضهم لأنّ أصحابَها ما كانوا يُشرِّفونها دائما ولذلك أسقطت شهادة أكثرهم اذ اعتُبِروا إمّا حُمْقًا أو غيرَ ثقات. وفي كلام سحنون ـ وقد كان معلّما معتبرا في إفريقيّة ـ لطمةٌ لزملائه النّازلين بالمهنة.

وقد ألّف الجاحظ «رسالة المعلّمين» في التّهكّم على الصّنف الهابط منهم، وجرى المثلُ «أحمق من معلّم كتّاب» (راجع كتاب البيان «والتّبيين للجاحظ. ط. القاهرة 1926 ج 1 ص 173).

اخطا

الصبيان بمثل الختم فقيل لسحنون ايضا اترى للمعلم في إذنه
للصبيان اليوم ونحوه قال ما زال ذلك من عمل الناس
مثل اليوم وبعضه ولا يجوز له ان ياذن لهم اكثر من
ذلك الا باذن آبايهم كلهم لانه اجير لهم قيل له فما
اهدى الصبي الى المعلم او اعطاه شيا فياذن لهم على ذلك
فقال انما الاذن في الختم اليوم ونحو وفي الاعياد ولما
غير ذلك فلا يجوز الا باذن الاباء قال ومن ها هنا
اسقطت شهادة اكثر المعلمين لانهم غير مودبين لما
يجب عليهم الا من عصم الله تم الجزء الثاني والحمد لله

تتلوه الجزء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابو الحسن وهذا اذا كان المعلم باجر معلوم
كل شهر او كل سنة واما ان كان على غير شرط

الجـــزء الثّالـــث

بسـم اللّـه الرّحمـن الرّحيـم

قال أبو الحسن : وهذا إذا كان المعلّم بأجْرٍ مَعلومٍ كلَّ شهر، أو كلَّ سنَةٍ. وأمّا إن كان على غير شَرْطٍ [62 ـ أ] وما أُعطِيَ قَبِلَ، وما لم يُعْطَ لم يَسأَلْ، فلَهُ أن يفعلَ ما شاء إذا كان أوْلياءُ الصِّبيان يعلمون بِتَضْيِيعِه، فهُم إنْ شاءُوا أعطَوْهُ على ذلك، وإن شاءوا لم يُعطُوه. وهذا الوصفُ يكفيكَ مِمّا سألتَ عنه، وفيه بِطالَتُهم عند الخَتْمةِ، فإنْ كان بلدٌ قد عُرِف فيه العَطاءُ عند النِّصفِ، أو الثُّلُثِ، أو الرّبع (1) حتى صار ثابتًا، فالمُطالبةُ فيه على حسَب ما عُرِف عنه، وتُوُوطِئَ عليه.

وأمّا وصفُك لما جَرى عِندَكم من صَنيع مُعلّميكم إذا تزوّجَ رجلٌ، أو وُلِدَ له، فيَبعثون صِبيانهم، فيَصيحون عِنْدَ بابِه، ويقولون : أستاذنا، بصوتٍ عالٍ، فيُعطون ما أَحبّوا من طعام، أو غير ذلك، فيأتون به مُعلّمَهم، فيأذنُ لهم يَتَبَطَّلُونَ بذلك نصفَ يومٍ أو ربع يوم، بغير أمرِ الآباءِ، فيكفيكَ ما سألتَ عنه قولُ سَحنون : ولا يَحِلُّ للمعلّم أن يُكلّف الصّبيانَ فوْقَ أُجرتِه شيئا من هَديَّةٍ أو غير ذلك ولا يَسألهم (2) [62 ـ ب] في ذلك، فإنْ أَهدوْا اليه على ذلك، فهو حَرامٌ، إلاّ أن يُهدوا اليه من غير مسألةٍ، إلاّ أن تكون المسألة منه على وجهِ المَعروفِ فإنْ لم يَفعلوا (3) لم يَضرِبْهم في ذلك. وأمّا إن كان يُهدّدُهم أو يُخَلِّيهم

---

(1) يعني العطاء على حفظ الصَّبيّ لنصف القرآن أو لِثُلثه أو لِرُبعه.

(2) في الأصل وفي (ق. أ) «ويسألهم» ويفرض السّياق قراءة «ولا يسألهم». وهذه القراءة يؤكّدها نصّ محمّد بن سحنون (راجع كتاب آداب المعلّمين ص 96).

(3) في الأصل وفي (ق. أ) «فإن فعلوا» ويفرض السّياق قراءة «فان لم يفعلوا» وهي قراءة يؤكّدها نصّ محمّد بن سحنون (راجع كتاب آداب المعلّمين ص 96).

إذا أَهدَوْا اليه، فلا يَحِلُّ له ذلك، لأنَّ التَّخليَةَ داعيةٌ الى الهَدِيَّةِ وهو مكروهٌ. فإذا كان هذا كما وصفَ سَحنون في ما يأتي به الصِّبيان (1)، فالَّذي سألتَ أنتَ عنه أشدُّ وأكرَهُ: لعلَّ صاحب التَّزْويجِ، أو أبا المولود، لا يُعطي مَا يُعْطِي، إلاّ تَقيَّة من أذى المعلّم أو أذى صِبيانه، أو من تقريعِ بعضِ الجُهّالِ، فيصيرُ المعلّمُ من ذلك الى أكْلِ السُّحْتِ (2)، ولا يَفعل هذا إلاّ معلّمٌ جاهل. فليُوعَظْ فيه وَلْيُنْهَ عنه ويُزْجَرْ، حتّى يتركَ العملَ الذي وصفتُ، فإنّه من عَمَل الشّيطانِ، وليس من عمل أهلِ القرآن.

وأمّا [63 ـ أ] سُؤالك عمّا يُصَرِّفُ المُعلّم الصِّبيانَ فيه، ويُكَلِّفُهم إياه، وهل يَتشاغل هو عنهم بشيء، فإنَّ سَحنون قال: سُئِل مالكٌ عن المعلّم يَجعل للصّبيان عريفا (3) فقال: إنْ كان مثلَه في نَفاذِه، فقد سهّل في ذلك، إذا كان للصّبيّ في ذلك مَنفعةٌ. قال سحنون: ولا بأسَ أنْ يَجعلهم يُملي بعضُهم على بعضٍ، لأنّ في ذلك مَنفعةً لهم. وَلْيَتَفَقَّدْ إملاءَهم. قيل له: فيأذنُ للصّبيّ أن يَكتب لأحدٍ كتابا؟ فقال: لا بأس به، وهذا مما يُخَرِّجُ الصّبيّ (4)، إذا كتَب الرَّسائلَ. قال: ولا يَجوز للمعلّم أن يُرسِلَ الصّبيان في حوائجِه. قيل له: فَيُرسلُ الصّبيان بعضَهم في طلبِ بعض؟ فقال: لا أرى ذلك له إلاّ أن يَأْذَنَ

(1) في الأصل «فيما يأتوا به الصّبيان»، والصّواب «في ما يأتي به الصّبيان».

(2) السُّحْتُ بضمّ السّين ويجمع على أَسْحات هو ما خَبُثَ وقَبُح من المكاسب فلزم عنه العار كالرَّشوةِ وهو أكلُ الحرام. ويُسمّيهِ الإمام سَحنون وابنه محمّد النُّهْبَة بضمّ النّون وتشديدها، وهي الشّيء المنهوبُ.

قال محمّد بن سحنون: «قلت: فما يعمل النّاس من الإيلام (أي منح الولائم) عند الخَتْم، ومن الفاكهة يُرمى بها على النّاس، هل يحلّ؟ قال: لا يحلّ لأنّه نهبة. وقد نهى رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ عن أكل طعام النُّهبة» (كتاب آداب المعلّمين، ص 99 ـ 100).

(3) عادة معلّمي الكتاتيب أن يجمعوا العريفَ أي القيّم الرَّقيبَ للصّبيانِ. وقد وصف طه حسين تصرّفات العريفِ في كتابه «الأيّام» (الجزء الأوّل).

(4) خرَّجَ الصّبيّ في العلم (بتشديد الرّاء) يُخرِّجه بمعنى درّبه وعلّمه.

أولياءُ الصِّبيان في ذلك (1) أو يكون الموضِعُ قريبا (2) لا يُشغل الصّبيانَ في ذلك. ولْيَتعاهَدِ الصّبيانَ هو بنفسِه في وقت انقلابِ [63 ـ ب] الصّبيان، يُخبر أولياءَهم أنّهم لم يجيؤوا.

قال : وأُحِبُّ للمعلّم أنْ لا يُوليَ أحدا من الصّبيان الضربَ، ولا يجعلَ لهم عَريفا منهم، إلاّ أنْ يكون الصَّبيُّ الذي قد خَتَمَ وعرَف القرآن، وهو مُستغنٍ عن التّعليم، فلا بأسَ أنْ يُعينَه، فإنَّ في ذلك مَنفعةً للصّبيّ. قال : ولا يَحِلُّ له أن يأمُرَ أحدًا أنْ يُعلِّم أحدا منهم، إلاّ أنْ يكونَ في ما فيه مَنْفعةٌ للصّبيِّ في تَخريجِه، أو يأذنَ والدُه في ذلك. وَلْيَلِ ذلك هو بنفسِه، أو يَستأجِرْ هو من يُعينُه، إذا كان في مثل كِفايَتِه.

قال : ولا يجوز لِلمعلّم أن يَشتغِل عَنِ الصّبيان إلاّ أن يكونوا في وقتٍ لا يُعْرِضُهم فيه، فلا بأسَ بأن يَتحدَّثَ، وهو في ذلك يَنظُرُ إليهم يَتفَقَّدُهُمْ.

قال : ولا بأس للمعلّم أنْ يشتريَ ما يُصْلِحُهُ لِنفسِه من حَوائجِه، اذا لم يجد من يَكفيهِ. قال : ولا بأسَ أن ينظرَ [64 ـ أ] في العِلم في الأوقاتِ التي يَستغني فيها (3) الصّبيان عنه، مثل أنْ يَصيروا الى الكتابَةِ، وإمْلاءِ (4) بعضِهم الى بعضٍ، اذا كان في ذلك مَنفعةٌ لهم، فإنّ هذا قد سَهَّلَ فيه بعضُ أصحابِنا. قال : ولْيَلْزَمِ الـمُعلِّمُ الاِجتهادَ، ولْيَتفرَّغْ لهم.

ولا يجوز له الصّلاةُ على الجنائزِ إلاّ ما لا بدّ له منه، مِمَّنْ يلزَمُهُ النّظرُ في أمرِه، لأنّه أُجيرٌ لا يدَعُ عملَه ويَتّبعُ الجنائزَ وعِيادةَ المَرْضى.

---

(1) في كتاب محمّد بن سحنون «إلاّ أن يَأذَن له آباؤُهم أو أولياء الصّبيان في ذلك» (كتاب آداب المعلّمين ص 97).

(2) في كتاب محمّد بن سحنون «أو تكون المواضع قريبةً».

(3) «فيها» مُضافة الى الأصل.

(4) في الأصل «وإملاء» وهو الصّواب، لا «وأَمْلَى» كما في (ق.أ).

قيل : فهل تَرى للمُعلِّم أنْ يكتبَ كُتب العِلم له أو للنّاس ؟ فقال : أمّا في وقت فراغِهِ منَ الصِّبيان، فلا بأسَ أن يكتُبَ لنَفسِه وللنّاس، مثل أن يأذَنَ لهم في الانْقِلابِ. وأمّا ما داموا حوْلَهُ، فلا أراهُ يجوزُ له ذلك. وكَيْفَ يجوزُ له أن يَخرُجَ ممَّا يلْزَمه النَّظرُ فيه الى ما لا يَلْزَمُه ؟ ألا تَرى أنَّه لا يجوزُ له أنْ يُوكِل تعليمَ بعضِهم [64 ـ ب] الى بعضٍ، فكيف يَشتغِلُ بغيرِهم !

قال أبو الحسن : كلُّ ما جرى في هذا الفصْلِ صوابٌ حسَنٌ. وما قال فيه : إلاّ أنْ يأذَن في ذلك أبوه أو وَليُّه، فمعناه : إذا كان أجرُ المعلِّم من غيرِ مالِ الصَّبيّ الذي يَجوزُ إذنُهم في ذلك مِنْ أموالِهم،دفعوا الإجَارَةَ عن الصّبيّ. وقد تقدّم مِثلُه، وأنَّ معناه : أنَّه كان في الشَّرط عند عَقْدِ الإجارةِ، قبْل أن يَجب الحقُّ للصّبيان، وهو وجهُ القول عندي، واللّهُ أعلم.

وقد أتَى ما وصفَهُ سَحنون على مسائِلِك وأكثرَ منها.

وأمّا قولُك : هلْ لِلمُعلِّم اذا غلَب عليه النّومُ أنْ ينامَ عندَهم، أمْ يُغالِبُ ذلك عن نفسِه ؟ فإنَّه إنْ كان في وقتِ تعليمِه إيّاهم، وحضورِهم عندَه فلْيُغالِبْهُ إنِ اسْتطاعَ. وإنْ غُلِبَ فَلْيُقِمْ فيهم مَنْ يَخْلُفُهُ عليهم ـ إذا كان في مِثلِ كِفايتِه ـ بإجارةٍ [65 ـ أ] يَستأجِرُه، أو يَتطوَّعُ له إذا كان مِنْ غيرِ الصّبيان. وإنْ كان مِن الصّبيان انفسِهم فقد تقدّم من الشَّرائِطِ في ذلكَ.

وكذلك،إن مَرِض، أو كان (1) عليه شُغلٌ، فهو يَستأجِر لهم مَن يكون فيهم بمثلِ كِفايَتِه لهم، اذا لم تَطُلْ مُدّةُ ذلك. فإنْ طالتْ فَلآباءِ الصّبيان في ذلك نظرٌ ومُتكلَّمٌ مِن قِبَلِ أنّه هو المُستأجَر بعينِه، فلا يصلُح أن يُقيم عِوَضًا منه إلاّ فيما قَرُبَ، فيُستخَفُّ اذا كانت الإجارةُ واجبةً عليه.

كذلك إنْ هو سافرَ فأقامَ مَنْ يُوفِّيهم كِفايتَه لهم، إنْ كان سفرا لا بُدَّ

(1) «كان» إضافة الى النّصّ.

منه، قريبًا اليومَ واليومينْ وما أشْبهَهُما فَيُسْتَخَفُّ ذلك إنْ شاءَ اللّه. وأمّا إنْ بَعُدَ، أو خِيفَ بُعْدُ القريبِ لِما يَعرِضُ في الأسفار من الحوادث، فلا يصلُح له ذلك.

وأمّا شُهود النِّكاحاتِ (1) وشهاداتِ [65 ـ ب] البِيَاعاتِ (2)، فليس لهُ ذلك، هو في هذا مِثلُ شُهودِ الجنازةِ، وعيادةِ المريض، أوْ أَشدُّ. وأمّا إنْ كانت عندَه شهادةً، والسُّلطان عَنْهُ بعيدٌ، في سيره إليه شُغْلٌ عن صِبيانِه، فهو له عُذرٌ في تخلُّفِه عن أداء الشّهادةِ، ولكنْ إنْ لم يُوجَدْ منه بُدٌّ، أوْدعَ شهادته عند من يَنقُلها عنه، وله في ذلك عُذرٌ، ويَقبلُها الحاكِمُ مِمَّن نقلَها اليه، ويَعذِرُه بعُذرِه الذي لَزِمَه. فافْهَمْ، فقد بيَّنتُ لك جميعَ ما سألتَ عنه مِن هذا المعنى.

وأمّا قولُك : فإنْ فعَل، يُريد ما نَهى عنه، وتَشاغَل عن الصّبيان، ماذا عليه ؟ فاعْلَمْ أنّه إنْ كان (3) من الإشْتِغال الخفيف، الذي يكون في مِثل حديثِه في مجلِسه، فيشغله عن (4) الصِّبيانِ شيئا، فهذا وما أَشْبَهَهُ يَقِلُّ خَطْبُه، ويخِفّ قدرُه، فيتحلَّل من آباءِ الصِّبيان ممّا أصابَ من ذلك، إن كان الأجرُ مِن أموالِهم. وإنْ كان مِن [66 ـ أ] أموال الصّبيان فلا بأس به عندي أن يُعَوِّضَهم من وقتِ عادة راحتِه، ما يَجْبُرُ لهم به ما نَقَصَهم من حُظوظِهم بإشْتِغالِه ذلك، وإنْ كان غائبا اليومَ أو أكثر اليوم، فهذا كثيرٌ. فإنْ كان إجارتُه أجَلاً مَعلوما، وقد عَطَّلَهُم، ولم يُقِمْ لهم عِوَضًا منه، فيضع من أُجْرِه ما ينوبُ ذلك اليومَ الذي عَطِلَهُ. وإنْ كانت الإجارةُ مُطلقةً، وَفَّى كلَّ شهرٍ بما علَّم فيه. وليس له أن يَعتادَ التَّشاغُلَ، حتّى يُلْجِئَهُ الى العِوَضِ، لأنَّ ذلك يَضرُّ بالصِّبيان.

---

(1) أي عقود الزّواج.

(2) البِيَاعاتُ بكسر الباء مُفردة البِياعَةُ أي ما يُباع.

(3) في الأصل «أنّه يكون» والسِّياق يفرِض قراءة «أنّه إنْ كان».

(4) في الأصل «فيشغله عن» وهو الصّواب لا «فيشغله من» كما في (ق.أ).

وأمّا سؤالك عمّا يُكلِّفُه المعلّمُ الصِّبيانَ أنْ يأتوهُ به مِن بُيوتِ آبائِهم يُريدُ بغيرِ إذنِ آبائِهم، أو حَمَلَه الصّبيان بغير تَكليفٍ من المعلّم، وكان ذلك من الطّعامِ أو غيرِ الطّعام، وإنْ قلَّ قدرُه من حَطَبٍ أو غيرِ ذلك، فهذا لا يَحِلُّ للمعلّمين أنْ يَأمُروا به، ولا أن يَقبَلوه إنْ أُتيَ به [66 ـ ب] اليهم، وإنْ لم يَأمروا به، إلاّ بإذْنِ الآباء، ويَسْلَمُ أيضا مِن أن يكون ما أَذِنَ الآباءُ في ذلك على وجه الحَياءِ وتَقِيَّة اللاّئِمةِ. وقد تقدّمَ مِن قول سَحنون في فصلِ ما يَجوزُ مِن بِطالتِهم ما فيه الكِفايَةُ من سُؤالك هذا. فافْهَمْ.

وشِراءُ الدِّرَّةِ والفَلَقَةِ (1) على المعلّم، ليس على الصّبيان. وكذلك كِراءُ الحانوتِ لِمَجلِس التّعليم، على المعلّم يكون. كلُّ ذلِك (2) لِسَحنون، وهو صَوابٌ.

وقال : اذا استُؤْجِر المعلّم على صبيانٍ مَعلومين سنَةً مَعلومةً، فعلَى أَوْلِياء الصّبيان كِراءُ موضعِ المُعلّم.

قال أبو الحسن : وهذا صوابٌ أيضا، لأنّهم هم أتوْا بالمُعلّم إليهم وأقْعدوه لِصبيانهم، وعلى هذا يَعتدِلُ الجواب.

وقال سَحنون : إذا استأجَر الرَّجلُ مُعلِّما على صبيان معلومين، جاز للمعلّم أنْ يُعلّم [67 ـ أ]معهم غيرَهم، اذا كان لا يَشغَلُه ذلك عن تعليم هؤلاء الذين اسْتُؤْجِرَ لهم. ومَعنى هذا : إذا كان لم يُشترَطْ على المُعلّم أنّه لا يَزيد على العِدَّةِ المذكورة له شيئا، فأمّا إنِ اشْتَرطوا (3) عليه أن لا يزيد على

(1) الدِّرَّة والفلَقة : آلتان للعِقاب العنيف. فالأولى هي السَّوْطُ من جِلْد البقر، والثّانية عصا مَثقوبةٌ من طرَفَيْها ويُشَدُّ في ثُقْبَيْها خيطٌ يُشَدُّ على رجليْ الصّبيّ المعاقَب حتّى لا يحرِّكَها عند إيقاع الضّرب.

(2) في الأصل «على المعلّم يكون كلّ ذلك» وهو صواب، لا «على المعلّم ان يكون كلّ ذلك» كما في (ق. أ).

(3) في الأصل «فأمّا إنِ اشترطوا» وهو صواب، لا «فأمّا أن يشترطوا» كما في (ق. أ).

العِدّة المذكورة له أوْ شرَطوا عليه أن لا يخلِط مع صِبيانهم غيرَهم، فليس له ذلك. وهذا هو جوابُ سؤالك عندي له.

وأما تعليم الصِّبيان في المسجد، فإنَّ ابنَ القاسم قال : سُئِلَ مالكٌ عن الرَّجل يَأتي بالصَّبيِّ الى المسجد. أتَسْتَحِبُّ ذلك ؟ قال : إنْ كان قد بلَغَ مَوضعَ الأدبِ، وعرَف ذلك، ولا يَعبَثُ في المسجد فلا أرى بأسا. وإن كان صغيرا، لا يَقِرُّ فيه ويَعبَثُ، فلا أُحبّ ذلك. ولابْنِ وهبٍ عن مالكٍ مِثلُ معنى هذا.

وأمّا سحنون فقال : سُئِلَ مالكٌ عن تعليم الصِّبيان في المسجد فقال : [67 ـ ب] لا أرى ذلك يجوزُ لأنّهم لا يَتحفَّظون من النَّجاسةِ، ولم يُنصَبِ المسجدُ للتّعليم.

قال أبو الحسن : جوابٌ صحيحٌ، وتَكسُّبُ الدّنيا في المسجد لا يَصلُح. ألَمْ تَسمَعْ قول عَطاءِ بنِ يَسارٍ لِلّذي أراد أنْ يبيعَ سِلْعةً في المسجد : عليك بسوقِ الدُّنيا، فإنّما هذا سوقُ الآخرةِ. فلا يُترَكُ لِمعلّم الصِّبيانِ أنْ يَجلِسَ بهم في المسجد، وإنِ اضْطُرَّ الى ذلك بِانْهِدامِ مَكانِه، فلْيَتَّخِذْ مكانا يُعلّم فيه الى أن يُصلِحَ ما انْهَدَم له، إنْ أحبَّ.

واتِّخاذُ المكانِ عليه، كان بيْتًا أوْ حانوتا، إلاّ أن يُدعى الى صبيانٍ بأَعْيانِهم، فقد تقدَّمَ قولُ سَحنون في كِراءِ ذلك أنَّهُ على الصِّبيان، فإذا كان بيتُ المعلّمِ لهم ـ إذْ هُم بأعيانِهم ـ فبناؤُه عليهم، أو يَتَّخِذُوا مَكانًا غيرَه (1)، وليس على المعلّم من ذلك شيء. إنّما على المُعلّم المكان، إذا كان يُعلّم لِعامّة النّاسِ. [68 ـ أ] وأمّا شركةُ المعلّمَيْن والثّلاثةِ والأربعةِ، فهي جائزةٌ إلاّ اذا كانوا في مكانٍ واحد، وإنْ كان بعضُهم أجودَ تعليمًا من بعضٍ، لأنَّ لهم في

---

(1) «أو» هنا حرف نصب بمعنى الاستثناء (إلاّ أنْ) والفعل بعده منصوب.

ذلك تَرافُقًا وتَعاوُنًا (1)، ويَمرَضُ بعضُهم فيكون السّالِمُ مكانَه حتىّ يُفيقَ. وإنْ كان بعضُهم عربيَّ القِراءةِ (2)، يُحسِنُ التّقويمَ، والآخرُ ليس كذلك، ولكنّه ليس يَلْحَنُ، فلا بأس بذلك. قلتُ: ذلك عَلَى مَا جاء عَنْ مالكٍ، وَعن ابنِ القاسمِ في مُعلّمينْ اشترَكا. وقد رُوِيَ عن مالكٍ أنّ ذلك لا يصلُح حتىَ يستويَ عِلمُهما، فلا يكون لأحدِهما فضلٌ على صاحبِه في علمِه. فإن كان أحدُهما أعلمَ من صاحبِه، لم يصلُح، إلاّ أن يكون لأَعْلَمِهما فضلٌ من الكَسب يُقَدَّرُ عليه على صاحبِه، وإلاّ لم يصلُح.

قال أبو الحسن: أمّا إذا لم يكن بين المعلّمينْ من الاِختلاف إلا أنَّ أحدَهما يُعرِبُ قراءتَه، والآخرَ لا يُعربها، إلا أنّه [68 ـ ب] لا يَلْحَنُ، فما في هذا ما يوجب عندي التّفاضُلَ بين أُجرتَيْهما إذا اشتركا. وكذلك يكون أحدُهما رفيعَ الخطِّ، والآخرُ ليس بذلك، إلا أنّه يكتُب ويَتهجّى. والاِخْتِلافُ في هذا وشِبْهِه متقاربٌ في الشَّركة. وكذلك هذا في الصّنائعِ وفي التِّجارة يكون أحدُهما أَعْلى من الآخرِ فيما يُحسن من ذلك، فليس لهذا فضلٌ على الآخر في الإجارة اذا كانا شريكيْن.

ولكن اذا كان أحدُ المعلّمينْ يقوم بالشَّكل والهجاء، وعلمِ العربيّةِ، والشّعرِ، والنّحوِ، والحِسابِ، والأشياءِ التي لَو انْفرَدَ معلّمُ القرآنِ بِجَمْعِ عُلومِها لجازَ أنْ يُشترَطَ عليه تعليمُها مع تعليم القرآنِ، مِنْ قِبَلِ أنّها مِمّا يُعينُ على ضبطِ القرآن وحُسنِ المعرفة، فهذا إنْ شاركَ من لا يُحسِن إلاّ قراءةَ القرآن والكِتابةَ، فهو الذي تكون الإجارةُ [69 ـ أ] بينهما مُتفاضِلةً على هذه الرّواية، على قدْرِ عِلمِ كُلٍّ واحد منهما. وأمّا لو أنّ (3) أحدَهما يُستأجَرُ ليعلّم النّحوَ

(1) في الأصل «لأنّ لهم في ذلك ترافقٌ وتعاون» والصّواب «ترافقًا وتعاونا»، والملاحظ أنّ أخطاء النّسخ الرّسميّة والنّحويّة كثيرة في مخطوطة باريس.

(2) «عربيّ القراءة» أي يقف على حركات آخر الكَلِمِ ويُحسن الإعراب.

(3) في الأصل «وأمّا أنْ لو أحدهما...» والأفضل أن نُقدّم «لو» على «أن».

والشّعر والحِساب وما أشبَهَ ذلك، والآخرَ يُستأجرُ على تعليم القرآن والكتابةِ، ما صَلُحتْ هذه الشّركةُ، على مذهبِ ابنِ القاسم، وعلى قول من يَكره الإجارةَ على تعليم غيرِ القُرآنِ والكتابةِ. بيّنتُ لك ذلك لِيُردَعَ عنه من يُحبُّ أن يأكُلَ حَلالا طيِّبا.

وسألتَ هلْ لِلصّبيانِ الصِّغارِ، أو الكِبارِ البالغينَ، أنْ يَقرؤوا في سورةٍ واحدة وهم جَماعةٌ على وَجْهِ التّعليم، فإنْ كنتَ تُريد يَفعلون ذلك عند المعلّم، فَينبغي على المعلّم أن ينظر في ما هو أصلحُ لِتعلُّمِهم، فَيأمُرُهم به، ويأخذُ عليهم فيه لأنّ اجتماعَهم في القراءةِ بحضرَتِه يُخفي عنه القَويَّ الحفظِ من الضّعيفِ. ولكنْ إنْ كان على الصِّبيان من ذلك خِفّةٌ، فيُخبرهم [69 ـ ب] أنّه سَيُعْرِضُ كلَّ واحدٍ منهم في حِزبه، فَيُؤدِّبُه على ما كان من تقصير، تَهديدٌ يَتَهَدَّدُهم، ولا يُوقع الضّربَ لأدبٍ، إلاّ عن ذنب يُتَبيَّنُ حسَب ما تقدَّم قبْل هذا.

وأما إمساكُ الصِّبيانِ المصاحِفَ، وهم على غيرِ وضوء، فلا يفعلُوا ذلك، وليس كالألواحِ. وما في نَهْيِهم عن مسِّ المصاحِفِ الجامعةِ ـ وهم على غير وضوء ـ خلافٌ من مالكٍ، ولا ممَّن يقول بقولِه. ورأى سَحنون أنّ على المعلّم أنْ يأمُرَهم أنْ لا يمَسّوا المُصحفَ إلاّ وَهُمْ على وُضوء، حتّى يَعْلَموه. وهو حَسَنٌ صوابٌ، كما قال سحنون، لأنّ معلّمهم يُعلّمهم مصالحَ دينِهم.

قد سُئِلَ مالكٌ عن صبيان الكُتّاب يُصَلّي بهم صبيٌّ لم يَحْتَلِمْ قال: ما زال ذلك من شأنِ الصِّبيان وخَفَّفَهُ. قال أبو الحسن: يُريد الّذِين يُصلّون معه لم يَحْتلِموا، ولو كان [70 ـ أ] في صبيان الكُتّاب محتلمٌ، فإن صلُح للإمامة قُدِّمَ، وإنْ لم يصلُح للإمامة فلا يُصلّي خلفَ مَنْ لم يَحْتلِم (1)، ولا يُقطَعُ عن

(1) في موضوع إمامة الصّلاة راجع في رسالة ابن أبي زيد القيرواني ص 72 ـ 76 «بابا في الإمامة وحكم الإمام والمأموم» ومنه قوله: «ويؤمّ النّاس أفضلُهم وأفقَهُهم، ولا تَؤمّ المرأةُ في فريضة ولا نافِلة لا رجالاً ولا نِساءً».

صبيان الكُتّاب عادتَهم، لكي يَتدرّجوا الى معرفةِ صلاة الجَماعةِ (1)، وليعرفوا فضلها حتّى يكبروا على الرَّغبة فيها، واللّهُ خيرُ حافظٍ (2) وهو أرحَمُ الرّاحمين.

* * * *

(1) في صلاة الجماعة : راجع رسالة ابن أبي زيد القيرواني ص 72 ـ 76.

(2) في الأصل «والله خير حفظا» وفي (ق. أ) «والله خير حافظا» وكلاهما خطأ إعرابٍ، فيجي أن نقرأ «والله خيرُ حافظٍ».

البـــــاب الأوّل
ذكرُ سؤاله عما تكون فيه الأحكام بين المعلّميـــن والصّبيـــان وعن أدبِ الرّجلِ زوجتَه وولدَه وعبدَه وشكواهُ ولــــدَه الكبيـــر

قال أبو الحسن : قد قدّمت لك من وصفِ ما يَطيب للمعلّمين، يأخُذونَه من المتعلّمين، ومِنْ وَصفِ ما ليس لهم أخذُه، وما يكون نَزاهةً لأهلِ الوَرَعِ منهم، ما فيه الكِفايةُ والبيان لما سألتَ عنه، وفيها ما يوجب لهم في شَرْطِهم، فإنْ أراد منهم أحدٌ تركَ ما دَخلَ فيه، أو اختلفوا في [70 ـ ب] أمرٍ، وَسِعَتْهُمُ الأحكامُ.

وسألت عن الخَتمَةِ متى تَجِبُ للمعلّم، وعلى أيِّ وجهٍ تجِبُ له، وكيف يكون حالُ الصّبيّ في حِفظه، وقراءتِه، وإجارتِه، فيستوجبُها المعلّم ؟ قال : ووجوب الخِتْمة للمعلّم في ما سألتَ عنه على وجهيْن :

أحدهما أن يَستظهر القرآنَ حِفْظًا من أوّله الى آخره، فهذا الذي تجِب له الخِتْمةُ على نظر حاكِم المسلمين المأمونِ على النَّظرِ في ذلك. وتكون على قدْرِ يُسْرِ الأبِ وعُسْرِه، وقدْر ما فَهِمَهُ الصّبيّ، مما علّمه المعلّمُ، مع استظهارِه للقرآنِ، وليس في ذلك حَدٌّ مُوقّتٌ، إنّما هو ما يُرى أنّه هو الواجبُ في عاداتِ النّاس في مِثْلِ هذا المعلّم، بِمثلِ هذا الصّبيّ. وفي حال أبيهِ.

والوجه الآخر أن يكونَ الصّبيُّ استكملَ قراءةَ القرآن في المُصحف نظَرًا، لا يَخفى عليه شيءٌ من حُروفه، [71 ـ أ] مع ما فَهِمَهُ الصّبيّ مما يَنْضافُ الى ذلك، من ضَبْطِ الهجاءِ، والشّكل، وحسنِ الخطِّ، فيكون الاِجْتِهادُ في الواجب لِمعلّم هذا الصّبيّ أيضا، على قدْر عاداتِ النّاس في أَحْوالهم. إلاّ أنَّ

المُستظهرَ لِلحفظِ مع ما صاحَبَه من حُسن خطٍّ، وضبطِ شكلٍ، وهجاءٍ، وإعرابِ قراءةٍ، يكون في الاِجْتهادِ أفضلَ جُعْلاً ممّن لم يَستظهرِ الحِفظَ، إنّما قَوِيَ على تِلاوة القرآنِ نَظرًا. وما نَقُصَ تعلّمُ كلّ واحدٍ منهما عمّا وصفتُ لك، كان الاجتهادُ له في ما يَجب من الجُعْلِ دون مَنِ اسْتكمَلَ ذلك. فعلى هذَيْن الوجهيْن، يُحَمَلُ ما يجب للمعلّم على المتعلّم إذا هُوَ اسْتكمَلَ خَتْمَ القرآنِ. وهذا إذا لم يكن شرطُ المعلّم لِلخِتْمَةِ جُعْلاً مُسمًّى. فأما إنْ شرَط ذلك كان له ما شرَط إذا حَذِقَ الصّبيّ الوجهَ الذي عُلِّمَ من ظاهرٍ أو نَظرٍ [71 ـ ب].

فان نقَص تعلُّم الصّبيّ ممّا عُلِّمَ به، نقَصَ من الأجر المُسمّى بِمقدار ما نقصَ من تَعلُّم الصّبيّ، حتى يَنتهِيَ من نَقْصِ التّعليم الى أقلّ ما يَنْفَعُهُ، فيكون له بمقدار المنفعةِ التي له فيه. وإن كان لم يَشترط للختمة شيئا مُسمًّى، حتّى يكون للمعلّم فيها إذا أَحْذَقها الصّبيّ الاجتهادُ، فنقَص حذقُ الصّبيّ حتّى ينتهي الى ما لا يُسمَّى تَعلُّما، في إجادتِه، ومعرفته بالهجاء والشّكل، والنّظر في المُصحف، فَبِأيِّ شيءٍ خَتَمَ هذا؟

ما لِهذا خِتْمةٌ: يُملَى على الصّبيّ فلا يَتَهجّى، ويرى الحروفَ فلا يَضبِطُها، ولا يستمرُّ في قراءتِها. معلّمُ هذا قد فَرَّطَ فيه، إنْ كان يُحسن التّعليمَ، وإنْ كان لا يُحسن التّعليم، فقد غرَّرَ. ورأيُ العُلماء أنَّ مِثلَ هذا المعلّم يَسْتأهِلُ الأدبَ لِتَفريطِه فيها وَلِيَهُ، وتهاوُنه بما الْتزَمَهُ، وأنْ يُمنَعَ مِن التّعليم، وهو صوابٌ، إذا كان شأنُه التّفريطَ أو الغرورَ بِتَعليمِه وهو لا يُحسِنُ. ورأيُ [72 ـ أ] بعضِهم أنّ مثلَ هذا المعلّم لا يَستأهِلُ الإلْزامَ، بل يَستأهِلُ اللّوْمَ والتّعنيفَ والغِلظةَ والتّأنيبَ من الإمامِ العَدْلِ. فإنِ اعْتذَرَ المعلّم بِبَلَهِ الصّبيّ، واخْتُبِر الصّبيُّ فَوُجِدَ لذلك لا يَحفِظُ ما عُلّم، ولا يضبِطُ ما فُهِّمَ، فَلَمْ يحصُل لهذا المعلّمِ إلاّ إجارةُ حَوْزِه وتأديبِه، لا إجارةُ التّعليم، إذا لم يُعرِّف أباه بمكانِه من فَقْد الفَهْمِ، لأنّه لو عَرَّفَ أباه، فرَضيَ له بشيءٍ لَزمه، فإذا لم يُعرِّفْهُ فقد غرَّهُ. والمغرِّرُ لا يَسْتأْهِلُ على تغريره جُعْلاً ولا إحسانا.

وأمّا الصّبيُّ عُلِّمَ حتّى تدانى من الختمة فأراد الخروجَ من عِند المعلّم الى مُعلّمٍ آخر، أو الى صَنْعةٍ، أو الى ما أحبَّ من الإنْتِقالِ، أو مات الصّبيُّ قبْل اسْتكمالِ الخِتمةِ، وهي لم يُسَمَّ لها جُعْلٌ مُسمًّى، فهو عندي أصلٌ واحدٌ، كأنّ الذي بَقِيَ عليه من استكمالِ الختمة الثّلثُ، أو الرّبعُ، أو أقلُّ من ذلك [72 ـ ب] أو أقلُّ من السُّدُسِ ، فإنّه يكونُ للمعلّم عندي على أبي الصّبيّ مِمّا يجبُ على مثلِه في جُعْلِ خِتمة ابنِه، بمقدار ما انتهى ثلاثةَ أرباعِ ذلك، أو خمسةَ أسداسِه، أو أكثرَ، أو أقلَّ من ذلك. ولو كان إنّما علّمَه نصفَ القرآن، لوَجب له حِسابُ ذلك. وكذلك يَجب عندي في الوقت للمعلّم ما اشتَهَرَتْ عادةُ وُجوبِه له في البلدِ الذي يعلّم فيه مثل الجُعْل في (لم يكن الذين كفروا) (1) إذا بلغها الصّبيّ وفي (عمَّ يتساءلون) (2) وفي (تبارك) (3) وفي (إنّا فتحنا (4) و (الصّافّات (5) وفي سورة (الكهف) (6) لإشتهار أداء النّاس في ذلك. وجلوسُ المُعلّمين ورغبتُهم في التّعليم إنّما هو لذلك. واذا كانت الإجارةُ على تَعلُّمِ القرآنِ جائزةً، والأخذُ على ذلك بالشّرط إنّما هو إجارةٌ لم يَصلُح أن يَجريَ إلاّ مجاري الإجاراتِ [73 ـ أ] إلاّ فيما اتُّفِقَ على تجويزه مِنْ تَرْكِ شرطِ تَسْمِيَةِ الجُعْلِ. وكذلك الجُعْلُ في ختمة القرآن (7) على مَن أدّى الخَتْمَةَ المُسمّاة (8)، لوُجوبِها عليه في عادةِ البلد، يكون أخفَّ من الجُعْلِ في الختمة على من لا يُؤدّي في الختمة المُسمّاةِ شيئًا. وما معنى قول سَحنون : ـ عندي أنّه لا تلزم ختمةٌ غيرُ القرآنِ كلِّه، لا نصفٌ ولا ثلثٌ، ولا ربعٌ، إلاّ

---

(1) هو اسم آخر لسورة «لم يكن» أو «البيّنة».
(2) هذا مطلع سورة النّبأ.
(3) هو اسم سابق لسورة «الملك» وسُمّيت أيضا «الواقعة» و«المُنجية».
(4) هذه بداية سورة الفتح.
(5) اسم السّورة ذات الرقم 37 في المصحف.
(6) سورة عدد 18 في المصحف. وكلّ السّور المذكورة أعلاه هي أختام جزئية.
(7) «ختمة القرآن» يعني بها استظهار التّلميذ للقرآن كلّه عن ظهر قلب.
(8) «الختمة المسمّاة» هي حفظ جزئيّ معيّن للقرآن.

أن يتطوّعوا بذلك - إلاّ أنّه لم يكن في عادةِ عامّةِ النّاس الأداءُ في ذلك. وإنّما كان يَفعَلُه الأقلُّ إكْرامًا للمعلّم ومَسرّةً للصّبيان، وهذا هو سبيل التّكرُّمِ الذي لا يجب به حُكْمٌ.

ولما كانت الخَتمةُ في تعلّم القرآن كامِلا إنّما وَجبتْ على مَن أدّى منهم (1) من قِبَلِ عادةِ العامّة، فحُمِلتْ على عادتِهم في ذلك على وجْهِ الوُجوب، وإنْ لم يَشترِطْ لها جُعْلاً مُسمًّى، وجبَ ذلك في كلٍّ ما فشا في العامّة والْتزَمَتْهُ [73 - ب] حتّى صار عندَها في الوجوب كَمَنْ ختَم جميعَ القرآن. وكذلك عندي قولُه، إذا قيل له: فَعَطِيَّةُ العيدِ يُقضى بها؟ قال: لا، ولا أعرِف ما هي إلاّ أن يَتطوّعوا.

وكذلك قول ابنِ حَبِيبٍ: ولا يَجِبُ للمعلّم الحكمُ بالأخطار (2) الذي يأخذونه من الصِّبيان في الأعياد، ذلك تطوّعٌ، مَنْ شاءَ منهم فعَل، ومن شاء لم يَفعَل. وفِعلُ ذلك حَسَنٌ مِمّن فعلَه، وتَكَرُّمٌ من آباء الصّبيانِ لِمُعلّميهم. ولم يزَلْ ذلك مُستحسَنًا فعلُه في أعيادِ المُسلمين. فقولُ سَحنون وابنِ حبيبٍ عندي في هذا، اذا كان ذلك ليس في عامّة النّاس أداؤُهُ لا يرَوْنَه مِمّا لا بُدَّ منه (3). فأمّا اذا فشا في عامة النّاس، وصار عند العامّة ممّا يرونَه واجبا، وعلى ذلك جلَس المعلّمون، وإن لم يَشترِطوه، للعادةِ المُنْتَشِرَةِ في عامّة النّاس في المُعاوضات، واجبة (4)، كالهبة للمكافآت [74 - أ] إذا نال الموهوبُ الهِبَةَ وأفاتَها وجبَ عليه قِيمتُها. وَكَذلِك ما أفاتَ منها، وجبَ عليه العوضُ منه. وكذلك

---

(1) في الأصل «منها» وهو تحريف لـ «منهم».

(2) الأخطار هي كما فسّرها تاج العروس «الأحراز» واحدها خطر. ويظهر أنّه يعني ما يقدّمه صبيان الكتّاب لمعلّمِهم في الأعياد من هدايا موضوعة في أحرازٍ أي صُرُرٍ.

(3) في الأصل وفي (ق. أ) «يَرَوْنَه مِمّا لا بدّ منه» والصّواب أن نستعمل النّفي بلا التي أسقطها النّاسخ، فَنَقْرَأ «لا يرونه ممّا لا بدّ منه» حتّى يستقيم المعنى.

(4) يعني أنّ هديّة العيد «واجبة» لإنتشارها بين النّاس.

المعلّمون عندي في هذه العاداتِ، اذا كانتْ مُستحسنَةً في الخاصّة، فانْتِشارُها على ما وَصفنَا يُوجِبُها.

وصوابٌ قولُ ابنِ حبيبٍ ومكروهٌ عليه أنْ يَفعل من ذلك شيئا في أعياد النّصارى مثلِ النَّيروزِ (1) والمِهْرجان (2)، لا يحِلُّ لمن فعله ولا لمن يقبلُه من المعلّمين، بل ذلك تعظيمٌ للشِّركِ، وإعظامٌ لأيّام أهلِ الكُفر باللّه. قال: وحدّثني أسَدُ بن مُوسى (3) عن الحسَن بن دِينارٍ عن الحسَن البصريّ، أنّه كان يكرَه أن يُعطَى المعلّمُ في النَّيروزِ والمِهرجانِ، وقال: كان المُسلمون يَعْرِفون حقَّ مُعلّميهم، اذا جاء العيدان، أو دخل رمضانُ، أو قدِم غائبٌ من سفَرِه، أعطَوْهُ.

قال أبو الحسن: ما انتَشَرَ في عامّة النّاس، ولا قَصَدَ المعلّمون الى الجُلوس عليه من هذا الذي [74 ـ ب] سمّاه الحسنُ رحمه اللّه إلاّ العيدَيْن.

---

(1) النَّيروز: عند الفرس: أوّل يوم من أيّام السّنة الشّمسية ويُناسب اعتدالَ الرّبيع ويُطلق عموما على يوم الفرح عندهم. ـ راجع «دائرة المعارف الإسلاميّة» ج 2 ص 949.

(2) المِهرجان: كلمة فارسيّة مركّبة من كلمتيْن: الأولى مِهْر وهو الشّهر السّابع في السّنة الشّمسية الفارسية ويدوم مهر من 17 سبتمبر الى 16 أكتوبر فيفتح إذن فصل الخريف.

ويدلّ مِهر أيضا على اليوم السّادس عشر من كلّ شهر. ولتمييز مِهر (الشّهر) من مِهر (اليوم) سمّي الأوّل مِهْرمَاهُ والثاني مِهْر رُوز.

وسمّوا التقاء مِهْرمَاهْ ومِهْر رُوز «مِهْرَجانا» ويدوم الاحتفال به ستّة أيام. ومِهر هي أيضا المحبّة، وجان هو الرّوح، فيكون المعنى محبّة الرّوح. فهو احتفال عظيم عند الفرس.

والغريب أن مثل ذلك العيد كان له أثرٌ في بعض الأوساط بإفريقيّة العربيّة الإسلاميّة في عصر القابسي. ولعلّ الكلمة فقدت آنذاك مدلولها الأصلي فأصبحت بمعنى الاحتفال الكبير كما هو مفهومها عندنا اليوم.

(3) أسد بن موسى بن ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي: محدّث ثقة (132 ـ 212 هـ) ـ راجع الزّركلي ج 1 ص 292.

فأمّا رمضانُ، والقدومِ من السَّفرِ، فهو باقٍ لِفِعل الخاصَّةِ، وعاشوراءُ مِثلُ ذلك.

وكذلك المَذمومُ أن يُؤخَذَ في أعيادِ أهلِ الكُفر، يَدخُل فيها أيضا المِيلادُ (1)، والفِصْحُ (2)، والإنْبِداسُ (3) عندَنا، والغِبْطةُ بالأندلس، والغِطاسُ (4) بمصرَ. كُلٌّ هذا من أعيادِ الكفَرة، لا يَجب أن يَطلب معلّمُ المسلمين فيه شيئا، وإنْ أُتِيَ اليه بشيءٍ في ذلك لا يَقبَلُه وإنْ أَطاعوا له به. ولا يَنبغي للمسلمين أن يتطوّعوا بذلك ولا يَتزيّنوا له بشيءٍ من الزيِّ، ولا يَتهيّئُوا له بشيءٍ من التَّهْيِئَةِ، ولا يَفرَحُ الصّبيان كَعَملِ القِباب في الإِنْبداس، والقُصوفات (5) في الميلاد. كلٌّ ذلك لا يَصلُح من عمَلِ المسلمين، ويُنْهَوْنَ عنه، ويأبى المعلّم من قَبولِ الإكرام منهم فيه، لِيَعلَمَ جاهلُهم أن هذا خطأٌ فَينتهي، ويَخْجَلَ مُستَخِفُّهم له فيترُك ذلك. والمؤمنُ للمؤمنِ كالبُنيان [75 ـ أ] يَشُدُّ بعضُه بعضًا، كذا قال الرّسول عليه السّلام.

وأمّا قول سَحنون فيمن أَخْرَجَ ولدَه من عندِ المعلّم وقال له: لا يَحضرُ ولدي عندك وقد قاربَ الخَتْمَةَ، وكانت الإجارةُ كلَّ شهر. فقال أُقضي عليه بالخَتْمَةِ، ثمّ لا أُبالي به أَخْرَجهُ أو ترَكه. ومقاربةُ الختمة عند سحنون، اذا بلغ الثُّلثَيْن أو جاوزَ ذلك. وقيل عنه: والثلاثةُ أرباعٍ أَبْيَنُ. وعنده إذا لم يبلُغ إلا لِسورةِ يُونس، أنّه لا يُقضى له بشيءٍ. وقال ابنُ حبيبٍ وإذا لم يشتَرِطْها المعلّم، ولم يشترطْ أبو الغُلام سُقوطَها عنه، فأراد أن يُخرجَه قبل فراغِه منها، كأنْ كانتِ

(1) يعني عيد ميلاد المسيح عليه السّلام.

(2) الفِصْحُ: عيدُ تِذكار قيامة المسيح عند النّصارى. وفِصْحُ اليهود هو عيد تِذكار خروجهم من مصرَ، وهو تعريب فِسْح بالعبرانيّة ومعناه اجتياز وعبور أو نجاة.

(3) الإنْبِداس: عيد المِظالّ عند اليهود، يحتفلون به بعد الحصاد تحت الخيام تذكارا لمخيّماتهم في الصّحراء بعد خروجهم من مصر.

(4) الغِطاس: عيد الظّهور الإلهي عند النّصارى.

(5) القُصوف: الإقامة في الأكل والشُّرب واللّهو.

الختمةُ قد تَدانتْ بالأمرِ اليَسيرِ مثلِ السُّوَرِ القليلة تكون بَقِيتْ عليه، فالحِذقةُ (1) واجبةٌ للمعلّم كلُّها اذا كان الغُلامُ يَحفِظُ كما وصفتُ لك. وإنْ كان الذي بَقِيَ من الحذقة الشيء الذي له بال [75 ـ ب] مثل السّدس وأقلّ من ذلك، أَخْرجَه اذا شاء، ولم يكن عليه من الحذقةِ شيءٌ لا جميعُها، ولا على حِسابِها.

قال أبو الحسن : أمّا حُكمُها (2) للمعلّم بجميعِ الختمة على من قارَبها، فهو يَعتدِل فيمن حَذِقَ، وتمَّ حذقه في المعرفة والنّفاذ، واستغنى بما عنده من الخطِّ والهجاء والإجادةِ والإعراب، حتّى صار لا يحتاج في ما بَقِيَ عليه الى المعلّم، فهذا إذا خرجَ عند مُقاربة الختمة، فلم يبقَ من استكمالِه إيّاها ما على المعلّم فيه عناءٌ، بل تَماديه مع المعلّم نَفعٌ للمعلّم.

وأمّا إسقاطُها الجُعْلَ عمّن لم يبلغ مُقاربة الختمة، وقد حذِق وفهِم، ولا عَنَتَ في تعليمِه، فما أعرِف له وجهًا، ولا منِ أيْنَ أخذاه (3). إنّما ذكر سَحنون أنَّ المُغيرة (4) وابنَ دينارٍ (5) اجتمَعا على أنّ الصّبيّ اذا أخذ عند المعلّم من الثُّلثِ الى سورة البقرة، أنّ الختمة واجبةٌ إذا عرَف أن يقرَأه كما وصفتُ لك، ولا يُسألُ [76 ـ أ]عَنْ غير ذلك ممّا لم يكن أخذَه عنده. وقولُ المغيرةِ وابنِ دينارٍ في مُبتدىءٍ انتهى الى الثّلثِ يحسُنُ، من قِبَلِ أنّ المبتدىء لا يُحقّق ممّا عُلِّمَ النّفاذَ المُوَفَّقَ (6) في مقدار بُلوغ الثّلث، هو يُعَدُّ في تعلُّم الصغير البعيدِ من الميز،

(1) الحِذقَةُ : يستعملها القابسي تارة بمعنى حفظ القرآن كلّه، وتارة أخرى بمعنى أجرة المعلّم مقابل حذق التّلميذ للقرآن.
(2) في الأصل «حكمهما» وهو صواب وليس «حكمها» كما في (ق.أ).
(3) في الأصل وفي (ق.أ) «أخذه» والصّواب «أخذاه» لأنّ القابسي يشير الى فَقِيهيْن هما سحنون وابن حبيب.
(4) المغيرة (أبو هاشم المغيرة بن عبد الرحمان بن الحارث بن عبّاس) (124 ـ 186 هـ) : فقيه من المدينة. ـ راجع الزّركلي ج 8 ص 200.
(5) الحسن بن دينار : عالم حجازي من مدرسة مالك الفقهيّة.
(6) في الأصل وفي (ق.أ) «النّفاذ المرفق» والصّواب أن نقرأ «النّفاذ الموفّق».

فصار من عَلَّمَهُ الثُّلثيْنِ البَاقِيَيْـنِ هو الذي لَقِيَ التَّعبَ به ولم تضع عنه عنايةُ الأوّل من العَناء ما يُرْهِقُهُ (1). هذا الغالب في عامّةِ النّاس. وإنّما العمَلُ في هذه الأشياء على الغالب المستفيض في وصف النّاس. ولم يُذكَر عن المُغيرةِ وابنِ دينارٍ في الذي علَّمه الثّلثَ الأوّل شيئا.

وقد قال : تَنازع المُغيرةُ وابنُ دينار ـ وكلاهما من عُلماء أهل الحجاز ـ في الصّبيّ يَختِم القرآنَ عند المعلّم، فيقول الأبُ إنّه لا يَحفِظ، فقال المغيرة : اذا كان أخذَ القرآن عنده كلَّه، وقرأه الصّبيُّ كلَّه نظرًا في المُصحف، وأقام [76 ـ ب] حروفَه، وإنْ أخطأَ منه اليَسيرَ الذي لا بُدَّ منه مثلَ الحروفِ ونَحوِها، فقد وجبتْ للمعلّم الخِتمةُ، وهي على المُوسِع قدرُهُ وعلى المُقْترِ قدرُه، وهو الذي أَحفظُ من قول مالك.

وقال ابنُ دينارٍ : قد سمعت مالِكًا يقول : تَجِبُ للمعلّم الختمةُ على قدْرِ يُسرِ الرجل وعُسْرِه، يَجتَهِدُ في ذلك وليُّ النّظر للمسلمين. وأرى أنّه اذا تنازع المعلّم والأبُ في الصّبيّ : أنّه لا يَعْلَمُ القرآن، فاذا قرأَ منه نظرًا من الموضع الذي لو كان أخذه عندَه مُفرَدًا وجبتْ له الختمةُ قضيتُ له بها. ولا أبالي أنْ لا يقرأَ غيرَ ذلك، لأنّه لو لم يأخُذْهُ عنده لم يسأل هذا المعلّم.

قال أبو الحسن : فهذا سَحنون ذكر ما تنازع فيه المُغيرة وابنُ دينار فوصف أنّ المغيرةَ جَعَلَ للمعلّم الخِتمةَ اذا لم يَبقَ على الصّبيّ إلاّ الحروفُ اليَسيرةُ. ولم يَصِفْ عنه فيه إن بَقِيَتْ عليه حروفٌ كثيرةٌ [77 ـ أ] ما يكون الحكمُ فيه. ووصفَ ما رآه ابن دينارٍ اذا قرأ الصّبيُّ نظرًا من الموضِع الذي لو كان أخذَه عنده مُفرَدا وَجبتْ له الختمةُ، قُضيَ له بها، ولا يُبالي أنْ لا يقرأَ غيرَ ذلك : قال : لأنّه لو لَمْ يأخُذْه عنده لم يسأل هذا المعلّم. فأين تصريحُ التّنازعِ بينهما ها هنا ؟ اذا كانا قد (2) وصفا ما يَجب به الجُعْلُ للمعلّم، ولم يَصِفا ما

(1) في الأصل وفي (ق.أ) «من العناء ما يرفق» والصّواب «من العناء ما يرهقه».
(2) في الأصل «اذا كانا قد وصفا»، وسقطت «قد» في (ق.أ).

يَسقُطُ به جُعْلُ المعلّم، ولا وصفَهُ واحدٌ منهما.

وقد اتّفقَ المغيرةُ وابنُ دينارٍ في هذا الوصْفِ أنّ مالكا جعَل للمعلّم الخِتمةَ على قدْرِ يُسرِ الأبِ وعُسْرِه، ولم يَصِفْ عنهما سحنون أنّهما قالا عن مالك فيمن علّم ما دون الختمة شيئا. وان كان قول المُغيرةِ في الذي يَبقَى عليه الحروفُ اليسيرةُ يدخل في ما حُفِظَ عن مالكٍ حَسَنٌ، إنّما الطلبُ أن يوجد لمالِكٍ إسقاطُ جُعْلِ المعلّم فيما دون الخِتمةِ. وقال سحنون أيضا : قال [77 - ب] أصحابُنا جميعا، مالكٌ والمغيرةُ وغيرُهما : تَجِبُ للمعلّم الختمةُ، وإنِ اسْتُؤْجِرَ شهرًا شهرا، أو على تعليم القرآن بأجرٍ معلوم، ولا يجب له غيرُ ذلك.

قال أبو الحسن : وليس يَظهر في قولهم ولا يَجِبُ له غيرُ ذلك، إلاّ أنّه إنّما يجب له جُعْلُه في الخِتمة، ليس له مع ذلك الا ما خُورِجَ عليه في المُشاهرة، اذا كان المعروفُ في ذلك الوقتِ وعليه يقعد المعلّم، إلاَّ من أَكْرَمَهُ في الأعياد وما أشبهَ ذلك من الأرْفاق، التي لا يُقضَى بها، إذ ليستْ مُعتادةً فيُعمَلُ عليها، ومن حمل هذه الكلفة على أنّهم أرادوا أنّه ليس له فيما دون الختمة شيء، فما لقوله هذا بيانٌ.

وقال ابن حبيب : الحِذقةُ على الحِفظ لازمةٌ لأبيه، الاّ أن يكون أبوه اشترَط على المعلّم أن لا حذقةَ عليه سوى خراجِه (1)، فيسقِطُها الشّرطُ عنه، فأمّا إذا سكتا [78 - أ] عنها، فهي تجِبُ كما فسّرتُ لك، اشترَطها المعلّمُ أوْ لم يَشْترِطْها، وإنّما يختلفُ الحُكمُ في اشتراطِها أو غير اشتراطِها، إذا أراد الرّجلُ

---

(1) في الأصل وكذلك في (ق. أ) «سوى إخراجه»، وينبغي أن نقرأ «سوى خراجه». وقد استعملت كلمة خراج هنا بمعناها الأصلي أي ما يخرجه الوليّ من مال غير جُعْلِ الختمة للمعلّم.

ويؤكد هذا الثّبت استعمال كلمة «خراج» بنفس المعنى في الفقرة المواليةِ.

أن يُخرِجَ ولدَه قبْل الحذقةِ. فإنّه اذا اشترَطها المعلّمُ، مثل أن يقول: أُعلِّمُه على درهمٍ في كلّ شهر، أو في كلّ شهريْن، وعلى أنّ لي في الحذقة كذا وكذا، كان للأبِ أن يُخرِجَهُ إنْ شاء، وكان عليه من الحِذقةِ على قدْرِ ما قرأ منها، ولوْ لم يقرأ منها إلاّ الثّلثَ أو الرّبع، كان عليه منها بحساب ذلك، لِاشْتراطِهِ فيها ما سمَّى مع خراجِه، ولو كان شارَطَهُ على أن يُحذقَه ولَهُ كذا وكذا، لم يكن لأبي الغلام أن يُخرجَه حتى يُتِمَّ حذقتَه.

قال أبو الحسن: ففرَق في وصفِ هذا بين ما جُمِعَ الشّرطُ فيه بشرط الحذقة وتَسمِيَةِ الجُعْلِ عليها، والمُخارجة (1) في كلّ شهر، وبين شرطِ الحِذقة [78 ـ ب] وتَسمِيَة الجُعْلِ عليها ولم يكن مع ذلك خراجُ مُشاهرَةٍ، فيما إذا أراد أبو الصّبيّ إخراجَه قبْل تَمام الحذقة. ولم يَذكر حُجّةً لتَفْرقَتِه، ولم يكن لمن شَرَط وسمَّى لها جُعْلاً وزاد مع الجُعْلِ دِرهما في كلّ شهر، الى أن يُتِمَّ الحِذقةَ أنْ يُخرج ابنَه قبْل تمامِها، ويسقط للمعلّم بقية شرطه ممّا سمّى له من الجُعْل في جميع الحذقة، وهو لو لم يُسَمِّ الخراجَ في كلّ شهر لَمُنِعَ أبو الصّبيّ أن يُخرجَه قبْل تَمام الحذقة، لأنّ العقد قد وجب (2) على المعلّم قبل تمام الحذقة، وأوْجب على أبي الصّبيّ الجُعْلَ المُسمَّى، فليس له أن يُنْقِصَهُ منه بإخرَاجِه ابنَهُ قبْل التّمام. فإن كان زيادةُ الخراج في المُشاهرة بشرط إلْزامِ شَرْط الحذقة رجع ذلك الى حكم من لم يشتَرط الحذقة. فهذا الذي أردتُ بيانَه إذْ جُعِلَ على أبي الصّبيّ حصّةٌ من جُعْلِ الحِذقَةِ، اذا أخرَجهُ قبْل [79 ـ أ] تمامِها، وهو صوابٌ مِنَ

---

(1) في الأصل وفي (ق. أ): (بشرط الحذقة وتسمية الجُعْلِ عليها أو المخارجة في كلّ شهر)، والصّواب أن نعوّض حرف التّخْيير «أو» بحرف العطف «واو» اذ المقصود أن يجمع المعلّم بين جعل (أي أجر) المعلّم على ختمة القرآن وجرايته الشّهرية.
ويأتي معنى التّخيير بين جعل الختمة والإجارة الشهريّة في القسم الموالي من نفس السّياق.

(2) في الأصل وفي (ق. أ): «لأنّ العقد قد أوجب على المعلّم قبل تمام الحذقة» ولا مفعول به لأوجب هنا. ولاستقامة المعنى ينبغي أن نقرأ «قد وجب».

القول. فلِمَ جُعِلَ لِمَنْ لَمْ يشترط (1) الحذقةَ فأخرجَ ابنَه قبْلَ مُقاربتِها، أنّه لا يُغْرَمُ شيئا من جُعْلِ الحذقة؟ فإنْ قيل لأنها لم تُشترَطْ، ولم يُسَمَّ لها جُعلاً مُسمًّى، قلت: فإذا كمَّل هذا الختمةَ، ولم تَكنْ اشْتُرِطَتْ، ولا سُمّي لها جُعْلٌ، وقد كان يُؤدّي مشاهرةً أو مُسانَاةً خَراجا فَلِمَ جُعِلَ عليه حقُّ الختمة وهو لم يُسمَّ ولم يَشترِطْ؟ ولِمَ لَمْ يَكْتَفِيا من ذلك بما كان يُؤدّي من المُشاهرة؟ فإنْ قيل: لأنّ العادة قد جرتْ في النّاس بأداءِ الختمة إذا كَمُلَتْ وتُجْعَلُ بالاِجْتِهاد على قدر أحوال أبِي الصّبيّ، وقدر ما انْتهى اليه حِذقُ الصّبيّ من معرفة ما حفظ، قِيل (2) فهذا الذي يُوجِبُه الحُكم، ولا كراهيةَ فيه، ولا إباءَ منه، مقامُهُ ومَقامُ التَّسْمِيَةِ سواءٌ. إذا أخرَج الصّبيَّ أبوه قبلَ تمام الختمة، يجب عليه ما يُوجبه الاِجْتِهادُ في الختمة، لو كانت حِصّتُه بقَدْر ما تعلّم من الختمة، كما يجب في التّسمية التي لَهُ أن يخرج اليه قبل تمامها. [79 ـ ب] هذا وجهُ القياس فيها عندي والله أعلم.

وكذلك قولُ ابنِ حبيبٍ أيضا: ولا يَجوز للمعلّم اذا اشتَرط الحِذقة مع الخراج إلاّ أنْ يُسمّيَ لها شيئا معلوما. فأمّا أنْ يقول أُعلِّمُه كلَّ شهرٍ بدِرْهمٍ، على أنَّ الحذقة لي واجبةٌ، وسَكَتَ عن تَسْمِيَتِها، فلا يجوز ذلك اذا اشترَطها، فلا بُدّ لها من تَسْمِيَةٍ.

قال أبو الحسن: هو يجعل لأبِي الصّبيّ في هذه المسألةِ يُخْرِجُه متى شاء قبل الختمة، كأنّه لم يَلْتَزِمِ الحذقةَ، ثم يَمنع من أنْ يُشترطَ حتّى يُسمَّى لها جُعْلٌ مُسمًّى. واذا كان لأبي الصّبيّ أن يسقط ما سمّى له جُعْلاً من هذا، لِمَ لَمْ يكن إدخال هذا الشّرط فيها من التّغْرِيرِ بالمعلّم؟ وإذا جاز هذا بالغرر (3) الذي

(1) في الأصل: «لمن لم يشترط» وهو صواب، لا كما في (ق.أ) «لم يشترط».
(2) في الأصل «فعل» وهو خطأ نسخ.
(3) في الأصل «الغرور» وهو تعبير فقهاء المالكيّة، ومعناه التّغرير، وتستعمل الغرر في التّعبير العامّي التّونسي.

فيه ـ لِمَ لَمْ يُجزْ اذا لم يُسَمَّ الخراجُ ما هو حتّى يُبيّنه الاجتهادُ فيه، عند الحاجةِ اليه : التغريرُ فيهما واحدٌ [80 ـ أ] واللّهُ ـ أعلم.

واعلَمْ أنّي ما ذهبتُ الى أن لا يُجعل (1) للمعلّم حِصّةً مّما يوجب الاجتهادُ في الختمة إذا كمُلَتْ، إذا أخرجَ الصّبيَّ أبوه، ولم يستكملها وقد تعلّم منها شيئا، لأنّي رأيتُه من وجهِ الإجارةِ التي لم يُشترط لها غايةٌ، فما نِيلَ منها كان عليه الواجبُ فيه، ولم يَبطُلْ عَناءُ الأجير، وكذلك المُجاعلةُ على الشيءِ الذي لم يُشتَرطْ كمالُه إلْزاما، فعمِل فيه العامِلُ ما شاء ثمّ ترك. فإن كان لِرَبِّ العمل فيها عمل منفعةٌ ينتفع بها وأدّى حِصَّتَها من الجِعالةِ (2) فَلِمَ لا يكون المعلّم الذي (3) لم يستكمل تعليمَ الختمة هكذا ؟ وهو لوْ علّم سورةً واحدةً لانْتفع بها المتعلّم، والمعلّمُ لم يُعلّمه حِسْبَةً، وإنّي لأرى رأيِي بمنصوص قَوْلِ مالكٍ قلتُ : في ذلك قال مالك في الذي يعلّم الصبيانَ إنّه إذا اشترط سنَةً أو سنتيْنْ فذلك له لازمٌ، وإنْ لم يكن شرط مسمّى، فأراد أن [80 ـ ب] يُخرُجَ أو يخرج عنه الصّبيّ فله بقدْر ما علّم. كذا روى ابنُ القاسم وابن وهبٍ من مالك في سماعَيْهما، وفي مُوطّأ ابنِ وهب.

وقال ابن حبيب : سمعت مُطرِّفا (4) يقول : قال مالكٌ وجميع علمائنا بالمدينة : لا بأسَ بأخذ الأجر على تعليم الصّبيان الكتابةَ والقرآن، والاشتراطِ على ذلك سنةً أو سنتيْنْ. فإذا كان ذلك، لم يكن لأبي الغُلام أن يُخرِجَه حتّى

(1) في الأصل «أن يجعل» والسّياق العام يفرض علينا أن نقرأ «أن لا يُجعل».

(2) يستعمل القابسي مرّة الجُعل برفع الجيم ومرة أخرى الجِعالة بكسر الجيم وهما لغتان بمعنى أجر العامل.

(3) في الأصل «فلم لا يكون المعلّم الذي لم يستكمل تعليم الختمة هكذا ؟» وهو تعبير مستقيم، ولا داعي لأن نقرأ كما في (ق. أ) «فلم لا يكون لمعلّم الصبيّ لم يستكمل تعليم الختمة هكذا ؟».

(4) مطرّف بن عبد اللّه : صديق لمالك بن أنس، وفقيه يعتبر حجّة وبرناها. مات بالمدينة سنة 220 هـ. راجع «طبقات» ابن سعد ج 5 ص 438 ـ 439.

يَسْتوفيَ الشّرطَ. واذا لم يكن شرطٌ مُسمًّى، فلا بأس أن يُخرِجَه اذا شاء، وعليه قدْرُ ما علَّمه. فهذه الرواياتُ قد اجتمعتْ على أنّ للمعلّم حصّتَه بمقدارِ ما علّم. وما ذُكِرَ في هذه الرّوايات من شرْط تمامِ حذقةٍ، ولاَ تَسْمِيةِ جُعْلِها، وإنما مُنع أبو الصّبيّ من إخراجِه في هذه الرّوايات اذا كانتِ الإجارةُ فيه أجلاً معلوما، بشرطِ سنَةٍ أو سنتيْنْ [81 ـ أ] فاذا لم يكن شرطُ أجَلٍ مُسمًّى، لم يكن لإخراجِ الصّبيّ مانعٌ. وكذلك المعلّم إن أراد التّرْكَ. هذا ما في هذه الرّوايات عن مالكٍ بيّنٌ لا إشكالَ فيه. والذي قدّمناه من روايةِ مُطرِّفٍ هو عند ابن حبيبٍ، ولكنّه لم يستعمله في جميعِ وجوه المسألة.

قال : ونحن نُوجِبُ للمعلّم الحذقةَ، ونرى أن يُحكم له بها في النّظرِ والظّاهِرِ (1) على قدْر الغُلام، وقدْرِ درايتِه، وقدْر حفظِه في حِذْقَةِ الظّاهرِ، وقدْرِ معرفَتِهِ بالهجاء والخطِّ في حذقة النّظر، وليس لها قدْرٌ معلومٌ، وليس كلُّ النّاس فيها سواءً، وليس ذو الفَقْرِ من الآباء كغيرهِ من الغِنى، وإنّما رأيْنا أنْ يُحكم بها لأنّها مُكارَمَةٌ جرى النّاسُ عليها فيما بينَهم وبين مُعلّمي صِبيانِهم بمنزلةِ هديّةِ العُرس. ونحن نرى أن يُحكم بها على قدْرِ الرّجلِ، وقدرِ المرأةِ، وليس لها قدرٌ معلوم. وكذلك الحذقةُ.

وقد كاشفتُ [81 ـ ب] عن ذلك أَصْبَغَ بنَ الفرَجِ وغيرَه من أهلِ العلم والفقه، فأوضحوا لي من ذلك ما أوضحتُ لك، وأسقطوا ذلك عن المعلّم في حذقة الظّاهرِ، اذا لم يَستظْهِرِ الغُلامُ فيها شيئا، أو يستظهر فيه اليسيرَ، وفاتَهُ الكثيرُ. فأمّا أن يُخطىءَ في السّورةِ الحرفَ والأحرفَ اليسيرةَ وهو مُستمِرٌّ في القراءة، إلاّ أنّه يُخطىءُ ويَعثُر، فَلْيُلَقَّنْ، فهو عندي حفظٌ يَجب للمعلّم به أن يُكافأَ. وليس الذي يُخطىءُ كالذي لا يُخطىء في قدْر ما يُعطَى.

(1) «النّظر» يعني به قراءة القرآن من النصّ. أمّا «الظّاهر» فالمقصود به هو استظهار القرآن من الذّاكرة. وهذان المعنيان يتّضحان أكثر في السّياق من بعد.

فانْظُرْ كيف جَعَلَ جُعْل المعلّم في الحذقة، إنّما هومُكَافأةٌ على وجهِ التَّكارُمِ.
وكذلك قال في حِذقة النّظرِ إنّما يجب للمعلّم فيها أن يُكارَمَ ويُكافأَ، إذا كان الغلامُ يَتهجّى تَهجِّيًا حسَنا، وَيخطُّ خطًّا جميلا، ويكتُب ما يُملى عليه، ويقرأ نظرًا ما أُمر بقراءتِه. فأمّا اذا لم يُحسن الهجاءَ ولم يُحكِم الخطَّ، ولم يقرأْ شيئا نظرًا [82 - أ] فلا يجبُ للمعلّم في ذلك شيءٌ، بل يجِب عليه ما وَصفنا فوق هذا من التّأنيب (1) والتّعْنِيفِ.

قال أبو الحسن : أمّا صبيٌّ هذا وَصْفُ ما تَعلّم، فما تعلّم شيئا، وقد قدّمنا أنّ هذا لا يَجِبُ للمعلّم في ما علّمه جُعْلٌ، وفسّرنا الواجبَ عليه قبْلَ هذا عند العلماء.

وأمّا قول ابنِ حبيبٍ : إنّ الحكم بها عنده بمنزلةِ هَدِيّةِ العُرس، قال : ونحن نَرى أن يُحكم بها، فاعْلَمْ أنّ هديّة العُرسِ قد قيل لمالكٍ : فهديّةُ العُرس اذا طلَبَتْها المرأةُ وأبي الزّوجُ، قال مالكٌ : لا أرى لها فيها حقًّا (2)، ثم قال : قال اللّه عزّ وجلّ (وآتوا النِّساء صدقاتِهنَّ نِحْلَةً) (3) فليس الهديّةُ من الصَّداق، ولا أرى فيها (4) حقّا، ولا أرى ما نَحَلَها عِنْدَ اخْتلائِه يَلزَمُه. فقيل لمالك : فإنّ الذي عندنا في هديّة العُرس، ممّا يَعمَل به جلُّ النّاس، حتّى إنه ليكون في ذلك الخصوماتُ، أفَتَرى أن يُقضَى به ؟ فقال : اذا كان [82 - ب] قد عُرِفَ من شأنِهم، وهو عملُهم، لم أرَ أن يُطرَحَ ذلك عنه، إلاّ أن يتقدَّم فيه السُّلطان، لأنّي أراه أمرًا قد جَرَوْا عليه.

قال ابن القاسم : وقد قال مالكٌ مثلَ هذا : لا أرى لهم ذلك إلاّ أن يشترطوه، وهو أحبُّ قولَيْهِ إليّ.

---

(1) في الأصل «التّأنيف» والصّواب «التّأنيب».
(2) في الأصل وكذلك في (ق. أ) «لا أرى لها فيه حقّا»، والصّواب «لا أرى لها فيها حقّا» لأنّ القابسي يعني هديّة العرس، لا العرس.
(3) سورة النّساء، بعض آية 4.
(4) في الأصل وكذلك في (ق. أ) «ولا أرى فيه حقّا» والصّواب «ولا أرى فيها حقّا» اذ يعني المؤلف هديّة العرس، لا الصّداق.

قال أبو الحسن : فانظُرْ كيفَ وقع جوابُ مالكٍ رحمَهُ اللّهُ، أوّلاً في هديّة العُرس واحتجاجه على ذلك بما في كتابِ اللّه، فلمّا وصفوا له ما جَرى في أكثر النّاس قال : إذا كان قد عُرِفَ ذلك من شأنِهم، وهو عملُهم، لم أرَ أنْ يُطرَحَ ذلك عنه، إلاّ أن يَتقدَّم فيه السُّلطان، لأنّي أراه أمرًا قد جرَوْا عليه، فَبَيَّنَ مالكٌ رحمةُ اللّه عليه أنّ ما اشتهر في النّاس (1) وجَرَوْا عليه من ذلك، أن الزّوج مأخوذٌ به، لأنّه عليه قَدِمَ (2) وهكذا يَجب أن يكونَ العملُ في المعلّمين، ما جرى في النّاس سُنّةٌ لهم جائزةٌ، أنَّ آباء الصّبيان [83 ـ أ] مأخوذون به لهم، إذ على ذلك جاء الآباء بأبنائِهم، وعليه قعَدَ المعلّمون لِصبيانهم، على أنّ هَدِيَّةَ العُرس إنّما هي شيءٌ يُقدّمُ للمرأة عند الدّخول بها، لِتَدخُلَ به، فالاِنْتِفاعُ بالمرأة مُستقبَلٌ، وانتفاعُ الصّبيانِ بالمعلّم قد نالوه في القدْر الذي علّمهم إيّاه، فبأيّ وجهٍ يُطرَحُ ذلك عن آباء الصّبيان، وهم مأخوذون بجميعه، اذا استكملوا الختمةَ على شَرْطِهم من ظاهرٍ أو نَظَرٍ ؟ إنّما استحبَّ ابنُ القاسم الأخذَ في هَدِيَّةِ العُرس بالأوّل من قول مالك، من قِبَلِ أنّ عَقْد النِّكاح قد وجبَ، وَاسْتِحْلاَلَ الفرج قد ثبتَ بالصّداق المُسمّى، لا خِيارَ للمرأة بَعْدُ في التّمادي على ذلك. والمعلّمُ ما لَزِمَهُ ذلك، إذا لم يُشترطْ عليه.

وكذلك آباء الصّبيان اذا لم يكن عليهم شرطٌ يَمنعُهم من إخراج أبنائهم، لم يَلزَمْهم التّمادي، فليس لهم من ذلك مثلُ ما للزّوج [83 ـ ب]. والزَّوجُ أيضا لوِ اختارَ الفِراق قبل البِناء، وجبَ عليه نِصفُ الصَّداق، وهو ما انْتفَعَ منها بشيء (3) وان كان لم يَفرِض لها شيئا قَبْلَ الطّلاق، لم يُفرَضْ لها

(1) في الأصل «ما اشتهر في النّاس» وهو الصّواب لا «ما اشتهر النّاس» كما في (ق. أ).

(2) «لأنّه عليه قدم» : تعبير مألوف في اللّغة العاميّة التّونسيّة، ويعني المؤلّف «لأنّه قَبِلَهُ».

(3) في موضوع الزّواج والطّلاق : راجع رسالة ابن أبي زيد القيرواني (باب في النّكاح والطّلاق والرّجعة والظّهار والإيلاء واللّعان والحجّ والرّضاع) ص ص 172 ـ 192، وكذلك (باب في العدّة والنّفقة والاستبراء). ص 194 ـ 200.

بالطّلاق شيءُ، وصار أمرُها الى المُتعةِ التي لا يُحكَمُ بها، اذ هي حقٌّ على المُحسِنينَ، وعلى المُتّقين، فيمَنْ دخَل بها، فَلأنَّ اسم التّكارُم ممّا لا يُحكَمُ به. فأمّا ما يُوجِبُ الحُكمَ، فالتّكارمُ فيه لِمَنْ يريد، على الواجب عليه، وإنّما المُتعةُ عِوَضٌ للزّوجاتِ مِنْ أشياء منه كنّ يؤمّلنها. وأَخْذُ المعلّم انّما هو عن شيء عمِلَه، فهو بما شبّهناه من الجعالَةِ، ومن مُكافأة الهِبَةِ للثّوابِ أَشْبَهُ، وفي بابها أَدْخَلُ. وقد أجروْا مَسائل منه على معاني البُيوع.

قال سحنون: وقد سُئل بعضُ علماء أهل الحجاز منهم ابنُ دينارٍ (1) وغيرُه، أن يُستأجَرَ المعلّم لجماعةٍ، وأن يفرض على كلّ واحد ما يَنوبُهُ (2) [84 - أ] فقال: يجوز اذا تَراضى بذلك الآباء، لأنّ هذا ضرورةٌ، ولا بدّ للنّاس منه، وهو قول أَشْهَبَ (3). وقال: هو بمنزلة ما لو استأجرَ رجلٌ عَبدَيْن من رجُليْن، لكلّ واحد عبده، وإنّما ذلك بمنزلةِ البيع، في كتاب ابن سحنون. وابنُ القاسم لا يُجيزُ هذه الإجارةَ لأنه لا يُجيز ذلك في البيع، واللّهُ أعلم.

قال أبو الحسن: نعمْ قد مَنَعَ ابن القاسم من جوازه في البيع وفي الإجارات، اذا لم يكن معلوما، ومنع أيضا أن يُجمع في النّكاح بعَقْد واحدٍ وصداقٍ واحدٍ على امرأتيْن أو أكثر، إذا لم يُسَمَّ لكلّ واحدة صداقُها على حِدَتِهِ. وما عقَد هذا المعلّم على الصّبيان الذين آباؤهم شتّى إلاّ من هذا

---

(1) ابن دينار (هو محمد بن ابراهيم بن دينار الجهني): محدّث حجازي من المدينة، أخذ عنه جمّ غفير منهم عبد اللّه بن وهب، وتوفّي ابن دينار عام 183 هـ - راجع «كتاب آداب المعلّمين» ص 121.

(2) في الأصل «أن يستأجر للمعلم جماعة وان لم يقض على كلّ واحد ما ينوبه»، والصّواب أن نقرأ كما في (س): «أن يستأجر المعلّم لجماعة وأن يفرض على كلّ واحد ما ينوبه» (راجع كتاب آداب المعلّمين، ط. تونس 1972 ص 121 - 122).

(3) في الأصل: «وهو يقل أسهب»، وفي (ق. أ) وفي (س): «وهو أشبه»، والصّواب أن يقرأ: «وهو قول أشهب». وأشهب هذا فقيه مالكي مصري اسمه أشهب بن عبد العزيز الفقيه، أخذ عنه محمّد بن سحنون. وقد قال الإمام سحنون مرّة لابنه محمّد متباهيا بذكائه: «ما أشبهَهُ بأشهب». (راجع آداب المعلّمين ص 16).

الباب، يجري فيه كلّه الاختلافُ، وليس هذا موضعَ التّكارُمِ الذي بنَى عليه ابنُ حبيب، وذكرَ أنّه كاشفَ عن ذلك أُصْبَغَ وغيرَه من أهل العلم والفقه، ونكب عن اسمِ مُطَرِّفٍ وابنِ المَاجِشون (1). ولو كان عنده منهما لبدأ بهما وبمن عنده عنه [84 ـ ب] من ذلك شيءٌ منهما، أو بعبدِ اللّه بنِ عبد الحَكم لو كان عنده منه شيءٌ. وقد تقدّمَ ما عندَه من رِواية مُطرِّفٍ، عن مالكٍ وغيره من علماء أهلِ المدنية، وهو مُخالفٌ لما بَنَى عليه حسَب ما بَيّنّا. واللّهُ أعلمُ وهو وليُّ المُتّقين.

وما أرى سَحنون قصد لما قاله : فمَن لم يُقارِبِ الختمةَ، ممَّنْ لم يَشترِط، فأخرَجَهُ أبوه، أنّه لا شيءَ عليه، إلاّ أنه كان هو المفهومُ عنده من قولِ المُغيرةِ وابن دينارٍ الذي قد تقدَّم، واللّه أعلم. وقد قدَّمتُ البيانَ عن ذلك. وجوابُ مسائِلِك في هذا المعنى قد أتى عليه جميعُ ما وصفْنا، واضحٌ (2)، لا إشكالَ فيه عليك ولا على غيرك، إنْ شاء اللّه.

ومسألتُكَ في الذي علَّمَهُ معلّمٌ بعضَ القرآن، ثمّ خرَج من عنده الى معلّم آخر استكمل عنده الختمةَ، يجري على ما بيّنتُ لك : يكون للمعلّمِ الأوّلِ بمقْدارِ ما علّم نصفًا ونصفًا، أو ثُلُثًا وثلثيْن، أو ربعا وثلاثة أرباع، ينظُرُ الحاكِمُ فيما يجب [85 ـ أ] على أبي هذا الصّبيّ في الختمة كلِّها، على قدر يُسْرِهِ وعُسْره، وما انْتهى اليه ولدُه من الفهم فيما تعلَّم. فإذا عرَفَ مُنتهى ذلك الجُعْلِ، غرَمَهُ أبو الصّبيّ، واقْتسَمَهُ المعلّمان، على قدْر عَناءِ كلِّ واحدٍ منهما، وما وصلَ الى الصّبيّ من نَفْعِ تعليمِه، يجتهِدُ في ذلك. وربّما جُعِلَ للأوّل جميعُ ذلك، أو يَنْقُصُ منه قليلٌ، فيُعْطَى الثّاني، وذلك اذا كان الأوّل قد بلغ من تعليم الصّبيّ الى مقاربة الختمة نَظرا أو استظهارًا، حتى بلغَ من الحِذق في ذلك

(1) ابن الماجشون (أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد اللّه التّيمي) : فقيه مالكي توفّي عام 213 هـ ـ راجع الزّركلي ج 4 ص 305.

(2) في الأصل وفي (ق.أ) : «واضح» وهو خبر ثان لـ (وجواب).

الى الاستغناءِ عن المُعلّم، فكان خروجُه الى الثّاني لا يزيد عِلْماً في تعلِيمه، فأيّ شيء يكون لهذا ؟ إلاّ أن يكون له شيءٌ في إمْساكِه وحِياطَتِه للصّبيّ، فذلك ليس على الأوّل منه شيءٌ، وقد يكون له في كتابِه ما بَقي عليه ـ وإن كانت سورةَ البقرة ـ زيادةُ قوّةِ غرضٍ يَنتفع به، فهذا يُجتَهدُ له فيما يُعطى من ذلك الجُعلِ، وقد يكون الجُعْلُ يَجب للثّاني كلِّه، وقلّ ما ينال منه الأوّل، وذلك أن يبتدىء في تعليم الصّبيّ، فقلَّ ما لَبِثَ عنده، حتّى أُخرِجَ عنه ولم [85 ـ ب] يَنَلْ من التّعلّم شيئا له فيه مَنفعةٌ، لِعَوَجِ قراءتِه في سور يَسيرة تَعلَّمَها، ولا خطّ ولا هجاء، فأيّ شيءٍ يَستأهلُ هذا في التّعليم ؟ ولو كان قد نال الصبيّ من فَهْمِ ما عُلِّمَ شيئا، وعرَفَ ما هو، لأخذَ المعلّمُ بمقدار ذلك. فإنْ كان فيه مَرْفَقٌ للمعلّم الثّاني بما نبّه منه المعلّم الأوّل، وخروجه (1) فيه، نُقِصَ ما يُصيب ذلك القدْر من جُعْلِ الختمةِ، فيأخذُه الأوّل، ويُدفَع سائرُ الجُعْلِ الى الثّاني. وإن تبينّ أن ليس للثّاني مَرْفَقٌ على حالٍ بِمَا علَّمَه الأوّلُ، لم يُنْقَصْ من الجُعْلِ شيءٌ (2)، وكان ذلك على أبي الصّبيّ. لأنّه باختيارِه نزَعه من عندِ الأوّل. وكلُّ هذا مُفادُ قولِ مالكٍ الذي ذهب اليه.

وأمّا سحنون فقال : إنْ علّمه الأوّل الى يُونس، فالختمة للثّاني. وإنْ جاوز الأوّلُ ذلك الى ثُلثيْنْ أو زاد على ثُلثيْنْ في مَعنى ما قال، لم يُقضَ للثّاني بشيءٍ. قال : وأَستحسنُ أن يَرْضَخَ له بشيءٍ اسْتحْسانا، وليس بالقِياس. وهذا على أصله الذي قدّمتُ لك وصفَه، وعرّفتك [86 ـ أ] وجهَ مذهبي فيه.

وَأمّا سؤالك عن معلّمِ قوم نزَل بهم ما اضطرَّهم الى الرَّحيل،

---

(1) الضّمير في «وخروجه» يعود على الصبيّ، وهو ليس مذكورا في الجملة وانّما يفهم من السّياق. وهكذا فانّ قراءة مثل هذا النصّ العتيق يُحتاج فيها الى كثير من التّكهّن.

(2) في الأصل «شيئا»، والأفضل أن نقرأ «شيء» باعتبار كونه نائب فاعل. ويمكن أيضا أن نبقي النصّ الأصلي كما هو فنقرأ : «لم ينقض من الجعل شيئا» ويكون فاعل «لم ينقص» هو الحاكم المذكور في السّياق البعيد قبل.

فرحلوا : بعضُهم الى مكان وبعضُهم الى مكان آخر، أو رحَلَ بعضُهم، وثبَتَ بعضُهم في البلدة، ما يَصْنَعُ هذا المعلّم ؟ فالجواب أن ينظرَ الى ما عاقدَهم هذا المعلّم عليه، فإنْ كان إنّما جلسَ على المُشاهرة شهرًا بشهر، أو سنةً بسنة، فالحُكمُ فيه أن يَترك تعليمهم متى شاء، ويتركوه متى شاءوا، والحُكْمُ بينهم فيما قد علّم لهم، على ما قد بينّا قبْلَ هذا، في الذي له أن يُخرجَ ولدَه. ولا يلتفت في هذا العَقْد الى خروجهم كان بِغَلَبَةٍ أو بغيرِ غَلَبَةٍ. انّما للمعلّم بقدْر ما علّم، رحلوا عنه، أو رحَلَ عنهم. ولو كانَ عقَد معهم على سَنَةٍ بعيْنِها، أو أشهرٍ بأعْيَانِها، نظرَ فيما نزَلَ بالقوم، فإنْ كان ما لا يجدون معه ثباتا، ولا بدّ لهم من الرّحيل عنه، لِما نزل بهم من بَلاَءٍ لا يُطيقونَهُ بفِتنة أو مَجاعة، فهم في رحيلهم معذورون، وليس عليه أن يَتْبَعَهُم في الأسفارِ، لم يَستأجروه على [86 ـ ب] ذلك. فإنْ رجعوا في بَقِيَّةٍ من المُدّة، رجع اليهم في تلك البقيّة، وسقط عنهم من الأجر بحساب الأيّام التي حيل فيها بينه وبينهم، لأنّهم لم يَمنعوه من السَّيرِ معهم، ولا أمْسكوا أولادَهم عنه (1) طوْعًا، وليس عليهم أن يستكملوا له الأجرَ، وهو لم يستكمل عمل الأجل، ولو كان قد حاسَبَهم عند رحيلهم وفاسَخَهم، لمْ يلْزَمه ـ إن رجعوا بقيّةً من المدّة ـ أن يَرجِع اليهم، وإن كان رحيلُهم طوْعًا، فليس لهم أن يُنْقِصوا إجارته. فإنْ أحبّوا الرّحيل بأولادهم دفعوا اليه أجْرَهُ كاملا، وصنعوا ما شاءوا.

فإنْ رحل بعضُهم مُتَطَوِّعِين، وثبَتَ بعضُهم، فالحُكم بينه وبين الرّاحلين كما تقدّم في رحيل جميعهم مُتطوّعين، ويلزَمُه وفاءُ الأجلِ للثّابِتين، ولوْ لم يَثْبُتْ منهم إلاّ واحد، لأنّه يأخذ أجْرَه كاملا، وتَخِفُّ عنه مُؤْنَةُ مَنْ غاب عنه ما دام غائبا.

وأمّا إنْ كان رحيلُ من رَحلَ عن قَهْرَةٍ غَلَبَتْهُ على ذلك فذهب بولده،

---

(1) في الأصل «مسكوا أولادهم عنه»، والأفصح أن يستعمل الفعل في صيغة أفعل.

فهو عندي عذر تَنْفَسِخُ به الإجارة بينَه وبين الرّاحلين، ويحاسِبُهم، ثمّ ينظر فيمَنْ بَقِيَ ممّن لم يرحَلْ، فإنْ كانوا همُ الأكثرُ، ولم ينتقض عليه ما يضرّ به، فهو يُوفي الثّابتين أجلَهم. وإنْ وجد من يعلّمهم مكان الرّاحلين كان له ذلك، إذ لا مَضرّةَ على المُقيمين في ذلك. وأمّا إنْ كان الرّاحلون هم الأكثرُ ولن يبقَ من المُقيمين إلاّ مَنْ عليه في الثّبات معهم المضرّةُ البيّنةُ، فهو عندي عذرٌ له، إنْ شاء أن يُفَاسِخهم فعَل، وإنْ شاء أن يَثْبُتَ معهم فعَل، وله إنْ وجد عِوَضًا من الرّاحلين فيعلّمهم، ولا يمنع من ذلك أيضا.

وأمّا سؤالك عن معلّم أراد أن يحوّل كُتّابه من موضع الى موضع قريب أو بعيد، فأبى بعضُهم، ورضي بعضٌ، فهذا أيضا إنّما يُنظر فيه [87 ـ أ] اذا كان شرْطُ المعلّم لازمًا ليس له أنْ يَخرُج منه، فإذا كان كذلك، فإنْ كان (1) المكان الذي صار اليه لا مَضرّةَ فيه على الآتِين منه، ولا مَشقّةَ، ولا خوفَ، وقد يكون الصّغير من الصّبيان أن يَعْنَتَهُ (2) ذلك أو يُكلِّف أهلَه مَؤُونةً تَضرُّ بهم وتشغَلهم، فإذا لم يكن من ذلك، لم يُمنعوا من انْتِقالِ مَنْ هذه صِفتُه. فإن كان فيه مَضرّة على واحد منهم مِمّن أَبى منه، لم يكن له التّحوُّلُ عن مكانٍ على التّعليم فيه وَقعتِ الإجارةُ، يرفق من كان له الرِّفقُ فيه واجبًا، الى مكان يَضُرّ به وهو. . . (3).

وأمّا إنْ مات المعلّم فالإجارةُ مُنفسخةٌ، لا يستأجر مِن مالِه من يعلّم مَكانَه، وله من الإجارة بحسابِ ما علّم من الأجَل، ومِن جُعْلِ الختمة بمقدارِ ما علّم من القرآن حسَب ما تقدّم [87 ـ ب] تفسيرُه. وكذلك اذا مات الصّبيّ سواءٌ، وإنّما للمعلّم من الإجارة بحِساب ما علّم، وكذلك مِن جُعْلِ الختمة.

---

(1) «كان» ساقطه بالأصل.

(2) «يعنته» مضارع عنِته (بكسر النّون) بمعنى أوقعه في أمر شاقّ.

(3) بياض في الأصل.

وأمّا اذا مات أبو الصّبيّ فلا تَنفسِخُ الإجارةُ، ولكن إنْ كان لم يَقبِضِ المعلّم شيئا فهو يأخذ من تَرِكَةِ الميّتِ حِسابَ ما مضى، وما بقِي من الأجَل فيما يَنوبُه، يُؤخذ من مال الصّبيّ إنْ كان له مالٌ وَرِثَه من أبيه، أو من غير ذلك. وان كان لم يكن للصّبيّ مالٌ، فللمعلّم أن يفسَخ الإجارةَ، إلاّ أنْ يشاءَ أن يتطوّعَ للصّبيّ بذلك، ولا يَتبَعُه بشيء رجاءَ أنْ يتيسّرَ. هذا لا يُلزِمُ الصّبيَّ، وإنْ أبى المعلّمُ من التّطوّعِ، فَتَطَوَّعَ غيرُه من أوْلياءِ الصّبيّ، أو من غيرِهم، بأنْ يدفع ذلك للمعلّم، ثَبَتَتِ الإجارةُ ولم تُفسَخ، واللّهُ وليّ التّوفيق.

وأما سؤالك عن صبيّ أدخلَه أبوه الكتّابَ بغير شرط، هل يلزَمه ما يلزَم صبيانَ الكتّاب ؟ وربّما [88 ـ أ] كان الشّرطُ يختلف، وعن يتيم رَمى نفسَه في الكُتّابِ، فهلْ يؤخذ منه مثلُ ما يؤخذ من غيره ؟ قال أبو الحسن : إن كان لليتيم مالٌ لزِمه في مالِه مثلُ ما يُؤدِّي من هو مثلُه، وكذلك الأبُ يُؤدِّي عن ابنِه مثلَ ما يؤدّي مثلُه، وذلك هو إجارةُ المِثْلِ، اختلفَ الشّرطُ أو لم يختلفْ. إنّما يُحتاج الى ذكر اختلافِ الشّرط عند إسلامِ الصّبيّ للكُتّاب، فيقال له : نُؤدّي اليك كما تأخذُ من غيرِنا في الشّهر. فهنالِك يَنبغي أن لا يُعقدَ على هذا الإجارة حتّى يُبيّنَ كيف أَخذه من الصّبيان على اختلافِه. وأمّا إنْ كان ليس لليتيم مالٌ، فعلّمه المعلّم، فليس له عليه أجرٌ، هو مُتطوّعٌ في ذلك، ليس له أن يَتْبَعَهُ به. وأمّا إنْ أتَتْ بالصّبيّ أمُّه الى المعلّم أو غيرُها من النّاس، فسألَه تعليمَه، فهو المطلوب [88 ـ ب] بإجارة التّعليم ان كان ليس لليتيمِ مالٌ، إلاَّ أن يُبيّنَ الذي جاءَ به الى المعلّم (1) أنّه ليس له مالٌ، ولا له من يُؤدّي عنه، فحينئذٍ ليس للمعلّم أن يَطلبَ منهم إجارةً.

وأمّا قولك في المعلّم : كيف يُشارِطهم، فقد تقدّمَ في نصوص المَسائل شرحُ ذلك عن مالكٍ وعن غيرِه. وشرطُهم (2) الذي ذكرتَ أنّه يقع على

(1) في الأصل «جاء به الى المعلّم» وقد حذفت «الى» في (ق.أ).
(2) في الأصل وفي (ق.أ) : «وشرطكم»، وافضّل قراءة «وشرطهم» لأنّ السّياق يفرضها من قبل.

الغَنم، فإذا كانت الغنمُ مؤجَّرةً لم يَجُزْ إلاّ أن تكون مَضمونةً على صِفةٍ مَعلومةٍ، الى أجَل معلوم يَجوز في مثلِه السَّلَمُ (1)، مثلُ ما اذا أُوجِرَ نفسُه بها في خدمةٍ، وشَرَع في العمل، وكذلك المعلّم اذا شرع في التّعليم، أو كانت إجارتُه أجَلاً معلوما، فإذا حلّ أجلُ الغَنم، جاز أن يقبض من المعِز ضَأْنًا، ومن الضّأن مَعِزًا. وأمّا اذا لم يحل الأجلُ، لم يصلُح أن يأخذ غيرَ شرْطِه، كما لا يصحّ في البيوع. وكذلك لو استأجَر[89 ـ أ] نفسَه بطعامٍ مضمون، أو بعطام بعينِه على الكَيل، لم يجُز له أن يبيعَ شيئا من ذلك حتّى يَستوفيَه.

وأمّا سؤالك عما يتعدّى به المعلّم في ضرْبِ الصّبيّ، فترقّى الى ما هو أكثرُ من الضّربةِ، فهذا إنّما يقعُ من المعلّم الجافي الجاهلِ، وقد قدّمتُ لك نهيَ المعلّم عن ضرب الصّبيّ وهو غضبانُ. والضّربُ على التّعليم إنّما هو لِخطإ الصّبيان، فما يصلُح أن يضربَهم به إنّما هي الدِّرَّةُ (2)، وتكون أيضا رَطْبة مأمونة، لِئَلاّ تُؤثِّر أثرَ سوءٍ. وقد أُعلمتَ (3) أنّه يُجتنبُ ضربُ الرأسِ والوجه، فما لهذا أن يضربَ (4) بالعصا واللَّوْح.

قال في كتاب ابن سحنون : سُئِل مالكٌ عن مُعلّمٍ لو ضربَ صبيّا ففقأَ عينَه أو كسَر يدَه، فقال : إنْ ضرَبه بالدِّرَّةِ على الأدب، وأصابَه بعودها فكسَر يده، أو فقأَ عينه، فالدِّيَةُ على العاقِلَة (5)، إذا فعل ما يجوز. [89 ـ ب] فان

(1) البيع بالسّلم (بفتح اللاّم) هو البيع مع تعجيل الدّفع أو تأخيره ـ انظر في هذا الموضوع رسالة ابن أبي زيد القيرواني ص 210 ـ 212.

وفي «البيوع وما شاكل البيوع» عموما : راجع الباب الكامل في رسالة ابن أبي زيد القيرواني ص 200 ـ 220.

(2) في الأصل : «فلا بصلح أن يضربهم فيه انّما هي الدّرّة»، والصّواب كما في (ق. أ) أن نقرأ «فما يصلح أن يضربهم به انّما هي الدّرّة». ـ والدّرّة هي السّوط من جلد البقر.

(3) الخطاب للسّائل.

(4) في الأصل : «فما لهذا يضرب» والصّواب أن نقرأ «فما لهذا أن يضرب». وما هنا نافية وناهية أيضا بمعنى ليس لهذا المؤدب أن يضرب...

(5) عاقلة الرّجل : قرابته من قِبل الأب. راجع في الموضوع المطروح رسالة ابن أبي زيد القيرواني (باب في أحكام الدّماء والحدود) ص 240 ـ 260.

مات الصَّبيّ فالدِّيةُ (1) على العاقِلة بالقَسامة (2)، وعليه الكفَّارةُ (3). فإنْ ضرَبه باللّوح أو بعصا فقتلَه، فعليه القصاص، لأنه لم يؤذَن له أن يضربَه بعصا، ولا بلوح.

قال أبو الحسن: إنّما كانت الدِّيَةُ على العاقِلة في الذي أصاب الصَّبيَّ بعودِ الدِّرَّةِ، من قِبَل أنَّ ضرْبَه بالدّرة للصَّبيّ جائزٌ فمُصادفةُ عودِ الدّرةِ الصَّبيَّ، لم يَقصُد اليه المعلّم، وكان خطأً، وكانت فيه القَسامةُ إن مات، مِن قِبَلِ أنّه إنّما يعلم بإقرار المعلّم على أحد الأقاويل، ولو حضرَه شاهدان، ومات في مَقامِه، ما كانت فيه قَسامةٌ، وكانت الدِّيَةُ على العاقِلة. وأمّا العصا واللَّوْحُ فقصدُه الى ضرب الصَّبيّ بهما تعدٍّ منه فليس له عُذر أكثرُ من أنّه غضِب فتعدَّى الواجبَ، فاستأْهَل القوَدَ(4)، وهو مأخوذ بإقراره في ذلك [90 - أ] فلا قَسامة فيه.

وقد قال سحنون: اذا ضرَب المعلّم الصَّبيَّ ما يَجوز له أن يَضرِبه (5)، اذا كان مِثلُه يقوى على مثلِ ذلك، فمات أو أصابَه منه بلاءٌ، لم يكن على المعلّم شيءٌ غيرُ الكفّارة إن مات. وإنْ جاوز ضمِنَ الدِّيةَ في مالِه مع الأدب، وقد قيل على العاقِلة مع الكفّارة. فان جاوز الأدبَ فمرِض الصَّبيُّ من ذلك فمات، فإنْ كان جاوَز بما يعلَم أنّه أرادَ به القتْلَ أُقسموا، وقتلَه به

---

(1) الدّية: مصدر ودَى يَدِي القاتلُ القتيلَ أي أعطى أهلَه دِيَته وهي ما يُعطى من المال بدل نفس الهالك.

(2) القَسامة: الأَيمانُ تُقسم على أولياء القتيل اذا ادّعوا الدّمَ. يقول ابن أبي زيد القيرواني في رسالته: «ولا تُقتل نفسٌ بنَفس إلا ببَيِّنة عادِلة أو باعترافٍ أو بالقَسامة اذا وَجبتْ. يقسم الولاة خمسين يمينا ويستحِقّون الدّم». (باب في أحكام الدّماء والحدود) ص 240 - 260.

(3) الكفّارة: ما يكفَّر به أي يغطّى به الإثم من صدقة وصوم ونحوهما.

(4) القوَد بفتح القاف والواو: القصاص.

(5) «ما يجوز له أن يضربه» أي المقدار من الضّرب الذي يجوز له أن يضربَه به.

الأولياءُ (1). وإن كان لم يُجاوز بما يُرى أنه أراد به الاّ على وجه الأدب، إلاّ أنّه جَهِلَ الأدبَ أقسمَ الأولياءُ، واستحقُّوا الدِّيةَ قِبَلَ العاقِلة (2)، وعليه هو الكفّارةُ.

قال أبو الحسن : تفسيرٌ حسنٌ. وقوْلُه يُصيب الصّبيَّ مّما للمعلّم أن يوجبَه به : لا شيء على المعلّم غير الكفّارة إنْ مات، [90 ـ ب] معناه أنّ المعلم ضرَب الصّبيّ ثلاثا بالدِّرّةِ، أو أكثر من ذلك، لاسْتِئْهالِه إياه وطاقتِه عليه، ولم يتجاوز الواجب في صِفة الضّر . فمِن أجْلِ ذلك لم يكن فيه غُرْمٌ، كالذي يموت من جَلْدٍ وجب عليه في حَدٍّ فهو هَدْرٌ قتيل الحقّ. وأما اذا جاوز أدبَه الواجبَ مِن الأدب عن غلَطٍ بيِّنٍ، كان هو الذي تَحْمِله العاقِلة. وان كان في مُجاوزتِه إشكالٌ، فالدِّيَةُ في مالِه، ويُحتمل أن تكون على العاقِلة، إذْ كلُّ شيء يُستطاع القَوَدُ منه، فيَمنع منه مانعٌ، وهوِ حاظِرٌ في الفاعل، فالدِّيَةُ فيه على العاقِلة، كالمأمومَةِ والجائِفَةِ (3) اذا تُعُمِّدَتا. وما الوجهُ فيها أُشْكلَ من زيادة المعلّم إلاّ أن يكونَ في مالِه. واللّه أعلم.

قال سحنون : وإنْ كان المعلّم لم يَلِ الفعلَ [91 ـ أ] وإنما وَلِيَهُ (4) غيرُه بأمرِه، كان الأمرُ على المعلّم كما فسّرتُ لك، ولا شيء على المأمورِ. فإنْ كان ـ يعني المأمور ـ بالِغًا، فمِنْ أصحابِنا من رأى الدِّيَةَ على عاقِلة الفاعلِ،

---

(1) في الأصل وفي (ق.أ) «وقتلوه به الأولياء» وهو خطأ نحويّ، والصّواب «وقتلَه به الأولياء» وكذا في (س) ـ راجع (كتاب آداب المعلّمين ص 133).

(2) في الأصل «قِبَلَ العاقلة» يعني «من قِبَل العاقلة».

(3) المأمونة والجائفة : صفتان لضربٍ يصل ضررُه الى العظم والدّماغ. قال ابن أبي زيد في رسالته : «والمُوضحَةُ ما أوضح العظم والمُنقِّلَةُ ما طار فراشها من العظم ولم تصل الى الدّماغ وما وصل اليه فهي المأمونة ففيها ثلث الدّية وكذلك الجائفة». (ص 244).

(4) «وَلِيَهُ» هكذا وفسخ الواو واللاّم في الأصل فأثبتناهما بالرّجوع الى (س) ـ راجع كتاب آداب المعلّمين ص 133.

وعليه الكفّارة، يعني على الفاعل. ومنهم من رأى الدّيةَ على عاقِلة المعلّم، وعلى الفاعل الكفّارة. واللّه أعلم.

وأمّا سؤالك عمّا وجبَ في ذلك منَ الدِّيةِ على العاقِلة كيف الأمرُ فيها، وليس بِجاريةٍ عندَنا، ولم تُبيِّنْ لِمَ لَمْ تكن جاريةً عندكُم، فإن كنت ترى أنّه ليس لكم عواقلُ مضبوطةٌ، ولا تَقدِرون أن تُحيطوا بذلك ولا أن تَعرِفوه (1)، فإنَّ القول فيمَنْ لا عاقِلَةَ له، أنَّ جنايَتَه في بيت مال المسلمين، وعلى الجاني في قتل الخطإ عِتْقُ رقَبةٍ.

وان كنت تريد أنّ الحكم بها ضيع عندكم، وأمّا العواقلُ فمعروفة، فاعلَمْ أنَّ المعاقلةَ إنّما كان أصلُها في العرب [91 ـ ب] لحَملِها فَخْذَ الجاني إن أطاقوا ذلك، وإن لم يُطيقوه ضُمّ اليهم أقربُ الأفخاذ اليهم، ثم الأقرب اليه، فإن فرغتِ القبيلةُ، ولم تُطق حملَ الدّيةِ فتُضمّ الى تلك القبيلةِ أقربُ القبائل منها. وكذلك جرى في الإسلام أمرُهم. وإنّما تُضمُّ الى هذه العاقلة مَن يحمِل معها ممّن وصفنا، مَن كان إقليمُه الإقليمَ الذي فيه الجاني لأنَّ ديوانَهم واحدٌ، ليس يُضَمُّ المِصريُّ الى الشَّاميِّ، ولا الى الإفريقيِّ. فإن ضبَطْتُم عواقِلَكم، وصَحَّتْ عِندَكُمْ، وَثَبَتَتْ لَدَيْكم، فهكذا يكون انْضِمام الأفخاذِ والقبائل في حملِ العاقل ، ليس يُضمّ الى فخْذِ الجاني ولا الى قبيلته مَن هو في جوارِه اذا كان نسَبُه غيرَ نسبِه. وكذلك لا يُضمّ اليه مَن كان مِنْ نسَبِه إذا كان إقليمُه من غير إقليمِه. فَافْهَمْ ما وصفتُ لك، واستعِنْ باللّه.

وأمّا قولك : [92 ـ أ] وهل يَنبغي للرَّجل أن يؤدّي ما وجب عليه، يعني من الدِّيَةِ الى أولياءِ المَقتول، ويكونَ بها بَريئا في الدّنيا والآخرة، فإنَّ الرّجلِ الذي يفعل هذا مُنصفٌ من نفسِه، ولا يَلزَمُه إلاّ ذلك، لوْ أَدَّتِ العاقلةُ (2). ولُزومه أيضا إياه مع

(1) في الأصل وفي (ق.أ) «ولا تعرفوه»، والصّواب «ولا أن تعرفوه».

(2) في الأصل «لو ودّت العاقلة»، والصّواب «لو أدّت العاقلة» يعني لو أدّت الدّية الى أهل القتيل.

العاقلة مُؤجَّلاً في ثلاثِ سنين (1). فإذا نَجّزه وجعلَه ذهبا إن كان من أهل الذَّهب، أو ورَقا إن كان مِن أهل الورَق، أو عَرْضًا من العروض (2) يَفي بالذي عليه أو أكثر منه قيمةً أو أقلّ، فذلك جائزٌ إذا عجّل العروضَ ولم يُؤخِّرها. فان قُبِلَ ذلك منه فقد بَرِيءَ، وإن أَبى من له قَبولُه، فإنْ أراد تَرْكَه له وتَخْلِيَتَه منه، فلا بأس اذا أسقط قَدْرَه عن بقيّة العاقِلة. وأمّا إن كان إباؤه مِن قَبوله جَهلا (3) يريد أن يأخذ منه ما على غيرِه، فليس على هذا المُتطوّع أكثرُ من بذلِ ما عليه، فإن لم يؤخذ منه، أُوقف الواجب عليه عند أَمينٍ. وإن أحبّ ألا يُخرِجه الى أمين، أو يَضُرُّه إمساكُه [92 ـ ب] لأنّه ان تلف عند الأمين لم ...نه، ولكن لو أَوْقَفَه حاكمٌ من حُكّام المسلمين أمينٌ مأمونٌ عند عدْل مأمون، فإن كان دفع ذلك الى العدْل كما وجب عليه العين نفسها، على ثلاثة نجوم، كلما حلّ نَجْمٌ دفع ثلثَ الواجب عليه، فهو يَراه له. وإن أبى من هذا كلِّه، بأنْ أحبّ أن يتصدَّق بالواجب عليه من الذي يستأهله بالميراث، وإن أحب صنع به ما شاء. فان هو قبِلَه متى ما طُلِب به أُخذ منه. وهذا كلُّه اذا استوى أنَّ للجاني عواقلَ على ما وصفنا تحتَمِل ذلك، فإن لم يثْبُت ذلك، وصار وجوبُ هذه الدِّية على بيت المال، فليس على هذا الرّجل شيءٌ، ولا على غيره، من قرابةِ الجاني. فافْهَم. فقد فسّرتُ لك جميعَ ما سألتَ عنه حسَب ما أمْكنني، لِضيق الوقت.

وسألتَ هل يُؤدِّب الرّجلُ امرأتَه؟ فاعلَمْ أنّ أدَبه إيّاها [93 ـ أ] مأخوذٌ من كِتاب اللّه. وذلك قولُه عزّ وجلّ (واللاّتي تَخافون نُشوزَهنّ فعِظُوهُنّ

---

(1) راجع في هذا الموضوع رسالة ابن أبي زيد ص 248.

(2) العَرْضُ تجمع على العروض: المتاع وكلّ شيء سوى الدّراهم والدّنانير ـ راجع في العروض رسالة ابن أبي زيد ص 130.

(3) في الأصل «ولمّا إن كان إباه من قبوله جهلا»، والصّواب «وأمّا ان كان إباؤه من قَبوله جهلا».

واهْجُروهنّ في المضاجِعِ واضرِبوهنّ فإنْ أَطَعْنَكم فلا تبْغوا عليهنّ سبيلا إنّ اللّه كان عليّا كبيرا) (1). فكذلك كلُّ شيء يَجب عليها أن تُطيعَه فيه، اذا كان هو مُؤدِّيا اليها حقوقَها، وسالما من ظُلمِها، فلَه أن يُؤدِّبَها عليه. وأدبُه إيّاها يكون بقدْر اسْتِئهالِها. وكذلك قال فيه العُلَماء. فإنْ ضرَبها على وجْهِ التَّأديبِ لها ففقأ عيْنَها، أو أَعْنَتَها، إنَّ ذلك مِن الخطإ، تحمِلُ العاقِلة ما بلغَ الثُّلثَ منه فصاعدًا، وإنْ أنْكَرَتْه ما ادّعاه قِبَلَها من خلافِه، فهذا لا يُنتَهى منه (2) الى ما يوجب من ضَرْبِها وإلاّ لا بُدَّ أن يُسمع في الأَهْلِيّة والجيرانِ، لأنّ أدبَه إيّاها ليس يقعُ في أول مرّة، فإنِ ادَّعى عليها ما لم يُسمَع منها، وما لم يُعرَف عند أحدٍ (3) من الأهْلِين ولا الجيرانِ [93 ـ ب] وظاهرُها الصِّحّةُ والسَّلامةُ، لم يُقبَلْ قولُه عليها. وينبغي له إذا كانت هذه صِفتُها، أنْ يُطْلِعَ ـ على ما يَنسُبُه اليها ـ مَنْ يُوثَق به من الأهل والجيرانِ، قبْل أن يَظْهَر عليه بَسطُ يده اليها. فإنْ لم يُمكِنْه أن يُظهِر عليها ما يَنسُبه اليها، فقد ابْتُلِيَ، فإنْ شاء تماسَك بها على ما يَرى، ويُؤدّبها، إن حقَّ له أدبٌ مأمورٌ عليه (4)، ولا يَتجاوز فيه أدبُه لها، كأدبِ المعلّم لِصِبيانِه، سالمًا من العطَبِ والحَمِيَّةِ، لأنَّه إنّما يُؤدّبها لمَصْلحتها له ولنفسِها.

وأدبُه لابنِه الصّغيرِ هو مأمورٌ فيه حتّى يَظهرَ منه الجَفاءُ وسوءُ الخُلُقِ، فيُزْجَرُ عنه. إنّما السّبيل في أدبِ مَن يريد صلاحَه أنْ يُؤدّبه في غير عطَبٍ ولا حَمِيّة، اذ هو ليس على بابِ العَداوةِ. وكذلك عبدُه وأَمَتُه، اليه أدبُها [94 ـ أ] فيؤدِّبُ كلّ واحد منها على قدْر جُرْمِه أدبا عدلا ليس لعددِه حدٌّ يُقتَصر عليه،

---

(1) سورة النّساء، بعض آية 34.

(2) في الأصل وكذلك في (ق. أ) «فهذا لا يُنتهى منها»، والصّواب «فهذا لا يُنتهى منه».

(3) في الأصل وكذلك في (ق. أ) «ما لم يُسمع منها وما لم يعرف منه عند أحد»، والصّواب «ما لم يسمع منها وما لم يعرف عند أحد».

(4) في الأصل وفي (ق. أ) «ان حقّ له أدب مأمورا عليها» والصّواب «ان حق أدب مأمور عليه».

حتّى يَظهرَ منه الظّلمُ لعبدِه والعُتُوّ عليهِ فيُرَدُّ عنه ويُنهى، كما جاء «إنّ اللّه يحبّ الرِّفق في الأمر كلِّه» (1). قال الرّسولُ عليه السّلام «إخْوانُكم خَوَلُكُمْ جعلَهُم اللّه تحتَ أيْديكم فأَطْعِموهُم ممّا تأكلون، واكْسوهم مما تلبسون ولا تُكلِّفوهم فوقَ طاقتِهم، فإنْ كلَّفْتُموهم فأَعِينوهم».

وسألتَ عن الوالدِ يَشكو ولدَه الكبيرَ، ويذكر عنه أنّه يَعُقُّهُ (2)، ويَعُقّ أمَّه، فاعلَمْ ـ رحمك اللّه ـ أنَّ الولدَ اذا احْتَلَم، وملَك أمرَه، فقد ارْتَفَع عنهُ نَظرُ والدِهِ، وبَقِيَ على الولَد حقُّ الوالدَيْن، فعليْه أن يُوفِيهما أو مَن كان معَه منهما ما أَلْزَمَه اللّه عزّ وجلّ منهما. فإنّه عزّ وجلّ يقول: (وقضى ربُّك ألّا تعبُدوا إلاّ إياه وبالوالديْن إحسانا [94 ـ ب] إمّا يَبْلُغن عندك الكِبرَ أحدُهما أو كلاهُما فلا تَقُلْ لهما أفٍّ ولا تَنْهَرْهُما وقلْ لهما قولاً كريما، واخْفِضْ لهما جَناحَ الذُّلِّ من الرَّحمةِ وقلْ ربِّ ارْحَمْهُما كما رَبَّياني صغيرا) (3). فإذا رأيتَ والِدًا يَشكو ولدَه، فاقرأْ على ولدِه القرآنَ وفهِّمْهُ ما عليه لوالده، في لينٍ ورِفقٍ، لعلَّه يتَذكَّر أو يَخشى، وحذِّرْه عُقوقَ والديْهِ، فإنّ الرّسول عليه السّلام عَدَّ عُقوق الوالديْن مع الكَبائرِ التي تُدخِلُ النَّارَ. فأمّا أن يُؤخذ بقولِ والِده، ويُحكم بذلك عليه، فلَا (4). ولكنْ إنْ كان والدُه من أهلِ الصَّلاح، ويؤمَن منه أن يكون فيه انْحِرافٌ لولَدٍ غيرِه، أو الى زوجةٍ له غيرِ أمِّه، فيُعرَّفُ الولَدُ أنّ أباه لا يُتّهَم عندَنا بالكذِب، ولا سبيلَ الى سوءِ الظَّنِّ به فيك. وهو إنْ لم تُجْرِ عليك الأَحكامُ، [95 ـ أ] بقولِه، فإنَّ قولَه فيك السّوءَ يُزرِي بك، ويَمقُتُك، ويُنَفِّرُ عنك القُلوبَ، وتُرى بعينِ الجَهالة والسَّفَهِ. فإنْ كان هذا الولد من أهلِ

(1) حديث في صحيح البخاري.

(2) عَقَّ يَعُقُّ (بضمّ عينِ المضارع) عُقوقا ومَعَقَّةً الولدُ والدَه: عصاه وترك الشّفقة عليه والإحسان اليه واسْتَخَفَّ به، فهو عَقٌّ وعاقٌّ ج عَقَقَة وأعِقَّة.

(3) سورة الإسراء، آية 23 ـ 24.

(4) في الأصل وكذلك في (ق. أ): «فأمّا أن يؤخذ بقول والده أو يحكم بذلك عليه فلا»، والصّواب تعويض «أو» بالواو ليستقيم المعنى.

المُروءة والقناعةِ فيُسْتَنْهَى ويُتَأَبَّخُ ويُسْتشعَرُ الصَّبرَ على والديْهِ. وإنْ كان من أهلِ السَّفَهِ والجَهالة والمَرادة (1)، نظرَ فيه حاكمُ المسلمين العدلُ بحُسنِ النَّظرِ، وزَجَرَهُ عمّا لم تقم به عليه بيِّنَةٌ إلّا شكوى الأب، بعض الزَّجرِ. ورُبَّ والدٍ يكون السَّفَهُ صِفتَه وله الولدُ الحليم، فَيَعْتو عليه والدُه بسَفَهِهِ، فلا يُقبَل منه، ولا يُطاع فيه، ويُزجَر عنه حتى يَكُفَّ أذاه. ولك في هذا الوصفِ مَقْنَعٌ ممّا سألتَ عنه إنْ شاءَ اللّه.

* * * *

(1) «المرادة» مصدر مرُد يمرُد (بضمّ الرّاء في الماضي والمضارع) مَرادة ومُرودة : عتا وعصَى.

إما يبلغان عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا
تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما
واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب
ارحمهما كما ربياني صغيرا . فإذا رأيت والدا
يشكو ولده فاقرأ عليه القرآن وفهمه ما عليه
لوالديه في لين ورفق لعله يتذكر أو يخشى وحذره
عقوق والديه فإن الرسول عليه السلام عد عقوق
الوالدين مع الكبائر التي تدخل النار فأما أن يوقف
بقول أو يحكم بذلك عليه فلا ولكن إن كان
الولد من أهل الصلاح ويؤمن منه أن يكون فيه
انحراف للوالدين لولا زوجه له غير أمه فيعرف
الولد أن إياه لا يتهم عندنا بالكذب ولا تسليط
سوء الظن به فيك وهو إن لم يحجر عليك الأحكام

بقوله فإن قوله فيك السوء يريك وعقك ويغير
القلوب ثم لا يعين الجهالة والسفه وإن كان هذا
الولد من أهل المروءة والقناعة فيستدعيه فيشعر
الصبر على والديه وإن كان من أهل السفه والجهالة والمداه
نظر فيه حاكم المسلمين النظر بقدر ما علم تقدم به عليه
الإشكوى الأب بعض الرحمة ورق له الذي يكون السفه
صفته وله الولد الحليم فيعنوا عليه والده بسفهه فلا يقبل
منه ولا يطاع فيه ويزجر عنه حتى يكف أذاه وذلك
في هذا الوصف مقنع مما سألت عنه إن شاء الله

ذكر سؤاله عن قول الرسول عليه السلام نزل القرآن على سبعة أحرف

وسألته عن تفسير أنزل القرآن على سبعة أحرف فاعلم
أن المراد منه مفهوم في قصة كما جاء عن عمر بن الخطاب

ذكرُ سؤاله عن قول الرّسول عليه السّلام
نُزِّلَ القرآنُ على سبعة أحْرُفٍ (1)

وسألتَ عن تفسير: أُنْزِلَ القرآنُ على سبعة أحرف، فاعْلَمْ أنّ المُراد منه مفهومٌ في نَصِّه، كما جاء عن عمر بن الخطّاب [95 ـ ب] رضي اللّه عنه، قال: سمعتُ هشامَ بن حكيمٍ (2) يقرأ سورةَ الفُرقان على غير ما أُقرَؤُها عليه، وكان رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم أَقْرَأَنِيها، فكِدْتُ أن أعجل عليه، ثم أَمْهَلْتُهُ حتّى انْصرف، ثمّ لَبَبْتُهُ بردائِهِ فجِئتُ به رسولَ اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم. فقلتُ: يا رسول اللّه إنّي سمعتُ هذا يقرأ سُورةَ الفُرقان على غير ما أَقْرَأْتَنِيها. فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: اقرأْ. فقرَأَ القراءةَ التي سمعتُه يقرأُ. فقال صلّى اللّه عليه وسلّم: هكذا أُنْزِلَتْ، ثم قال لي: اقرأْ، فقرأتُ، فقال: هكذا أُنزلتْ، إنَّ هذا القرآنَ أُنْزِلَ على سبعةِ أحرُفٍ، فاقرؤُوا ما تيسَّرَ منه. فبيَّنَ صلَّى اللّهُ عليه وسلّم بقوله فاقْرؤوا ما تيسَّر منه أنّها [96 ـ أ] سبعُ قراءاتٍ، في كلِّ واحدةٍ منها ألفاظٌ مُخالِفةٌ لما في الأخرى، فَلْيَقرَأْ كلُّ امرىءٍ بما تيسّر منه من هذه السَّبعة. وقد تختلِفُ الألفاظُ في القراءةِ في كلِمةٍ والمعنى فيها واحدٌ. وقد تختلِفُ المعاني فيها باختلافِ الأَلْفاظِ في قراءتها.

والقراءتان المَشهورتان الثّابِتتانِ عمّن نُسِبَتا اليه، ممّن وجبتْ إمامتُه، وصحّتْ ثِقتُه، بمنزلة الآيَتيْنِ، عند حُذَّاقِ المُقرئين، تُفسِّر إحداهُما الأخرى، أو يخالِف معناها مَعنَاها فتكون إحداهُما ناسِخةً لِلأخرى، فلْيَنْشَرِحْ صدرُك الى ما قرأ به أَئِمَّةُ المسلمين المشهورين، الذين سلّم لهم أهلُ الأمصار الجامعةِ ما تَقَلَّدوه، ووثِقوا بهم فيها فيما رَوَوْهُ، فما مِنهم إلاّ مَنْ قِراءَتُه حسنةٌ [96 ـ ب]

---

(1) حديث في الصّحيحين.
(2) هشام بن حكيم بن هزّام القُرشي الأسدي: صحابيّ تُوفّي عام 15 هـ. ـ راجع الزّركلي ج 9 ص 83.

مُسلَّمٌ بها ويُحتَجُّ بها، ونَكُفُّ عن غيرِهم، فإنّه ليس لِما جاء به قوّة كَقوّتهم.

وهؤلاء الأئمَّةُ هم: نافعُ بنُ عبد الرّحمنِ بن أبي نعيم (1)، إمام القُرّاء بالمدينةِ، وعبدُ اللّهِ بن كَثيرٍ (2) إمامُ القُرّاء بمكّة، وعبدُ اللّه بن عامر (3) إمام القرّاء بالشّام، وأبو عَمروٍ بن العَلاء (4) إمامُ القُرّاء بالبَصرةِ. وثلاثةٌ منهم بالكوفة، وهم عاصمُ بنُ أبي النَّجودِ (5)، وحَمزةُ بنُ حبيبٍ الزَّيات (6)، وعلي بنُ حمزة الكسائي (7)، وليس هو حمزة المقرىء. فقد عَرَّفْتُكَ بأسمائِهم وبُلدانِهم لِئَلاَّ يَسْتَشْكِلَ عليك غيرُهم بهم، ومع هذا فأنتَ بِطرَفٍ بعيدٍ، فلا تَقْبَلَنَّ ما تعرِف إلاّ من المَأمونين. وقد قال مالكٌ رحمه اللّه: قراءةُ نافعٍ حسَنةٌ ولم يُضيِّقْ غيرَها [97 ـ أ] ولا كَرِهَ خلافَها، إلاّ مَا شذَّ، وخرج على المُتواطَإِ عليه. وقد قدّمتُ لك ما في كتابِ سَحنون من استحسانِ قراءةِ نافعٍ، والتّوسعة في غيرها، ما لم يكن مُستبشَعًا. فافْهَمْ واسْتَمْسِكْ بِهُدى المتّقين.

(1) نافع بن عبد الرّحمان بن أبي نعيم: من أصل فارسي، ولد بالمدينة ومات بها في عام 169 هـ، وهو أحد القرّاء السّبعة وقراءته كانت رائجة بالمدينة المنوّرة.

(2) عبد اللّه بن كَثير: من أصل فارسي، ولد بمكّة حيث مات سنة 120 هـ، وهو أحد القرّاء السّبعة وإمام القرّاء بمكّة.

(3) عبد اللّه بن عامر: أصله من جنوب الجزيرة العربيّة، كان قاضي دمشق في خلافة الوليد الأوّل الأموي وإمام القرّاء بعاصمة الشّام وأحد القرّاء السّبعة. تُوفّي بدمشق عام 118 هـ.

(4) أبو عمْرو زَبّان بن العلاء: ولد بمكّة حوالي عام 70 هـ، وتربّى بالبصرة. هو إمام أهل اللّغة وأحد القرّاء السّبعة وإمام المقرئين بالبصرة. تُوفّي بالكوفة حوالي عام 154 هـ.

(5) عاصم بن أبي النّجود: ولد بالكوفة حيث مات عام 127 هـ. هو أحد القرّاء السّبعة وأحد أيمّة المقرئين الثّلاثة بالكوفة.

(6) حمزة بن حبيب الزّيات: ولد بالعراق وتوفّي بحلوان عام 156 هـ، وهو أحد القرّاء السّبعة وأحد أيمّة المقرئين الثّلاثة بالكوفة.

(7) على بن حمزة الكسائي: هو إمام في اللّغة وأحد القرّاء السّبعة وأحد أيمّة المقرئين الثّلاثة بالكوفة، تُوفّي قرب الريّ بفارس عام 189 هـ.

عَصمَنا اللّه وإيَّاك من الفِتْنةِ في الدّين، وأعاذَنا من شرِّ الفاتِنين والمُفْتَرين، وختَم لنا بما يُرضيهِ عَنَّا، لِيُميتَنا عليه، فيدخلَنا برحمتِهِ في عِباده الصّالحين آمين ربِّ العالمين، وهو حَسْبُنا ونعمَ الوكيل.

* * * *

تمَّ الكتاب والحمد لِلّهِ ربِّ العالمين وصلّى اللّه على محمّد وآلِه، بتاريخ ثامن عشر ذي القعدة سنة ستّ وسبعمائة.

تمّ الجزء الأوّل والثّاني والثّالث من المفصّلة لأحوال المُتعلّمين وأحكام المعلّمين والمُتعلّمين. (لأبي الحسن القابسي) رحمه اللّه، ودعا لصاحبِه بالمغفرة ولجميع المسلمين.

ذكر لنا بعضُ أصحابِنا أنّه سُئل الفقيه أبو عمران الفاسي (1) رحمهُ اللّه عن حَذْقاتِ القرآن، فأجاب في ذلك بأن قال: لولا أنّه أمر لم يسبقني إليه أحد لجعلت في آخرِ كلّ سورة حَذْقةً.

(1) أبو عمران الفاسي القيرواني: فقيه مالكي ومحدّث ومقرىء للقرآن، ولد بفاس واستقرّ بالقيروان، وهو تلميذ أبي الحسن القابسي، وقد اختلَف على حلقات العلم بالأندلس والمشرق وألّف شرْحًا لمدوّنة سحنون، وتوفّي بالقيروان عام 430 هـ. ـ راجع محمّد مخلوف «شجرة النّور الزّكيّة» ط. القاهرة 1349 هـ. ج 1 ص 106.

صوابه نافع بن عبد الرحمن ابن ابي نعيم

مسلم لها ويحتج بها ونكب عن غيرهم فان ليس
لما جابه قوة كقوتهم وهاولا الايمة هم عبد
الرحمن بن نافع بن ابي نعيم امام القرا بالمدينة
وعبدالله بن كثير امام القرا بمكة وعبد
الله بن عامر امام القرا بالشام وابو عمرو
بن العلا امام القرا بالبصرة وثلثة منهم
بالكوفة وعاصم بن ابي النجود وحمزة بن
حبيب الزيات وعلي بن حمزة الكساي
وليس هو بن حمزة المقري قد عرفتك باسمايهم
وبلدانهم ليلا يشكل عليك غيرهم بهم ومع
هذا ومع هذا فانت بطرف بعيد فلا تقبلن
غير ما تعرف الا من الايمة المامونين وقد كان
مالك رحمه الله قراة نافع سنة ولم يضيق غيرها

ولا كره خلافها الا ما شذ وخرج عن النواحي
عليه وقد قلدتك ما في كتاب يحتوي من
استحسان قراة نافع والتوسعة في غيرها ما لم
يكن مستشنعا فافهم واستمسك بهدي
المتقين عصمنا الله واياك من الفتنة في الدين
واعاذنا الله من سبل الغابنين والمفتونين
وختم لنا بما يرضيه عنا ليهدينا عليه ويدخلنا
برحمته في عباده الصالحين امين رب العالمين
وهو حسبنا ونعم الوكيل

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وسلم
بتاريخ ثامن عشر ذي القعدة سنة [illegible]

[illegible] الجزء الاول [illegible]
[illegible] ابو عمران [illegible] رحمه الله
عن [illegible] القران فقال لولا انه امر لم يسبقني اليه احد لجعلته
[illegible]

فهرس الأعلام والمفاهيم

أسقطنا في التّرتيب (الـ) و (ابن). فالسّلمي وابن سعد يطلبان في السّين.

وأضـربنـا عن ذكـر الأعـلام الذين يتردّد ذكرهم كالقابسي الذي خصّصنا له الكتاب. وتشمل الفهارس سائر الأعلام سواء كانت بالمتن أو بحواشي الكتاب.

ـ أ ـ

ـ ب ـ

- ت -

- ج -

- ح -

ـ خ ـ

ـ د ـ

- ر -

- ز -

- س -

ـ ش ـ

- ص -

- ط -

- ع -

- غ -

- م -

ـ ن ـ

ـ هـ ـ

ـ و ـ

- ي -

فهرس المحتويات

Muta^callimîn" d'Abû-l-Ḥasan 'al Qâbiŝî, que Dieu lui soit miséricordieux et qu'il accorde à Son compagnon et à tous les musulmans le pardon.

Un de nos docteurs nous rapporte ceci : "Comme on questionnait le jurisconsulte Abû ʿImrân al-Fâsî[518] sur les ḥiḏqa du Coran, il répondit : "Si ce n'est une chose que personne, avant moi, n'a décrétée, j'établirai une ḥiḏqa à la fin de chaque sourate."

---

(518) Abû ʿImrân al-Fâsî (al-Qayrawânî) : jurisconsulte, traditionniste et lecteur du Coran. Il naquit à Fès et s'établit à Kairouan. C'est l'élève d'Abu-l-Ḥasan al-Qâbisî ; il fréquenta les cercles de savants à cordone et en Orient et rédigea un commentaire de la Mudawwana d'Ibn Sahnûn Il mourut en 430 H à Kairouan. Voir Muḥammad Maḫlûf "šajaratu-n-nûr az-zakiya". Éd. Imprimerie as-Salafiya, Caire, 1349 H., p 106.

à Kûfa ; ce sont : ᶜâṣim ibn 'Abî-n-Najûd[513] Ḥamza ibn Ḥabîb az-Zayyât[514] et ᶜAlî ibn Ḥamza Al Kisâ'î :[515] il ne s'agit pas du Lecteur Ḥamza. Je t'ai fait savoir leurs noms et leurs cités afin que tu ne les confondes pas avec d'autres ; toutefois, tu ne resteras pas toujours attaché à un seul d'entre eux ; tu n'accepteras une lecture différente de celle que tu connais qu'émanant de [maîtres] probes. En effet, Mâlik – que Dieu lui soit miséricordieux – a dit : "La lecture de Nâfiᶜ est bonne" ;[516] mais il n'a ni diminué l'ampleur des autres lectures, ni réprouvé un mode de récitation opposé au sien, sauf en cas de lecture irrégulière s'écartant de la canonicité. Je t'ai cité précédemment l'approbation donnée à la lecture de Nâfiᶜ ainsi que la permission d'utiliser les autres lectures tant qu'elles ne sont pas abhorrées ; ceci se trouve dans le livre de Saḥnûn ;[517] comprends [le] donc, et tiens-toi fermement dans la bonne voie des Pieux.

Que Dieu nous préserve, toi et moi, de la tentation dans la religion ; qu'il nous protège du mal des séducteurs et des tentés. Qu'il nous accorde une destinée qui peut Le rendre satisfait de nous jusqu'à la mort afin qu'Il nous accueille, grâce à Sa miséricorde, parmi Ses pieux serviteurs. C'est Lui notre Garant et notre Excellent Procureur.

La reproduction de ce manuscrit est achevée en date du 18 dul-qaᶜda de l'an 706 de l'hégire. Gloire en soit rendue à Allah, Maître des Mondes. Qu'il répande ses Grâces sur Muḥammed et sa famille.

Fin des première, deuxième et troixième parties de la "Risâla-l-Mufaṣṣila li-'Aḥwâl al-Mutaᶜallimîn wâ 'Aḥkâm al-Muᶜallimîn wa-l-

---

(513) ᶜÂṣim ; affranchi d'une famille arabe de Kûfa. Né dans cette ville et y est mort en 127/744 ; sur lui, voir Blachère, op. cit., p. 120.

(514) Ḥamza : affranchi né en Iraq, mort à Ḥolwân en 156/772. Ses garants sont souvent les mêmes que ceux de ᶜAṣim ; voir Blachère, Ibid, p. 121.

(515) Al Kisâ'î, affranchi né d'une famille iranienne fixée en Irâq. Élève de Ḥamza dont il se sépara, de Nâfiᶜ (indirectement) et d'Abû ᶜAmr ibn alᶜAlâ' (par l'intermédiaire du grammarien Al Ḫalîl) ; il est une autorité comme Lecteur et philologue. Mort en Perse, près de Rayy en 189/804. Pour plus de détails, voir Blachère, op. cit., p. 121 ; E I., II, 1096.

(516) Le système de Nâfiᶜ, après avoir évincé les "lectures" de Šayba et d'Abû Jaᶜfar à Médine même, devient en quelque sorte le système des Musulmans malikites quand l'imâm, fondateur de cette école juridique, l'eut adopté. Il s'implante en Egypte grâce à warš, pour passer de là en Tunisie où il évince la "lecture" de Ḥamza grâce au zèle d'un savant de Kairouan, Ibn Ḫayrûn (mort en 306/918) ; durant tout le Moyen-âge, le système de Nâfiᶜ/warš est prépondérant en Espagne et au Magreb. Voir, à ce sujet, Blachère, Introduction au Coran, p. 131.

(517) Il s'agit du "Kitâb âdâb al-Muᶜallimîn" de Mohammad Ibn Saḥnûn, fils de Saḥnûn.

tes de lecture sont au nombre de sept et que dans chacune d'elles se trouvent des termes différents de ceux contenus dans les autres lectures. Que chacun emploie celui des sept systèmes de lecture qui lui est le plus commode. Il se peut que dans la récitation d'une expression, des termes différents soient utilisés dans un même sens. Parfois, les sens diffèrent [dans ces lectures coraniques] selon la façon de lire différemment les mots. Les deux célèbres "modes de récitation"[508] tenus pour authentiques d'après [ceux] à qui ils sont attribués, parmi les maîtres dont l'autorité est valable et la fidélité bien établie, tiennent lieu de deux signes évidents chez les lecteurs habiles ; l'un explique l'autre ou bien le sens de l'un diffère du sens de l'autre, et, de ce fait, une variante abroge l'autre.[509]

Accepte aisément les lectures adoptées par les célèbres docteurs musulmans dont les traditions qu'ils y ont suivies ont été admises sans discussion par les habitants des grandes villes ; ceux-ci ont mis leur confiance dans les variantes que les maîtres ont transmises ; il n'y a, parmi eux, que des lecteurs dont le bon mode de récitation, induscutablement admis, fait autorité.

Evite les lectures des autres, car ce qu'ils ont rapporté n'a pas le même poids que celui des récitations des maîtres ; ceux-ci sont : Nâfiᶜ b. ᶜAbd ar-Raḥmân b. 'Abî Nuᶜaym, chef des lecteurs à Médine, ᶜAbd Allah Ibn Kaṯîr,[510] chef des lecteurs à la Mekke, ᶜAbd Allah Ibn ᶜâmir,[511] chef d'école en Syrie, et Abû-ᶜAmr b. al ᶜAlâ,[512] chef des lecteurs à Baṣṣora. Trois des savants lecteurs sont

(508) Régis Blachère emploie "mode de récitation" pour "qirâ'a" ; il propose aussi "variante" et "récitation" au lieu de "lecture". Voir Introduction au Coran, op. cit., p. 103.

(509) "J'ai étudié les lecture" sous soixante dix maîtres de la génération après le Prophète" fait dire une Tradition à Nâfiᶜ. "La lecture sur laquelle deux maîtres étaient d'accord, je l'ai retenue celle où l'un formait l'exception, je l'ai laissée." Le texte, quelle qu'en soit l'authenticité, définit un des principes essentiels de la méthode imposée pour la limitation du choix d'une lecture. Voir, à ce sujet R. Blachère, Introduction au Coran, p. 112 sqq.

(510) IBN Kaṯîr, né à la Mekke, d'une famille iranienne immigrée au yémen. Mort à la Mekke en 120/737. Sur ses garants et disciples, Voir Blachère, Intro. Coran, p. 119.

(511) Ibn ᶜAmir, d'origine Sud-arabique ; chef des lecteurs à Damas. Mort en cette ville en 118/736 ; voir Blachère, op. cit., p. 120.

(512) AbouᶜAmr (Zabbân) Ibn alᶜAlâ', originaire d'une famille arabe, d'autres disent : iranienne. Né à la Mekke vers 70/689, élevé à Bassora, fit un séjour à Médine et à la Mekke ainsi qu'à Ḳûfa ; Il est une autorité à la fois comme grammairien et comme lecteur. Mort vers 154/770 ; sur ses garants et disciples, voir Blachère, op. cit., p. 120 ; E. I., 180.

CHAPITRE II

De sa question relative à la parole suivante de l'Envoyé de Dieu – que le salut soit sur lui : "Le Coran a été révélé selon sept lectures."[504]

Tu as demandé l'exégèse de ceci : "Le Coran a été révélé selon sept lectures" ; sache que la signification de cette parole est claire dans son contexte, comme cela a été rapporté de la bouche de ʿOmar ibn al Ḫaṭṭâb, que Dieu soit satisfait de lui ; ʿOmar a dit : "J'ai entendu Hišâm b. Ḥakîm[505] réciter la sourate al Forqân (La Salvation)[506] autrement que je ne la récitais à l'Envoyé de Dieu. Celui-ci, en effet, me la fit réciter. Je fus sur le point d'arracher Hišâm de sa prière, mais je pris patience jusqu'au moment où il eut accompli la salutation finale ; alors je le saisis par son manteau ; je l'emmenai chez l'Envoyé de Dieu et dis : "Ô Envoyé de Dieu, je viens d'entendre cet homme réciter la sourate "al Forqân" avec des prononciations que tu ne m'as pas fait dire. "Récite", lui demanda l'Envoyé de Dieu. Hišâm ayant récité de la façon dont je l'avais entendu réciter, l'Envoyé de Dieu dit : "C'est ainsi que la sourate a été révélée." Ensuite, s'adressant à moi, il m'a dit : "Récite !" et je récitai. C'est ainsi, reprit de nouveau l'Envoyé de Dieu, que le coran a été révélé ; il a été descendu avec sept variantes de lecture.[507] Employez celle qui vous est la plus commode." L'Apôtre, que le salut et la bénédiction de Dieu soient sur lui, a voulu montrer, par sa parole : "Employez la lecture qui vous est la plus commode," que les varian-

(504) Tradition citée dans le Ṣaḥîḥ d'Al Bokhârî avec des variantes ; voir Houdas et Marçais, Les Traditions Islamiques, T 3, pp. 524-525. Le mot 'aḥruf (pluriel de ḥarf) est énigmatique ; près d'une quarantaine d'interprétations en ont été proposées. Il parait signifier ici "système de lecture." R. Blachère nous indique aussi la valeur du nombre "sept" chez les Sémites et retient un sens vague de sept, celui du français "plusieurs". Voir Blachère, Introduction au Coran, pp. 124-125.

(505) 'Al Forqân (Le Code Sacré), Sourate XXV.

(506) Hišâm b. Ḥakîm b. Ḥazzâm b. Huwaylid al Qurašî al Asadî: compagnon du Prophète. Il mourut après l'an 15/636. Voir Zirikli, T IX, p. 83.

(507) Plusieurs Traditions de même allure se proposent d'accréditer l'existence de "Sept Lectures" du vivant même de Mahomet. cf. El Bokhârî, Les Traditions Islamiques, chap. "Mérites du Coran", op. cit., III, 524. On peut expliquer cette attitude conciliante du Prophète par le souple génie de l'Apôtre qui, selon R. Blachère "s'appliqua toujours à éviter les germes de scission" (Voir Introduction au Coran, op. cit., p. 27). Mais il semble que cette théorie des Sept Lectures est très postérieure à Mahomet ; sur cette question voir, Blachère, Introduction au Coran, p. 102 sqq.



concernant ô enfant acâriatre, te ravalent, te rendent odieux et détournent de toi les cœurs. On te taxera d'ignorance et de mensonge. Ceci, quand les reproches paternels ne te requièrent pas l'application des lois.

Si cet enfant est quelqu'un de bienveillant et d'humble, il mettra un terme à son mauvais comportement, se fera lui-même des reproches et s'efforcera de supporter ses parents avec constance. S'il est, au contraire, stupide, ignare et rebelle, l'autorité musulmane équitable examinera comme il faut son cas ; elle lui fera subir quelque châtiment, lorsqu'aucune preuve testimoniale, excepté celle du père, n'a été retenue contre lui. Il arrive souvent qu'un père stupide, ayant un enfant doux, le traîte ignoblement par ignorance et sottise ; ce traîtement ne peut être accepté ni toléré. On invitera le père à s'en abstenir par l'intimidation jusqu'à ce qu'il cesse de lui faire du mal.

Dans cette description, tu trouveras – s'il plaît à Dieu – les réponses suffisantes aux questions que tu as posées.

vante : "Allah, en toute chose, veut la mansuétude".[500] L'Envoyé de Dieu que le Salut soit sur lui dit aussi : "Vos frères que vous avez en esclavage, Dieu les a mis à votre disposition ; donnez-leur à manger de votre nourriture ; habillez-les de ce que vous portez comme vêtements ; ne leur imposez pas une tâche dépassant leurs forces, et si pourtant vous le faites, aidez-les donc."[501]

Tu m'as posé aussi une question à propos du père qui se plaint de son fils devenu grand et qui lui reproche d'être insociable avec lui et avec sa mère. Sache, donc-que Dieu te soit miséricordieux – que l'enfant une fois arrivé à la puberté et possèdant son libre arbitre, échappe à l'autorité paternelle ; toutefois, il est tenu de respecter les droits de ses parents, d'acquitter envers ses père et mère ou envers l'un d'eux vivant avec lui les obligations que Dieu, Puissant et Grand, lui a décrétées. En effet, Allah dit : "Ton Seigneur a décrété que vous n'adoriez que Lui seul et [marquiez de] la bonté à vos père et mère. Si l'un d'eux ou tous deux doivent auprès de toi atteindre la vieillesse, ne leur dis pas : "Fi ! et ne les brusque point, mais dis-leur toujours des paroles respectueuses ! Fais preuve d'humilité à leur égard pour leur témoigner la mansuétude et dis : "Seigneur ! sois miséricordieux envers eux comme ils le furent quand ils m'élevèrent tout petit."[502]

Si tu vois un père se plaindre de son fils, recite le coran à celui-ci et fais-lui comprendre, avec douceur et bienveillance, les obligations dont il est tenu envers son père ; peut-être s'en souviendra-t-il et en sera-t-il effrayé ? ; mets-le en garde contre son acariâtreté envers ses père et mère ; l'Envoyé de Dieu [Salutations sur Lui] a compté ce méfait parmi les péchés énormes (Kabâ'ir)[503] qui font entrer dans le Feu [de l'Enfer]. Mais, prendre au mot les reproches du père et juger sur le coup l'enfant comme étant rebelle à l'autorité paternelle, ceci n'est pas recommandable.[503b]

Toutefois, si le père est vertueux, non soupçonné d'avoir un penchant particulier pour un autre fils, ou pour la marâtre, non suspect à nos yeux de mensonge et non calomnié, ses paroles fâcheuses te

---

(500) Voir réf. note 371.

(501) Voir Ṣaḥîḥ d'Al Bokhârî...

(502) Sourate XVII 'Al Isrâ' (Le voyage Nocturne ou Les Fils d'Israël), versets 23-24 ; Voir Blachère, Coran, II, 381 ; Mazigh, Le Coran, p. 244.

(503) (Kabâ'ir, sing Kabira) = "Grands péchés ou fautes graves" ; ant. Saġâ'ir" péchés véniels".

(503 b) Lire "Wa yuḥkama" au lieu de "aw yuḥkama".

portionné à ce qu'elle aura mérité ; c'est ce même avis que les doctes ont avancé. Mais, si le mari, en frappant sa femme pour la corriger, lui crève l'œil ou lui fracture un os, il commet là une erreur préjudiciable ; les contribules solidaires sont tenus du prix du sang, quand le montant de la compensation due se monte au tiers ou à plus du tiers de la diya totale [de la victime].[499] Si son épouse nie avoir refusé de lui obéir comme il l'a prétendu, dans ce cas rien ne justifie la sanction corporelle ; autrement, on entendrait parler de sa désobéissance dans l'entourage familial et le voisinage, puisqu'il ne la frappe pas pour la première fois. S'il lui reproche quoi que ce soit qui n'a pas été entendu de sa bouche ou remarqué chez elle par quelqu'un de l'entourage familial ou du voisinage, et qu'elle apparaît sincère et à l'abri de l'inconduite, on n'ajoutera pas foi à ses reproches. Mais si ces reproches qu'il lui fait s'avèrent authentiques, il doit en informer quelqu'un de sûr, parmi les membres de la famille ou les voisins, avant de mettre la main sur elle manifestement. S'il se trouve dans l'impossibilité de prouver publiquement sa sincérité dans les griefs formulés contre elle, certes il est exposé aux épreuves. Il la gardera, selon l'opinion communément admise, si cela lui plaît et lui infligera une sanction corporelle légalement prescrite, s'il en a le droit ; cependant, il n'ira pas loin dans le châtiment correctionnel, à l'exemple du maître dont la sanction corporelle administrée à ses élèves ne doit pas causer dommage ni être dictée par l'esprit de vengeance ; en effet, l'époux ne corrige sa femme que dans l'intérêt de celle-ci et afin qu'elle préserve le sien propre.

C'est prescrit au père d'infliger à son fils, en bas-âge, un châtiment correctionnel ; quand celui-ci se montre dur et incorrect, il doit être réprimandé. La seule voie que le père, désirant corriger son enfant, doit suivre, c'est de lui infliger un châtiment exempt de préjudice et non dicté par la vengeance ; car ce n'est pas par inimitié qu'il le frappe. De même, pour ses esclaves des deux sexes, c'est à lui que revient le droit de les corriger. Il administrera à chacun d'eux une peine correctionnelle équitable proportionnée à son délit. Il n'y a pas, pour le nombre de corrections, une limite prescrite à laquelle il doit s'arrêter ; mais dès qu'il manifestera une injustice envers son esclave et dépassera les bornes [dans la sanction], on l'en détournera et on le lui interdira, conformément à la parole [prophétique] sui-

(499) Voir Ibn Abî Zayd, "Risâla", p. 243.

équivalente, supérieure ou inférieure à son dû, ceci est considéré comme licite à condition qu'il s'acquitte avant terme des biens (ʿarḍ) et n'en retarde pas l'échéance. Si sa diya est acceptée, le coupable se disculpe. Mais, au cas où l'ayant droit à la diya refuse d'accepter la part du coupable et qu'il désire la lui laisser et l'en dispenser, ceci lui est loisible à condition d'enlever cette part de la diya à la charge des contribules solidaires. S'il refuse d'accepter la part du coupable par ignorance et qu'il désire toucher ce qui est à la charge des autres, le tributaire volontaire n'a d'autre obligation que d'acquitter son dû ; si ce dû n'est pas accepté, le tributaire coupable le placera chez une personne sûre. Mais, si ce tributaire trouve risqué de garder le dû chez lui et ne tient pas, non plus, à le déposer chez quelqu'un qui soit digne de confiance, car si ce dernier le perd le tributaire n'en est pas exempté, et qu'il choisit par contre de le déposer, par l'intermédiaire d'une autorité musulmane sûre, en trois échéances, chez un notaire sûr, en payant à chaque terme le tiers du dû légalement à charge, cette autorité lui permettra cela.

S'il refuse toutes ces considérations et préfère donner en aumône son dû revenant de droit à l'héritier de la victime, ou en dispose selon son gré, ce dû sera prélevé sur son patrimoine quand on le lui exigera. Tout ceci n'a lieu que lorsqu'il est établi que le coupable possède des contribules solidaires capables, suivant les règles décrites, de supporter le prix du sang. Si ce fait n'est pas établi et qu'il en résulte que la diya doit être prélevée du trésor public, ni le coupable, ni ses proches parents ne sont tenus de quoi que ce soit. Comprends donc ceci ; je t'ai expliqué tout ce que tu as demandé, selon mes moyens à cause du peu de temps [dont je dispose].

Tu as demandé aussi : "Le mari peut-il infliger à sa femme un châtiment pour la corriger ?" Sache que la sanction éducative qu'il pourrait lui infliger est inspirée du Livre de Dieu – Puissant et Grand – quand Il dit : "Celles dont vous craignez l'indocilité, admonestez-les ! éloignez-les de votre couche ! frappez-les. Si elles vous obéissent, ne cherchez plus contre elles de voie [de contrainte] ! Allah est si Haut et si Grand."(498) Ainsi, en toute circonstance, quand la femme doit obéir, le mari peut la corriger [en cas d'infraction] lorsque, lui-même, lui accorde ses droits et ne commet pas d'injustice à son égard. Le châtiment corporel qu'il lui infligera sera, alors, pro-

(498) Sourate IV An-Nisâ', une partie du verset 34 ; Blachère, Le Coran, p. 935 ; Mazigh, Le Coran, p. 110.

pour expier son délit, le coupable affranchira un esclave.

Mais si tu veux dire que la diya n'est plus l'objet de jugement chez vous, et que les contribules solidaires, par contre, sont connus, sache que le tribut n'était à l'origine entré dans les coutumes des Arabes que parce que ceux-ci se portaient garants du criminel quand ils le pouvaient. Mais s'ils ne pouvaient pas supporter la diya, leurs plus proches sections tribales dites 'afḫâḏ[495] ainsi que celles du coupable, se rangeaient à leurs côtés. Si l'ensemble tribal, malgré des tentatives, ne pouvait pas acquitter le prix du sang, les tribus ayant plus de parenté avec cet ensemble, grossissaient ses rangs ; telle était aussi la ligne de conduite des Arabes en Islam. Seulement, ne peuvent s'associer aux contribules solidaires et les aider à payer le prix du sang que les originaires du territoire ou séjourne le criminel ; car ceux-ci font partie du même registre de dème (diwân). L'Egyptien ne peut être rangé ni du côté du Syrien ni du côté de l'Ifriqiyen. Si vous avez réglementé vos contribules d'une façon authentique et sûre, les sections tribales dites 'afḫâḏ et les tribus s'associeront aux contribules solidaires pour supporter le prix du sang, d'après le principe suivant : "Ne peut se ranger aux côtés de la section tribale (faḫḏ) du criminel ni aux côtés de sa tribu quiconque se trouve dans le voisinage de ce criminel mais n'est pas du même lignage que lui ; de même, si quelqu'un a la même généalogie que le criminel mais qu'il habite un territoire différent du sien, il ne peut se ranger à ses côtés. Comprends donc ce que je t'ai décrit et implore l'aide de Dieu.

Quant à ta question : "Le coupable, pour être absous, ici – bas et dans l'au – delà, doit-il acquitter son dû, c'est-à-dire le prix du sang, aux parents de la victime ? sache que le coupable qui acquitte ce dû est équitable envers lui-même et il doit le faire nécessairement si les contribules consentent à le payer. Le coupable ainsi que sa ʿâqila payeront obligatoirement la diya à termes échelonnés sur trois ans.[496]

Si le coupable paye la diya en or ou en argent, quand il est de ceux dont la fortune est constituée généralement d'or monnayé ou d'argent, ou qu'il la paye en biens quelconques dits ʿarḍ[497] d'une valeur

(495) Voir la subdivision tribale : (faḫḏ, pl. 'afḫâḏ) litt. Cuisse, signifie section, la plus petite Subdivision d'une tribu. Voir Bišr Fâris. "L'honneur chez les Arabes avant l'Islam". Éd. Adrien Maisonneuve, 1932.

(496) Voir à ce propos Ibn Abî Zayd : "Risâla", p. 249.

(497) Voir Risâla, pp. 131,133,139 etc...

portés ; mais le maître n'a pas dépassé la limite permise pour le châtiment corporel ; de ce fait, il n'est pas tenu d'acquitter le prix du sang de l'enfant. Ainsi, lorsque quelqu'un meurt des suites d'une fustigation qu'il a dû subir comme peine légale, il est victime du droit et son sang versé reste impuni. Mais, lorsque le châtiment du maître dépasse, non intentionnellement, la limite de la sanction prévue légalement, ce sont les contribules solidaires du coupable qui doivent payer le prix du sang. Si on n'est pas sûr que le maître a été loin dans le châtiment, la diya est à prélever sur son patrimoine ; on peut admettre aussi qu'elle soit à la charge de la ᶜâqila ; car, chaque fois qu'on a la latitude d'imposer à quelqu'un le talion et qu'il y a un empêchement quelconque, ce qui fait que le talion devient illicite, la diya est à la charge de la ᶜâqila comme dans les blessures intentionnelles (ma'mûma) et celles atteignant l'abdomen (Jâ'ifa).[493] Ce qu'il faut faire, quand on doute que le maître a frappé plus de coups qu'il n'en faut, c'est tout simplement de prélever le prix du sang sur son patrimoine. Mais Dieu seul connaît la vérité.

Saḥnûn dit : "Si ce n'est pas le maître qui a exécuté l'acte, mais qu'il l'a fait exécuter par un autre, le maître qui a donné l'ordre sera soumis aux règles que je viens d'exposer ; celui qui a reçu l'ordre n'encourra aucune responsabilité. Au cas où l'exécutant est pubère, certains de nos docteurs sont d'avis que le prix du sang est dû par la ᶜâqila de l'auteur du délit, et que ce dernier sera tenu de l'expiation ; d'autres sont d'avis que le prix du sang est à la charge de la ᶜâqila du maître, l'exécutant n'étant tenu que de l'expiation. Mais Dieu Seul sait la vérité.[494]

Tu m'as demandé aussi : "Quelles sont les règles à suivre pour déterminer le prix du sang qui s'impose aux contribules solidaires du coupable, étant entendu que le versement de ce prix n'est pas en vigueur chez nous ?", et tu n'as pas expliqué pourquoi cela n'est pas en usage chez vous. Pour te répondre, [sache que] si tu soutiens que vous n'avez-pas de contribules réglementés et que vous ne pouvez embrasser de votre science cette question, l'opinion communément admise, quand quelqu'un n'a pas de contribules, est que le prix du sang qu'il a versé soit prélevé du trésor public des musulmans ;

(493) "La blessure mûḍiḥa est celle qui met l'os à nu ; la blessure munaqqila est celle qui fait sauter des morceaux d'os sans toutefois parvenir au cerveau. Si elle y parvient, elle est dite ma'mûma et entraîne blessure qui atteint l'abdomen (jâ'ifa)." Voir Ibn Abî Zayd "Risâla", pp. 245-246.

(494) passage in S, p. 366 ; R. E. I., op. cit., p. 104.

daires quand le maître atteint l'enfant avec le manche de la férule, du fait qu'il lui est permis de le frapper avec la férule [seulement] ; si le manche de celle-ci a atteint par hasard l'enfant, cela n'était pas dans l'intention du maître ; c'était simplement une erreur [involontaire]. Il y a lieu, alors, de prononcer le serment cinquantenaire si l'enfant meurt ; car l'on peut présumer de la véritable intention du maître. Mais si, en présence de deux témoins, l'enfant meurt dans le local du maître, il n'y a pas lieu, dans ce cas, de proférer la qasâma; et le prix du sang est à la charge des contribules solidaires du coupable (ᶜâqila).

Quant le maître utilise le bâton et la tablette, pour frapper l'enfant, il commet une agression. La seule excuse qu'il peut alléguer, c'est qu'il a outrepassé la légalité, sous l'emprise de la colère ; et par conséquent, il mérite de subir la peine du talion. Cet aveu suffit pour le châtier et la prononciation de la qasâma ne s'impose pas.

Certes, Saḥnûn dit : "Lorsqu'un maître a infligé à un élève la sanction corporelle qui lui est permise – en sachant que les enfants comme lui peuvent supporter une sanction analogue – et que l'élève meurt ou subit, de ce fait, un grave préjudice, le maître n'a d'autre obligation que d'accomplir l'expiation prévue en cas de décés. Mais, s'il a dépassé la limite permise pour la sanction, il est tenu de verser de son patrimoine le prix du sang, outre la correction à subir. Selon une autre opinion, le prix du sang est dû par la ᶜâqila; et le coupable est tenu de l'expiation. Mais, lorsqu'il a dépassé la limite de son droit de correction, de sorte que l'enfant aura contracté une maladie mortelle et qu'il y a présomption d'intention homicide, les parents immédiats de la victime jureront et le tueront à titre de talion. Mais, s'il n'a pas été assez loin dans le châtiment pour que l'on puisse présumer l'intention homicide, et qu'il a frappé simplement pour corriger, mais n'a pas su administrer convenablement cette correction, les parents de la victime jureront et pourront percevoir le prix du sang de la ᶜâqila. Quant à lui, il sera tenu de l'expiation."[492]

C'est une bonne explication, remarque 'Abû-l-Ḥasan. Et d'ajouter : "Quant à la parole suivante de Saḥnûn relative aux préjudices causés à l'enfant et résultant d'une sanction corporelle permise au maître : "Le maître n'a d'autre obligation que d'accomplir l'expiation prévue en cas de décès", elle signifie ceci : "Le maître a infligé à l'enfant trois coups de férule ou plus, car il les a mérités et les a sup-

---

(492) passage in S, p. 366 ; R. E. I., op. cit., pp. 103-104.

ce qu'il a stipulé, comme dans les contrats de vente. De même, si le maître loue ses services, moyennant des vivres garantis ou livrés en nature à la mesure, il ne peut en vendre une partie avant d'en avoir pris possession en entier.[487]

Quant à ta question relative au maître qui dépasse la peine légale dans le châtiment corporel infligé au jeune patient et qui frappe plus d'un coup, [sache que] ceci ne peut émaner que d'un maître inhumain et ignorant. Je t'ai mentionné, précédemment, qu'il est répréhensible qu'un maître frappe l'enfant en étant dominé par la colère. La sanction visant à corriger n'est infligée que lorsque les enfants ont causé quelque tort. L'instrument qui doit servir au maître pour les châtier n'est autre que la férule (ad-dirra) ; celle-ci doit être molle, ne présentant aucun danger, pour que son effet ne soit pas funeste. Tu as déjà appris que le maître doit éviter de porter des coups à la tête et au visage. Il n'a pas le droit[488] de frapper avec un bâton ou une tablette.

Ibn Saḥnûn rapporte, dans son livre, ceci : "Comme on interrogeait Mâlik à propos d'un maître qui, en frappant un enfant, lui crève l'œil ou lui casse le bras, il répondit : "S'il a frappé avec le nerf de bœuf (dirra) à titre de sanction, et qu'il lui a cassé le bras ou crevé l'œil en l'atteignant avec le manche, le prix du sang (diya) est à la charge des contribules solidaires du coupable (ᶜâqila)[489] lorsque le maître a fait ce qui était licite. Si l'enfant meurt, la diya est à la charge de la ᶜâqila après que les ayants cause de la victime aient proféré le serment cinquantenaire[490] (qasâma) ; de plus, le coupable lui-même sera tenu de l'expiation canonique (Kaffâra). Si le maître frappe l'élève avec une tablette ou un bâton et qu'il le tue, on lui fera subir le talion ; car, il n'a pas été autorisé à frapper avec un bâton ou une tablette."[491]

'Abû-l-Ḥasan dit : "Le prix du sang incombe aux contribules soli-

---

(487) Voir Ibn Abî Zayd "Risâla", chap. des ventes et des contrats analogues, p. 202 sq.

(488) Nous lisons "fa mâ li hâḏâ 'an yaḍriba" ; dans Q "'an" est omise.

(489) Voir Risâla, chap. XXXVII, relatif aux prescriptions concernant les délits de sang et aux peines légales, p. 241 et sq.

(490) qasâma "serment cinquantenaire", sens attesté dans la Risâla d'Ibn Abî Zayd 'al Qayrawânî : "Nul n'est mis à mort si l'homicide n'est attesté par une preuve testimoniale régulière ou par l'aveu, ou s'il y a lieu par la qasâma (serment cinquantenaire). En ce cas, les ayants cause de la victime profèrent cinquante serments et acquièrent ainsi le droit au talion." Voir Risâla, p. 241.

(491) passage in S, p. 367 ; et trad. G. Lecomte, R. E. I., pp. 104-105.

s'étant introduit, de son propre chef, dans une école, ce qu'on reçoit d'un autre élève ?" 'Abû-l-Ḥasan répond : "Si l'orphelin possède un patrimoine, il est obligé d'en prélever [pour le maître] la même somme qu'un autre élève acquitte dans les mêmes conditions que lui. De même, le père payera, pour son fils, ce qu'un autre père payera dans les mêmes conditions. C'est cela qu'on appelle la rétribution similaire, que la stipulation soit différente ou non ! C'est nécessaire de mentionner les clauses spéciales en livrant l'enfant aux soins du maître d'école. On lui dira alors : "On te payera un salaire analogue à celui que tu toucheras des autres, mensuellement ; à ce moment là, le maître ne doit conclure sur cette base le contrat de louage, qu'après avoir précisé comment il perçoit différemment ce salaire. Mais, si l'orphelin n'a pas de patrimoine et que le maître en est informé, l'enfant n'est pas tenu de lui accorder un salaire ; c'est que le maître accepte de l'instruire bénévolement et il n'a pas, par conséquent, le droit d'engager des poursuites contre lui pour le paiement de cette rémunération. Mais, si c'est la mère ou quelqu'un d'autre qui amène l'orphelin au maître et lui demande de l'instruire, celui qui accompagne l'enfant est redevable des frais d'instruction, quand l'orphelin n'a pas de fortune, sauf si l'accompagnateur précise au maître que cet orphelin ne possède pas de patrimoine et qu'il n'a personne pour prendre en charge ses dépenses.

Quant à ta question : "Comment le maître traitera t-il à forfait avec les parents d'élèves ?", une explication en a été fournie dans les recueils de Masâ'il (ou questions de droit), d'après Mâlik et d'autres docteurs. Si, comme tu as dit, le traitement à forfait se fait avec des ovins donnés à bail, ceci n'est pas licite ; à moins que ces animaux ne soient l'objet d'une caution et que le contrat ne soit nettement défini et le délai bien fixé ; dans ce cas, il est permis de pratiquer le salam (ou paiement anticipé pour un travail ou une vente).[486] Il en va de même de quelqu'un dont les services sont loués, en échange de ces ovins, pour exécuter un travail, et qui commence à le faire. De même pour le maître ayant entamé son enseignement et dont les services sont loués pour un délai déterminé, il est permis, quand le délai prévu pour les prestations sur les ovins échoit, de prélever sur les caprins un animal, et sur les ovins un autre. Mais le maître n'a pas la latitude de toucher, avant terme, autre chose que

---

(486) Sur le salam (paiement anticipé ou retardé pour un travail ou une vente), voir Risâla, p. 210.

aux enfants qui retournent de l'école et que cet endroit ne jette ni le jeune élève dans un embarras ni n'impose à ses parents la fourniture de vivres leur causant, ainsi, dommage et soucis, les parents ne doivent pas s'opposer à ce que le maître y déménage. Mais si ce changement de lieu nuit à l'un de ceux qui se sont opposés au maître, celui-ci n'est pas en droit de quitter le local où l'enseignement doit être donné, d'après les clauses du contrat.(484)

Quant le maître meurt, le contrat de louage est annulé. On ne louera pas les services d'un autre maître pour enseigner à sa place, moyennant une rétribution prélevée sur le patrimoine du défunt. En outre, de la rétribution à forfait ('ijâra), il revient de droit au défunt une rémunération évaluée selon l'enseignement qu'il a donné, avant terme, et de la rétribution finale (ḫitma)(485) une somme correspondante aux passages coraniques inculqués à l'enfant, à la manière qui vient d'être expliquée. Il en va de même en cas de décès de l'enfant ; le maître touchera seulement de la rétribution à forfait ainsi que de la rétribution finale (ḫitma) une somme proportionnée au degré de son enseignement.

Mais lorsque le père de l'enfant meurt, le contrat de louage n'est pas annulé. Toutefois, si le maître n'a rien touché, il touchera, sur l'héritage du défunt, le prix de l'enseignement déjà donné ; et le reste de la rémunération forfaitaire à terme qui incombe au père, doit être prélevé sur le patrimoine de l'enfant s'il en possède un, hérité de son père, ou sur un autre bien [qui lui revient]. Mais si l'enfant n'a pas de patrimoine, le maître a la latitude d'annuler le contrat de louage, à moins qu'il ne veuille l'exécuter bénévolement ; il ne lui réclamera rien afin de faciliter [l'éducation de l'enfant]. Cet acte volontaire n'engage pas l'enfant en quoi que ce soit. Cependant, si le maître refuse d'instruire l'enfant à titre gracieux et qu'un tuteur testamentaire ou quelqu'un d'autre s'engage de plein gré à lui verser la rétribution, le contrat de louage reste valable et il n'est pas résilié. Mais Dieu seul garantit le succès.

Tu as posé les questions suivantes : "Doit-on exiger de l'enfant que le père a fait entrer à l'école sans rien stipuler, ce qu'on exige des autres ? Et il se peut que les conditions exigées [par ce père] soient différentes de celles des autres. Doit-on toucher d'un orphelin

(484) Ici un passage en blanc, avec un début de phrase inintelligible.

(485) Le maître avait l'habitude de toucher deux sortes de rétributions, l'une payée à terme (mensuellement ou annuellement etc...), l'autre finale, après la récitation intégrale du Livre, soit de mémoire, soit dans le texte.

rejoindra pendant cette période restante ; il leur diminuera de la rétribution totale une somme calculée selon le nombre de jours où il a été séparé d'eux ; car ils ne se sont pas opposés à ce qu'il les accompagnât en voyage et n'ont pas empêché volontairement leurs enfants de le fréquenter. Les parents ne sont pas tenus légalement de lui accorder la rétribution totale, alors qu'il n'a pas achevé la tâche prévue dans le délai préfixé. S'il a réglé les comptes avec eux, lors de leur départ, et résilié le contrat, il n'est pas obligé de revenir auprès d'eux, si jamais ils retournent au lieu d'origine avant la fin du délai. S'ils changent de lieu volontairement, il ne leur est pas loisible de réduire le prix de louage du maître. S'ils désirent partir avec leurs enfants, ils payeront le salaire du maître et feront ce qui leur plaira. Si quelques uns d'entre eux émigrent, de plein gré, et que les autres restent, on tranchera le différent entre le maître et les migrants, par un jugement analogue à celui qui vient d'être défini au sujet du départ collectif et volontaire des parents. Le maître doit respecter le délai pour ceux qui restent, même s'il ne s'agit que d'un seul [élève], car il touche son salaire intégralement ; sa tâche se trouve allégée tant que celui qui le quitte reste absent.

Mais, lorsque le départ des parents est motivé par une force majeure et qu'ils emmènent avec eux leurs enfants, c'est là à mon avis une excuse qui annule le contrat de louage établi entre eux et le maître ; ce dernier réglera avec eux les comptes et examinera le cas des restants. Si ceux-ci représentent la majorité [de ses clients] et qu'en outre les départs ne l'ont pas lésé, il leur tiendra promesse jusqu'au terme [du contrat]. S'il trouve des élèves qu'il peut instruire à la place des partants, ceci lui est loisible et ne porte pas préjudice aux restants. Par contre, si les partants représentent la majorité et que le maître, en demeurant auprès de ceux qui restent,ne peut qu'être nettement lésé, c'est là, à mon avis, une excuse lui permettant soit d'annuler le contrat de louage, soit de demeurer auprès d'eux, selon son désir. S'il trouve d'autres élèves pour remplacer les partants, il lui est loisible de les instruire et ceci ne fera l'objet d'aucune interdiction.

Quant à ta question relative au maître qui, ayant voulu transférer son école d'un endroit à un autre plus proche ou plus éloigné, quelques uns refusèrent alors que d'autres acceptèrent, [sache que] ceci est encore matière à examen si la stipulation du maître a le caractère d'obligation dont il ne peut se dérober. Dans ce cas, si l'endroit où le maître s'est réinstallé ne cause ni préjudice, ni fatigue, ni frayeur

Quant à Saḥnûn, il dit : "Si le premier maître enseigne à l'élève [le coran] jusqu'à la sourate yûnus,[482] le second a droit à la ḫitma ; mais lorsque le premier va au delà de cette sourate et arrive jusqu'au deux tiers du Livre ou les dépasse, selon les propos approximatifs de Saḥnûn, on ne devra rien accorder légalement au second maître. Pour moi, ajoute Saḥnûn, je considère comme recommandable qu'on lui accorde bénévolement quelque compensation. Mais, c'est là une solution qui ne découle pas d'un raisonnement par analogie."[483] Ceci correspond exactement à ce que je t'ai décrit précédemment ; je t'ai fait savoir mon opinion là-dessus.

Tu m'as demandé, en outre, : "Que doit faire le maître rentré au service d'un groupe de gens auquel il est arrivé un événement les ayant contraint à l'exode, les uns pour s'installer dans un endroit, et les autres ailleurs ; ou bien les uns sont partis alors que les autres sont restés dans l'agglomération [initiale] ?," la réponse est la suivante : "On doit examiner le contrat que le maître a signé avec eux ; s'il a pris place moyennant seulement un salaire mensuel ou annuel, il lui est permis, légalement, d'interrompre l'instruction des élèves quand bon lui semble ; et ceux-là peuvent aussi le quitter, quand cela leur plaît. Les passages [coraniques] que le maître a enseignés aux élèves feront l'objet d'une rémunération à évaluer entre les deux parties, d'après ce que nous avons exposé précédemment au sujet du père qui a la latitude de retirer son enfant de l'école. Au reste, on ne s'occupera pas, dans ce contrat, de savoir si les élèves ont été obligés de quitter le maître ou non. Qu'il délaisse les élèves pour une autre destinée, ou que ceux-ci se retirent définitivement de l'école, le maître n'a droit qu'au paiement d'un salaire équivalent à l'enseignement qu'il a dispensé. Si le maître s'est engagé à instruire ses élèves pour une durée d'un an ou de quelques mois, moyennant un salaire déterminé, il examinera l'événement qui a affecté ces gens ; si c'est un événement qui ne leur a pas permis de rester et qu'ils se sont trouvés obligés de quitter le maître, en raison du malheur insupportable qui les a affligés, par suite d'une guerre civile ou d'une disette, ils sont excusés de partir.

Le maître n'est pas tenu de les suivre dans leur exode, car ces gens n'ont pas loué ses services pour l'y astreindre. S'ils reviennent quelques temps avant l'expiration du délai réglementaire, le maître les

(482) Sourate X (yûnos).

(483) Voir passage intégral in R. E. I., op. cit., p. 94.

née, le père l'acquittera et les deux maîtres se la partageront selon l'effort fourni par chacun d'eux, et selon les profits que l'enfant a tirés de son instruction ; cette appréciation est laissée à l'initiative du juge. Il se peut qu'il assigne au premier maître la rétribution totale, ou qu'il en retranche seulement une petite somme qu'il donne au second ; et ceci, lorsque le premier maître a enseigné à l'enfant, soit dans le texte soit par cœur, un passage coranique équivalent presque à une ḫitma, de telle sorte que l'enfant parvînt à un degré de connaissance lui permettant de se passer du maître ; le fait de rejoindre un second maître ne lui ajouterait rien à son instruction. Celui-ci est-il, alors, en droit de se voir accorder une rémunération quelconque, à moins qu'il ne s'agisse du prix de garde et des soins dont il a entourés l'enfant ? Ce prix ne doit pas être payé au dépens du premier maître. On peut admettre que l'enfant puisse profiter encore de l'enseignement [du second maître] en écrivant [sous sa dictée] le passage coranique qui lui reste, même s'il s'agit de la sourate al Baqara.(481)

[Le juge] appréciera la rémunération à lui accorder et la prélèvera sur la rétribution intégrale. Il se peut que le second maître ait droit au paiement de la rétribution totale, et que le premier n'en obtienne qu'une partie ; et ceci : lorsque ce premier maître n'a fait que commencer à instruire l'enfant au moment où il fut retiré de chez lui, peu de temps après, sans avoir tiré aucun profit de son enseignement à cause de sa lecture défectueuse dans les quelques sourates qu'il a apprises et de son ignorance en matière de lecture et d'orthographe. Quelle rémunération, ce maître, méritera t-il donc ? Si l'enfant a assimilé une partie de son enseignement et a reconnu ce qu'il a appris, ce maître doit recevoir une rémunération équivalente. Mais, si la tâche du second maître s'est trouvée facilitée par la somme de connaissances inculquées à l'élève par le premier maître, au moment où l'élève l'a quitté, on doit retrancher de la rétribution finale une somme conforme à ce savoir ; le premier maître touchera cette somme, et le reste de la rétribution sera alloué au second. S'il s'avère, par contre, que celui-ci n'a été nullement avantagé par l'enseignement dispensé par le premier maître, on ne lui retranchera rien de la rétribution [totale] qui sera à la charge du père ; car, celui-ci a retiré délibérément son enfant de chez le premier maître. Toutes ces considérations se dégagent de l'opinion émise par Mâlik.

---

(481) Al Baqara (La génisse), Sourate II.

minés. Il a considéré aussi comme illicite d'épouser, par un seul contrat ou une seule dot, deux femmes ou plus, si on n'assigne pas à chacune un douaire à part. Le contrat de louage des services du maître qui s'engage à instruire des enfants n'ayant pas le même père revient en somme à ce domaine où sont soulevées des controverses. Ce n'est pas le cas pour la donation généreuse sur laquelle s'est appuyé Ibn Ḥabîb ; en effet, celui-ci a remarqué qu'il a essayé de tirer cette question au clair, lors d'une enquête auprès d 'Asbaġ et d'autres savants et jurisconsultes.

Mais il n'a pas cité les noms de Moṭarrif et d'Ibn Al Mâjišûn.(480) Et s'il savait leurs opinions ou celle d'un autre qui la tiendrait de ces deux savants, ou l'avis de ᶜAbd Allah ibn 'al-Ḥakam, il les aurait nommés en premier lieu. Ce que Ibn Ḥabîb rapporte précédemment, d'après Moṭarrif qui le tient de Mâlik et d'autres savants de Médine, diffère de la tradition sur laquelle il s'est appuyé pour développer ses idées, comme nous venons de le montrer. Mais Dieu seul connaît la vérité ; c'est Lui le Protecteur des pieux."

A mon avis, la parole suivante de Saḥnûn : "Quiconque, parmi les élèves n'ayant rien stipulé, ne s'est pas approché de la fin d'une ḫitma, et a été retiré de l'école par son père, n'est pas tenu de payer quoi que ce soit", n'est qu'une interprétation de l'opinion d'al-Muġîra et d'Ibn Dinâr, citée précédemment. Mais Dieu seul connaît la vérité. Certes, j'ai déjà explicité cela et répondu à tes questions, dans ce domaine, d'une façon claire et sans aucune ambiguité pour toi ou pour un autre, s'il plaît à Dieu.

Quant à ta question concernant celui qui a appris une partie du coran sous la direction d'un maître, l'a quitté, ensuite, pour un second maître chez lequel il a achevé la ḫitma," la réponse, conformément à ce que je t'ai indiqué, est la suivante : "Le premier maître a droit à un salaire correspondant à la partie du Livre qu'il a enseignée, soit la moitié, le tiers ou le quart du coran ; et la moitié, les deux tiers, ou les trois quarts enseignés par l'autre maître. Le juge évaluera la rétribution que le père de l'élève est tenu de payer pour la récitation intégrale de la prédication, selon son aisance ou sa gêne, et selon le degré de compréhension de l'enfant dans ses connaissances acquises. Quand cette rétribution est bien détermi-

---

(480) Ibn al Mâjišûn [Abû Marwân ᶜAbdel Mâlik b. ᶜAbd al ᶜAzîz b. ᶜAbd Allah at-Taymi], jurisconsulte mâlikite, mort en 213 H/828-829 J.C. Voir Ziriklî, T IV, p. 305 ; De slane, Prolégomènes, op. cit., T 3, p. 18.

payer la moitié de la dot bien qu'il n'ait tiré aucun profit de sa femme.[477] Mais, s'il n'a pas assigné une dot à sa femme avant la rupture, rien ne doit être donné à celle-ci une fois répudiée ; [il] se bornera à lui accorder un don qui reste, d'ailleurs, facultatif ; car ce don prend le caractère d'obligation chez les vertueux et les pieux, parmi ceux qui ont consommé le mariage. Par ailleurs, la générosité n'est pas exigible. Mais, celui qui désire être généreux, en cas d'obligation légale, ne fait que remplir son devoir. Le don (Motᶜa) n'est accordé aux femmes qu'en compensation des biens que celles-ci espéraient trouver chez leurs maris. Par contre, le salaire touché par le maître correspond, en somme, à une tâche déjà remplie. Nous avons comparé ce salaire au prix convenu pour un travail et à la donation en guise de récompense ; et c'est très logique, car ils se ressemblent et s'assimilent. En effet, dans certaines questions relatives au louage du maître, les jurisconsultes ont suivi les mêmes règles que dans les opérations de vente.

Saḥnûn dit : "Comme on demandait à un certain nombre de docteurs du Hijâz, parmi lesquels Ibn Dînar et d'autres : "Le maître peut-il être engagé par un groupe de personnes et est-il, alors, en droit d'exiger, pour chaque enfant, la part qui lui incombe [du salaire global ?], ils répondirent : "C'est licite, à condition que les parents soient tous d'accord, car ils sont en présence d'une nécessité impérieuse dont on ne peut se passer. Cette réponse est, également, celle d'Ašhab." Saḥnûn ajoute : "Cette situation est assimilable à celle d'un homme qui aurait loué les services de deux esclaves, chacun d'eux appartenant à un seul maître, en stipulant qu'il paiera [à chaque maître] les services d'un seul esclave ; cela revient en somme à une opération de vente, dans le livre d'Ibn Saḥnûn.[478] Ibn al-Qâsim ne considère pas comme licite ce genre de louage de services, car c'est une modalité qui n'est pas, à son avis, licite dans la vente. Mais Dieu seul connaît la vérité."[479]

'Abû-l-Ḥasan dit : "Oui, Ibn al-Qâsim a, certes, interdit ces genres de vente et de louage de services quand ils ne sont pas bien déter-

---

(477) Ibn Abî Zayd al-Qayrawânî dit, à ce propos dans la Risâla : "La femme répudiée avant la consommation du mariage a droit à la moitié de la dot, à moins qu'elle n'en fasse abandon elle-même, si elle est déflorée, ou que son père y renonce pour elle, si elle est vierge, ou son maître, si elle est esclave". Voir Risâla, chap. XXXII, p. 185.

(478) Il s'agit du "Kitâb 'âdâb al muᶜallimîn" (Règles de conduite des maîtres d'école). Voir note, plus haut, sur Ibn Saḥnûn.

(479) Voir passage in R. E. I., op. cit., p. 99.

Ibn al-Qâsim rapporte : "Certes, Mâlik a avancé une opinion analogue à celle-ci, dans ce qui suit : "Les gens n'ont pas le droit de faire le cadeau de mariage, à moins qu'ils ne l'éxigent". Et des deux paroles de Mâlik, celle-là m'est préférable."

'Abû-l-Ḥasan remarque : "Vois donc comment Mâlik – que Dieu lui accorde sa Miséricorde – a répondu tout d'abord au sujet du cadeau de noce en se servant d'arguments tirés du Livre de Dieu ; ensuite, lorsqu'on lui a décrit la coutume en vigueur chez la plupart des gens, il a répliqué : "Si l'on se rend compte que le cadeau de noce est passé dans leur coutume et que ces gens le font, je ne suis pas d'avis qu'on en dispense l'époux, à moins que le représentant de l'autorité ne prenne l'initiative [de l'annuler] ; car, à mon avis, les gens s'y sont habitués.

Mâlik – qu'Allah lui accorde sa Miséricorde – a indiqué que le mari est tenu de respecter ce que les gens ont l'habitude de faire [en fait de cadeaux ou autres], car il s'est engagé selon ce principe. C'est ainsi que l'on doit procéder avec les maîtres d'école. Ce qui est passé dans la coutume des gens étant considéré comme licite, les pères des élèves en sont tenus envers les maîtres. Ceci est le motif ayant incité les pères à emmener leurs fils [à l'école], et les maîtres à prendre place pour les instruire. Toutefois, le cadeau de mariage n'est qu'une donation présentée à la femme afin qu'elle la prenne avec elle, à la nuit de noce. Le profit à tirer de la mariée n'est qu'en perspective, tandis que les élèves tirent parti de ce que le maître leur a déjà enseigné. A quel titre exonère -t-on, donc, les parents d'élèves [du payement des prestations du maître], alors qu'ils sont tenus de les acquitter en totalité lorsque leurs enfants achèvent la ḫitma, en lisant le coran de mémoire ou à vue, selon leur stipulation ? Ibn al-Qâsim a recommandé de s'appuyer seulement sur la première opinion de Mâlik à propos du cadeau de noce, du fait que le contrat de mariage devient exécutoire et que les relations sexuelles sont bien permises, une fois le douaire déterminé. Dès lors, la femme n'a plus la latitude de continuer à exiger le cadeau de mariage. Le maître n'est pas obligé de persister [à garder l'élève], si cela ne lui a pas été stipulé.

De même, pour les parents d'élèves, rien ne les engage à continuer de garder leurs enfants à l'école, si aucune clause [du contrat] ne leur interdit de le faire. Dans ces conditions, ils ne sont pas tenus d'assumer les mêmes obligations qui incombent au mari. En fait, si celui-ci choisit la rupture avant la consommation du mariage, il doit

mais en se trompant et en hésitant, qu'on les lui corrige. Car, cela, est à mon avis un savoir pour lequel le maître est en droit de se voir accorder une récompense ; l'élève qui se trompe et celui qui récite correctement ne payent pas le même salaire. Vois, donc, comment Ibn Ḥabîb a estimé que la rémunération du maître, pour la ḥidqa, n'est qu'une récompense en guise de générosité. De même, pour une connaissance coranique par lecture dans le texte, il a émis l'opinion suivante : "Le maître est en droit de recevoir des témoignages de générosité et d'être récompensé, lorsque l'enfant met les flexions correctes, écrit bien, sait orthographier ce qu'on lui dicte et lit dans le texte ce qu'on lui ordonne de lire. Mais s'il n'épelle pas correctement et qu'il n'écrit pas bien et ne lit rien à vue, le maître n'a droit à aucune rétribution ; au contraire, il doit être admonesté et blâmé sévèrement comme nous l'avons décrit plus haut."

'Abû-l-Ḥasan remarque : "Un enfant dont le savoir est défini par cette description n'a rien appris, au juste ; nous avons estimé, précédemment, que le maître n'est pas en droit de se voir accorder, pour cet enseignement, une rémunération ; de même, nous avons expliqué plus haut encore ses obligations, d'après les savants.

Quant à l'opinion suivante d'Ibn Ḥabîb : "Le fait d'attribuer une rétribution finale au maître est assimilable, aux yeux [de Moṭarrif], au cadeau de mariage, et nous jugeons qu'il doit être accordé", sache que Mâlik, ayant été sollicité de donner son avis sur le cadeau de mariage quand l'épouse le réclame et que le mari refuse de l'accorder, a répondu : "elle n'a pas le droit de l'exiger." Ensuite, Mâlik a ajouté : "Dieu, Puissant et grand, a dit : Donnez leur dot à [vos] femmes, en toute propriété."[476]

Le cadeau [de mariage] n'a rien à voir avec la dot, et je ne le considère pas comme un droit. Ce que l'époux accorde à sa femme, le jour de noce, n'est pas une obligation, à mon avis."

Comme on demandait à Mâlik : "Le cadeau de mariage, chez nous, est fait par la plupart des gens ; es-tu d'avis qu'il soit donné nécessairement ?", il répondit : "Si ce cadeau est connu comme étant une coutume chez eux et que ceux-ci le font effectivement, je ne suis pas d'avis qu'on en dispense le mari, à moins que le représentant de l'autorité ne prenne l'initiative de l'annuler ; car, à mon avis, ces gens s'y sont habitués."

---

(476) Sourate IV, 'An-Nisâ' (Les Femmes) ; voir Blachère, Le Coran, III, 925, une partie du verset 4 ; Mazigh, Le Coran, p. 106.

nient à toucher un salaire pour enseigner aux enfants l'écriture et le coran en exigeant, pour cela, un délai d'une année ou deux. S'il en est ainsi, il ne peut être loisible au père de retirer son enfant de l'école qu'après le délai préfixé ; mais à défaut de stipulation d'un terme, il n'y a pas de mal à ce qu'il le retire si cela lui plaît ; mais il doit payer un salaire correspondant à l'enseignement que le maître a donné à son enfant. Toutes ces leçons concordent à attribuer au maître une rétribution calculée selon le degré de son enseignement. Mais ni la stipulation de la connaissance parfaite du coran, ni celle de la rémunération équivalente, n'y sont mentionnées. Dans ces variantes, il n'a été prohibé au père de retirer son enfant de l'école que lorsque le contrat de louage est établi pour une période déterminée, c'est-à-dire une année ou deux. Si aucun délai n'a été prévu, rien n'empêche de retirer l'enfant ; il est de même loisible au maître de renoncer à poursuivre l'éducation de l'enfant, si cela lui plaît. Le contenu de ces leçons rapportées de la bouche de Mâlik est explicite et sans ambiguité. La variante de Moṭarrif, que nous avons citée précédemment, est rapportée aussi par Ibn Ḥabîb. Mais celui-ci ne l'a pas appliquée dans toutes les phases de la question.

Ibn Ḥabîb dit : "Je considère comme une obligation le fait d'accorder au maître la rétribution finale (ḥidqa) ; à mon avis, elle doit lui être versée, soit que l'enfant lise le coran dans le texte ou de mémoire, selon le degré de ses connaissances mémoratives en cas de récitation par cœur, et selon le degré de son savoir en orthographe et en écriture en cas de lecture dans le texte. Le montant de cette rétribution n'est pas déterminé ; il n'est pas le même pour tous ; le père nécessiteux n'est pas comme le riche. Seulement, je juge nécessaire de recommander cette rétribution parce qu'elle est une donation généreuse que les gens ont pris l'habitude d'accorder aux maîtres de leurs enfants. Elle est assimilable au cadeau de mariage. A notre avis, ce cadeau doit être donné selon l'époux et l'épouse ; et il n'a pas une valeur déterminée. Il en va de même de la rémunération finale (ḥidqa). J'ai essayé de la tirer au clair lors d'une enquête auprès d 'Asbaġ ibn Faraj et d'autres savants et jurisconsultes ; ils m'ont fourni les mêmes explications que je viens de te donner ; et ils ont supprimé au maître la rétribution finale, lorsqu'il s'agit, pour l'enfant, de retenir le coran de mémoire mais qu'il n'en récite rien ou peu de passages alors que la majeure partie du texte lui échappe. Toutefois, s'il ne commet qu'une seule faute ou quelques erreurs dans la lecture des ductus d'une sourate, et qu'il poursuit sa lecture

tude de laisser tomber la rétribution fixée au maître, n'y a t-il pas lieu de considérer l'insertion d'une telle clause comme un abus vis-à-vis de ce dernier. Si cela est permis en dépit du caractère abusif, pourquoi ne regarde-t-on pas comme licite le fait de stipuler une rétribution finale sans en fixer le montant, en attendant qu'elle soit appréciée au besoin, à temps. Dans ces deux cas, le caractère aléatoire [du contrat] est le même. Mais Dieu seul connaît la vérité.

Sache, en outre, que je ne suis pas d'avis qu'une partie de la rétribution imposée légalement pour la ḫitma achevée ne soit pas accordée au maître[474] lorsque le père retire son enfant de l'école alors que celui-ci n'a pas terminé la ḫitma, mais en a retenu une partie. Car, je considère ce cas comme étant assimilable à un acte de louage dont la limite n'est pas stipulée. L'intéressé y est tenu de payer la rémunération équivalente au profit qu'il en a tiré. Et, dès lors, la fatigue du salarié n'est pas veine.

Il en va de même de quelqu'un engagé, moyennant salaire, pour faire un travail dont l'exécution totale n'est pas exigée, qui en accomplit une partie, selon son désir, puis délaisse le reste. Si le patron tire un profit quelconque du travail exécuté et qu'il paye un salaire équivalent à cela, pourquoi le maître, n'ayant pas enseigné toute la ḫitma à l'enfant ne reçoit-il pas, lui aussi, une rémunération [proportionnée à son enseignement ?].

Même si le maître enseigne une seule sourate, l'enfant en tire bénéfice. Mais le maître ne l'instruit pas bénévolement. Je formule là un avis littéralement conforme à l'opinion de Mâlik.

En effet, celui-ci dit, à ce propos : "Lorsqu'un maître s'engage à instruire des enfants, en stipulant un délai d'un an ou deux, cela devient exécutoire. Si aucun salaire n'a été stipulé et que le maître ou l'élève a voulu prendre congé, le maître a droit à une somme calculée selon le degré de son enseignement dispensé. C'est ainsi qu'Ibn Al Qâsim et Ibn Wahb rapportent le même avis d'après ce qu'ils ont entendu oralement de Mâlik ; cet avis est contenu aussi dans le Muwaṭṭa' d'Ibn Wahb.

Ibn Ḥabîb rapporte : "J'ai entendu Moṭarrif[475] dire : "Mâlik et tous nos docteurs à Médine sont d'avis qu'il n'y a aucun inconvé-

---

(474) Le contexte nous oblige à établir le texte ainsi : "'an lâ yujᶜala", et à ne pas lire : "'an yujᶜala".

(475) Muṭarrif (b. ᶜAbd Allah) ; compagnon de Mâlik b. 'Anas, jurisconsulte faisant autorité. Il mourut à Médine au début de l'an 220 H. Voir Ibn Saᶜd "Ṭabaqât" T.V., pp. 438-439.

permis, alors, au père n'ayant pas exigé[473] que son fils aprenne parfaitement le coran et l'ayant retiré de l'école, avant qu'il ne soit parvenu près de la fin de la ḥiḏqa, de ne pas payer une partie de la rémunération équivalente à celle-ci ? Si l'on rétorque : "mais, c'est parce que la récitation de tout le coran par cœur n'a pas été exigée, et qu'aucune rémunération n'en a été prévue," je réponds : "Pour quelle raison le père est-il tenu de payer le montant de la ḫitma lorsque [son fils] l'a achevée, alors qu'il acquittait un salaire mensuel ou annuel sans avoir exigé la récitation du coran en entier, ni déterminé la rétribution qui y correspond ? Pourquoi les deux parties ne se limitent-ils pas au traîtement mensuel ?" Si l'on avance comme argument que les gens ont pris l'habitude d'accorder le prix de la ḫitma, une fois achevée, et qu'en outre, ce prix est apprécié par pure initiative, selon l'aisance ou la gêne du père et selon le degré de connaissance acquise par l'enfant", la réponse est la suivante : "Ce salaire ayant le caractère d'obligation juridique et nullement réprouvable ou réfutable, est assimilé à la rétribution stipulée et fixée d'avance."

Lorsque le père enlève son enfant de l'école avant la fin de la ḫitma, il doit payer ce que l'initiative juridique impose pour ce cas, si l'enfant a acquitté une partie de la ḫitma, calculée selon les profits qu'il en a tirés. De même, il est tenu d'acquitter au maître, avant terme, le salaire préfixé qui lui revient. Cela, à mon avis, découle du raisonnement par analogie ; mais Dieu seul connaît la vérité.

Il en va de même de l'opinion suivante d'Ibn Ḥabîb : "Le maître est tenu légalement de déterminer le montant de la ḥiḏqa quand il la stipule en même temps que le salaire mensuel (ḫarâj). Mais s'il dit : "j'instruirai l'enfant à raison de un dirham par mois ; mais la rétribution finale équivalente à la ḥiḏqa me sera accordée obligatoirement" et qu'il ne la détermine pas, cela n'est pas permis. Lorsqu'il exige le prix de la ḥiḏqa, ce prix doit être fixé d'avance."

'Abû-l-Ḥasan remarque : "Ibn Ḥabîb accorde au père, dans ce cas, la permission de retirer son enfant de l'école avant la ḫitma, quand bon lui semble, comme si le père ne s'est pas engagé à en payer le prix. Ensuite, il interdit la stipulation de la rétribution finale, à moins d'en déterminer le montant. Si le père de l'élève a la lati-

---

(473) Le contexte nous oblige à lire, comme dans le manuscrit (Q n° 4595 ; 79 b) "li-man lam yaštariṭ" au lieu de "li-man yaštariṭu" comme dans l'édition de Dr Ahwânî où (lam) est omise.

te l'expliquer, que le maître le stipule ou non. Seulement, l'objet de la controverse est de savoir si le payement de la ḥidqa doit être stipulé ou non, lorsque le père désire retirer son enfant de l'école avant que celui-ci ne l'achève. Si le maître le stipule, en disant par exemple : "Je l'instruirai moyennant un salaire, mensuel ou bimensuel de un dirham, mais je toucherai telle somme pour la ḥidqa," le père a la latitude de retirer son fils de l'école, si cela lui plaît ; mais il doit payer une somme proportionnée au passage coranique que l'enfant a retenu d'une ḥidqa. Si celui-ci n'en a retenu que le tiers ou le quart, le père est tenu de payer le salaire qui y correspond, puisque le maître a stipulé cela, en plus de son salaire mensuel. Mais, si le maître a posé comme condition au père d'enseigner par cœur [le Livre Sacré] à son enfant, moyennant telle ou telle somme, le père n'est en droit de le retirer de l'école qu'après avoir retenu le coran de mémoire."

'Abû-l-Ḥasan remarque : "Ibn Ḥabîb a établi ici une distinction entre, d'une part, le contrat de louage où sont stipulés une rémunération déterminée d'avance, pour la ḥidqa, ainsi qu'un salaire mensuel, et, d'autre part, le contrat où une somme préfixée est stipulée, pour la ḥidqa, sans rémunération mensuelle supplémentaire ; ceci, lorsque le père désire retirer son enfant de l'école avant qu'il ne termine la ḥidqa. Mais Ibn-Habîb n'a pas avancé un seul argument en faveur de cette distinction. Quiconque stipule la ḥidqa, dans le contrat, et détermine la rémunération équivalente, en plus d'un salaire mensuel d'un dirham jusqu'au moment où son fils retient tout le coran de mémoire, n'est pas en droit d'enlever celui-ci de l'école avant l'achèvement de la ḥidqa ni de retrancher le reste de la rétribution qu'il a préfixée au maître pour la connaissance du Livre tout entier. Même si le père n'a pas stipulé un salaire mensuel, on lui interdira, malgré tout, de retirer son enfant de l'école avant l'achèvement de la ḥidqa ; car le contrat est exécutoire pour le maître bien avant ce terme et préconise le paiement obligatoire de la rémunération determinée d'avance. Il n'appartient pas au père d'en diminuer quoi que ce soit en enlevant son fils avant la fin [de la ḫitma intégrale]. Ne pas exiger la connaissance parfaite du Livre, ou stipuler un salaire mensuel en plus d'une somme forfaitaire payable obligatoirement à la fin de la ḥidqa, cela revient au même. C'est ce que j'ai voulu expliciter, car le père est tenu de payer une partie de la rétribution équivalente à la ḥidqa s'il enlève son fils de l'école avant l'achèvement de celle-ci ; c'est là une opinion juste. Pourquoi a-t-on

rétribution est due au maître et qu'aucun d'eux n'a mentionné quand elle ne l'est pas ?

Certes, Al-Moġîra et Ibn Dinâr sont d'accord, ici, pour dire que Mâlik a évalué le salaire de la ẖitma dû au maître selon l'aisance ou la gène du père. Mais Saḥnûn n'a pas rapporté, d'après eux, qu'ils ont transmis de Mâlik quoi que ce soit concernant le maître qui enseigne un passage coranique inférieur à une ẖitma. Si ce qu'Al-Muġîra a dit, à propos de l'élève qui ne lui reste que quelques passages pour connaître par cœur le coran, est inclus dans les leçons retenues de la bouche de Mâlik, cela est louable. Seulement, il s'agit de trouver une opinion de Mâlik annulant la rémunération du maître, pour la partie apprise du coran qui soit en deçà d'une ẖitma.

Saḥnûn dit aussi : "Tous nos docteurs, Mâlik, Al Muġîra et d'autres, affirment que le maître a droit au payement de la ẖitma, même s'il a été engagé à raison d'un salaire mensuel, ou en vue d'enseigner le coran pour une somme déterminée".(470) A part ça, il ne touchera rien.

'Abû-l-Ḥasan remarque dans les propos de ces docteurs ceci : "La rétribution finale doit être payée au maître uniquement lors d'une ẖitma ; et le maître ne doit toucher, en plus, que le traîtement mensuel convenu, si cela est la coutume de l'époque et le motif pour lequel le maître prend place ; à moins que quelqu'un ne lui offre un cadeau à l'occasion des fêtes et d'autres dons analogues non exigibles ; car ceux-ci ne sont pas habituels pour devenir une obligation. Quiconque a accordé, délibérément, ces cadeaux [au maître] a tenu compte du fait que celui-ci n'a droit à rien, en dehors de la ẖitma. Mais cette parole de Saḥnûn n'a pas été explicitée."

Selon Ibn Ḥabîb : "La rétribution du coran retenu de mémoire, doit être payée par le père de l'élève, à moins qu'il ne stipule au maître qu'il ne lui payera aucune rémunération pour la ḥiḏqa,(471) à part son salaire mensuel ;(472) dès lors, la stipulation l'annule. Mais si les deux parties ne mentionnent pas ces deux clauses, dans le contrat, le payement de la ḥiḏqa devient obligatoire, comme je viens de

(470) R. E. I., op. cit., p. 101.

(471) "Ḥaḏqa ou ḥiḏqa" ; ce terme signifie ici (salaire correspondant à la récitation d'une partie bien déterminée du Coran) ; il signifie "récitation d'une partie bien déterminée du Coran". Parfois, il a le sens de "récitation intégrale du Livre Sacré".

(472) Il faut lire : "siwâ ḥarâjihî", et non "siwâ iḥrâjihî". Ceci est confirmé par le passage suivant où nous trouvons "harâj" (salaire mensuel) et non "iẖrâj" (retrait).

fant le premier tiers [du coran].

Certes, Saḥnûn dit : "Il y avait contestation entre Al-Moġîra et Ibn Dinâr, tous deux savants du Hijâz, à propos d'un élève qui a achevé d'apprendre le coran chez un maître, et dont le père prétend qu'il ne l'a pas retenu. Al-Moġîra affirmait : "Si l'élève a étudié en entier le coran chez le même maître et qu'il sait lire d'un bout à l'autre dans le texte en interprétant correctement les ductus, à part les quelques fautes inévitables dans la lecture de ces derniers ou d'autres erreurs du même genre, le maître a droit au paiement du salaire correspondant à la ḥitma [du coran tout entier] évalué selon l'aisance ou la gêne des individus. C'est là ce que j'ai retenu de l'enseignement de Mâlik."

Quant à Ibn Dinâr, il disait : "J'ai entendu Mâlik affirmer que le salaire de la ḫitma dû au maître dépend du degré de richesse ou de pauvreté de l'individu ; l'appréciation de ce salaire est laissée à l'initiative de l'autorité musulmane compétente. A mon avis, lorsqu'il y a contestation entre le père et le maître – le premier prétendant que l'élève ne sait pas le coran – si l'enfant peut lire à vue à partir d'un endroit tel que, s'il l'avait appris chez le maître isolément, la ḫitma eût été au maître, je décide qu'il faut accorder à ce dernier le paiement de l'indemnité correspondant à la Ḫitma, sans m'inquiéter si l'élève ne sait pas lire le reste. En effet, si l'élève n'avait pas appris cela chez ce maître, on ne lui aurait pas demandé de compte à ce sujet."(469)

'Abu-l-Ḥasan dit : "Saḥnûn a évoqué le sujet de la controverse entre Al-Moġîra et Ibn Dinâr et signalé que le premier a prescrit de payer au maître le salaire correspondant à la ḫitma, lorsque l'élève ne commet que quelques erreurs inévitables dans la lecture des ductus ; mais il n'a pas mentionné son avis sur le montant du salaire à accorder par jugement, quand l'élève commet plusieurs fautes dans la lecture de ces ductus. Toutefois, il a cité l'opinion d'Ibn Dinâr qui a décidé : "Lorsque l'élève peut lire à vue à partir d'un endroit tel que, s'il l'avait appris chez le maître isolément, la ḫitma eût été due au maître, il faut accorder à ce dernier le salaire correspondant à la ḫitma, sans s'inquiéter si l'élève ne sait pas lire le reste" ; car, dit-il, si l'élève n'avait-pas appris ce passage chez ce même maître, on ne lui aurait pas demandé de comptes à ce sujet. Où est donc ici la controverse entre ces deux savants, si tous deux ont décrit quand la

(469) Passage trad. in R. E. I., op. cit., p. 100.

ḫitma, d'acquitter en entier au maître le prix équivalent, il est équitable, au cas où l'enfant a obtenu un savoir parfait, une perspicacité totale et a acquis suffisamment de connaissances en calligraphie, en orthographe et en vocalisation désinentielle au point de pouvoir se passer de l'aide du maître pour le reste de son instruction. Ceci, lorsque l'enfant a quitté l'école au moment où il est arrivé non loin de la ḫitma et quand le maître n'a plus à éprouver de peine pour la lui faire achever ; au contraire, si cet enfant demeurait auprès du maître, celui-ci en tirerait profit.

Mais, je sais pour quelle raison Saḥnûn et Ibn Ḥabîb ont prescrit l'annulation de la donation pour quiconque, n'étant pas parvenu près de la fin d'une ḫitma, a retenu des passages de mémoire tout en comprenant leur signification, et n'a éprouvé aucune difficulté dans son instruction ; j'ignore aussi la source où ils ont puisé cette annulation de la donation.[464]

Ibn Saḥnûn rapporte, par contre, qu'Al-Muġîra[465] et Ibn Dinâr,[466] sont d'avis que lorsque l'élève a appris depuis la ḫitma du tiers jusqu'à la sourate "al-Baqara"[467] chez le même maître, le payement de la ḫitma (du coran tout entier) est obligatoire s'il sait lire (la partie apprise) dans les conditions que je viens de définir ; il ne lui sera rien demandé pour les connaissances qu'il n'a pas acquises chez le maître" ;[468] cette opinion d'Al-Muġîra et d'Ibn Dinâr sur le débutant qui est arrivé au tiers (d'une ḫitma) est louable du fait que celui-ci, encore incapable de discernement, ne peut comprendre, avec l'instruction acquise, les ductus de ce passage. Le maître qui lui a enseigné les deux tiers suivants du Livre, en a éprouvé de la peine, mais les efforts d'application épuisants du premier maître l'ont aidé dans sa tâche et n'ont pas été, par conséquent, vains. Ceci est l'avis qui prévaut dans la masse des gens. Et, dans ce cas, ce n'est que l'opinion communément admise et répandue parmi les gens qui est suivie en pratique. Rien n'a été rapporté, d'après Al-Muġîra et Ibn Dinâr, concernant le maître qui a enseigné à l'en-

---

ḥukmuhumâ comme dans (Q n° 4595 ; 65 b) et non comme l'établit al Ahwânî "'amma ḥukmuhâ" (p. 329).

(464) Il faut lire : "wa lâ min 'ayna 'aḥadâhu" et non "'aḥadahu".

(465) Al-Moġîra/Abû Hâšim al-Moġîra b. ᶜabd ar-Raḥmân b. al Ḥâriṯ b. ᶜAyyâš/(124-186/742-802), Jurisconsulte Médinois après Mâlik b. Anas. Voir Ziriklî, T VIII, p. 200.

(466) Ibn Dinâr (Al Ḥasan b. Dinâr), savant hédjazien.

(467) Al Baqara (La Génisse), sourate II.

(468) passage in R. E. I., op. cit., p. 100.

ques, en ces circonstances. Les enfants n'y doivent pas, non plus, manifester leur allégresse en dressant, par exemple, des tentes pendant la fête des tabernacles et en faisant ripaille à Noël. Tout ceci n'est pas appréciable de la part des musulmans et doit leur être prohibé. En ces circonstances, le maître refusera leur offre généreuse afin que l'ignorant, parmi eux, sache qu'elle est une erreur et s'en abstienne, et que l'étourdi en éprouve de la honte et la délaisse. Un croyant est pour un autre croyant tel l'édifice dont les diverses parties se tiennent les unes les autres. Ainsi a dit l'Envoyé de Dieu que le salut soit sur lui.

Comme on demandait à SaḤnûn : "Quelle est ton opinion s'il arrive que le père enlève son fils de l'école en disant au maître : "il ne terminera pas la ḫitma chez toi", alors qu'il est parvenu non loin de cette dernière et que le salaire a été fixé pour chaque mois seulement ?", il répondit : "Je le condamne à payer le salaire correspondant à la ḫitma. Au reste, je ne m'occupe pas de savoir s'il enlève son fils ou s'il le laisse."[460] L'expression "muqârabatu-l-ḫitma" signifie, selon Saḥnûn, être parvenu au deux tiers du coran ou les avoir dépassés ; on rapporte aussi, d'après lui, que les trois quarts sont plus évidents ; à son avis, lorsque l'enfant ne parvient qu'à la sourate yûnos (Jonas),[461] il ne payera rien au maître.

Ibn Ḥabîb dit : "Si le maître n'a pas stipulé [le salaire de la ḫitma], et que le père de l'enfant ne s'en est pas, également, dégagé dans le contrat et qu'il a voulu enlever son fils de l'école avant que celui-ci n'ait achevé la ḫitma, bien qu'il ne lui soit resté que très peu de sourates pour la terminer, le maître a droit au paiement d'une ḥidqa intégrale[462] à condition que l'enfant ait appris dans les conditions que je viens de définir. S'il lui est resté, par contre, des passages importants, pour achever la ḫitma, comme par exemple le sixième [du livre] ou un peu moins, son père peut le retirer de l'école, si cela lui plaît ; et il n'est tenu de payer ni la totalité de la ḫitma, ni une somme correspondante au passage enseigné.

'Abû-l-Ḥasan remarque : "Quant au jugement de Saḥnûn et d'Ibn Ḥabîb[463] préconisant, à quiconque est arrivé non loin de la

---

(460) passage in S, p. 360 ; R. E. I., op. cit., p. 94./avec une variante "ʿalâ šahrin" (pour un mois) dans S ; "Kolla Šahrin" (chaque mois) dans Q/.

(461) Sourate X, Yûnos (Jonas).

(462) "Ḥadqa ou ḥidqa" signifie tantôt "récitation du Coran tout entier", tantôt "salaire correspondant à la récitation de tout le Coran".

(463) Le contexte nous incite à lire "'amma ḥukmuhumâ" et non "'amma ḥukmuhâ" .

ne sont permis ni à ceux qui les offrent, ni aux maîtres qui les acceptent ; car le fait de les donner est, sans aucun doute, une vénération du polythéisme (Širk) et un respect pour les jours des mécréants." [Ibn Ḥabîb] ajoute : "'Asad ibn Mûsa(454) – avec la chaîne de garants suivante : Al-Ḥasan ibn Dînâr, Al-Ḥasan al Baṣrî – m'a rapporté que ce dernier considère comme réprouvable le fait de donner au maître quoi que ce soit à l'occasion du "Nayrûz" et du "Mihrajân".

'Al Ḥasan dit encore : "Les musulmans connaissent le droit de leurs maîtres et leur accordent [un cadeau] soit à l'occasion des deux Fêtes de l'aïd,(455) soit à l'occasion de Ramadan(456) ou au retour d'un absent de voyage.

'Abû-l-Ḥasan remarque : "De tous les cadeaux qu'Al-Ḥasan a cités, il n'y a que ceux des deux Fêtes qui sont répandus dans le peuple et pour lesquels les maîtres ont délibérément pris place. Quant [aux cadeaux] de Ramadan et du retour de voyage, ils sont réservés aux notables ; de même pour ᶜÂsûrâ.(457)

Il est blâmable de recevoir [des cadeaux] à l'occasion des fêtes des incrédules. Parmi celles-ci, on compte aussi : Noël, Pâques, la fête des tabernacles ('al'inbidâs)(458) chez nous, la Gaieté (al-Ġibṭa) en Espagne,(459) le Baptême (al-Ġiṭâs) en Egypte. A l'occasion de ces fêtes, le maître des musulmans ne doit rien réclamer. Si, toutefois on lui apporte, pendant ces festivités, quoi que ce soit, il ne doit pas l'accepter même si [les parents] le lui accordent volontiers. Les musulmans ne doivent pas s'engager à le faire et sont tenus de ne pas porter des habits neufs et de ne pas faire des préparatifs quelcon-

---

le mihr, mois, du mihr, jour, on nomme le premier mihr-mâh, le second, mihr-rûz. Le 16 mihr, jour de coïncidence du mihr mâh et du mihr rûz, nommé mihrajân et qui dure jusqu'au 21 du mois. Voir E I, III, 551.

(454) Asad B. Mûsa B. Ibrâhîm B. al walîd B. ᶜAbd al-Malik B. Marwân al umawî/ ; traditionniste faisant autorité, (132-212 H/750-827 J.C.). Voir Ziriklî, T I, p. 292.

(455) Fêtes des Sacrifices et de la rupture du jeûne.

(456) Mois du Jeûne. C'est au cours de ce mois que le Prophète Muḥammad reçut la première révélation Coranique.

(457) ᶜÂšûrâ : Nom d'un jour de jeûne facultatif célébré le 10 Muḥarram – Lorsque Moḥammad vint à Médine, il emprunta, entre autres usages, aux juifs de cette ville, l'Ašûrâ. Voir E I, I, 493.

(458) "Al'Inbidâs = Fête des tabernacles, une des trois grandes solennités du Judaisme, que les Israélites célèbrent après la moisson, sous des tentes et des feuillées, en mémoire des campements des Hébreux dans le désert après la sortie d'Egypte. Voir Dictionnaire Larousse.

(459) Al Andalus : (Espagne musulmane) : nom donné par les Arabes à la péninsule pyrénéenne. Voir E I, I, 354.

bien déterminée n'était stipulée pour la hitma, ce salaire a dû être payé toutes les fois qu'il s'est trouvé répandu dans la population et a été considéré comme une obligation ; si bien que le salaire [correspondant à une hitma partielle] est devenu, aux yeux de ces gens, une obligation, comme dans le cas d'une hitma intégrale du coran. Il en va de même, à mon avis, de la réponse de [Saḥnûn] quand on lui a demandé : "Doit-on juger que le cadeau de la fête est exigible ?" "Non ! dit-il, et j'ignore de quoi il s'agit à moins que les parents ne s'y engagent de plein gré."[449] De même pour la parole suivante d'Ibn Ḥabîb : "Le maître ne doit pas exiger les bourses[450] que ses collègues reçoivent des enfants à l'occasion des fêtes ; car c'est là un acte surérogatoire que ceux-ci accomplissent ou non à leur gré. Un tel acte est, d'ailleurs, recommandable ; il est considéré comme une faveur des parents envers les maîtres de leurs enfants et son accomplissement, à l'occasion des fêtes des musulmans, n'a cessé d'être approuvé".

Saḥnûn et Ibn Ḥabîb ne considèrent pas,[451] à mon avis, que [le cadeau de la fête] est indispensable quand il n'est pas dans la coutume populaire. Cependant, s'il se propage et que la majorité des gens le considère comme une obligation et un motif ayant incité les maîtres à prendre place pour enseigner, même s'ils ne l'ont pas stipulé d'avance, vu l'habitude ancrée chez le peuple dans ses échanges, ce cadeau devient obligatoire à l'exemple de la donation pour les récompenses. Lorsque quelqu'un a reçu une donation et qu'il l'a perdue, il doit fournir au donateur, en contrepartie, une valeur équivalente. Il en va de même, à mon avis, des maîtres d'école, dans ces coutumes. Si celles-ci sont approuvées par les notables, elles deviennent obligatoires en se propageant, comme nous l'avons dit.

Ibn Ḥabîb a raison de dire : "Il est blâmable que le maître réclame quoi que ce soit en fait de cadeaux, à l'occasion des fêtes des chrétiens tels que le "Nayrûz"[452] et le "Mihrajân".[453] Ces cadeaux

---

(449) passage in S, p. 356 ; R. E. I., op. cit., p. 89.

(450) "Ahṭâr, sing. hiṭr" : pièces de monnaie qu'on met dans une bourse ; voir note (2) in Al Ahwânî, op. cit., p. 327.

(451) Il y a ommission de "lâ" dans "lâ yarawnahu".

(452) "Nayrûz ou Nawrûz : "fête du Jour de l'an, commencement de l'année solaire persane à l'équinoxe du printemps. Il ne s'agit donc pas d'une fête chrétienne Voir E I, II, 949.

(453) "Mihrajân" : Dérivé de Mihr, le 7° mois de l'année solaire persane, qui dure du 17 Septembre au 16 Octobre de l'année normale, et par conséquent introduit l'automne. En même temps, mihr est le 16° jour de chaque mois. Pour distinguer →

succès,"[441] "As-Sâffât"[442] et "Al-Kahf,"[443] lorsque l'enfant y est parvenu ; car, c'est devenu une tradition répandue chez les gens d'accorder une rémunération pour ces sourates. Les maîtres, en effet, n'ont pris place et désiré ardemment enseigner qu'en vue de ces bénéfices. Si l'on considère que le payement d'une rétribution à forfait pour enseigner le coran est licite et que ce qu'on accepte, par stipulation en contrepartie de cet enseignement, n'est qu'un prix de louage, ceci ne peut être qu'analogue aux contrats de louage, sauf quand on s'accorde à interdire la stipulation d'une rémunération préfixée.

De même, la rémunération accordée pour la récitation de tout le coran[444] par quiconque s'est acquitté du salaire de la ḫitma partielle[445] que la coutume du pays lui a imposée, doit être moins importante que la rémunération accordée pour la ḫitma intégrale du Livre Sacré par quiconque n'a rien payé[446] pour la partielle. Précisément, Saḥnûn, dans sa parole suivante : " A mon avis, il n'y a d'obligatoire que la ḫitma correspondante au coran tout entier, et non à la moitié, ni au tiers, ni au quart, sauf si les parents s'engagent de plein gré (à la payer),"[447] veut dire tout simplement ceci : "Le fait de payer ces ḫitma n'était pas dans la coutume de tous les gens. Seulement une minorité le faisait pour témoigner au maître sa générosité et faire plaisir aux enfants. C'est là donc une générosité qui ne doit pas s'ériger nécessairement en règle générale.

Étant donné le caractère obligatoire du salaire correspondant à la connaissance intégrale du coran, pour ceux qui l'ont acquitté,[448] en ne faisant que suivre la coutume de la masse, et vu l'aspect habituel de ce salaire en tant qu'obligation, même si aucune rémunération

---

(441) Début de la Sourate "Al-Fatḥ" (Le Succés) N° XLVIII ; Blachère, voir op. cit., III, 1048 sq.

(442) "Aṣ-Ṣâffât" (celles qui sont en rangs), Sourate XXXVII ; op. cit., II, 151 sq.

(443) "Al-Kahf" (La Caverne), Sourate XVIII ; voir op. cit., II, 327 sq.

(444) "Ḫitmat-al-Qur'âni" ; cette expression signifie : "La récitation du Coran du début jusqu'à la fin" (E I, II, 985).

(445) "ḫitma musammât", c-à-d "récitation d'une partie bien déterminées du Coran (partielle)."

(446) Il faut lire "ᶜalâ man lâ yu'addi" comme dans le texte original Q, p. 326 et non "ᶜalâ man lâ yaštariṭu 'an yu'addi" comme le propose Dr Aḥmad Fu'âd al'ahwânî en note.

(447) Voir R. E. I., op. cit., p. 88.

(448) Nous optons pour la leçon adoptéepar Aḥmad Fou'âd al'Ahwâni, p. 327, et nous lisons comme lui "Man 'adda minhum" et non comme dans Q (ms N° 4595, BNP. p. 73 verso) "man'adda minhâ".

qu'il n'en est rien.

Certains [savants] considèrent qu'un tel maître ne mérite pas d'être contraint à s'appliquer assidûment à sa tâche, mais qu'il mérite plutôt d'être admonesté et blâmé sévèrement par l'Imâm [chef de la Communauté musulmane] équitable. S'il invoque comme excuse le manque d'intelligence de son élève, qui, une fois examiné, se montre réellement bête à tel point qu'il ne retient pas ce qu'on lui enseigne et ne comprend pas exactement ce qu'on lui explique, alors le maître ne recevra qu'une petite rétribution pour l'avoir gardé et élevé, non pour l'avoir instruit ; cela se fera à condition qu'il ait informé d'avance le père du manque d'intelligence de l'enfant ; car s'il l'a fait et que le père lui a consenti quelque rémunération, ce consentement devient un engagement. S'il s'est abstenu de l'en informer, il l'a bien trompé et celui qui leurre ne mérite, pour sa duperie, ni salaire ni récompense.

A mon avis, cette duperie s'applique également à l'enfant qui après avoir reçu une instruction et s'étant approché de la ḫitma, a voulu quitter le maître initial pour aller chez un autre [apprendre] un métier, ou satisfaire ailleurs ses désirs ; il en est de même lorsque l'enfant meurt avant d'achever la ḫitma alors que le salaire qui correspond à cette tâche n'a pas été déterminé d'avance. Si l'on suppose qu'il est resté à l'enfant le tiers, le quart ou un peu moins que le tiers, le quart ou le sixième [du coran] pour le connaître en entier par cœur, le maître, à mon avis, doit recevoir du père du défunt la même rétribution qu'un autre père, de même condition, paye nécessairement au maître, selon que son fils a appris les trois quarts, les cinq sixièmes, ou une portion du Livre plus ou moins grande. Si le maître n'a enseigné à l'enfant que la moitié du coran, il a droit au salaire adéquat. De même, il a droit de toucher à terme les prestations que les gens ont coutume de donner obligatoirement au maître dans l'agglomération où il enseigne ; à titre d'exemple, il touchera la rémunération accordée pour les sourates suivantes : "Ceux qui sont incrédules ne se sont pas trouvés",[438] "Sur quoi s'interrogent-ils mutuellement",[439] "Tabâraka",[440] "Nous t'avons octroyé un

(438) "Lam yakun" (Ne se sont pas trouvés) ou "Al Bayyina" (La preuve), titres pour la sourate XCVIII ; Voir Blachère, Le Coran, III, 817 sq.

(439) "ᶜamma yatasâ 'alûna" (Sur quoi s'interrogent-ils mutuellement ?", début de la Sourate "An-Na-ba' (L'Annonce) N° LXX VIII ; Blachère, op. cit., II, 66 sq.

(440) "Tabâraka" (Béni Soit), titre ancien pour la Sourate LXVII ayant d'autres titres plus tardifs : "Al-Mulk" (La Royauté) ; "al-wâqiya" (La Préservatrice) ou 'al-Munjiya" (La Salvatrice) ; Blachère, op. cit., II, 272 sq.

à son maître, selon la coutume des gens dans ce cas. Toutefois, celui qui récite [la Prédication] de mémoire en y ajoutant une belle écriture, une vocalisation interne précise, une orthographe et une lecture avec vocalisation désinentielle (i'râbu qirâ'atin) exactes, doit payer juridiquement une rémunération supérieure à celle accordée par quiconque ne récite pas le coran par cœur, mais arrive à le lire seulement dans le texte. A mesure que la connaissance de chacun de ces deux enfants diminue par rapport à ce que je t'ai décrit, le salaire qui doit être payé au maître, d'après l'initiative juridique, est inférieur au salaire accordé par quiconque a parachevé sa formation. Dans ces deux cas, le salaire légal du maître est à la charge de l'élève, lorsqu'il a terminé la ḫitma du coran en entier ; c'est le cas du maître qui n'a pas stipulé, pour la ḫitma, une rémunération déterminée. S'il l'a stipulée, celle-ci lui sera accordée à condition que l'enfant ait fini d'apprendre [le coran] soit par cœur soit [en le lisant] dans le texte, [selon les clauses du contrat].

Si l'enfant tire moins de profit correspondant à la rétribution convenue pour son instruction, la rétribution s'en ressentira dans la même mesure. Si bien que, par l'insuffisance croissante de l'acquisition des connaissances, il en arrive à n'en tirer qu'un profit dérisoire ; de ce fait la rémunération sera accordée au maître proportionnellement aux profits que l'élève aura tirés de l'enseignement. Mais, si le maître n'a pas stipulé, pour la ḫitma, un salaire préfixé, c'était bien pour être en droit de le déterminer de sa propre initiative, une fois que l'enfant l'aura terminée. Et si la capacité de bien connaître l'orthographe, la vocalisation interne des mots et la lecture coranique dans le texte s'est trouvée réduite chez l'enfant à tel point qu'on ne peut prétendre qu'il est instruit, qu'aura-t-il alors récolté de sa ḥitma ?

Dans ces conditions, le maître n'a pas droit au payement de la rétribution finale (ḫitma). Si l'on constate que l'enfant est incapable d'écrire sans fautes ce qu'on lui dicte, de lire exactement et de poursuivre sa lecture, il faut en conclure que le maître s'est montré défaillant dans sa tâche au cas où il serait capable de bien enseigner. S'il est, par ailleurs, reconnu coupable de tromperie, étant incapable d'enseigner, les docteurs sont d'avis qu'il mérite d'être châtié pour avoir manqué de soins envers l'enfant dont il s'est chargé et fait peu de cas de ses engagements, qu'il doit être privé de sa fonction. Ces mesures sont justes quand le maître a l'habitude de se montrer défaillant dans sa tâche et de faire croire qu'il enseigne bien alors

CHAPITRE I

De sa question relative aux règles à observer entre maîtres et élèves, à la corrèction que l'homme administre à son épouse, à son enfant, à son esclave, et aux griefs qu'il formule contre son fils pubère.

'Abû-l-Ḥasan dit : "Je t'ai mentionné précédemment, de manière à jeter suffisamment de lumière sur les questions que tu as posées, ce que les maîtres peuvent licitement accepter des élèves ; ce qu'ils ne doivent pas accepter et dont les pieux, parmi eux, s'en préservent. En outre, cette narration contient ce qui convient aux maîtres de stipuler légalement dans leurs contrats. Si l'un deux désire se désister de son engagement, ou s'ils soulèvent [ensemble] une controverse sur une question quelconque, les jugements [cités plus haut] leur suffisent.

Tu as demandé, en outre : "Quand la ḫitma[437] est-elle due au maître et dans quelle condition ? Quel doit être le degré du savoir par cœur de l'enfant et celui de sa lecture, les dispositions particulières pour le payement de la rétribution du maître pour que celle-ci lui revienne de droit ?

['Abû-l-Ḥasan] répond : "Là où tu as demandé des éclaircissements, la ḫitma est dûe au maître dans deux cas : D'abord, lorsque l'élève récite par cœur le coran du début jusqu'à la fin ; c'est à ce moment que le maître a droit à la rétribution finale [ḫitma], aux yeux de l'autorité musulmane compétente. Cette rétribution est évaluée selon l'aisance ou la gêne du père et selon les profits que l'élève a tirés de l'enseignement dispensé par le maître, outre la récitation par cœur du coran. A cette fin, il n'y a pas un temps précis ; seulement on tiendra compte de ce que les gens ont coutume d'observer vis-à-vis d'un tel maître ayant affaire à un tel élève, en se référant à la condition matérielle du père.

Ensuite, quand l'enfant apprend à lire tout le coran dans le texte sans qu'une seule lettre lui en échappe et qu'il ajoute à cela une orthographe et une vocalisation interne correctes ainsi qu'une belle calligraphie, on prendra l'initiative d'évaluer ce qui revient de droit

(437) Le mot "ḫitma" a ici le sens de "rétribution correspondant au passage coranique enseigné" comme l'indique l'expression "tağibu lahu-l-ḫitma". Sur ce terme, voir Dosy (Sup. I, 351) et G. Lecomte, Le Livre des Règles de Conduite des maîtres d'école, d'Ibn Saḥnûn, trad. in R. E. I., Année 1953, éd. Paul Geuthner, Paris 1954, note p. 85. Le mot ḫitma désigne aussi "rétribution finale correspondant à la connaissance par cœur de tout le Coran".

commun[435] et qu'ils grandissent en ayant, pour elle, un penchant irrésistible. Allah est le meilleur gardien et le plus miséricordieux parmi les compatissants.[436]

---

(435) Voir Risâla, ibid.

(436) Cette dernière phrase est une traduction de : "wallâ hu ẖayrun ḥâfizan wahwa 'arḥamu-r-râḥimîn", dont la première partie doit être établie ainsi "Wallâhu ẖayru ḥâfizin", voir Kazimirski, Dictionnaire Arabe-Français, éd. G.P. Maisonneuve, Paris 1960, p. 460.

ble. Et même si les enfants apprennent de cette manière sans trop de difficultés, le maître doit pourtant les prévenir qu'il fera réciter chacun d'eux à part, dans son ḥizb, et qu'il lui demandera compte de sa négligence. Il se contentera de les menacer et ne leur infligera pas, pour les corriger, une sanction corporelle, sauf en cas de faute flagrante prévue dans les précédents passages.

Quant au fait de toucher les exemplaires du coran sans être, au préalable, purifiés par ablution, les enfants doivent l'éviter ; il n'en va pas de même pour les tablettes. Ni Mâlik, ni ceux qui suivent ses opinions ne contestent l'interdiction faite aux enfants de ne pas toucher les exemplaires contenant l'ensemble de la Prédication sans faire, au préalable, des ablutions.

Saḥnûn considère qu'il est du devoir du maître de leur ordonner de ne toucher un exemplaire du coran qu'après avoir fait leurs ablutions afin qu'ils s'en souviennent toujours.[433] Ceci est louable et juste, comme Saḥnûn l'a dit, car le maître leur enseigne les avantages de leur religion.

Comme on demandait à Mâlik d'émettre son avis sur les élèves de l'école coranique qui font la prière sous la conduite d'un enfant n'ayant pas atteint l'âge de puberté, il répondit : "Ceci n'a jamais cessé d'être une habitude chez les enfants" ; et il l'a toléré.

'Abû-l-Ḥasan remarque : "Mâlik veut dire : "Ceux qui font la prière sous la conduite de cet enfant impubère ne sont pas pubères." Si, parmi les élèves de l'école, il y en a quelqu'un qui soit pubère, on lui donnera la priorité d'officient dans la prière ('Imâma) à condition de mériter ce rôle[434] ; sinon, il évitera de prier derrière ceux qui ne sont pas encore pubères. Mais, en aucune façon, on ne supprimera aux enfants de l'école coranique leur habitude afin qu'ils parviennent progressivement à connaître l'avantage de la prière en

(433) Il y a ici une allusion au passage contenu dans S, p. 360 ; R. E. I., op. cit., pp. 96-97.

(434) Sur cette question, voir le "chapître de l'imâma de la prière et les prescriptions concernant l'Imâm et le fidèle qui prie derrière un Imâm, in Risâla, p. 73 ; Ibn Abî Zayd al Qayrawâni y dit ceci : "La direction de la prière des fidèles est confiée au meilleur et au plus versé dans le fiqh parmi eux etc...".

l'association n'est pas appréciable.

'Abû-l-Ḥasan dit : "Si la seule différence qui existe entre deux maîtres est que l'un d'eux lit avec les articulations désinentielles alors que l'autre lit sans articuler les désinences mais sans commettre, non plus, de barbarisme, à mon avis, rien dans se cas ne rend obligatoire d'accorder à l'un d'eux un salaire plus élevé que celui de l'autre quand ils s'associent. De même, lorsque l'un d'eux a une excellente calligraphie et que l'autre n'en a pas mais écrit et épelle, la différence, ici et ailleurs dans des cas analogues d'association, est négligeable. Il en va de même dans les métiers et le commerce, quand l'un des deux associés surpasse l'autre dans la tâche que cet autre connaît bien aussi ; l'un ne doit pas être favorisé par rapport à l'autre en matière de salaire.

Cependant, si un maître s'associe à un autre maître ne connaissant parfaitement que le Coran et l'écriture, alors que lui se trouve chargé d'enseigner la vocalisation interne des mots (aš-šakl), l'orthographe (al-hijâ), la philologie arabe (ᶜilm alᶜarabiyya), la poésie, la grammaire, le calcul et toutes disciplines de sa spécialité, dont l'enseignement – s'il ne les embrasse qu'elles seulement – peut être stipulé en même temps que le Coran, la rétribution de ces deux maîtres associés, d'après ce qui a été décrit, sera évaluée selon le mérite de chacun d'eux dans le degré de ses connaissances.

Mais si l'un d'eux est engagé, moyennant salaire, pour enseigner la grammaire, la poésie, le calcul et d'autres disciplines similaires, alors que l'autre est engagé pour enseigner le Coran et l'écriture, cette association n'est pas appréciable selon l'opinion d'Ibn al-Qâsim et de tout juriste qui considère comme réprouvable la rémunération de l'enseignement des disciplines autres que le Coran et l'écriture. Comprends donc ceci ; certes, je te l'ai bien élucidé pour qu'en soit repoussé quiconque aime consommer [un aliment] licite et bon.

Tu as aussi posé la question suivante : "Les enfants en bas-âge ou ceux qui ont atteint la puberté doivent-ils lire en groupe une même sourate, en vue de l'apprendre ?" Si tu entends par là que les enfants font simultanément cette lecture en présence du maître, ce dernier est tenu d'envisager la méthode qui leur procure plus de profits dans leurs études, de la leur imposer et, s'il s'en écartent, de couper court à leurs agissements ; car, le fait de donner l'enseignement coranique à un groupe, simultanément, peut empêcher le maître de discerner l'élève doué d'une bonne mémoire de celui dont la mémoire est fai-

C'est une réponse juste, remarque Abû-l-Ḥasan ; en effet, ce n'est pas louable de gagner sa vie dans la mosquée. N'as-tu pas entendu la parole de 'Aṭâ' ibn yasâr[431] adressée à celui qui a voulu vendre une marchandise dans la mosquée : "Tu dois aller au marché du bas-monde ; cet endroit est seulement le marché de l'Au-delà. On ne laissera pas le maître d'école s'y asseoir avec les élèves. Mais s'il a été obligé de le faire à la suite de l'effondrement de son local, qu'il y occupe – s'il veut – un coin où il assure son enseignement jusqu'à ce qu'il répare la partie effondrée.

Le local, que ce soit une maison ou une boutique, est à la charge du maître, sauf si ce dernier est sollicité spécialement pour un nombre déterminé d'enfants ; en effet, Saḥnûn considère, plus haut, que la location de ce local est à la charge des enfants. Lorsque le local leur appartient, étant donné qu'ils sont seuls, ce sont eux qui assument les frais de sa réparation ou la location d'un autre local. Aucun frais susmentionné n'est assumé par le maître. Le local n'est à sa charge que lorsqu'il assure un enseignement public.

Quant à l'association de deux, de trois ou quatre maîtres, elle est licite, à moins qu'ils n'occupent un seul lieu et que l'un deux n'assure un meilleur enseignement. Leur association est permise car ils y trouvent une compagnie et une entraide ; quand l'un deux tombe malade, le maître bien portant le remplace jusqu'à ce qu'il se rétablisse. Il n'y a aucun inconvénient à cette association si l'un d'eux lit avec les articulations désinentielles[432] et redresse bien [les fautes] alors que son collègue ne possède pas ces qualités, mais ne commet pas des barbarismes. J'ai avancé cet avis d'après celui tenu de Mâlik et d'Ibn-al-Qâsim au sujet de deux maîtres qui se sont associés. Certes, on rapporte d'après Mâlik que cette association n'est permise que lorsqu'ils parviennent au même degré de savoir et que l'un d'eux n'a plus, de ce fait, davantage de mérite que l'autre dans ses connaissances. Si l'un des deux associés est plus savant que l'autre, l'association n'est pas louable, à moins que le plus savant ne touche un salaire supplémentaire pour son mérite par rapport à son associé ; sinon,

---

(431) ᶜAtâ' (B. 'Abî Rabâḥ) Jurisconsulte et traditionniste arabe. Né dans le yémen, il fut élevé à la Mecque. Il était de basse origine. Parmi ses maîtres, on nomme ᶜAbd Allâh b. ᶜOmar et ᶜAbd Allâh b. ᶜAbbâs. Il jouissait d'une très grande autorité. Il mourut à la Mecque en 114 (732-733) ou 115 à l'âge de 88 ans. Voir E I, I, 511-12.

(432) "ᶜarabiyyu-l-qirâ'ati", litt = lit comme un arabe pur ; ce qui signifie : lit avec les articulations désinentielles.

aux enfants. Comprends donc ceci.

Le maître doit se procurer le nerf de bœuf[427] et la falaqa[428] à ses frais, et non à ceux des élèves. Il doit, de même, louer de ses propres deniers le local pour y organiser ses séances d'enseignement. Tout cela est à la charge du maître, selon Saḥnûn ; ce qui est juste.

Saḥnûn dit : "Lorsqu'un maître a été engagé pour instruire un nombre déterminé d'enfants pendant une année, c'est à leurs responsables d'assumer la location de la salle de classe."

'Abû-l-Ḥasan remarque : "Ceci est également juste, car ce sont eux qui ont amené le maître et l'ont fait asseoir pour [instruire] leurs enfants ; en conséquence, l'opinion [de Saḥnûn] est convenable.

Saḥnûn dit : "Si quelqu'un engage un maître pour instruire un nombre déterminé d'enfants, le maître peut instruire d'autres en même temps, à condition que cela ne le détourne pas de l'instruction des premiers, pour lesquels on a loué ses services."[429] Cela signifie : "[Le maître a toute latitude de le faire] quand on ne lui a pas stipulé qu'il n'ajoutera personne au nombre [d'élèves] préfixé. Mais cela ne lui est pas permis si les parents lui ont fait cette stipulation ou lui ont imposé, comme condition, de ne pas mêler leurs enfants à d'autres. C'est là ma réponse à ta question.

Quant à l'instruction des enfants dans la mosquée, Ibn al-Qâsim dit : "Comme on demandait à Mâlik : "Est-il louable, à ton avis, qu'un homme emmène avec lui un enfant à la mosquée ?," il répondit : "Je n'y vois aucun mal si l'enfant a atteint l'âge où il se montre correct, connaît la politesse et ne s'amuse pas à la mosquée. Mais s'il est en bas-âge, s'il ne se tient pas tranquille [au Moṣalla] et s'y amuse, je considère que cela n'est pas louable."

Ibn Wahb rapporte de Mâlik une tradition de même sens.

Quant à Saḥnûn, il dit : "Comme on interrogeait Mâlik sur l'instruction des enfants dans la Mosquée, il répondit : "Mon avis est que cela n'est pas licite, car ils ne se gardent pas de l'impureté; la Mosquée n'a pas été construite en vue d'y dispenser l'enseignement."[430]

---

(427) la dirra : c'est le nerf de bœuf ou bien le bâton court.

(428) La falaqa (ou falqa dans le dialectal tunisien) est une pièce de bois percée de deux trous et munie d'une corde, servant à entraver les jambes de l'élève auquel une correction va être infligée. Sur ce terme, voir (L.A. XII, 186) ; R. E. I., op. cit., p. 92, note 8.

(429) S, p. 365-66 ; R. E. I., op. cit., p. 102.

(430) Voir R. E. I., op. cit., p. 97.

excusé. Le juge acceptera le témoignage de la personne chargée de le lui faire parvenir au nom du maître ainsi que son excuse alléguée de droit. Comprends donc cela ; en effet, je t'ai bien élucidé toutes les questions que tu as posées à ce sujet.

Quant à ta question : "Si le maître entreprend une action prohibée et détourne son esprit des élèves, qu'y a-t-il à sa charge ?", sache que s'il s'agit d'une légère négligence[426] résultant, par exemple, de sa conversation en pleine séance et que cette conversation le distrait quelque peu des élèves, une telle occupation et toute autre analogue causent peu de préjudice et sont tolérées ; par conséquent le maître se libère de [toute obligation] envers les pères, pour le tort qu'il fait, dans ce cas, si le salaire est prélevé sur leurs patrimoines ; mais si le salaire est prélevé sur les patrimoines des enfants, il n'y a aucun mal, d'après moi, à ce que le maître leur remplace [le temps perdu] pendant ses heures habituelles de repos de façon à leur faire rattraper ce qui leur a manqué du temps qui leur échoit, par suite de sa négligence.

Cependant, si le maître s'absente toute une journée ou durant sa majeure partie, cela est abusif. Si ses services sont loués pour un délai déterminé et qu'il suspend l'activité des élèves sans leur désigner quelqu'un pour le remplacer, il doit retrancher de son salaire une somme compensatrice de cette journée chômée. Mais si la rétribution est forfaitaire, on lui payera à la fin de chaque mois un salaire correspondant à l'enseignement dispensé durant cette période ; par ailleurs, il ne lui est pas permis de s'habituer à l'absentéisme au point de recourir à la suppléance, car ceci porte préjudice aux enfants.

Quant à ta question concernant les cadeaux que le maître impose aux élèves de lui apporter du logis paternel sans le consentement des parents, ou les cadeaux qu'ils lui apportent sans qu'il les réclame, vivres ou autre chose de moindre valeur tel que le bois etc..., [sache] qu'il ne lui est pas permis d'exiger un présent, ni de l'accepter quand on le lui apporte même s'il ne l'a pas demandé expressément, sauf avec l'assentiment des pères. Et il faut aussi que les cadeaux autorisés par ceux-ci ne soient pas donnés par pudeur ni par crainte du reproche. Certes, tu trouves une réponse suffisante à cette question que tu as posée dans l'avis de Saḥnûn mentionné précédemment au paragraphe relatif aux congés qu'il convient d'accorder légalement

---

(426) Le contexte nous incite à lire : "'in kâna mina-l-ištiġâli" au lieu de "yakûnu mina-l-ištiġâli".

est stipulée lors de la conclusion du contrat, avant qu'elle ne devienne une exigence de droit pour les enfants. C'est cela, à mon avis, l'interprétation de la parole [de Saḥnûn]. Mais Dieu sait le mieux.

Ce que Saḥnûn a relaté traîte tes questions et davantage.

Tu m'as demandé en outre : "Est-il permis au maître de dormir en présence des élèves, lorsque le sommeil s'empare de lui, ou doit-il le vaincre ?". Si le sommeil le surprend au moment où il les instruit et en leur présence chez lui, il doit chasser le sommeil s'il le peut. Mais s'il est vaincu, qu'il désigne quelqu'un pour le remplacer auprès des élèves, moyennant salaire ou bénévolement, à condition que sa compétence soit égale à la sienne lorsque [ce remplaçant] leur est étranger. Mais, s'il est l'un d'entre eux, les conditions qui s'imposent dans ce cas ont été évoquées plus haut.

De même, lorsque le maître tombe malade, ou se trouve occupé [en dehors de l'école], il doit louer le service de quelqu'un qui s'occupe des élèves avec autant de compétence que la sienne, à condition que son absence ne dure pas longtemps. Mais, si elle se prolonge, les parents d'élèves ont toute latitude d'émettre là-dessus leur avis et de prendre une décision, du fait qu'il est leur propre salarié ; il ne lui convient de désigner un remplaçant que pour une courte durée ; cela est toléré quand le salaire de ce remplaçant s'impose comme une obligation légale.

De même, lorsqu'il part en voyage et qu'il désigne quelqu'un pour s'occuper des élèves avec autant de compétence que la sienne, cela est toléré – s'il plaît à Dieu – quant il s'agit d'un voyage indispensable et court, qui ne dure qu'un jour ou deux, ou une période approximative. Mais cela ne lui est pas permis, s'il s'agit d'un long voyage, ou si l'on craint qu'un voyage pour une proche destinée ne se prolonge à cause des accidents pouvant survenir au cours des déplacements.

Quant au fait d'assister aux contrats de mariages et aux témoignages de ventes, ceci ne lui est pas loisible ; car, dans ce cas, c'est comme s'il assiste à une cérémonie funèbre, rend visite à un malade ou entreprend un acte plus répréhensible encore [pour lui durant son activité]. S'il est appelé à faire un témoignage quelconque et que le représentant de l'autorité soit éloigné de son échoppe et qu'en allant le trouver il néglige ses élèves, il est excusé de s'absenter à la déposition. Mais s'il ne peut se désister du témoignage, il doit le confier à quelqu'un qui s'en acquitte à sa place ; dans ce cas, il est tenu pour

leçons ; alors il n'y a pas d'inconvénient à ce qu'il converse, en gardant les yeux fixés sur eux pour les surveiller."(421)

Saḥnûn dit : "Il n'y a pas d'inconvénient à ce que le maître rapièce ses propres effets, s'il ne trouve personne pour le faire à sa place, pas plus qu'à ce qu'il étudie personnellement la science aux heures où les élèves peuvent se passer de lui ; par exemple lorsqu'ils se mettent à faire de l'écriture et à se faire des dictées réciproques, lorsque c'est dans leur intérêt ; certains de nos docteurs ont laissé le champ libre dans ce domaine."(422)

Saḥnûn ajoute : "Que le maître soit constant dans ses efforts, et qu'il s'occupe exclusivement de [ses élèves]. Il ne doit pas se charger de réciter la prière des morts,(423) sauf si cela constitue pour lui une obligation envers les gens dont il ne peut se désintéresser : c'est un salarié, il ne doit pas abandonner son travail pour suivre les convois funèbres ou visiter les malades."

Comme on demandait [à Saḥnûn] : "Es-tu d'avis que le maître puisse rédiger des traités de science religieuse pour son usage personnel ou pour d'autres ?", il répondit : "En ce qui concerne les heures où il n'a pas à s'occuper des enfants, il n'y a aucun inconvénient à ce qu'il rédige [quoi que ce soit] pour lui ou pour d'autres ; par exemple, au moment où il libère les élèves aux heures où ils rentrent chez eux. Mais tant qu'ils restent auprès de lui, cela n'est pas licite. Comment lui serait-il permis d'abandonner des activités dont il doit s'occuper pour d'autres qui ne sont pas obligatoires. Ne sais-tu pas qu'il ne peut confier l'enseignement de certains élèves à d'autres ? Alors comment pourrait-il s'occuper d'autre chose ?".(424)

'Abû-l-Ḥasan remarque : "Tout ce qui est relaté dans ce paragraphe est juste et appréciable. Le passage où Saḥnûn dit : "sauf si le père ou le tuteur testamentaire l'y autorise" signifie : "Si le salaire du maître n'est pas prélevé sur le patrimoine de l'enfant et que le père ou le tuteur testamentaire le paye de son bien propre, il lui est loisible de donner cette autorisation au maître."(425) Certes, un passage précédent, conforme à celui-ci, signifie que cette autorisation

---

(421) Voir passage in R. E. I., p. 90 ; S, p. 356-57.

(422) R. E. I., p. 99 ; S, p. 363.

(423) Sur les formules de cette prière, voir Risâla, p. 109 et sq.

(424) passage in S, p. 358 ; trad. in R. E. I., p. 91.

(425) Les remarques d'al-Qâbisî sont assez obscures ; on est obligé d'interpréter ses paroles où il y a allusion à l'opinion de Saḥnûn, p. 319, sur la désignation d'un élève comme moniteur par le maître.

désignation, à condition que l'élève puisse en tirer quelque profit."(415)

Saḥnûn dit : "Il n'y a aucun inconvénient à ce qu'il les fasse dicter les uns aux autres car cela leur est profitable. Mais il devra surveiller leur dictée."(416) On lui demanda : "Autorisera-t-il l'élève à écrire une lettre à quelqu'un ?" Il répondit : "Je n'y vois pas d'inconvénient. La rédaction épistolaire contribue à la formation de l'élève."(417)

Saḥnûn dit : "Il n'est pas permis au maître d'envoyer les enfants faire ses courses."(418)

Comme on lui demandait : "Le maître enverra-t-il les enfants à la recherche l'un de l'autre ?", il répondit : "Je ne considère pas cela comme licite, sauf si les pères ou les responsables des enfants(419) lui en donnent l'autorisation ou si leurs domiciles sont proches,(420) de telle sorte que cela n'absorbe pas les élèves. Qu'il prenne soin des enfants lui-même aux heures de sortie de l'école et qu'il avertisse leurs responsables lorsqu'ils ne sont pas venus [à l'école]."

Saḥnûn dit : "Je considère comme recommandable que le maître ne confie pas à un élève le soin d'infliger aux autres élèves les châtiments corporels et qu'il ne désigne pas l'un d'entre eux comme moniteur, à moins qu'il ne s'agisse d'un élève ayant terminé et retenu le coran, et pouvant de ce fait se passer de l'enseignement. Dans ce cas, il n'y a aucun inconvénient ; et s'il le désigne, il en tirera un bénéfice pour sa formation. Il ne lui est pas permis d'ordonner à un élève d'instruire un autre élève, à moins que cela ne comporte pour l'enfant un bénéfice dans sa formation, ou que le père l'y autorise formellement. Que le maître assume donc lui-même son enseignement, ou qu'il prenne quelqu'un pour l'aider moyennant salaire, à condition que la compétence de cet assistant soit égale à la sienne.

[Saḥnûn] dit : "Il n'est pas licite à un maître de détourner son esprit des élèves, sauf aux heures où il ne leur fait pas réciter leurs

---

(415) Voir R. E. I., op. cit., pp. 99-100.
(416) Ibid, p. 93.
(417) Ibid, p. 91.
(418) Ibid, p. 94.
(419) L'expression "Lahu'âbâ 'uhum aw" a été sauté dans Q (L'épître d'al Qâbisî). Je la rétablis d'après S. (L'Épître d'Ibn Saḥnûn).
(420) Il faudrait lire comme dans S "aw Takûnu-l-mawâḍiᶜu qarîbatan" au lieu de "aw yakûnu-l-mawḍiᶜu qarîban".

pas de cadeaux,[410] il ne les frappera pas pour ce motif. Mais s'il use de menace [pour les y obliger], ou bien s'il leur donne congé lorsqu'ils lui font un cadeau, ce n'est pas licite ; car l'octroi d'un congé[411] incite à faire des cadeaux ; or ceci est répréhensible."[412]

S'il en va ainsi pour les cadeaux que les enfants apportent [au maître], comme l'a relaté Saḥnûn, la question sur laquelle tu as demandé [mon avis] est plus grave et plus répréhensible. On peut admettre que le marié ou le père du nouveau-né n'accorde un cadeau quelconque qu'en vue de se préserver du mal du maître, du tort de ses élèves ou de la réprimande d'un ignorant ; de ce fait, le maître finit par consommer l'aliment défendu ;[413] et il n'y a qu'un maître ignorant qui fasse cela. Qu'on l'exhorte à l'éviter ; qu'on le lui défende et qu'on l'écarte [du prohibé] jusqu'à ce qu'il renonce à la pratique déjà décrite, car cela fait partie de l'action diabolique et non point de l'œuvre de gens qui savent le coran.

Quant à tes questions : "A quelle tâche le maître doit-il engager obligatoirement les élèves ? De quoi les chargera-t-il ? Lui est-il permis de se distraire d'eux par une préoccupation quelconque ?", Saḥnûn a répondu : "Comme on demandait à Mâlik son avis sur un maître qui désignerait un moniteur aux élèves,[414] il répondit : "Si ce moniteur possède autant d'autorité que lui-même, on tolère la

---

(410) Il faudrait lire "fa' in lam yafᶜalû" au lieu de "fa'in faᶜalû". je le rétablis d'après S.

(411) "at-taḫlia", terme technique qui signifie "octroi d'un congé."

(412) Voir ce passage, avec quelques variantes, in R. E. I., p. 89.

(413) "as-Saḥt", (aliment défendu), (tout ce qui est illicite).

(414) La désignation d'un moniteur (ᶜarif) aux élèves est une habitude fréquente chez les maîtres d'école. Ṭâha Ḥusayn consacre au moniteur ou surveillant un passage dans un chapitre de son livre "al-Ayyâm". Voici ce qu'il dit : "Le surveillantn'avait jamais eu de chance et n'arrivait à rien de bien dans la vie, ayant essayé tous les métiers sans réussir dans aucun... Le pauvre diable avait retenu quelques sourates du Coran qu'il ne tarda pas à oublier. Lorsque l'existence lui devint trop amère, il alla trouver Sayedna et lui conta ses peines." Reviens donc à l'école, lui dit ce dernier, et sois surveillant. Tu enseigneras aux enfants la lecture et l'écriture. Tu les empêcheras de se dissiper, et tu me remplaceras quand je n'y serai pas. C'est moi qui leur ferai réciter le coran jusqu'à ce qu'ils le sachent parfaitement. A toi d'ouvrir l'école avant le lever du soleil, de veiller à sa propreté avant l'arrivée des élèves, de la fermer après la prière du ᶜAsr, et de prendre les clés. En tout, tu seras mon bras droit. Tu auras le quart du revenu de l'école en argent. Tu le demanderas toutes les semaines ou tous les mois." (voir Ṭâha Hussein, Le Livre des Jours, trad. Jean Lecerf et Gaston Wiet, éd. Gallimard 1974, pp. 40-41).

III^e PARTIE

Au Nom de Dieu, Clément et Miséricordieux

'Abû-l-Ḥasan dit : "Cette règle[408] est valable quand le maître enseigne pour un salaire déterminé, mensuel ou annuel. Cependant, si aucune stipulation n'est intervenue, il acceptera ce qu'on lui offrira ; mais tant qu'on ne lui donnera rien, il ne réclamera rien. Il lui est loisible d'agir à sa guise, lorsque les responsables des enfants sont conscients du tort qu'ils lui font [en ne le payant pas]. Ils le paieront à ce titre s'ils veulent ; sinon, ils ne lui donneront rien."

Cette narration te suffit [comme réponse] à ce que tu as demandé. Les congés accordés aux enfants à l'occasion d'une ḫitma y sont mentionnés. Si l'on se trouve dans une cité où l'on sait que la rémunération est accordée pour la moitié, le tiers ou le quart [du Livre] retenus par cœur, et que cela est devenu une coutume bien établie, on doit revendiquer un salaire conforme au salaire connu et unanimement accepté.

Tu m'as décrit, en outre, ce que vos maîtres font chez vous lorsqu'un homme se marie, ou lui naît un enfant ; dans ces circonstances, ils envoient leurs élèves crier à haute voix devant sa porte : "Notre maître !" On leur donne, alors, des vivres ou autre chose qu'ils désirent ; et les enfants les ramènent chez leur maître. Celui-ci leur accorde, en contrepartie, un congé d'une demi-journée ou d'un quart de journée sans que les pères le lui ordonnent. A ce propos, la parole suivante de Saḥnûn te suffit [comme réponse] aux questions que tu as posées ; [Saḥnûn dit] : "Il n'est pas licite au maître d'imposer aux élèves, en sus de son salaire, quoi que ce soit en fait de cadeaux ou autres. Il ne leur réclamera rien à ce sujet,[409] et s'ils lui font des cadeaux, en plus de son salaire, ceux-ci ont le caractère d'interdiction légale (Ḥarâm). Il en va autrement s'ils lui font des cadeaux sans qu'il les leur demandent, à moins que sa demande ne soit faite en présentant le cadeau comme étant une œuvre simplement méritoire [et non exigible] (al Ma^c^rûf). Si les enfants ne lui font

---

(408) Il s'agit de la règle énoncée précédemment, concernant les congés que le maître doit accorder aux enfants à l'occasion d'une ḫitma.

(409) Omission de "Lâ" dans "wa lâ yas' aluhum" ; je le rétablis d'après l'épître d'Ibn Saḥnûn (S).

tion pour un jour ou une partie de la journée est encore pratiquée par les maîtres ; mais il ne leur est pas permis de l'accorder pour une période plus longue, sauf avec l'assentiment du père de chaque élève, car le maître est leur salarié." On lui demanda : "Il peut arriver que l'élève fasse un cadeau quelconque au maître ; lui donnera-t-il[406] congé en considération de cela ?". Il répondit : "Non. Le congé ne peut être accordé qu'à l'occasion d'une hitma, pour une journée ou une période du même ordre, ainsi qu'à l'occasion des fêtes. En d'autres temps, cela ne lui est licite qu'avec l'assentiment du père." Et il ajouta : "De ce fait, le témoignage de la plupart des maîtres d'école devient caduc, car ils ne satisfont pas à leurs obligations – exception faite de ceux que Dieu préserve de tels manquements."[407]

La deuxième partie est terminée ; grâces en soient rendues à Dieu.

---

(406) Il faut lire "faya'ḏanu lahu" comme dans S, au lieu de "lahum".

(407) Voir R. E. I., pp. 88-89. Le dernier passage où il est question du témoignage caduc des maîtres est très intéressant ; ce sentiment de mépris à l'égard des maitres d'école est presque général dans la société musulmane à l'époque médiévale. Saḥnûn qui est lui-même un maitre, donne un coup de griffe à la plupart de ses collègues. Ǧâhiz (158-255) nous permet de voir que les maîtres étaient souvent tournés en ridicule ; d'ailleurs un proverbe populaire dit : "Plus sot qu'un maître d'école." Voir (Ǧâhiz, Bayân, I, 173, éd. Sandûbi, 3 T. en I vol, Le Caire, 1345 H/1926 J.C.

enfants, en effet, n'étudieront leurs ḥizbs et ne les réciteront en présence de leurs maîtres que l'après midi du mercredi et le jeudi matin jusqu'au moment de l'écriture et de l'émulation entre eux, avant de regagner leurs demeures à midi. Puis, ils s'adonneront de nouveau, après la prière du milieu du jour (Ẓuhr), à l'écriture et à l'émulation entre eux, jusqu'à la prière du ᶜaṣr ; ensuite, ils partiront [en congé] et retourneront le samedi matin de bonne heure chez leurs maîtres ; ceci est louable, utile, accomodant et sans excès aussi bien pour les enfants que pour les maîtres. De même, les congés donnés à l'occasion des fêtes obéissent à la coutume bien connue et sur laquelle tout le monde est d'accord.

Comme Ibn Saḥnûn demandait à son père : "Combien de jours penses-tu que l'on peut accorder aux enfants à l'occasion des fêtes ?", il lui répondit : "Pour la fête de la rupture du jeûne ('al Fiṭr),(399) une seule journée ; mais il n'y a pas d'inconvénient à leur donner trois jours. Pour la fête des sacrifices ('al 'aḍḥâ),(400) trois jours ; mais il est loisible de leur en accorder cinq."(401)

'Abû-l-Ḥasan remarque : "Saḥnûn veut dire : "Le congé de la fête de la rupture du jeûne est de trois jours : la veille, le jour et le lendemain de l'aîd ;(402) pour la fête des sacrifices, cinq jours : le jour précédent celui des sacrifices, les trois jours de la fête des sacrifices et le quatrième jour suivant qui est le dernier jour du tašrîq ;(403) puis le cinquième jour, les enfants retourneront chez leurs maîtres. Ceci est une mansuétude de juste milieu.

Quant au congé accordé aux enfants à l'occasion des ḫitma,(404) comme on demandait à Saḥnûn : "Penses-tu que le maître puisse(405) autoriser les enfants [à s'absenter] une journée ou pendant une période du même ordre ?," il répondit : "Cette autorisa-

---

(399) ᶜid 'al Fiṭr ou 'al ᶜid aṣ-Ṣaġîr : la fête qui se célèbre pour clôturer le jeûne du Ramadan.

(400) ᶜÎd 'al Aḍḥâ, ou 'al ᶜid al-Kabîr : la fête qui se célèbre le 10 de Ḏû-l-Ḥijja, lorsque les pélerin accomplissent le sacrifice à Minâ.

(401) Voir R. E. I., op. cit., p. 90.

(402) Cette tradition est appliquée de nos jours par le Ministère de l'Éducation Nationale en Tunisie. Seulement deux jours de congé sont accordés : la veille de l'Aïd et le lendemain.

(403) "'ayyâm at-tašrîq" : les trois jours après la fête des sacrifices ; voir Risâla, pp. 147, 155.

(404) Voir exégèse, plus haut.

(405) Il faut lire : 'atarâ lil-mu-ᶜallimi saᶜatan fi-iḏ nihi" ; il ya une omission de "saᶜatan" et je l'établis d'après l'épître d'Ibn Saḥnûn ; voir Al-Ahwâni, p. 317 ; R. E. I., op. cit., pp. 88-89.

d'analogue." Je lui demandai : "Quel est ton avis sur ce qu'écrivent les enfants sur leurs tablettes en fait de questions de Droit ?". Il me répondit : "En ce qui concerne la Parole de Dieu Très-Haut, l'enfant ne devra pas l'effacer avec le pied. Mais il n'y a pas de mal à effacer tout ce qui n'est pas du coran."

Moḥammad [b. Saḥnûn] dit : "Mûsa,[392] d'après Jâbir b. ManṢûr,[393] me rapporta qu'Ibrahîm an-Naḫaᶜî[394] disait : "C'est un signe des qualités d'un homme digne de ce nom que de voir de l'encre sur ses vêtements et sur ses lèvres. Et Moḥammad ajoute : "c'est là un argument en faveur de l'opinion selon laquelle il n'y a aucun inconvénient à "lécher" la Révélation."[395] Souvent Saḥnûn écrivait quelque chose, puis l'éffaçait avec la langue.

Cette description te suffit [comme réponse] à ce que tu as demandé à ce sujet ; c'est une bonne narration et l'on doit craindre les prohibitions rigoureuses qui y sont rapportées d'après 'Anas ; ce dernier se montre sévèrement hostile au maître quand celui-ci laisse les enfants effacer le coran avec les pieds.

Quant au congé accordé aux enfants, le Vendredi, Saḥnûn dit : "Il leur donnera congé le Vendredi, selon la coutume des maîtres d'école depuis qu'ils existent ; on ne saurait leur en faire grief."[396] On rapporte que Moḥammad b. ᶜAbd Allah b. 'al Ḥakam[397] a dit au sujet du maître dont on loue les services pour un mois :" Il a le droit de prendre congé le vendredi." Ce que les gens ont pratiqué et suivi est considéré comme une convention. Quant au congé accordé aux enfants le jeudi à partir de la prière du ᶜAṣr,[398] il est entré aussi dans la coutume des gens. Si cette habitude est reconnue propre aux maîtres, elle est assimilable [au congé] du vendredi reconnu aussi comme étant de coutume chez eux. Mais donner congé aux enfants durant toute la journée du jeudi, cela est difficile à admettre. Les

---

(392) (Abû-l-Aswad) Mûsa ibn ᶜabd ar-raḥmân ibn ḥabîb, connu, sous le pseudonyme d'al qaṭṭân ; disciple de muḥ ibn Saḥnûn. Il fut nommé cadi à Tripolitaine ; il mourut en 306 H à l'âge de 91 ans.

(393) Jâbir b. Mansûr. A identifier.

(394) Ibrahîm an-Naḫaᶜî [Abû ᶜImrân Ibrâhîm b. yazîd b. Qays b. al-Aswad], (46-96/666-715) ; grand compagnon de la seconde génération et traditionniste faisant autorité. Voir Zirikli, T I, p. 76.

(395) Voir R. E. I., op. cit., p. 86.

(396) Ibid, p. 92.

(397) Muḥammad b. ᶜAbd Allah b. ᶜAbdal Ḥakam (182-268/789-882), savant mâlikite Egyptien. Voir Zirikli, T VII, p. 94.

(398) Sur les moments et les noms des différentes prières, voir Risâla, p. 51 sqq.

fant."[387]

Abû-l-Ḥasan remarque : "Ceci est juste ; mais quand Saḥnûn dit : "Si la rémunération que le maître reçoit est prélevée sur un patrimoine autre que celui de l'enfant, le père ou le tuteur ont le droit de l'autoriser à le faire changer de sourate avant qu'il ne l'ait parachevée", je ne vois pas à quel titre la rétribution lui est accordé dans le cas de cet enfant. Celle-ci ne lui est attribuée qu'en vue de bien s'occuper de l'enfant et, certes, celui-ci dispose de ce service de plein droit. Quelqu'un oserait-il, alors, tolérer des abus ? Cependant si l'intention de Saḥnûn – que Dieu lui soit miséricordieux – est de dire : "L'enfant a le droit d'être autorisé à changer de sourate si cela a été mentionné lors de la conclusion du contrat de louage",[388] sa réponse serait raisonnable et le mieux c'est ce qui procure le maximum [de profit] à l'enfant.

Quant à la manière d'éffacer les tablettes et les omoplates, Ibn Saḥnûn – avec une chaîne de garants non tenue de la bouche de Saḥnûn (son père) – rapporte qu'Anas Ibn Mâlik a dit, à ce sujet : "Lorsque les élèves d'une école coranique effacent avec leurs pieds la Révélation du Maître des Mondes, c'est que le maître a jeté l'Islam par dessus bord sans se soucier des dispositions dans lesquelles il se trouvera lorsqu'il rencontrera son Dieu."[389]

Comme on demandait à 'Anas : "Comment faisaient les maîtres d'école à l'époque des 'Imâms 'Abû Bakr,[390] ᶜOmar, ᶜOṯmân et ᶜAlî – que Dieu les agrée ?", il répondit : "ils avaient une ijjâna[391] et chaque élève apportait chaque jour à son tour de l'eau légalement pure qu'il versait dans ce récipient et qu'ils utilisaient pour effacer leurs tablettes." Puis il ajouta : "Ensuite, ils creusaient un trou dans la terre et y versaient cette eau qui était absorbée."

Moḥammad [b. Saḥnûn] rapporte : "comme je demandais à Saḥnûn : "Penses-tu que l'on puisse effacer avec la langue ?", il me répondit : "Il n'y a aucun inconvénient, mais il ne faut pas le faire avec le pied ; on peut effacer avec un chiffon ou quelque chose

(387) Voir R. E. I., op. cit., p. 93 avec des variantes.

(388) Il y a dans le texte une omission de "idâ" devant "waqaᶜa". Ou bien revenir au texte initial du manuscrit et enlever "li-ṣ-Ṣabiyyi".

(389) Voir R. E. I., op. cit., pp. 85-86.

(390) Abû Bakr, premier calife et un des plus anciens partisans de Muḥammad. Il mourut en l'an 13/634 et fut enterré à côté du Prophète. Voir E I, I, 82-84.

(391) Ijjâna (ou injâna ou mirkan) : récipient en terre destiné à contenir de l'eau ; L.A., XVII, 45.

sède un. Mais, s'il n'a pas de patrimoine, le maître exercera co
lui des poursuites pour ce qu'il a pris, en cas de réclamation. S
enfants n'ont fait qu'échanger vivres contre vivres, il imposer
celui qui en a reçu une amende de même espèce que les den
acquises, ou une somme qui lui correspond s'il n'a pas de denrée
même genre, mais possède plutôt de l'argent ; sinon, que des p
suites soient exercées contre lui pour ce qui lui incombe légalen
et que le contrat soit réalisé entre les deux parties. Ensuite, le ma
exhortera sévèrement les enfants à ne plus s'adonner au comm
qu'il soit licite ou non entre adultes, et leur indiquera où se tro
l'usure dans ces échanges ; il informera l'enfant que l'usure est
mâble(385) et la lui dénigrera ; il le menacera de le châtier sévèren
au cas où il reviendra à sa pratique afin qu'il s'habitue à évite
péché. Cependant, quand il accomplit un acte méritoire, le ma
doit l'inciter à se réjouir de sa bonne action sans lui manifeste
complaisance ni aversion, pour qu'il sache discerner la vertu
vice, et qu'il s'achemine progressivement dans le choix du B
C'est à cela que conduit l'initiative juridique (ijtihâd). Mais D
purifie qui il veut ; c'est lui l'Audient, le Trés-Savant.

Le maître ne doit pas faire passer l'élève d'une sourate [à
autre] tant qu'il ne l'a pas retenue avec sa vocalisation désinenti
et son orthographe ; car cela fait partie des efforts constants qu
sont fournis. Saḥnûn dit : "[ceci est illicite] à moins que les père
donnent au maître386) toute latitude de le faire. Si les enfants n
plus de père, mais qu'ils ont d'autres parents ou un tuteur testam
taire et que ceux-ci payent le salaire, sans le prélever sur le pa
moine de l'enfant mais sur le leur propre, ils ont le droit de don
au maître une autorisation [de ce genre] aussi bien que le père
c'est sur le patrimoine de l'enfant qu'ils prélèvent le salaire, ils n
pas le droit d'autoriser le maître à faire passer l'enfant d'une sou
à une autre tant qu'il ne l'a pas retenue de la manière qui vient d'
définie. Saḥnûn ajoute : "Il en va de même lorsque le père prél
[le salaire] sur le patrimoine de l'enfant. J'estime que les dépe
qui incombent à l'enfant pour l'entretien du maître, et qui so
prélever sur son patrimoine s'il en a un, doivent être assimilées
dépenses nécessaires à l'habillement et à la nourriture de l

(385) Il faut lire "yuḫbirubu bi ᶜaybihi" et non "yuḫbiruhu bi ᶜaynihi".

(386) Il faut lire, comme dans l'épître d'Ibn Saḥnûn, "illa 'an yusahhila lahu-l-'a
(voir Al-'Ahwâni, p. 359) au lieu de "illa 'an yusahhila lahum al 'âbâ'".

Il les exhortera à s'abstenir de se faire du mal. Si les uns se plaignent du préjudice des autres, [sache que] Saḥnûn, ayant été invité à donner son avis sur le maître qui considère comme véridiques les dénonciations que les élèves font les uns contre les autres en matière de dommage, a répondu : "Je ne considère pas que cela constitue une prescription légale, et le maître ne doit infliger de châtiment corporel que lorsque l'un d'eux a causé un dommage à l'autre. A mon avis, il ne le fera que s'il acquiert la certitude du préjudice par l'ensemble des enfants, ou si le coupable avoue ; cependant s'il a affaire à des enfants dont il connaît la sincérité, il peut accepter leur dénonciation et punir en conséquence. Dans l'application de la sanction, il ne dépassera pas la limite que je t'ai indiquée.[381]

'Abû-l-Ḥasan remarque : "Saḥnûn veut dire : "[la sanction est] de un à trois coups", comme cela est indiqué plus haut. Si les enfants méritent, pour leur tort, une sanction supplémentaire, celle-ci sera proportionnée à la gravité de ce tort ; Saḥnûn veut dire que cette sanction variera de trois à dix coups, et il ajoute : "En outre, le maître les exhortera à s'abstenir de nuire à autrui, et rendra à son propriétaire l'objet qui lui a été dérobé par un camarade. Mais cela ne fait pas partie des restitutions canoniques. C'est ainsi que j'ai entendu plusieurs de nos docteurs admettre le témoignage des enfants en matière d'homicide ou de blessure.[382] A plus forte raison doit-on l'admettre ici. Mais Dieu seul sait la vérité."[383]

'Abû-l-Ḥasan remarque : "Le contenu du précédent paragraphe renferme plus de détails que les paroles de Saḥnûn ; d'autre part, ce paragraphe te permettra de savoir que le maître doit avoir constamment soin des enfants, se méfier d'eux et leur prohiber l'usure.[384]

Si les uns achètent à d'autres un morceau de pain en échange du raisin, ou du raisin en contrepartie du fruit de grenade, ou des pommes contre des concombres, comme je l'ai indiqué, et que le maître aperçoive ces choses entre leurs mains, il rendra à chacun ce qu'il avait auparavant. Si les enfants les laissent hors de sa portée, il informera leurs pères de ce qu'ils ont fait. Ainsi l'amende qui sera imposée à chaque enfant s'étant approprié quelque chose appartenant à un camarade, sera prélevée sur son propre patrimoine s'il en pos-

---

(381) Voir R. E. I., op. cit., p. 98.
(382) Sur le témoignage des impubères, voir Risâla, p. 265.
(383) Pour ce passage, voir R. E. I., p. 98.
(384) "ar-ribâ" (l'usure) ; nous trouvons dans le Coran le verset suivant : "Allah a déclaré la vente licite et il a interdit l'usure." (II, 276).

La bienveillance du maître envers les élèves consiste, entre autres, à ne pas priver l'enfant de nourriture et de boisson si on lui a fait parvenir son déjeuner à l'école.

Il l'engagera à retourner rapidement [au cours] dès qu'il aura fini de manger.

Le maître doit dispenser son enseignement aux enfants avec impartialité, et ne doit pas marquer de préférence à l'égard de quelques uns de ses élèves, même si ceux-là lui versent une plus forte somme ou essaient d'attirer sa faveur en lui offrant des présents ou en lui rendant divers services. Mais, il peut marquer sa préférence à l'égard de qui il veut pendant ses loisirs, et après avoir rempli ses fonctions avec équité. En effet, cela est justifié par le fait que le père qui a versé au maître un honoraire bas ne l'a consenti qu'à condition qu'il assure à son enfant un enseignement complet, comme cela a été stipulé par quiconque a versé un salaire élevé. Cependant, si le maître déclare aux pères des élèves qu'il aura vis-à-vis de ceux-ci une préférence selon la donation qui lui parviendra de chacun d'eux et que les pères acceptent, cela lui sera permis. Il doit tenir sa promesse dans la mesure de son engagement.

Il évitera de mêler les garçons aux filles, car ceci est dans leur intérêt et fait partie du bon soin qui leur est dû. Certes Saḥnûn dit : "Je considère comme répréhensible que le maître instruise les jeunes filles en les mêlant aux jeunes gens, car cela les corrompt."(378)

'Abû-l-Ḥasan remarque : "Il est du devoir du maître de veiller à ce que les uns ne soient pas corrompus par les autres si, parmi eux, il se trouve quelqu'un dont on craint la dépravation, qui arrive à la puberté ou qui soit effronté.

Il doit encore, selon l'avis de Saḥnûn, vérifier leurs connaissances en leur faisant réciter [leurs leçons] et fixer un moment pour la récitation du coran, par exemple le jeudi et l'après-midi du mercredi.(379) Il est bon que le maître réserve un moment pour enseigner l'écriture à ses élèves et créer entre eux une émulation, car ceci contribue à leur formation et à leur perfectionnement. Il convient qu'il leur permette de s'infliger réciproquement les sanctions corporelles, sans dépasser trois coups.(380) Qu'il leur enseigne le Livre dès les premières heures de la matinée jusqu'au moment où ils rentrent chez eux.

---

(378) R. E. I., op. cit., p. 97.
(379) Voir R. E. I., op. cit., p. 92.
(380) Ibid, p. 91.

colère le domine, il ne frappera les enfants des musulmans qu'en vue de soulager son âme ; et ceci n'a rien à voir avec l'équité. Lorsque l'enfant commet une faute, en causant quelque tort par exemple, ou en se livrant au jeu, en s'échappant de l'école (Kuttâb) et en s'absentant constamment, le maître est tenu de demander avis à son père ou à son tuteur et de [les] mettre au courant de sa faute, s'il mérite une sanction corporelle dépassant trois coups ; ainsi, les coups dépassant le châtiment légal prévu dans la négligence des études, seront administrés avec l'autorisation de celui qui veille sur l'enfant. On ajoutera un nombre de coups variant entre trois et dix, si l'enfant les supporte. Le châtiment corporel doit être de nature à faire souffrir sans toutefois dépasser la souffrance pour laisser des traces atroces et affaiblir d'une manière préjudiciable. Il se peut que, parmi les élèves, quelqu'un ayant presque atteint l'âge de puberté soit encore mal éduqué et d'un naturel grossier ; celui-ci ne craignant pas de recevoir dix coups [de bâton], on estime qu'il est capable de supporter davantage sans risque. Il n'y a, par conséquent, aucun inconvénient – s'il plaît à Dieu – à dépasser les dix coups. Mais, Dieu sait discerner le bienfaiteur du corrupteur. Il s'agit là de la dignité et de l'épiderme des musulmans ; que le maître évite donc de leur porter atteinte en dehors de l'équité et de la légalité. Qu'il prenne soin de corriger les enfants en personne. Certes, Saḥnûn a recommandé au maître de ne pas confier à un élève le soin d'infliger aux autres enfants le châtiment corporel.

'Abû-l-Ḥasan continue : "Quelle excellente recommandation de Saḥnûn , puisque les enfants sont sujets à la fougue et aux disputes ; on peut admettre que l'enfant [chargé d'infliger la punition] aille très loin dans le châtiment administré au patient. Si le maître a la certitude que cet excès sera évité et sait que l'enfant chargé d'infliger la sanction corporelle n'y dépassera pas la limite, il a la latitude de l'autoriser à la donner à condition de justifier son renoncement à en prendre soin lui même. Que le maître s'abstienne de frapper l'enfant à la tête ou au visage ; à ce propos, Saḥnûn dit : "Il ne lui est pas licite de porter [à l'enfant] des coups à ces deux endroits ;[377] car, il est évident que les suites des coups peuvent avoir pour conséquences funestes d'affaiblir le cerveau, de blesser l'œil, ou de défigurer. Les coups portés sur la plante des pieds sont moins dangereux et plus superficiels.

---

(377) R. E. I., op. cit., p. 91.

bon élève, le maître ne doit pas se mettre en colère contre lui de façon à l'effrayer.

Si l'enfant mérite d'être battu, sache que les coups à porter sont de un à trois. Que le maître s'efforce donc de ne pas dépasser la limite de la sanction corporelle méritée. C'est ce châtiment qui sera infligé à l'enfant quand il manquera de soins [dans sa tâche], mettra trop de temps pour arriver chez le maître, se montrera lent à retenir [le coran] par cœur, fera, [en lisant] son ḥizb ou en écrivant sa tablette, beaucoup de fautes telles que les omissions de lettres, la mauvaise épellation, l'orthographe affreuse, la vocalisation interne défectueuse, les erreurs dans l'établissement des points diacritiques,(374) quand, malgré les rappels successifs à l'ordre, il multiplira les négligences ; quand le blâme et la réprimande par des paroles menaçantes mais dépourvues d'insultes ou d'injures blessant la dignité tels que les propos suivants tenus par quiconque ne reconnaît aucun droit aux enfants des croyants : "Hé l'affreux ! Espèce de singe !" demeureront inefficaces. Que le maître évite ces propos et les paroles exécrables qui leur sont assimilables. S'il(375) lance à l'enfant une de ces formules, qu'il en demande pardon à Dieu et ne la répète plus. Les paroles hideuses ne sont prononcées par le pieux qu'en étant sous l'emprise de la colère et celle-ci ne convient pas en éducation. L'Envoyé de Dieu – que le salut soit sur lui – a interdit au cadi de prononcer une sentence en étant irrité. ᶜOmar ibn ᶜAbd el ᶜAzîz(376) ordonna de battre quelqu'un ; lorsque ce dernier fut présenté pour la bastonnade, ᶜOmar dit : "Laissez-le !". Comme on lui demandait une explication, il répondit : "Ayant senti au fond de mon cœur un courroux contre lui, j'ai jugé qu'il est blâmable de le frapper, en étant sous l'emprise de la colère."

'Abû-l-Ḥasan remarque : "Le maître doit traîter les enfants de cette façon pour que sa correction leur soit vraiment profitable. Celle-ci n'est, en effet, pour leur maître, ni un moyen d'apaiser sa colère, ni quelque chose qui délivre son cœur du courroux. Si la

(374) "Naqt" signifie "points diacritiques", tandis que "Šakl" signifie "points voyelles" ; Voir R. Dozy "Supplément aux Dictionnaires Arabes" T 2.

(375) L'auteur emploie, dans ce passage, tantôt la 2ᵉ personne du singulier, tantôt la 3ᵉ.

(376) ᶜUmar ibn ᶜabd elᶜazîz, calife omaiyade. Il naquit en 63 (682-83) à Médine ; par sa mère, il descendait de ᶜOmar b. al Ḫaṭṭâb. Musulman très pieux ; son administration paternelle du pays fut pour la population heureuse et profitable. Il mourut en 101/720. Voir E I, III, 1044-46.

exalté – a dit : "Nous ne frustrerons pas de leur salaire ceux qui auront fait le bien."(369)

La bonne façon d'éduquer les élèves est de les traîter avec douceur ; certes, on rapporte d'après ʿÂïcha, la mère des croyants – Puisse Dieu l'agréer – que le Prophète (bénédiction et salut divins sur lui) a dit : "Ô Seigneur, soyez bienveillant envers celui qui, exerçant un pouvoir quelconque sur ma communauté, s'y montre accomodant envers elle."(370) L'Apôtre a dit aussi : "Allah, en toute chose, veut la bienveillance et il n'accorde sa miséricorde qu'à ceux qui, parmi ses créatures, sont compatissants.(371)

'Abû-l-Ḥasan dit : "Tu m'as demandé : "Est-il louable au maître de traîter les enfants sévèrement ? Ou doit il, à ton avis, les ménager et éviter d'être austère puisqu'ils sont concernés, comme tu viens de le savoir, par la recommandation précédente ?(372) Certes, quand le maître remplit délicatement sa mission et prend un vif intérêt à la garde [des enfants], c'est qu'il sait ranger chaque chose à sa place ; car c'est lui qui est chargé de les éduquer, qui prend soin de les détourner des choses nuisibles et de les inciter à faire celles qui leur sont bénéfiques. Dans tout ceci, il doit les élever selon les principes d'où ils tirent parti, sans que sa contrainte ne les prive ni de son bon traîtement ni de sa mansuétude ; en effet, il n'est qu'un substitut de leurs pères ; en gardant toujours un air sévère, il fera preuve d'une cruauté odieuse à laquelle les enfants s'habitueront ; ils finiront par se montrer audacieux envers lui. Mais, s'il emploie la rigueur quand les enfants méritent la réprimande, celle-ci leur indiquera qu'ils seront corrigés. Ainsi, l'austérité ne leur sera point familière et suffira pour les corriger, quand, de temps à autre, on l'utilisera sans châtiment corporel. Parfois, l'austérité sera suivie d'un châtiment corporel légalement mérité et proportionné à la faute commise. Cependant, le maître doit éviter de manifester continuellement aux enfants la gaîté familière et doit montrer [de temps en temps] un air renfrogné et effrayant. En aucun cas, il ne plaisantera avec l'un d'eux et ne lui sourira ouvertement, même s'il lui donnera satisfaction et s'acquittera entièrement de ses obligations.(373) S'agit-il d'un

(369) Sourate XVIII, 'Al Kahf (La caverne), une partie du verset 30 ; voir Blachère, le Coran, II, 335 ; Mazigh, Le Coran, p. 253.

(370) Voir, Saḥîḥ d'El Bokhârî.

(371) Voir, El Bokhârî, Saḥîḥ.

(372) Il s'agit de la recommandation contenue dans les deux traditions précédentes.

(373) Le contexte nous incite à lire "'awfâhu" au lieu de "'arjâhu".

qu'il s'acquitte entièrement de son devoir envers les enfants ; s'il l'accomplit, il est bon qu'il touche le salaire stipulé pour l'enseignement. Qu'il sache, cependant, qu'il est illicite et de mauvais goût d'accepter quoi que ce soit de cette rétribution s'il néglige de s'acquitter de ses obligations, car ceux qui lui ont permis de stipuler le salaire lui ont indiqué ce dont il est tenu de faire. S'il enfreint les instructions des pères, ceux-ci n'estimeront pas bon qu'il touchât le salaire [initial] stipulé par lui ; le maître ne trouvera pas, parmi les savants, quelqu'un sur lequel il pourrait s'appuyer pour tolérer sa négligence, à cause des contestations que nous avons exposées précédemment sur la question de recevoir un salaire pour l'enseignement du coran. En outre, observer rigoureusement ces obligations auxquelles le maître a souscrit, cela fait partie des contrats que Dieu (que Sa gloire soit proclamée) a ordonné d'exécuter ; prendre soin des enfants sur lesquels il a pris l'engagement de veiller est une marque de bienveillance qui permet au maître de mettre en pratique la parole suivante de l'Envoyé de Dieu (bénédiction et salut divins sur lui) : "Vous êtes tous pâtres et chaque pâtre est responsable de son troupeau."[366]

Qu'il sache encore que s'il remplit son devoir envers les élèves et les [éduque] sérieusement, sans rien omettre, il sera concerné par la parole suivante de l'Apôtre (Salut sur lui) : "L'esclave qui remplira ses devoirs envers ses maîtres et envers Dieu aura double récompense."[367] ; car l'esclave n'a mérité cette récompense qu'en s'acquittant entièrement de son devoir envers son maître. Que le précepteur des enfants sache, par conséquent, qu'il ne peut mériter cette récompense qu'en remplissant son devoir envers eux ; par le salaire qu'il leur impose, les élèves ont droit à ses services bénéfiques jusqu'à ce qu'ils réalisent pleinement leur dû.[368] En remplissant le devoir que les élèves sont en droit d'exiger de lui et que Dieu lui a prescrit comme obligation envers eux, le maître aura droit, à l'exemple de l'esclave, à double récompense. Il en va de même de tout salarié dont les services bénéfiques sont en possession [d'un employeur] ; car quiconque accomplit une œuvre pie lui incombant compte parmi les bienfaisants. En effet Dieu – qu'il soit glorifié et

---

(366) Tradition dans El Bokhârî.

(367) El Bokhârî, les Traditions Islamiques, op. cit., T I, p. 51.

(368) L'auteur emploie "wâjibahum" (leur devoir) au lieu de "ḥaqqahum" (leur droit).

CHAPITRE II

Règles de conduite du maître d'école

De ce que /l'interlocuteur/ a voulu voir au clair, à savoir : la conduite éducative[362] du maître d'école, le soin qu'il doit prendre des enfants, l'équité et la bienveillance qu'il observera à leur égard, s'il peut ou non faire appel à l'assistance des uns pour s'occuper des autres, confier à un autre maître le soin des enfants lorsqu'il en éprouve le besoin, assumer avec son concours leur éducation ou le charger [de cette tâche] pour son compte ? Comment organisera-t-il l'horaire des leçons et des exercices écrits ? De quelle manière les enfants effaceront-ils leurs tablettes et omoplates ? Quelles sont les périodes durant lesquelles ils sont autorisés à s'absenter pour se reposer, les sanctions corporelles légales[363] à leur infliger ? Qui doit subvenir aux frais de l'instrument avec lequel le maître corrige les élèves et du local où il les instruit ? Cet enseignement peut-il être donné à l'intérieur d'une mosquée et dispensé par deux ou plusieurs maîtres ? Les enfants étudieront-ils ensemble une seule section [du coran] (ḥizb) ?[364] Leur est-il permis de toucher l'exemplaire du coran sans être, au préalable, purifiés par ablution (ṭuhr) ? Doit-on leur enseigner l'ablution afin qu'ils puissent s'en servir et toucher le texte sacré ? Feront ils la prière sous la direction de l'un d'eux ?

'Abû-l-Ḥasan dit : "Un exposé clair et exhaustif concernant ce que les maîtres d'école[365] peuvent licitement exiger des pères des élèves comme salaire, les disciplines qu'ils sont tenus d'enseigner aux enfants et celles qu'ils ne doivent pas leur enseigner, a été fait précédemment.

Le maître doit s'appliquer avec assiduité [à sa tâche] jusqu'à ce

---

(362) Siyâsat : terme technique désignant "conduite adroite", "habileté". Il a le sens d'éducation et de puériculture chez certains éducateurs, tel qu'Ibn al Ǧazzâr dans son traîté. "Siyâsatu-ṣ-Ṣibyân" (ms). chez Ḥ. Ḥ. Abdelwahhâb. Éd. M.T.E., 1968.

(363) Ḥadd, litt. = limite ; terme juridique qui signifie "peine légale prévue par le Coran".

(364) Ḥizb = Section ; selon Kazimirski "dans le Coran, chacune des soixante sections en lesquelles le Coran est divisé" ; Dosy dit "la prière que les enfants récitent chaque jour en quittant l'école" (Supplément aux Dictionnaires arabes). La première explication est plus plausible.

(365) Dans ce passage le texte est rédigé de telle sorte que tantôt l'auteur parle du maître au singulier, tantôt au pluriel.



seule clause ; lorsque la situation déjà mentionnée se présente aux deux parties, par suite du manquement du maître aux obligations du contrat, à ce moment-là on lui attribue une rétribution équivalente [à la fraction apprise du coran] parce qu'il a enseigné [le Livre] par cœur à l'enfant dans un délai dépassant une année ; le père n'a consenti à payer le salaire initial qu'à condition que le maître inculque le coran de mémoire à son enfant au bout d'une année ; mais puisque le maître a dépassé le délai que le père lui a assigné, il n'a pas le droit de toucher, malgré le retard, la somme qu'il lui a désignée pour un terme plus avancé ; Si le maître lui prend, quand même, cette somme, c'est une injustice envers le père. Mais là où l'on ne peut légalement fixer un délai pour la ḥiḏqa, c'est quand le père détermine un temps réduit qui incite à craindre que l'élève n'y parviend pas à achever cette ḥiḏqa, vu que ce délai est très limité. L'excuse et l'interdiction interviennent, dans ce cas.

'Abû-l-Ḥasan remarque : "Dans cette réponse, 'Aṣbaġ a fait une distinction entre le maître d'école et le couturier(361) qui stipule l'évacuation [du lieu par l'apprenti] après un délai préfixé.

'Aṣbaġ a considéré cela comme étant un louage de services dans les échanges louables. Je ne vois aucun inconvénient, dit-il, à ce que le maître ou le couturier exécute les clauses stipulées dans le contrat, avant l'écoulement du délai.

En prescrivant au maître une rétribution conforme aux passages coraniques enseignés, sans tenir compte du salaire initial de louage, lorsque le délai s'achève avant que /l'enfant/ ne retienne de mémoire le coran en entier, 'Aṣbaġ a prononcé un jugement raisonnable et équitable.

---

(361) Il est curieux de constater qu'on associait en Ifriqiya, au moyen-âge, les métiers de couturier et de maître d'école ; d'ailleurs, on voit le couturier apprendre aux enfants son métier dans la mosquée. Voir, par exemple, le récit rapporté par Abou Bakr Al-Mâlikî dans son "Kitâb Riâḍ an-Nufûs, éd. Le Caire, 1951, p. 241.

'Abû-Ḥasan remarque : "Quant à la parole de Mâlik : "à terme préfixé", s'il voulait dire par là que [le maître] devrait faire apprendre tout le Coran à l'enfant, dans un délai déterminé d'avance", Ibn al-Mawwâz l'a commenté de la façon suivante : "Si le père fixait au maître un délai d'une année ou deux pour faire apprendre à son fils la Prédication, cela s'imposerait comme une obligation."

[Par contre], Moḥammad ibn Ibrâhîm[358] a dit à propos de cette parole : "Cela est licite à moins que le père ne dise au maître : "Tu l'instruiras dans un délai d'un an ou deux."[359]

'Abû-l-Ḥasan remarque : "La parole de Mâlik entendue de sa bouche par Ibn al-Qâsim et Ibn Wahb est telle que l'a rapportée Moḥammad : Moṭarrif a transmis la même leçon d'après Mâlik et a dit : "Tous nos docteurs sont unanimes là-dessus. Commentant la parole de Mâlik, Moḥammad a précisé qu'il n'y a pas eu de stipulation pour achever d'inculquer le Coran [à l'enfant] dans ce délai. Son interprétation est d'ailleurs conforme aux principes fondamentaux dans tous les gages.

Cependant Ibn Ḥabîb objecte ceci : "Mâlik a permis au maître de stipuler qu'il ne sera rémunéré que quand l'élève saura [le coran] par cœur (ḥaḏqa)[360] ou le lira dans le texte, que les deux parties aient assigné, à cette fin, un délai ou non ; En effet, j'ai [Ibn Ḥabîb] demandé à 'Aṣbaġ : "Comment Mâlik a-t-il permis de stipuler la ḥaḏqa quand les deux parties lui fixent un délai d'avance ? Que recevra le maître, à ton avis, si, après ce délai, l'enfant ne saura pas le coran par cœur ?". 'Aṣbaġ m'a répondu : "Il aura droit à un salaire correspondant à ce qu'il lui aura enseigné durant cette année, non conforme au premier salaire [convenu]." Ayant répliqué : "N'est-ce pas là deux clauses contenues dans une seule ?", il m'a répondu : "Non ! il n'y aurait deux clauses en une seule que si le père le dit textuellement au maître au début du contrat. Mais lorsqu'il passe avec le maître un contrat précisant que ce dernier fera apprendre à son enfant [le Livre] au bout d'une année, il ne stipule qu'une

---

(358) Moḥammad ibn Ibrâhîm/b. Muslim al Baġdâdî, aṭ Ṭarasûsî/ ; (mort en 273/886) à Ṭarasûs). Traditionniste ; Il réunit des traditions dans un livre appelé Musnid. Voir Ziriklî, T 6, p. 183.

(359) L'objet de la controverse réside, ici, dans l'interprétation de l'expression "à terme préfixé" : s'agit-il d'un délai déterminé d'avance pour l'enseignement intégral du Coran, ou d'un délai préfixé pour le payement du salaire du maître ?.

(360) le terme (ḥiḏqa) ou (ḥaḏqa) est employé pour la récitation intégrale du coran ; le verbe (ḥaḏḏaqa) signifie "faire apprendre par cœur".

comprendre ensuite la signification, n'aboutirait peut-être pas à la compréhension ; par conséquent, il ne peut en tirer aucun profit pour sa religion. Quant au Coran, quiconque le retient totalement dans sa mémoire, en tire profit. S'il en apprend une seule lettre, il en profite dans son culte. Il s'ensuit que le Coran s'oppose d'une manière évidente et sans aucune ambiguité à tout ce qui s'apprend de la parole humaine .

C'est pourquoi [les savants] ont regardé comme licite d'allouer une rétribution pour l'enseignement partiel ou intégral du Livre. Un paragraphe, traîtant ce thème, a été consacré, au début de ce chapitre.

Je t'ajoute ici, sur la même question, les [renseignements] suivants qui t'aideront à la comprendre clairement : "Quelqu'un ayant demandé à Ibn al-Qâsim : "Pourrai-je engager un homme en vue d'assurer à mon enfant l'enseignement du Coran et de le lui apprendre en entier, moyennant telle et telle somme en dirhams ?", il a répondu : "Mâlik a dit : "Je n'y vois aucun inconvénient". Ibn al Qâsim a ajouté : "Il n'y a pas d'inconvénient à lui allouer aussi une rémunération pour enseigner le sixième du Livre, comme l'a signalé Mâlik à propos du texte intégral. Il n'y a pas de mal, non plus, à présenter au maître son dû avant que l'enfant n'entre à l'école." Selon Ibn Saḥnûn, Mâlik a dit : "Il n'y a aucun inconvénient à ce qu'un individu engage un maître pour enseigner le Coran à son enfant, moyennant un salaire déterminé à terme préfixé, ou au mois. De même pour la moitié ou le quart du coran, ou toute autre fraction faisant l'objet d'une stipulation entre les deux partis."[357]

Abû-l-Ḥasan remarque : "Quant à l'expression de Saḥnûn : "ou au mois", comme on demandait à Ibn al-Qâsim : "Est-il licite qu'un père engage un maître, moyennant un traitement mensuel ou annuel d'un dirham, pour enseigner à son enfant la Prédication ?", il a répondu : "Mâlik a dit : "Je n'y vois aucun mal". Et comme on demandait de nouveau à Mâlik : "Et si le père engage le maître, moyennant un dirham pour enseigner à son enfant l'écriture ?", il a répondu : "Mâlik a dit : "Il n'y a aucun mal à cela".

Ibn al-Qâsim a poursuivi : "Mâlik a dit : "Il n'y a aucun inconvénient à allouer un salaire au maître". Il en va de même quand quelqu'un l'engage, moyennant une rétribution, pour enseigner à son enfant l'écriture seulement.

---

(357) Voir R. E. I., op. cit., avec quelques variantes.

pas admettre d'enseigner, moyennant une rétribution, la jurisprudence (fiqh), les obligations d'institution divine (farâ'iḍ) et autres matières qu'il a distinguées du Coran qui s'enseigne, moyennant salaire. Comprends donc cela si jamais tu le rencontres, car c'est louable. Saḥnûn a rapporté précédemment que l'enseignement du Coran a une limite à laquelle il aboutit tandis que le fiqh et les autres sciences n'en ont point. Il a voulu dire, par là, qu'on apprend seulement à réciter le Coran par cœur ; ce texte est entièrement réuni. Si on stipule de l'achever, cette matière coranique a une limite à laquelle elle aboutit : c'est la vulgate du Coran, adoptée par tous les croyants et comprenant des sourates au nombre déterminé. Par contre, pour étudier la jurisprudence, il faut avant tout comprendre. C'est, par ailleurs, une science qu'on ne peut embrasser en totalité. On n'y connait pas un degré de compréhension auquel on se limite. Il en va de même de la grammaire ainsi que de toute autre matière où l'on éprouve le besoin de comprendre pour élucider une question difficile. L'esprit y saisit une idée, mais voilà qu'aussitôt il la délaisse pour une autre jaillissant subitement dans la tête de celui qui s'éfforce de comprendre ; ainsi le but s'éloigne et la matière devient scabreuse.

Quant aux disciplines dont le moyen d'acquisition est le savoir par cœur tels que la poésie et les dires des Arabes qui lui sont assimilables, [l'élève] loue les services d'un maître pour les apprendre de mémoire. La raison qui rend ces disciplines réprouvables, c'est qu'on n'y cherche à comprendre que ce qui aide à comprendre d'autres disciplines. La connaissance approfondie [de ces disciplines intermédiaires] n'a donc pas de limite ; quel intérêt y a t-il donc à les retenir par cœur à des fins autres que la compréhension ? Pourquoi donnera-t-on un salaire pour les enseigner, alors qu'elles ne ressemblent pas au Coran ? Si tu objectes : "Mais, c'est pour que l'élève apprenne notamment par cœur leur vocabulaire ; ensuite, il envisagera d'en saisir la signification sous la conduite d'un autre maître, sans salaire, après les avoir retenues de mémoire," sache qu'il n'y a pas lieu de faire une exception à la règle dans le domaine du réprouvable sauf par dérogation [divine] (tawqîf). L'entrée d'un domaine ne peut être préservée qu'en interdisant totalement son accès, même si quelque chose ne faisant pas autorité s'y est introduite sous prétexte de le défendre. C'est là la raison de la controverse que nous avons déjà constatée au sujet de ces disciplines. Toutefois, quiconque se propose d'apprendre le vocabulaire de ces disciplines pour en

abstiens-toi de le faire. Kaᶜb réitéra la question à ᶜOmar, mais ce dernier n'ajouta rien". Le mérite de Kaᶜb, en tant que savant versé dans les connaissances religieuses, est évident en Islam ; ᶜOmar ne lui a pas donné de réponse à sa question ; il n'a fait que le charger d'y répondre lui-même.

En outre, on ne rapporte pas que Kaᶜb a continué à étudier ce Livre, La Ṭorah.(355) Allah, cependant, sait mieux que quiconque ce qu'il en fait.

Quant à celui qui persévère dans l'impiété, celui-là ne peut inspirer confiance pour enseigner le Livre d'Allah ou quoi que ce soit aux enfants des Musulmans ; on ne peut, non plus, avoir confiance en ceux-là qui fréquentent, dans l'enseignement de l'ensemble des disciplines déjà énumérées, les enfants des Chrétiens. Il est interdit au maître de les mettre ensemble d'après 'Ibn Wahb qui tient ceci de Mâlik.

On trouve, dans la Mawwâziyya(356) ceci : "Mâlik a considéré comme blâmable que le Musulman place son enfant à l'école des Chrétiens". Selon Saḥnûn : "Le maître ne doit enseigner ni le coran ni l'écriture aux enfants des Chrétiens."

Ibn Ḥabîb rapporte : "Comme on demandait à Mâlik : "Penses-tu que l'on puisse enseigner aux enfants des associateurs l'écriture sans le Coran", il a répondu négativement et a condamné sévèrement cette entreprise".

Ibn Ḥabîb dit aussi : "Tous ceux [les savants] que j'ai rencontrés considèrent cela comme répréhensible et pensent que l'Imâm (Chef de la Communauté musulmane) est tenu de changer cet état de choses et d'infliger, pour cela, des sanctions. Ceux, parmi les maîtres stupides, qui entreprennent cet enseignement voient, de ce fait, leur témoignage rejeté et encourent la colère [divine] pour avoir porté atteinte à la parole de Dieu et à Son Livre. Par ailleurs, ils sont immondes.

Tout ce que je t'ai exposé aussi dans ce passage est juste. Certes, je t'ai déjà présenté les arguments dont Saḥnûn s'est servi pour ne

---

(355) Il s'agit de la Ṭorah (Loi Mosaïque révélée à Moïse sur le Mont Sinaï).

(356) 'Al Mawwaziya : livre de jurisprudence d'Ibn al-Mawwâz selon le rite mâlikite. Abû ᶜAbd Allah Muḥammad Ibn Ibrâhîm, surnommé Ibn al Mawwâz, fut l'un des plus savants imâms de l'école malikite et en devint le président. Il laissa plusieurs ouvrages qui traitaient de la jurisprudence et dont un a été nommé après lui Al Mawwaziya. Il mourut en l'année 281 (894-895 J.-C.). Voir De Slane, des Prolégomènes d'Ibn Khaldoun, T III, p. 2, éd. Paul Geuthner, Paris 1938.

enfant dans une école de non-arabes (ᶜajam) pour lui apprendre les biens de mainmorte (waqf) ?" Il lui a répondu négativement. Comme on lui demandait : "Le musulman peut-il instruire le chrétien ?", sa réponse a été négative. Et comme on ajoutait : "Lui est-il permis d'enseigner alors l'écriture aux enfants des associateurs ?", il a répondu négativement.

Ibn Wahb rapporte dans la chronique de l'année soixante treize que Mâlk a dit : "A mon avis, personne parmi les Juifs et les Chrétiens ne doit être autorisé à enseigner aux Musulmans le coran".

'Abû-l-Ḥasan remarque : "S'il s'agit ici de la Prédication ayant été descendue sur Moḥammad [Faveurs et Bénédictions divines sur lui], il est bon de la leur prohiber. Il est interdit au Musulman d'enseigner le coran à l'Incrédule. En effet, Allah le Tout-Puissant, l'Elevé, a dit : "En Vérité, ce Coran est bienfaisant, issu d'un prototype éternel, d'essence invisible. Seuls pourront y toucher les Purifiés."[352] L'Infidèle est, en effet, impur ; c'est pourquoi il est interdit d'enseigner aux infidèles l'écriture et l'orthographe arabes ; car, avec cela, ils parviendront à toucher le corpus (Moṣḥaf) s'ils en manifestent le désir. Mais, si Mâlik a voulu dire plutôt : "on ne laissera pas [les Juifs et les Chrétiens] enseigner leur Livre [sacré] aux Musulmans", on peut justement leur interdire cet enseignement, car les Juifs et les Chrétiens ne sont pas à l'abri du mensonge dans leur Livre.

Kaᶜb 'al Aḥbâr[353] alla voir ᶜOmar ibn al-Ḫaṭṭâb, qu'Allah l'agrée, et se présentant devant lui, il retira de dessous la main un volume aux contours légèrement usés en disant : "Ô Prince des Croyants, cette Ṭorah pourrai-je la lire ?" ᶜOmar, ayant gardé longtemps le silence, Kaᶜb lui posa la même question à deux ou trois reprises. ᶜOmar répondit alors : "Si tu te trouves savoir que ce volume est bien la Ṭorah qui fut descendue sur Mûsa ibn ᶜImrân[354] le jour du Mont Sinaï, récite là alors durant la nuit et le jour ; sinon,

---

(352) Sourate L VI, Al-Wâqiᶜâ (l'Evénement), versets 77-79 ; Blachère, Le Coran, II, 57 ; Mazigh, op. cit., p. 435.

(353) Kaᶜb 'al 'aḥbâr (Abû Isḥâq Kaᶜb ibn Mâtiᶜ B. Naisûᶜ), la plus ancienne autorité des traditions judéo-musulmanes chez les Arabes ; Juif du yémen qui, sous le califat d'Abû Bakr ou de ᶜOmar, se convertit à l'Islam. Il mourut sous le règne de ᶜOṯmân en l'an 32 ou 34 (652 ou 654). Voir E I, II, p. 620.

(354) Mûsa ibn ᶜImrân (ou Moïse) : La plus grande figure de l'Ancien Testament, guerrier, homme d'État, libérateur, moraliste et législateur des Hébreux. Voir E I, III, 788 sq.

Saḥnûn dit : "Je ne suis pas d'avis que le maître enseigne aux élèves le coran en musique,[348] car Mâlik a dit : "Il n'est pas licite de réciter le coran en musique". De même, il ne doit pas leur apprendre de fioritures mélodiques (taġbîr),[349] car cela incite à la pratique du chant, qui est une chose répréhensible, et je considère qu'on doit le lui interdire très sévèrement. (Muḥammad ibn Saḥnûn) rapporte ces paroles de Saḥnûn : "Comme on questionnait Mâlik à propos de séances qui se tiennent pour faire la lecture [du coran], il répondit : c'est une innovation[350] répréhensible. J'estime que le représentant de l'autorité doit les interdire et en punir sévèrement [les participants]."[351]

'Abû-l-Ḥasan remarque : "Mâlik a interdit de tenir des séances pour écouter la lecture [du coran] en musique, accompagnée de fioritures mélodiques et d'autres innovations bien connues." Tout ce que Saḥnûn a interdit au maître et à l'élève, dans ce chapître, correspond justement aux interdits de rigueur (tašdîd) et aux réprobations (Karâhiyya) courants dans le rite mâlikite. Comprends donc cela ; je t'ai bien montré quand c'est permis d'accepter une rétribution pour enseigner le coran et les disciplines autorisées, celles qui sont réprouvables pour le maître et l'élève, les actes répréhensibles ou tolérés qui sont l'objet d'une controverse entre nos amis [les savants], afin que celui qui recherche les actes licites discerne, dans la question du salaire de l'enseignement, l'acte dont l'accomplissement lui procure la sérénité d'esprit et celui dont le pieux se préserve. Je t'ai explicité aussi ce que le musulman est tenu d'apprendre lui-même ou d'enseigner à son enfant et les controverses à ce sujet.

Dans cet ordre d'idées, Ibn Wahb dit aussi : "j'ai entendu [quelqu'un] demander à Mâlik : "Est-il permis au père de placer son

---

(348) A propos des divertissements prohibés, Ibn Abî Zayd al-Qayrawânî dit : "Il n'est pas licite de chercher à écouter des choses injustes ou vaines, qu'elles qu'elles soient... ni de réciter le Coran avec des accents cadencés comme dans le chant profane. Le Livre a trop de majesté pour qu'on se permette de le réciter autrement qu'avec une grave componction." La récitation du Coran en musique était considérée au début comme une innovation blâmable.

(349) Taġbîr : Lisân al-ʿArab, VI, 307 : "Les muġabbira sont des gens qui font le taġbîr pendant le ḏikr (oraisons) ; lorsqu'ils échangent leurs réponses en musique, ils font entrer les gens en extase, les font danser et soulever de la poussière (ġubâr) ; c'est pourquoi ils sont appelés muġabbira", voir R.E.I., op. cit., p. 93.

(350) Ibn Abî Zayd dit : "Il est licite de rompre avec un frère musulman quand il a commis une innovation répréhensible (bidʿa)" (Risâla, p. 301).

(351) R. E. I., op. cit., p. 93.

Hafṣ ibn ᶜOmar, Yûnis ibn Yazîd,[339] puis la leçon est citée textuellement comme elle se trouve dans la Mudawwana.

Ibn Ḥabîb – avec la chaîne de garants suivante : ᶜAṣbaġ, Ibn Wahb, Yûnis, Ibn Šihâb – rapporte dans le Muwaṭṭa'[340] que Saᶜd ibn Abî Waqqâṣ s'est présenté avec un Irakien qui enseignait l'écriture et le coran aux enfants des Médinois, à Médine, moyennant une rétribution." Ibn Ḥabîb laisse tomber Ḥafṣ ibn ᶜOmar de la chaîne de garants et ajoute que l'Irakien leur enseignait, en plus de l'écriture, le coran." Mais Dieu sait le mieux.

Moḥammad[341] rapporte : "J'ai entendu Saḥnûn [mon père] dire : "A mon avis, le maître ne doit pas enseigner "abâjâd"; [l'abécédaire] et l'on doit prendre l'initiative pour l'en détourner. J'ai entendu Ḥafṣ ibn Ġiyâṯ[342] affirmer que ce mot était le nom des démons qui l'ont mis dans la bouche des Arabes à l'époque anté-islamique, et ceux-ci l'ont écrit. J'ai entendu aussi certains savants prétendre que c'était seulement le nom des enfants de Sapor,[343] roi de Perse, et que ce dernier avait ordonné à ses sujets arabes de le mettre par écrit. A mon sens, personne ne doit écrire ce mot qui a le caractère d'interdiction légale (Ḥarâm). Saḥnûn Ibn Saᶜîd[344] – avec la chaîne de garants suivante : Ibn Wahb, Yaḥyâ ibn Ayyûb,[345] ᶜAbd Allah ibn Ṭâwûs,[346] son père, ibn ᶜAbbâs – m'a rapporté que ce dernier nommé a dit : "Les gens qui observent les étoiles et écrivent "Abâjâd", ceux-là n'auront pas leur part de béatitude."[347]

---

(339) Yûnèṣ ibn yazîd (voir note 331).

(340) Il s'agit du commentaire du Muwaṭṭa' de Mâlik.

(341) Il s'agit de Moḥammad ibn Saḥnûn.

(342) Ḥafṣ ibn Ġiyâṯ (117-194/735-810) cadi de Kûfa ; c'était un jurisconsulte et un traditionniste faisant autorité. Voir Ziriklî, T 2, p. 289.

(334) Sapor (Sâbûr) : nom de plusieurs rois de la dynastie sassanide. Sapor 1° (241-272 apr. J.-C.) ; il battit et fit prisonnier l'empereur Valérien, mais mourut assassiné. Sapor II, Le Grand, roi de Perse de 311 à 380. C'est en le combattant que périt l'empereur Julien ; Sapor III, roi de Perse de 385 à 390. Voir E I, IV, 323 sq.

(344) Saḥnûn ibn Saᶜîd, né en 160 = 776/7 à Kairouan ; c'est un éminent savant Ifriqiyen où il a propagé la doctrine de Mâlik. Il composa la Mudawwana, œuvre basée sur le Muwaṭṭa' de Mâlik. Il mourut en 240/854. Sur lui, Voir E I, IV, 66 sq. Ziriklî, IV, 129.

(345) Yaḥyâ ibn Ayyûb (Abû Zakariyâ). Traditionniste et jurisconsulte Baġdadien. Voir Ibn Saᶜd "Ṭabaqât", T VII, p. 357.

(346) ᶜAbd Allah ibn Ṭâwûs (182-230/788-844), célèbre jurisconsulte yéménite ; c'est aussi un traditionniste faisant autorité. Voir Ziriklî, T IV, p. 227 ; Ibn Qutayba "Al maᶜârif", éd., Le Caire, 1960, p. 455.

(347) R. E. I., op. cit., p. 104.

citées en même temps qu'elle, à part le coran et l'écriture. En cela, il a avancé une opinion contraire à celle de Sahnûn. Toutefois, si l'enseignement de ces disciplines est imposé au maître en vue de faciliter la compréhension du coran, il n'y a pas lieu de distinguer une controverse entre les deux savants quant à la permission de les enseigner. De même, Ibn Ḥabîb ne contredit pas Saḥnûn, quand il dit : "Je répugne de la poésie enseignée...etc".[329] Selon Saḥnûn, il est bon que le père loue les services de quelqu'un en vue d'enseigner à son enfant la calligraphie et l'orthographe.

Ibn Wahb – avec la chaîne d'autorité suivante : Ḥafṣ ibn ᶜomar,[330] yûnes,[331] Ibn Šihâb[332] – rapporte dans la Mudawwana[333] que Saᶜd ibn 'Abî Waqqâṣ[334] a amené avec lui un Irakien pour enseigner l'écriture aux enfants des médinois, à Médine, moyennant une rétribution." La même leçon se trouve dans le Muwaṭṭa' "[335] d'Ibn Wahb rapporté par nous[336] d'après Abu-l-Ḥasan ibn Masrour,[337] Abû Solaymân,[338] Saḥnûn, Ibn Wahb,

---

(329) Ici allusion au passage : "je répugne de la poésie enseignée, étudiée ou transmise aussi bien aux adultes qu'aux enfants en bas-âge, celle qui chante le chauvinisme etc..." En établissant un parallèle entre deux opinions d'Ibn Ḥabîb et de Saḥnûn, al-qâbisî pense certainement aux propos suivants de Saḥnûn : "Il n'y a pas d'inconvénient à leur enseigner la poésie – à condition qu'elle ne soit pas indécente – etc..." Voir R.E.I, op. cit., p. 92.

(330) Ḥafṣ ibn ᶜOmar : Lecteur célèbre originaire de Baġdâd. Mort en 246/860. Voir Ziriklî, II, 291.

(331) Yûnès (Ibn Yazîd). A identifier.

(332) IBN Šihâb Muḥammad b. Moslim b. ᶜObayd Allâh b. Šihâb az-Zohrî ; (58-124/678-742) ; compagnon de la seconde génération, premier recenseur de traditions et jurisconsulte. Voir Ziriklî, T VII, p. 317.

(333) Al-Mudawwana : recueil de "responsa" d'Ibn al Qâsim, mort en 191/806, aux questions juridiques que lui posa 'Asad ibn al-Fourât. Saḥnûn élabora les doctrines de Mâlik dans un vaste ouvrage, la Mudawwana, auquel le texte d'asad b. al Furât sert de base ; Voir E I, IV, 66-67.

(334) Saᶜd ibn Abî Waqqâṣ, général arabe. Saᶜd, qui était venu à l'Islam à l'âge de dix sept ans, se trouvait l'un des plus anciens compagnons du Prophète qui avait beaucoup d'affection pour lui ; il prit part non seulement aux batailles de Badr et d'uḥud, mais encore à toutes les expéditions qui suivirent. ᶜOmar lui donna le commandement suprême lors de l'invasion de l'Irâq contre la Perse. Il mourut en 50 (670-1) ou en 55 (674-5), à l'âge de soixante dis ans. Voir E I, IV, 30-31.

(335) Al-Muwwaṭṭa' : fameux "corpus juris" de Mâlik ibn 'Anas, mort en 179 H ; cet ouvrage a été rapporté par ses élèves tel que Ibn Wahb. Voir E I, III, 218 sq.

(336) Il s'agit d'Abû-l-Ḥasan al-Qâbisî.

(337) Il s'agit d'Abû-l-Ḥasan ibn Masrour ad-Dabbâġ. C'est un des maîtres d'al-Qâbisî ; Jurisconsulte du IV°/X° s.

(338) Abû Solaymân : un des maîtres d'al-Qâbisî ; Jurisconsulte du IV°/X° s.

ser, parfois, une parole rythmée n'est pas considéré comme poète, surtout si l'éloquence est innée en lui comme a dit Jondob[322] : "Tandis que le Prophète marchait, il heurta une pierre, trébucha, et son doigt s'étant mis à saigner, il dit : "Tu n'es, Ô mon doigt, qu'un doigt couvert d'un peu de sang ! car tu n'as pas souffert dans la voie de Dieu."[323] Le transmetteur de poésie n'est pas considéré aussi comme poète. Il n'y a pas d'inconvénient à ce que quelqu'un retienne de mémoire un peu de poésie afin de corriger sa langue, d'y acquérir l'aisance, de passer quelques instants en compagnie des vers et d'en fournir des citations dans ce qu'il désire exposer. Certes, Ibn Wahb rapporte qu'al-Layt[324] a dit : "Ayant demandé à Rabî'a[325] son avis sur l'enseignement de la grammaire pour l'utiliser dans la vocalisation désinentielle du coran, il m'a répondu : "j'aurai souhaité la connaître à fond."

Ibn Wahb – avec la chaîne de garants suivante : Ḥammâd ibn Zayd,[326] Yaḥya ibn ᶜAtîq[327] – rapporte que ce dernier a dit : "Ayant demandé à al-Ḥasan[328] : "Est-il licite qu'un homme apprenne l'Arabe pour s'en servir à redresser sa langue et corriger son expression ?, il m'a répondu affirmativement en ajoutant : "Qu'il l'apprenne, car en effet il arrive que quelqu'un, en lisant un verset coranique, se trouve incapable d'en saisir le sens et, de ce fait, il court à sa ruine."

Cependant, Ibn Ḥabîb a voulu permettre de donner une rétribution uniquement pour l'enseignement de la poésie et des disciplines

---

(322) Jondob : Voir : (Abû Ḏarr Jondob b. Jonâda b. Sofyân b. ᶜObayd) ; compagnon du Prophète, transmetteur de ḥadîts. Voir E I, I, 85 ; Ziriklî, II, 136. Voir note Abû Ḏarr.

(323) El Bokhârî, Les Traditions Islamiques, T 4, p. 188-189. Le Prophète voulait dire que cette blessure au doigt n'avait pas été faite au cours de la guerre sainte, qu'elle n'avait donc aucun mérite et que son doigt n'avait pas à en tirer orgueil.

(324) Al-Layt̠ [b. Saᶜd] (94-175/713-791). Jurisconsulte et traditionniste Egyptien, mais d'origine persane. Disciple et compagnon de Mâlik. Voir Ziriklî, VI, 115 ; E I, IV, 22.

(325) Rabîᶜa [Abû ᶜotmân b. Farrûḫ at-Taymî al Madanî] ; affranchi né en 136/753. C'est un traditionniste et jurisconsulte de Médine et maître de l'Imâm Mâlik. Voir Ziriklî, T III, p. 42.

(326) Ḥammâd ibn Zayd / b. Dirham al Azdî al Jahḏamî/, affranchi, originaire de Baṣra, né dans cette ville en l'an 98/717 et y est mort en 179/795. C'est un éminent traditionniste aveugle qui retenait quatre mille ḥadît̠s. Voir Ziriklî, T 2, p. 301.

(327) Yaḥya ibn ᶜAtîq ; traditionniste Basrien de la quatrième génération, faisant autorité. Voir Ibn Saᶜd "Ṭabaqât" T V, p. 253.

(328) Al-Ḥasan : Il s'agit d'al Ḥasan al Baṣrî.

obscène est odieuse."[315]

L'Envoyé de Dieu [Faveurs et Bénédictions divines sur lui] a dit encore : "Dans la poésie, il y a de la sagesse."[316]

'Abû-l-Ḥasan remarque : "La Tradition rapportée de la bouche de l'Envoyé de Dieu a été établie authentiquement comme suit : "Dans la poésie, il y a, certes, de la sagesse". Quant à l'autre Tradition : "La poésie n'est qu'une parole...", je l'ignore. Toutefois, c'est bien établi que le Prophète a dit : "Mieux vaudrait pour l'un de vous que son ventre fût rempli de pus, plutôt que d'être plein de poésie".[317] Ceci veut dire, d'après un certain savant, "Mieux vaudrait pour l'un de vous que son ventre fût rempli de pus, plutôt que d'être dominé par la poésie de telle sorte qu'elle le détournerait des invocations de Dieu [Puissant et Glorieux], de la Science[318] et du Coran." C'est établi aussi d'une façon authentique que l'Apôtre a dit : "La phrase la plus véridique qu'ait jamais dit un poète, c'est cette phrase de Labîd[319] : "N'est-il pas vrai que tout est vain en dehors de Dieu ?", et peu s'en est fallu qu'Omayya b. Abî-ṣ-Ṣalt[320] embrassât l'islamisme".[321] c'est-à-dire à cause des louanges à Dieu contenues dans sa poésie. Mais, ceci ne lui a été d'aucun profit puisqu'il est mort sans avoir embrassé l'Islam. Quant à Labîd, il a répondu favorablement à l'Islamisme. Il a cessé, dit-on, de composer des vers, à l'époque islamique, en guise de vénération de la Prédication ; mais Dieu sait le mieux. Quiconque lui arrive d'improvi-

---

(315) Tradition dans le Saḥîḥ d'al-Bokhârî.

(316) El Bokhârî, Les Traditions Islamiques, op. cit., T 4, chapitre XC, pp. 188-189.

(317) El Bokhârî, Les Traditions Islamiques, T 4, Chapître XCII, p. 191.

(318) La science, employée ici dans le sens de "science coranique" "qui rapproche le plus d'Allah, celle de la Religion d'Allah et de Ses préceptes, contenant ce qu'Il a ordonné et défendu, ce à quoi Il a invité et ce qu'Il a incité à faire dans Son Livre et par la bouche de Son Prophète." (Risâla, p. 327).

(319) Labid (B. Rabiᶜa Abû ᶜAqîl), poète arabe de l'époque anté-islamique qui vivait encore aux premiers temps de l'Islam (muḫaḍram). Voir E I, III, pp. 1 et 2.

(320) Omaiya b. 'Abi-ṣ-Ṣalt, poète arabe de la tribu de Ṯaqîf, vécut à Tâ'if, très apparenté aux familles patriciennes Quraišites de la Mekke. D'après la tradition, il mourut en l'an 8 ou 9 de l'H. Les traditions sont contradictoires en ce qui concerne ses rapports avec le Prophète et avec l'Islâm. Cependant, l'allégation selon laquelle il n'aurait pas été personnellement en rapport avec le Prophète et se serait montré peu sympathique à ses prétensions prophétiques, semble la mieux attestée. Voir sur lui E I, IV, 1051.

(321) El Bokhârî, Les Traditions Islamiques, T 4, p. 189 : Houdas traduit ainsi : "ceci se passait peu de temps avant que omaiya b. Abou-ṣ-Ṣalt embrassât l'islamisme." Le contexte ne correspond pas à cette traduction.

titue une obligation que s'il y a stipulation dans le contrat. De même pour la poésie, la science des raretés luiguistiques, la langue arabe, la calligraphie, l'ensemble de la grammaire, tout ceci devant être enseigné bénévolement.[311] Il n'y a pas d'inconvénient à leur enseigner la poésie – à condition qu'elle ne soit pas indécente – ainsi que les propos tenus par les anciens Arabes et leurs chroniques. Mais ceci ne constitue pas pour lui une obligation.[312]

Le maître se chargeant d'enseigner le coran et l'écriture peut, sans inconvénient, selon Saḥnûn, enseigner aussi toutes ces matières, soit bénévolement, soit en touchant une rétribution si cela lui a été stipulé. Cependant, si le maître impose une rétribution pour enseigner ces disciplines sans avoir l'intention d'enseigner aussi le Coran et l'écriture, Saḥnûn le trouve illicite comme tout cela a été rapporté, d'après lui, plus haut. En effet, Mâlik a dit, à propos de l'enseignement de la poésie moyennant salaire, : "cela est à mon avis illicite".

Ibn Ḥabîb, quant à lui, dit : "Il n'y a pas d'inconvénient à ce que l'on engage le maître, moyennant salaire, pour assurer l'enseignement de la poésie, de la grammaire, [l'art de rédiger] les épîtres, les Journées des Arabes[313] et les disciplines similaires telle que la science qui étudie les hommes (ᶜlm ar-Rijâl), ceux doués des qualités d'hommes d'honneur.[314] Il n'y a aucun mal à payer une rétribution pour toutes ces disciplines. Cependant, je répugne de la poésie enseignée, étudiée ou transmise aussi bien aux adultes qu'aux enfants en bas-âge, celle qui chante le chauvinisme (ḥamiyya), la débauche (h̲anâ') ou celle qui contient la satire odieuse. En effet, poursuit Ibn al-Ḥabîb : "l'Apôtre [Faveurs et Bénédictions divines sur lui], dans une Tradition d'authenticité bien établie, a dit : "La poésie n'est qu'une parole ; celle qui est saine est belle, celle qui est

---

tions : si cela est stipulé dans le contrat ou si le maître se propose de les enseigner bénévolement. Le système d'enseignement traditionniste d'al-Qâbisî diffère du système rationnaliste d'Ibn Khaldoun.

(311) Voir R. E. I, op. cit., pp. 91-92.

(312) Il est intéressant de noter que, contrairement à la conception arabe qui plaçait la poésie au premier rang des disciplines, Saḥnûn, son fils et al Qâbisî, influencés par certains versets du coran et par certains ḥâdîṯs, la considèrent comme une discipline mineure.

(313) Ayyâm alᶜarab (litt. jours des Arabes), c'est-à-dire les récits de leurs batailles. Voir E I, I, 222.

(314) Murû'a = qualité spécifique de l'homme parfait, de l'homme d'honneur.

relative à la prière et des obligations qui s'y rattachent. Qu'il leur apprenne aussi la prière des morts et les invocations sur les dépouilles,[302] car cela fait partie de leur religion. Il doit aussi leur apprendre la Sunna relative à la prière tels que les deux inclinations (rakᶜa-s) de la prière de l'aube, le Witr,[303] la prière des deux fêtes,[304] des rogations (istisqâ'),[305] de l'éclipse (ẖusûf),[306] de façon à leur enseigner leur religion par laquelle se manifeste l'adoration de Dieu, ainsi que la sunna de leur prophète. Qu'il prenne soin de leur enseigner les invocations à Dieu[307] pour qu'ils aspirent à Lui ; qu'il leur apprenne Sa grandeur et Sa Majesté pour qu'ils grandissent dans cet (état d'esprit). Lorsque les gens souffrent de la disette et que l'Imâm leur fait faire des rogations pour la pluie, je considère comme recommandable que le maître emmène ceux d'entre eux qui savent faire la prière[308] s'humilier devant Allah (Puissant et Glorieux) et Lui manifester leur ferveur. En effet, j'ai appris que les membres de l'entourage de Jonas, que le salut soit sur lui, lorsqu'ils virent approcher le châtiment, emmenèrent leurs enfants manifester avec eux leur soumission à Dieu. Alors, Allah les épargna.[309]

Il est bon aussi qu'il leur enseigne le calcul,[310] mais cela ne cons-

---

aide et Ton pardon ; nous croyons en Toi ; nous plaçons notre confiance en Toi ; nous Te sommes humblement soumis ; nous répudions toute autre religion que l'Islam ; nous nous écartons de ceux qui ne croient pas en Toi ; Ô mon Dieu c'est Toi que nous adorons, c'est pour Toi que nous prions et nous prosternons ; c'est vers Toi que nous dirigeons nos aspirations empressées. Nous espérons Ta miséricorde et craignons Ton rude châtiment. Certes, Ton châtiment atteindra les infidèles."

(301) La prière du Ṣubḥ c'est du point du jour (fajr) ; elle est considérée comme la prière centrale. (Voir Risâla p. 51).

(302) Risâla, chap. XXII, p. 114 sqq.

(303) Le Witr est une prosternation surérogatoire unique (Risâla, p. 71).

(304) Il s'agit de la fête des Sacrifices (ᶜîd al aḍḥâ ou ᶜîd al-kabîr) et du ᶜîd aṣ-Ṣagîr ; Voir Risâla, p. 98 sqq.

(305) Voir Risâla, p. 103.

(306) Voir Risâla, p. 101.

(307) Voir Risâla, p. 315 sqq.

(308) Il faut lire comme l'a établi G. Lecomte "'an yaẖruja biman yaᶜrifu-ṣ-Ṣalâta minhum liyabtahilû.

(309) Voir R. E. I, texte de G. Lecomte, pp. 94-96.

(310) A l'exemple d'Ibn Saḥnûn, al-Qâbisî classe les disciplines d'après une échelle de valeur. Il commence par citer le Coran et l'écriture. Quant au calcul et aux autres disciplines auxquelles Ibn Khaldoun, dans ses Prolégomènes, attache une importance capitale, le maître peut les enseigner selon Al-Qâbisî à deux condi- →

autre lecteur dans la mesure où sa leçon n'est pas considérée comme détestable. Il n'y a pas d'inconvénient à ce qu'il leur enseigne des sermons (ḫuṭab), s'ils en manifestent le désir. Il leur apprendra aussi les bonnes manières (al-'adab), car ceci fait partie de ses obligations envers Dieu, des bons conseils à leur donner ainsi que de la protection et de la garde qui leur sont dûes. Il est bon qu'il impose la Prière aux élèves à partir de sept ans et qu'il leur inflige des sanctions corporelles pour les y obliger s'ils ont dix ans. C'est ainsi que Mâlik a dit et cela m'est rapporté par ᶜAbd ar-Raḥmân : "Les enfants de dix ans auront la bastonnade [s'ils ne font pas la prière] et on ne les laissera pas coucher ensemble." Muḥammad Ibn Saḥnûn ajoute : "A ma question : "Les garçons aussi bien que les filles ?", il m'a répondu affirmativement".

Poursuivant ses remarques, Ibn Saḥnûn dit : "Il doit leur apprendre l'ablution et la prière – car c'est pour eux d'obligation religieuse, le nombre d'inclinations (rukûᶜ)(291) et de prosternations (suǧûd),(292) ce que l'on doit réciter à ce moment là,(293) l'évocation de la grandeur de Dieu (Takbîr),(294) la manière de se tenir en station assise (julûs),(295) comment pratiquer l'introït (iḥrâm)(296) et la salutation (salâm) ;(297) de même, il doit leur enseigner tous les takbîr,(298) ce qu'il faut réciter pendant la prière, le tašahhud,(299) le qunût(300) pendant la prière du ṣubḥ.(301) Cela fait partie de la Sunna

---

reste dans la limite de l'orthodoxie, voire même du conformisme. Il le fait surtout en qualité de Mâlikite convaincu.

(291) Voir Ibn Abî Zayd al Qayrawânî, Risâla, p. 59 pour le nombre d'inclinations.
(292) Ibn Abî Zayd, op. cit., p. 59.
(293) Voir ces formules dans le chapître X décrivant les actes à accomplir dans les prières d'obligation divine, Risâla, p. 55 sqq.
(294) Voir Risâla, p. 61.
(295) Ibid, p. 61.
(296) L'introït ('iḥrâm). "L'Iḥrâm, dans la prière, consiste à dire : Allâhu Akbar. Seule cette formule est suffisante et valable. Le fidèle élèvera pour la prononcer ses deux mains à la hauteur des épaules ou un peu plus bas ; puis il récitera du Coran..." Voir Risâla, p. 57.
(297) Risâla, p. 65.
(298) Pour ces formules, voir Risâla p. 63.
(299) La formule du tašahhud est la suivante : "Les salutations sont destinées à Allah, les œuvres pies sont pour Allah ainsi que les pieuses paroles et les prières. Que le salut soit sur toi Ô Prophète, ainsi que la miséricorde d'Allah et ses bénédictions. Que le salut soit sur nous et sur les bons serviteurs d'Allah. Je témoigne qu'il n'y a d'autre divinité qu'Allah unique et qu'Il n'a point d'associé ; je témoigne que Moḥammad est Son serviteur et Son envoyé." (Risâla, p. 63).
(300) La formule du qunût est la suivante : "Ô mon Dieu, nous Te demandons Ton →

tre par le père de l'élève] pour que le maître lui enseigne la poésie. Ibn al-Qâsim rapporte que Mâlik a dit : "ceci n'est pas louable, à mon avis".[288] Ce qui a été l'objet d'une controverse chez ceux que nous avons cités plus haut, c'est seulement le fait d'octroyer au maître une rétribution à forfait pour d'autres matières que le Coran .

Quant aux matières susceptibles de renforcer [l'étude] du Coran telles que l'écriture et la calligraphie, on ne signale chez eux aucune controverse là-dessus."

Certes, Ibn Saḥûn mentionne que le maître est tenu d'enseigner aux élèves la vocalisation désinentielle (IᶜRâb) du Coran, car ceci constitue pour lui une obligation, la vocalisation interne des mots (aš-šakl), l'orthographe (al-Hijâ), la calligraphie, la bonne lecture avec la science des pauses (tawqîf) et l'articulation lente et précise.[289] Ce sont également des obligations. Il doit leur enseigner celle qu'il connaît des bonnes "lectures" du Coran – c'est-à-dire celle de Nâfiᶜ ;[290] mais il n'y a pas d'inconvénient à les faire lire d'après un

(288) Ce qui est blâmable aux yeux de Mâlik, ce n'est pas la poésie en elle-même, mais le salaire accordé au maître pour l'enseigner. En effet, Ibn Saḥnûn, dans ses "Règles de conduite des maîtres d'école" dit : "La poésie, la science des raretés linguistiques, la langue arabe, la calligraphie, l'ensemble de la grammaire, tout ceci devant être enseigné bénévolement" (R. E. I, op. cit., p. 92). Le Coran a condamné, certes, les poètes ; mais ceux-ci ont occupé une place prépondérante dans l'entourage du Prophète à Médine. Celui-ci les utilisaient comme un moyen de défense et de lutte ; Ḥassân b. Ṯâbit, pour ne citer que lui, est considéré comme le chantre de l'Apôtre. A propos de la poésie, Ibn 'Abî Zayd al-Qayrawânî, dans son "épître sur les éléments du dogme et la loi de l'Islâm selon le rite mâlikite" dit : "Il n'y a pas de mal à réciter des vers. En réciter en petite quantité est préférable et il ne faut pas en abuser ni en faire son occupation principale. La meilleure des sciences, la plus méritoire est celle qui rapproche le plus d'Allâh, c'est celle de la religion d'Allâh et de ses préceptes, contenant ce qu'il a ordonné et défendu, ce à quoi il a invité et ce qu'il a incité à faire dans son Livre et par la bouche de son Prophète." Et Ibn Abî Zayd d'ajouter un peu plus loin : "La science est un guide qui conduit au bien. Recourir au Livre d'Allah, Puissant et glorieux, et à la Sunna de son Prophète et des compagnons... C'est assurer son salut." C'est cette même impression qu'on recueille de la lecture de l'ouvrage d'al-qâbisî.

(289) Tartîl : articulation lente, nette et précise du texte coranique ; Voir Ibn Manḏûr, Lisân al-ᶜarab, XIII, 281 ; R. E. I, op. cit., p. 92.

(290) Nâfiᶜ : Un des 7 lecteurs. D'une famille originaire d'Ispahan, né à Médine et mort dans cette ville en 169/785. Pour disciples, il eut entre autres l'Imâm Mâlik, le grammairien de Baṣṣora al 'Aṣmaᶜî, le grammairien lecteur de ce même centre AbouᶜAmr b. al-ᶜalâ, warch mort en Egypte en 197/812 et Qâloun mort avant 220/835 qui mit son système par écrit. Le système de lecture de Nâfiᶜ s'est imposé tout d'abord à Médine ; sur Nâfiᶜ voir Blachère, Introduction, pp. 108, 118 sq., 121 etc... En retenant sans hésitation la lecture coranique de Nâfiᶜ, Al Qâbisî ..

ble de vendre les livres de fiqh (jurisprudence) ; il s'en suit que la rémunération accordée pour enseigner les farâ'iḍ ne me plaît pas ; le fait de stipuler un salaire pour cet enseignement est encore plus blâmable."

Quant à Ibn Saḥnûn, il a mentionné dans son ouvrage(285) que Mâlik a dit : "Ce n'est pas licite, à mon avis, de louer les services de celui qui enseigne le fiqh et les farâ'iḍ.

Comme Ibn Saḥnûn disait à son père : "certains savants andalous rapportent qu'il n'y a pas d'inconvénient à rétribuer l'enseignement de la jurisprudence (al fiqh), des obligations d'institutions divine (al farâ'iḍ), de la poésie et de la grammaire, tout ceci étant analogue au coran", Saḥnûn a répondu : "Mâlik et nos docteurs considèrent cela comme repréhensible. Comment cela peut-il être assimilé au coran, alors que celui-ci possède une limite où il aboutit, tandis que les matières que tu viens de citer n'en ont point ? ce sont là des choses dont on ignore la nature exacte. Le fiqh et la science sont sujets à controverse, tandis que le coran est la vérité dont on ne peut douter. toute la matière juridique ne peut être connue par cœur, contrairement au coran : elle ne lui est donc pas assimilable et n'a pas de limite, ni de borne auxquelles elle aboutit.(286)

Ibn Ḥabîb a dit : "Ayant demandé à 'Asbaġ(287) : "Comment pouvez-vous permettre de stipuler un salaire pour l'enseignement de la poésie, de la grammaire et de l'art épistolaire, si vous ne fixez pas pour cela un terme, vu que cet enseignement n'a pas de limite précise à laquelle il aboutit ?", il m'a répondu : "L'enseignement de ces matières est considéré chez nous comme l'art d'embaumer les morts (ḥinâṭa) et celui de faire du pain. En effet, Mâlik permet de stipuler un salaire pour enseigner l'art d'embaumer les morts, celui de boulanger la farine et d'autres métiers de ce genre. Lorsque [l'élève] parvient au même degré d'instruction atteint par des gens versés en ces matières, il est tenu de payer un salaire adéquat."

'Abû-l-Ḥasan poursuit : "A propos du louage [du service du maî-

---

(285) Il s'agit de l'épître " 'Âdâb al-Mu-ᶜallimîn", Règles de conduite des maîtres d'école" éditée à la fin de l'ouvrage "at-tarbiya fi-l-islâm" de Aḥmad Fouâd al-'ahwânî, Le Caire 1955, et traduit par G. Lecomte in R. E. I, année 1953.

(286) cf. R. E. I., op. cit., p. 105.

(287) Aṣbaġ (ibn al Faraj b. Saᶜîd b. Nâfiᶜ), un des plus grands jurisconsultes mâlikites Egyptiens. C'était aussi le scribe d'Ibn Wahb. Il mourut en 225/840. Voir Ziriklî, T I, p. 336 ; De Slane, Prolégomènes d'Ibn Khaldoun, éd. Paul geuthner, Paris 1938, T 3, p. p. 19.

piété ne requiert pas du maître une rude tâche et un souci constant. De même, lorsqu'un mécréant va voir un musulman pour lui demander de lui enseigner l'Islamisme, ce dernier est tenu de le faire sans exiger de lui un salaire. Qu'il lui enseigne alors [les prescriptions légales] grâce auxquelles il se fait musulman telles la Šahâda[280] (ou parole sacramentelle musulmane) et la description des obligations d'institution divine (Furûḍ). Qu'il lui annonce l'obligation de faire chaque jour, entre le matin et le soir, cinq prières en étant purifié, qu'il attire son attention sur le nombre d'inclinations (Rakᶜa-s) dans chaque prière et qu'il lui montre comment s'incliner et prier.

Si ce nouveau converti ne trouve pas une autre personne pour lui enseigner la Prédication, le musulman, mis à l'épreuve, est obligé de lui apprendre "la Liminaire"[281] pour qu'il la récite dans ses prières et ne touchera de lui aucun salaire pour tout cela. Ce nouveau converti à l'Islam ira, par la suite, apprendre ce dont il a besoin, outre les actes ayant le caractère d'obligation légale qu'il doit accomplir quotidiennement.[282] Il se trouvera, de ce fait, dans la même condition que ceux ayant les moyens de payer leurs études. En définitive, ce que les Docteurs ont permis d'enseigner, moyennant salaire, ce sont le coran et l'écriture et il n'y a pas de controverse là-dessus entre ceux qui considèrent comme licite de rétribuer l'enseignement.

Quant à la jurusprudence et aux obligations d'institution divine (farâ'iḍ),[283] comme on demandait à Ibn al Qâsim[284] d'émettre son avis sur celui qui engage quelqu'un en vue de les enseigner à son enfant, il répondit : "Je n'ai rien entendu de la bouche de Mâlik concernant cette question, sauf qu'il a considéré comme répréhensi-

---

(280) Aš-Šahâda = Parole sacramentelle musulmane par laquelle on atteste qu'il n'y a pas d'autre divinité qu'Allah et que Moḥammad est Son Prophète. Pour plus amples détails, voir Risâla, pp. 18-20. Furûḍ, singulier Farḍ "obligation d'institution divine" ; mais Farḍ, pl. Farâ'iḍ est un terme qui désigne la répartition des biens successorieux. Voir Risâla.

(281) Umm al Qur'ân : titre qui désigne la Liminaire, sourate qui ouvre le Livre.

(282) Ici allusion à d'autres pratiques religieuses tels que le jeûne, la Zakât, le Pélerinage etc... Voir Risâla d'Ibn Abî Zayd.

(283) Sur les farâ'iḍ, voir Risâla, p. 286 sqq.

(284) Ibn al-qâsim (ᶜAbdarraḥmân) mort en 191 H/809 J.C. ; disciple de Mâlik dont il vulgarisa l'enseignement en Afrique du Nord par l'intermédiaire de son disciple Saḥnûn. Auteur du Kitâb al-Mudawwana recueil de "responsa" de Ibn al-Qâsim aux questions juridiques que lui posa Asad Ibn al-Fourât. Sur ces trois personnages célèbres, cf. Al-Mâliki, Riyâḍ an-Nufûs, éd. 1951. T 1, p. Voir sur Ibn al Qâsim (ʾAbû ᶜAbd Allâh ᶜAbd al-Raḥmân b. al-Qâsim alᶜutâqî) E I, II, 416-417

le caractère d'obligation légale, qu'il l'ait stipulée ou non. C'est là l'avis des savants de notre pays en ce qui concerne les maîtres d'école."[275]

'Al-Ḥâriṯ rapporte ceci, d'après Ibn Wahb : "comme on demandait à Mâlik : "Doit-on stipuler un salaire déterminé en confiant un enfant au maître pour lui enseigner le tiers du coran ?", il répondit : "je n'y vois aucun inconvénient".

'Abû-l-Ḥasan dit : "J'ai rencontré dans mes anciennes lectures un récit recueilli par Mûsa ibn Muᶜâwiya[276] de la bouche de Maᶜn ibn ᶜîsa[277] qui rapporte ceci : "un homme est allé voir Mâlik en disant : "j'ai enseigné à quelqu'un une sourate moyennant salaire". Mâlik lui a répondu : "Je n'y vois aucun inconvénient".

'Abû-l-Ḥasan remarque : "Enseigner par cœur une sourate à un élève, cela exige un effort épuisant et un soin attentif ; il est donc loisible de la lui enseigner moyennant une rétribution."

On rapporte aussi que ᶜAlî ibn Abî Ṭâlib[278] a dit : "Il n'y a pas de mal à ce que quelqu'un reçoive d'un autre un salaire pour l'enseignement du coran ; mais il ne lui est pas permis d'accepter ce salaire s'il lui dit : "Enseigne-moi cette lettre alphabétique,[279] moyennant salaire", car la lettre est quelque chose de facile. De même lorsqu'un homme, désireux de connaître l'Islam, dit à un autre : "Enseigne-moi cette religion." et l'autre lui répond : "Accorde-moi pour te l'enseigner un salaire", ce salaire, aussi, est illicite et abhorré.

'Abû-l-Ḥasan poursuit : "Ces exemples te démontrent que le maître est tenu d'enseigner la piété à celui qui l'ignore si cela s'impose d'une façon urgente à condition que cet enseignement de la

---

comme il ressort des traités de fiqh abordant la question de l'enseignement et en particulier de celui d'Ibn Saḥnûn. Gérard Lecomte présente une liste exhaustive des ḫitma consacrées par la pratique à Tunis (p. 84). D'ailleurs, comme le remarque G. Lecomte, le mot Ḫitma a aussi le sens dérivé du premier, c-à-d celui de "rétribution correspondant au passage enseigné".

(275) Voir G. Lecomte, R E I, op. cit., pp. 84-85.

(276) Mûsa ibn Muᶜâwiya as-Ṣumâdiḥî, jurisconsulte et traditionniste célèbre de l'Ifriqiya ; entreprit un voyage d'études en Orient à Médine, Kûfa et Baṣra où il fut l'élève d'éminents doctes. Revint à Kairouan où il mourut en 225 H. Voir Abû l-ᶜArab "Tabaqât" éd. Tunis, 1968, p. 106.

(277) Maᶜn ibn ᶜIsâ (mort en 198), disciple et compagnon de Mâlik ; Voir, E I, IV, 22.

(278) ᶜAlî b. Abî Ṭâlib (mort en 40/661), cousin du Prophète et un des adeptes du début de la prédication, devenu 3e Calife en 35/656. Voir E I, I, 285.

(279) Al-Ḥarf (Lettre alphabétique) a aussi le sens de lecture coranique ; Voir Blachère, Introduction, op. cit., p. 124.

celle de leur contenu ; car ce contenu existe toujours ; il n'est ni recherché exclusivement pour une personne particulière, ni caché, ni inaccessible à qui que ce soit ; il n'est pas, non plus, l'apanage du vendeur des exemplaires coraniques à l'exception de l'acquéreur. De même, le salaire accordé pour l'enseignement de leur contenu n'est qu'une rétribution à forfait donnée au maître parce qu'il a veillé constamment sur son élève, et a pris place pour se consacrer uniquement à son instruction. Quelques uns parmi les guides de cette religion ont, certes, enseigné l'écriture et le coran sans y voir aucun inconvénient. On n'a pas jugé inconvenable qu'ils le fassent.

'Abû-l-Ḥasan dit : "Ibn Ḥabîb veut dire dans sa parole suivante : "Les exemplaires du coran sont devenus accessibles [à tous], non dérobés au regard et non défendus", que quiconque a voulu les acheter ou les transcrire a pu le faire. S'il en est ainsi et si celui qui désire apprendre le coran sous la conduite des maîtres d'école, trouve cet enseignement fréquent, non donné en cachette et non défendu, lorsqu'il paye, en échange, une rétribution à forfait tout comme il accorde un prix pour se procurer ce qui est licitement achetable des exemplaires coraniques, il pourra de même louer les services licitement rémunérables du maître telles que sa sollicitude à son égard et ses efforts dans sa tâche. Toutes ces considérations conformes à ce que je t'ai explicité précédemment, se corroborent et rendent licite d'attribuer au maître une rétribution à forfait pour l'enseignement du coran. Elles lui permettent légalement d'accepter la rémunération pour cette tâche, sans que ceci lui porte un préjudice quelconque à condition de satisfaire à toutes les conditions exigées dans l'enseignement. Certes, je t'ai déjà cité les propos de Mâlik rapportés d'après tous ceux qui, de son vivant, ont considéré comme licite le salaire des maîtres d'école.

Saḥnûn rapporte d'après Ibn Wahb que Mâlik a dit : "Il n'y a aucun inconvénient dans le salaire que le maître perçoit pour enseigner le coran ; s'il stipule un salaire, ce salaire sera de nature licite et licitement acquis. Il n'y a aucun inconvénient à stipuler une rémunération pour cet enseignement, et le paiement de la rétribution correspondant à une ḫitma(274) constitue pour le maître un droit ayant

(274) Ḫitma (ou Ḫatma), ce terme technique, glosé par G. Lecomte (R.E.I, 1953, pp. 84-85), désigne aussi bien "la récitation du coran du début à la fin" (E I, II, 985), (L.A. XV, 54) que "la récitation d'une partie bien déterminée du Coran" →

arme qui aide à combattre. On peut admettre, aussi, que celui qui en a fait présent n'est pas apte à combattre et, par conséquent, le maître a pensé pouvoir accepter l'arc afin de s'en servir au combat pour la cause de Dieu. Le maître a pris l'arc en se proposant de consulter, à son sujet, l'Envoyé de Dieu [Faveurs et Bénédictions divines sur lui], comme cela a été mentionné dans le ḥadîṯ par Abû Dâwûd. Le prophète lui a dit alors : "Si tu as envie qu'on te mette un collier de feu [dans l'au-delà], accepte donc cet arc". Il lui a présenté le châtiment qu'entraîne le fait d'accepter l'arc comme étant semblable à celui prédit à quiconque s'empare injustement des patrimoines des orphelins dans le verset suivant : "Il avalent seulement du feu dans leur ventre." L'arc ne se consomme pas ; on le suspend seulement au cou et entre les épaules car il sert de guirlande. En effet, l'Envoyé de Dieu a estimé que le maître, en s'emparant de l'arc, a commis une injustice envers le donateur ; ce dernier n'est pas tenu légalement de le lui remettre, vu que l'enseignement lui a été assuré à titre d'aumône légale (Ṣadaqa). D'autre part, il est de ceux à qui il n'est pas recommandé de faire des donations.

L'autre signification aussi de la Tradition en question est probablement comme l'a fournie Ibn Ḥabîb,[273] après avoir rapporté le récit de l'arc.

La seule façon d'interpréter cette prohibition et de comprendre ce ḥadîṯ est que [le récit de l'arc] eut lieu au début de l'Islam à l'époque où le coran, encore rare dans les poitrines des hommes, n'était pas largement diffusé dans la masse. Le fait de toucher un salaire pour l'enseigner était considéré, à cette époque et dans une telle situation, comme le prix du coran. Mais, lorsqu'il fut propagé parmi les fidèles et que ceux-ci l'eurent fixé dans des corpus devenus accessibles à l'analphabète, au savant, au lecteur et à d'autres, non dérobés au regard ni défendus, ni recherchés pour certains à l'exception d'autres, ni l'apanage d'un seul groupe, ce salaire ne fut pas considéré comme le prix du coran, mais seulement comme une rétribution accordée en contrepartie de l'effort corporel de celui qui se charge de l'enseigner. De même, la vente des exemplaires du coran n'est qu'une vente des parchemins, de l'écriture et du travail et non

---

(273) Ibn Ḥabîb (Abû Marwân ᶜAbd Al-Malik b. Ḥabîb al-Sulamî)/174-238 H = 790-825 J.C./ ; célèbre jurisconsulte arabe d'Andalousie, il étudia à Elvire et à Cordoue, entreprit ensuite le pélerinage de la Mekke et entré, à Médine, en contact avec l'école Mâlikite, qu'il fit ensuite connaître en Espagne ; auteur de plusieurs ouvrages dont un commentaire du Muwaṭṭâ' de Mâlik. Voir E I, II, 402-403.

je m'en servirai au combat pour la cause d'Allah ; certes j'irai chez l'Envoyé de Dieu [Faveurs et Bénédictions divines sur lui] et lui demanderai son avis. "M'étant présenté devant lui, j'ai dit : "Ô Envoyé de Dieu, quelqu'un parmi ceux à qui j'enseigne le Livre et l'écriture, m'a offert un arc ; cet arc n'est pas de l'argent et je l'utiliserai pour tirer des flèches dans la guerre sainte." L'Apôtre a répliqué : "Si tu as envie d'avoir un collier de feu [dans l'au-delà], accepte-le".

Abû Dawûd – avec la chaîne de garants suivante : ᶜOmar b. ᶜOṯmân,[266] Koṯayr b. ᶜObayd,[267] Maᶜbad,[268] Bišr b. ᶜAbd Allah B. Baššâr,[269] ᶜAmr,[270] ᶜObâda b. Nasiy, Jonâda b. 'Abî Omayya,[271] ᶜObâda b. aṣ-Ṣâmit[272] – rapporte aussi une Tradition conforme à la précédente ; la première est, cependant, plus complète. ᶜObâda dit : "Ayant demandé au Prophète : "Quelle est votre opinion sur cet arc ?", il a répondu c'est un charbon ardent que tu as mis ou suspendu (selon une autre version) entre les épaules".

'Abû-l-Ḥasan remarque : "ces chaînes d'appui ne peuvent mettre en doute ce qui est prouvé comme licite et possible par des chaînes de garants authentiques. Si l'authenticité de la Tradition concernant l'arc est établie comme elle est rapportée, ici, celle-ci aurait plusieurs significations, entre autres, la suivante : "Le maître en question instruisait [l'homme de la Ṣoffa] pour l'amour de Dieu sans espoir de toucher, en échange, quoi que ce soit des biens de ce monde. Il se peut que cet élève soit considéré comme quelqu'un dont on ne peut accepter de donation même consentie volontairement, sans commettre un acte repréhensible. Le maître s'est rendu compte que l'arc n'est pas un bien, selon ses dires, mais tout simplement une

---

(266) ᶜOmar b. ᶜoṯmân (b. ᶜaffân) ; traditionniste médinois de la première génération. Voir Ibn Saᶜd "Aṭ ṭabaqât al Kubrâ" T V, p. 151.

(267) Kuṯayr b. ᶜubayd. A identifier.

(268) Maᶜbad. a) Maᶜbad b. Ḫâlid al-Johanî, compagnon du Prophète, mort en 72/691. Voir Ziriklî, T VIII, 176. b) Maᶜbad al Johanî al Baṣrî/, traditionniste faisant autorité. Il mourut en 80/699. Voir Ziriklî, T VIII, 177.

(269) Bišr b. ᶜAbd Allah b. Baššâr. A identifier.

(270) ᶜAmr. A identifier.

(271) Jonâda b. Abî Omayya, conquérant arabe de l'époque omaiyade et compagnon du Prophète. Il mourut en 80/699. Ziriklî, T II, p. 136. Voir aussi Ibn Saᶜd "Ṭabaqât", T VII, p. 439.

(272) ᶜObâda b. aṣ-Ṣâmit (b. Qays al Anṣârî al. Ḫazraǧî) : personnage pieux et compagnon du Prophète. Il est né en l'an 38 avant l'H (586 J.C.) et il est mort à Ramla, en Palestine en 34 H (654 J.C.). Voir Ziriklî, T IV, p. 30.

ce, commet un acte repréhensible ; autrement dit, il est nourri parce qu'il le récite et il le fait pour cette raison, non pour en faire profiter un individu quelconque. En revanche, quiconque le récite pour charmer ou instruire n'a d'autre but que d'en faire profiter le charmé et l'élève, moyennant salaire qu'il ne tire pas de sa lecture du coran mais du soin qu'il leur prodigue. Le salaire répréhensible, c'est lorsque le maître est nourri pour avoir tout simplement lu le coran. Il ne l'a lu que pour manger et non pour en faire profiter quelqu'un. Ne vois-tu pas comment il a été dit : "Ne vous affichez pas avec la Prédication et ne l'utilisez pas à des fins de célébrité" ; l'intention des lecteurs dans ces deux cas est de louer leurs services pour l'apparence ; de même que l'intention de l'autre lecteur est d'exploiter le coran afin de se nourrir sans en faire profiter personne.

Quant à l'histoire de l'arc. 'Abû Dawûd a, certes, dit à ce sujet : "Abû Bakr ibn 'abî Šayba(258) – avec la chaîne de garants suivante : Wâki^c,(259) Ḥumayd b. ᶜAbd ar-Raḥmân ar-Ru'âsî,(260) Moġîra b. Ziyâd(261) ᶜObâda b. Nusay,(262) Al Aswad b. Ṯaᶜlaba,(263) ᶜObâda b. aṣ-Ṣâmit(264) – rapporte que ce dernier a dit : "J'ai enseigné le Livre et l'écriture à des gens parmi les habitués de la Ṣoffa.(265) L'un d'entre eux m'ayant offert un arc, j'ai dit : "ceci n'est pas une monnaie ;

(258) Abû Bakr ibn 'abî Šayba : Traditionniste du II° Siècle. Il y a deux Ibn Abî Šayba. Vérifier in Fihrist, Éd. Flügel 2 t en I vol, p. 229, lig. 9 sqq ; Blachère, Introduction, p. 288.

(259) Wakîᶜ (b. al-Ġarrâḥ), traditionniste de coufa mort en 196/812 ; Voir Fihrist, éd. Flügel, Leipzig, 1871-2 ; 2 t en I vol in 4° ; p. 34, lig. 17.

(260) Ḥumayd b. ᶜAbd ar-Raḥmân ar-Ru'âsî. A identifier.

(261) Moġîra b. Ziyâd ; traditionniste ayant séjourné en Mésopotamie. Voir Ibn Saᶜd "Tabaqât" T VII, p. 487.

(262) ᶜUbâda b. Nusay/al Kindî aš Šâmî al Urdunî/cadi de Taberiade et traditionniste digne de foi. Il mourut en 118/736. Voir Ziriklî, T 4, p. 31 ; Ibn Saᶜd "Ṭabaqât" T VII, p. 456.

(263) Al Aswad b. Ṯaᶜlaba (al yurbûᶜî), compagnon du Prophète ; traditionniste. Voir Ibn Saᶜd "Ṭabaqât". T VI, p. 45.

(264) ᶜUbâda b. aṣ-Ṣâmit/Abu-l walîd ᶜubâda b. aṣ-Ṣâmit b. Qays al'Anṣârî al ḫazrajî/ compagnon du Prophète, premier cadi de Palestine. Il rapporta des traditions du prophète et mourut en 34/654. Voir Ziriklî, T 4, p. 30 ; Ibn Saᶜd "Ṭabaqât" T V, p. 387.

(265) Ṣoffa = C'est la banquette en pierre devant une mosquée. Les habitués de la Ṣoffa étaient de pauvres gens attachés à l'islamisme et menant une vie de dévotion et d'ascétisme dans la Mosquée de Médine. Ils passaient, semble-t-il, la nuit à l'entrée de la Mosquée ; beaucoup pensent que l'origine du terme Sûfi (mystique) est dérivé de Soffa ; pour plus de détails voir Albert Nadir "At-Taṣawwuf al-islâmî"... Beyrouth, 1960.

Dieu Puissant et Grand ; dans ce cas, il ne convient pas d'accepter quoi que ce soit, en contrepartie.

'Abû-l-Ḥasan remarque : "La Tradition d'Ibn Wahb[250] te montre clairement que [l'interdiction du salaire pour la récitation coranique] a un fondement dans le Ṣaḥîḥ, comme il en est question dans le Ḥadît de Ḥâriğa, cité précédemment, si on suggère, qu'Ibn Wahb – avec la chaîne de garants suivante : ᶜAmr ibn al-Ḥâriṯ,[251] al-Layṯ ibn Sâad,[252] Solaïman ibn ᶜAbd ar-Raḥmân,[253] al Qâsim ibn 'abî ᶜAbd ar-Raḥmân – rapporte que ce dernier entendit dire qu'un homme, parmi les 'Anṣâr[254] alla trouver le Prophète avec un arc. Ayant aperçu cet arc, le Prophète [Faveurs et Bénédictions divines sur lui] demanda : "d'où as-tu tiré cet arc ?" ; l'homme lui répondit : "Quelqu'un m'ayant prié de réciter le coran me le donna". Le Prophète répliqua : "Rends-le ! sinon ton salaire [dans l'au-delà] sera un arc de feu" ; puis il ajouta : "Lisez le coran, mais ne le mettez pas à profit pour subvenir à vos besoins ; ne vous affichez pas avec lui et ne l'utilisez pas pour vous rendre célèbres."[255]

'Abû-l-Ḥasan remarque : Quand à la parole de l'Apôtre : "Lisez le coran... jusqu'à la fin du ḥadîṯ", elle ne veut aucunement dire qu'il y a là une invitation à enseigner le coran et à l'utiliser comme formules incantatoires,[256] moyennant salaire ; la signification de cette partie authentique du ḥadîṯ est plutôt la suivante : "Quiconque ne récite[257] le coran que pour en tirer ses moyens de subsistan-

---

(250) Ibn Wahb/Abû Moḥammad ᶜAbd Allâh b. Wahb b. Moslim al Fihrî al Miṣrî/ (125-197/743-813) ; Grand jurisconsulte Egyptien, partisan de l'Imâm Mâlik ; c'est aussi un traditionniste qui réunit les hadiṯs. Voir Ziriklî, T IV, p. 289.

(251) ᶜAmr ibn al-Ḥâriṯ/B. Yaᶜqûb Al Anṣârî/ (Abû omaiya) né à Médine en 90/708 ; c'était un savant jurisconsulte et grand traditionniste devenu célèbre en Egypte où il mourut en 147/764. Voir Ziriklî, T V, p. 242.

(252) Al-Layṯ ibn Saᶜd/Abû-l-Ḥâriṯ al (Layṯ b. Saᶜd b. Abd ar-Raḥmân al-Fahmî/ (94-175/713-791) ; savant Egyptien célèbre en son temps comme traditionniste et jurisconsulte. Voir Ziriklî, T VI, p. 115.

(253) Solaïmân ibn ᶜAbd ar-Raḥmân. A identifier.

(254) Al'Anṣâr = nom donné aux croyants de Médine qui recueillirent et protégèrent le Prophète lorsque celui-ci s'enfuit de la Mekke. Voir E I, I, 362-63.

(255) Tradition dans le Ṣaḥîḥ

(256) Dans le chapître de la méditation/licite/, des charmes/ruqâ/etc..., Ibn Abî Zayd al-Qayrawânî dit : "Pas d'inconvénient à pratiquer la cautérisation et à faire des incantations avec des formules tirées du Livre d'Allah ou,/tout au moins/pieuses. On peut également faire usage d'amulettes (maᶜâdha) suspendus au cou et contenant des versets du coran etc... Voir Risâla, pp. 320-321.

(257) Pour la signification des termes QR', qirâ'a, etc... Voir Blachère, Introduction au Coran, p. 103. Précisions intéressantes.

des liens. Les gens donnèrent alors quelque chose à ᶜAbd Allah. Ce dernier alla trouver le Prophète – Faveurs et Bénédictions divines sur lui – et lui en fit part. Le Prophète lui dit : "Mange donc ! Ma foi, quiconque se nourrit par un sortilège est en pure perte ; mais toi, certes, tu t'es nourri en employant une incantation juste."[249]

'Abû-l-Ḥasan remarque : "Cette Tradition correspond à celle citée précédemment d'après le Ṣaḥîḥ ; l'une authentifie l'autre quant au fait d'accepter une rétribution de quiconque tire profit de l'enseignement du Livre de Dieu. Il a été bien montré dans le ḥadîṯ de Abû Saᶜîd al-Ḫidrî que le guérisseur par l'incantation coranique a exigé des Arabes bédoins une rétribution à forfait pour son incantation qui consistait à saliver tout en persévérant dans les soins donnés à l'homme piqué [par un scorpion] jusqu'à ce que Dieu l'eût guéri par Son Livre ; dans cette même Tradition, le Prophète (Faveurs et bénédictions divines sur lui) a dit : "et donnez-m'en à moi aussi une part." Ainsi, ce bénéfice a été mis à l'abri de tous les blâmes ; il n'inspire aucune répugnance et rien ne sert de s'en priver.

Dans la tradition de Ḫâriǧa-'ibn aṣ-Ṣalt tenue de la bouche de son oncle, la famille de l'aliéné a accordé à l'oncle de Ḫâriǧa une donation sans qu'il l'ait stipulée. Celui-ci a mentionné que le Prophète le lui a permis même s'il n'a pas posé de conditions. Il est montré clairement dans la Tradition d'An-Nisâ'î que l'oncle de Ḫâriǧa, ayant refusé la donation, les membres de la tribu de l'aliéné lui dirent : "Demande l'avis du Prophète". Ceci démontre qu'il a employé l'incantation en vue de guérir sans avoir pensé, à priori, en tirer un quelconque bénéfice ; c'est pour cela qu'il n'a pas été empêché de l'accepter. Il n'est pas mentionné dans la Tradition de 'Abû Dâwûd que ᶜAbd Allah a accepté ce que les gens lui ont accordé ; s'il s'est abstenu de prendre leur donation en attendant de consulter le Prophète, on peut admettre – si la Tradition en question s'avère authentique – que la parole de l'Apôtre [Faveurs et Bénédictions divines sur lui] est interprétée comme une autorisation accordée à ᶜAbd Allah d'employer à l'avenir le coran comme formule magique, moyennant salaire, sans que cela l'entraîne dans le péché. Rien n'indique, dans le texte de la Tradition de Ḫâriǧa que son oncle a accepté quoi que ce soit de ce fou, après avoir reçu l'autorisation du Prophète. Et on peut admettre, ainsi, qu'il s'en est abstenu, car il s'est proposé, au début de son incantation, de la faire uniquement pour l'amour de

(249) Voir référence note 246.

ᶜAbd' Allah, ibn' Abî-ṣ-ṣaqr,[243] Aš-Šaᶜbî,[244] Ḫâriğa ibn aṣ-ṣalt,[245] que l'oncle de ce dernier a dit : "Nous venions de chez le Prophète lorsque nous passâmes près d'une tribu d'Arabes bédoins. Ceux-ci demandèrent : "Avez-vous un remède ou quelque formule incantatoire, car nous avons un fou garotté ?" Ensuite ils amenèrent un homme en démence ligoté ; je me mis à lui réciter alors La Préliminaire du Livre (Fâtiḥat al-Kitâb) durant trois jours, matin et soir, tout en récoltant ma salive et en lui en lançant quelques gouttes. On dirait que le malade, tel un garotté, fut délivré de ses liens. Les bédoins m'accordèrent une rétribution à forfait que je refusai ; ils me dirent alors : "Demandez-en l'avis du Prophète (Faveurs et bénédictions divines sur lui) ?" – Et comme je lui demandais son opinion là-dessus, il répondit : "Mange-donc ! Ma foi, quiconque mange par un sortilège le fait injustement ; mais tu as certes mangé en employant une incantation juste."[246]

'Abû Dâwûd as-Siğistânî[247] – avec la chaîne de garants suivante : ᶜAbd Allah ibn Muᶜâd,[248] Šûᶜba avec sa chaîne d'autorité suivante : Ḫâriğa ibn aṣ-ṣalt, ᶜAbd Allah – dit : "on nous rapporta que ce dernier passa près d'un groupe de gens ; ceux-ci allèrent le trouver et dirent : "Tu es venu porteur de Bien de chez cet homme ; guérisnous donc l'homme que voici, par tes formules incantatoires. Ce disant, ils lui amenèrent un fou garotté. ᶜAbd Allah se mit à lui réciter, comme formule incantatoire de guérison, la Préléminaire du coran ('Omm'al qor'ân) durant trois jours, matin et soir ; chaque fois qu'il acheva de la réciter, il récolta sa salive et lui en lança quelques gouttes ; on eut l'impression que le fou fut retiré promptement

---

pseudonyme de gondor. Traditionniste de Basra et homme pieux, mort en 193/809. Voir Ziriklî, T VI, p. 295.

(243) ᶜAbd Allah ibn Abî-s-ṣaqr. A identifier.

(244) Aš-Šaᶜbi/Abû ᶜÂmir b. Šarâḥil b. ᶜAmr Aš-Šaᶜbi/Voir note 240.

(245) Ḫâriğa ibn aṣ-Ṣalt ; traditionniste de Kûfa de la première génération après les compagnons du Prophète ; il transmit quelques ḥadît-s d'après ᶜAbd-Allah ibn ᶜûd. Voir Ibn Saᶜd "Tabaqât", T VI, p. 197.

(246) Hadith dans le Ṣaḥîḥ.

(247) Abû Dâwûd as-Siğistânî (Abû Dâwûd Sulaimân b. Al-Ašᶜaṯ al-'Azdî as-Siğistânî), né en 202/817, entreprit pendant sa jeunesse de longs voyages de recherche du ḥadîṯ. Il eut pour maître à Bağdâd l'Imâm Aḥmed b. Ḥanbal ; dans la suite, il se fixa définitivement à Baṣra, où il mourut en 275/888 ; l'œuvre principale d'Abû Dâwûd est un recueil de traditions, connu sous le titre générique de "Kitâb al-Sunan". Voir E I, I, 85.

(248) ᶜAbd Allah ibn Muᶜâd. A identifier.

que vous ne nous aurez pas fixé une rétribution à forfait." Les bédoins, après entente, acceptèrent de donner un certain nombre de moutons. Le sorcier se rendit auprès du malade et, après lui avoir lancé quelques gouttes de salive, il récita ces mots du coran : "Louange à Dieu, le Maître des mondes." Le malade, semblable à quelqu'un de garotté qu'on vient de délivrer de ses liens, se mit aussitôt à marcher sans éprouver la moindre douleur. Les bédoins, ayant aussitôt payé la rétribution dont on était convenu, l'un des compagnons du Prophète dit : "Partageons". – Non, répondit le sorcier, ne partageons pas tant que nous ne serons pas revenus auprès du Prophète. Alors, nous lui raconterons ce qui s'est passé et nous verrons ce qu'il nous ordonnera de faire." Quand ils furent de retour auprès de l'Envoyé de Dieu et qu'ils lui racontèrent ce qui s'était passé, il s'écria : "Qui vous dit qu'il y a eu là un acte de sorcellerie ?" Et, un instant après, il ajouta : "C'est de bonne prise, partagez donc ces moutons et donnez-m'en à moi aussi une part." Ce disant, le Prophète se mit à rire."(235)

El Boḫâri(236) rapporte d'après Ibn ᶜAbbâs que le Prophète a dit : "La chose pour laquelle vous méritez le plus de percevoir un salaire, c'est le Livre de Dieu."(237) El Boḫâri rapporte qu'al-Ḥakam(238) a dit : "je n'ai entendu personne réprouver qu'on donnât un salaire au maître."(239)

Eš-Šaᶜbî(240) a dit : "Le maître ne doit pas stipuler un salaire. Toutefois, si on lui donne quelque chose, qu'il l'accepte." Al-Ḥasan donna dix dirhems.

Quant à An-Nisâ'î, il a rapporté, d'après la chaîne de garants suivante : ᶜAmr ibn ᶜAlî(241) Moḥammad ibn ǧaᶜfar(242), Šuᶜba,

---

(235) El Bokhârî "les Traditions Islamiques", op. cit., T 2, Titre XXXVII (Du Salariat), chapître XVI, pp. 70-71.

(236) El Bokhârî (mort en 256/870), auteur du Saḥîḥ (L'Authentique), recueil de Traditions comprenant aussi un long chapître où s'entassent des données exégétiques sur le Coran ; voir aussi Blachère, Introduction au Coran, op. cit., p. 228.

(237) El Bokhârî "Les Traditions Islamiques", op. cit., II, 69.

(238) Al Ḥakam/b. ᶜAmr b. Mojaddi 'al ǧaffârî/compagnon du Prophète, transmetteur de ḥadîṯs ; Al Bokhârî lui cite plusieurs traditions. Il mourut à Merv en l'an 50/670. Voir Ziriklî, II, 296.

(239) El Bokhârî, II, 69-70.

(240) Aš-Šaᶜbî/Abû ᶜâmir B. Šarâḥîl B. ᶜAmr aš-šaᶜbî, traditionniste et l'un des nombreux arabes du sud qui prirent de l'importance au début de l'Islam. Il mourut peu avant 110/728. Voir E I, IV, 252.

(241) ᶜAmr ibn ᶜAlî. A identifier.

(242) Moḥammad ibn Ǧaᶜfar Abû ᶜAbd Allah Moḥammad b. Jâᶜfar connu sous le →

considère ce salaire comme licite sans conditions, fait-il cette distinction ? Celui-ci répugne-t-il la rétribution lorsqu'elle est exigée de droit, tout simplement parce que le maître l'accepte en échange de son enseignement coranique alors qu'il est tenu d'enseigner le Coran pour l'amour de Dieu ? Ne reviendrait-il pas au même s'il acceptait le salaire sans le solliciter. Ne s'agit-il pas, en quelque sorte, d'une stipulation, quand quelqu'un sait d'avance qu'on lui attribuera un salaire ? Si le fait d'instruire est placé au même degré que les aumônes légales (Ṣadaqât) par lesquelles on ne cherche qu'à plaire à Dieu, est-il louable d'accepter, en échange, quoi que ce soit ? Ceci ne convient pas. Toutefois, le salaire accepté en contrepartie de l'enseignement du Coran ne veut pas dire qu'il est une compensation quelconque, reçue en échange des passages coraniques inculqués ; mais que c'est plutôt un salaire pour le zèle que le maître met dans son enseignement et pour les efforts assidus qu'il y dépense, selon les indications précédentes. Ce qui est fait seulement pour l'amour de Dieu, on ne peut le faire, légalement, pour d'autres buts qui sont atteints dans ce bas-monde ; à moins que cela ne vise autre chose qu'une compensation de ce même acte qui n'est voué qu'à Dieu.

Il est rapporté dans le Ṣaḥîḥ qu'Abû Saᶜîd 'al-H̱idrî(234) a dit, dans une de ses traditions : "Quelques uns des compagnons du Prophète (Faveurs et bénédictions divines sur lui) étaient partis pour une expédition. Un soir qu'ils venaient de camper près d'une tribu d'Arabes bédoins, ils demandèrent l'hospitalité, mais on refusa de la leur accorder. Comme le chef de cette tribu avait été piqué [par un scorpion] et qu'on avait vainement tout essayé pour le guérir, un des bédoins dit : "Si vous alliez trouver ces gens qui viennent de camper, peut-être que l'un d'eux aurait quelque remède à donner !" On alla trouver les compagnons du Prophète et on leur dit : "Ô gens ! notre chef vient d'être piqué [par un scorpion] et nous avons vainement tout essayé pour le guérir. Quelqu'un d'entre vous aurait-il quelque remède à nous donner. – Oui, répondit l'un des compagnons du prophète ; par Dieu ! je suis sorcier ; mais puisque nous vous avons demandé l'hospitalité et que vous nous l'avez refusée, par Dieu ! je ne pratiquerai aucun sortilège pour vous tant

---

(234) 'Abû Saᶜîd 'al-H̱idrî/Abû Saᶜîd Saᶜd b. Mâlik b. Sinân al H̱idrî al-Anṣârî al H̱azraǧî/ (10 avant l'H - 74 H/613-693 J.-C.) ; compagnon du Prophète et rapporteur de ḥadîṯs. Voir Ziriklî, T 3, p. 138.

tres, qu'allons-nous devenir, nous autres ?"

Les propos suivants d'Ibn Saḥnûn consolident le contenu de cette tradition tenue de Mâlik. Ibn Saḥnûn dit : "On nous rapporte d'après Sofyân at-Ṯawrî[228], AlᶜAlâ' ibn as-Sâ-'ib[229] qu'Ibn Masᶜoud a dit : "Trois choses sont indispensables aux gens : Il leur faut un prince pour faire régner la justice parmi eux, sans quoi ils se dévoreraient les uns les autres ; ils ne peuvent se passer de l'achat et de la vente des exemplaires du Coran, sans quoi le Livre de Dieu deviendrait vain ; enfin, il leur faut un maître pour instruire leurs enfants moyennant salaire, sans quoi ils sombreraient dans l'analphabétisme."[230] Saḥnûn[231] veut dire : "N'eussent été les exemplaires du Livre, les Musulmans oublieraient le Coran. Tout ceci corrobore pour toi ma parole suivante : "[Attendre que quelqu'un s'engage bénévolement à enseigner aux enfants la Prédication] conduirait nécessairement à la disparition du Coran des poitrines."

Pour montrer qu'il est permis d'accepter la rétribution, qu'elle soit stipulée ou non, un grand nombre de nos docteurs se sont servis des arguments suivants : "Les gens ont mis la rétribution en pratique, l'ont regardée comme licite et ont attribué cela à ᶜAṭâ' ibn 'Abî Rabâḥ,[232] à Ḥasan al Baṣrî,[233] et à tant d'autres savants et pieux. Pourquoi celui qui prétend répugner la stipulation du salaire mais

---

(228) Sofyân at-Ṯawrî (Abû ᶜAbd Allâh Sofyân b. Saᶜîd (Saᶜd d'après certains) b. Masrûq at-ṯawrî al Kûfî), célèbre théologien, traditionniste et ascète du deuxième siècle del'H. Il mourut en 161 (778) à l'âgede 64 ans. Il jouissait d'une autorité extraordinaire. Il était stricte partisan de ahl al-ḥadîṯ ; il dut se cacher à plusieurs reprises pour échapper aux autorités en Irâq. Voir E I. T IV, p. 523 sq.

(229) Al-ᶜAlâ ibn as-Sâ'ib. À identifier.

(230) Voir ce texte avec quelques variantes in Al Ahwânî "Risâla fi 'âdâb al-Muᶜallimîn d'Ibn Saḥnûn", p. 352 ; Gérard Lecomte, Le Livre des Règles de conduite des Maîtres d'Ecole, par Ibn Saḥnûn, R. E. I, Année 1953,p. 83.

(231) Saḥnûn (ᶜAbdus-Salâm b. Saᶜîd at-Tannûḫî)/m. 240/854/Voir E I, T IV, 66.

(232) ᶜAṭâ 'ibn 'Abî Rabâḥ, célèbre traditionniste arabe mort en 114 ou 115. (732-733) à l'âge de 85 ans. Voir E I, I, 512.

(233) Ḥasan de Bassora : célèbre ascète mort en 110 h/728 j.c. ; "il prêchait la pauvreté, la vie simple et vertueuse, le dégoût de la richesse, l'accomplissement des bonnes actions afin de gagner le paradis, la préparation au jugement dernier." C'était aussi un orateur populaire tenant à la fois de l'ascète et du qâṣṣ (conteur populaire). Sur cette importante personnalité, Voir (Ibn Ḫallikân "wafayât al'aᶜyân, 6 vol., Le Caire, 1948-1949, Tome 1, 227) ; E I, 1° éd., II, 290 ; Massignon, "Essai sur les origines du lexique technique de la mystique arabe, Paris, Vrin, 1954, pp. 174-201 ; ch. Pellat" Le Milieu Basrien et la formation de Ǧâhiz, Paris, 1953, pp. 82, 95, 97, 98.

perçoivent." Ibn Wahb rapporte dans son Muwaṭṭa',(225) d'après ᶜAbd al-Ġabbâr ibn ᶜOmar(226) que ce dernier a dit : "Tous ceux que j'ai consulté à Médine, ne voient aucun inconvénient à ce que les maîtres enseignent moyennant une rétribution." Le même Al-Ḥâriṯ rapporte de la bouche d'Ibn Wahb ceci : "comme on demandait l'avis de Mâlik sur un homme qui engage quelqu'un, moyennant vingt dinars, pour enseigner le Coran et l'écriture à son enfant jusqu'à ce qu'il retienne le texte sacré par cœur, il a répondu : "Il n'y a aucun inconvénient à cela même s'il ne fixe pas un délai." Puis Mâlik a ajouté : "Le Coran mérite plus que toute autre chose d'être enseigné, ou selon une autre variante, le Coran [est la chose la plus méritoire] qui a été enseignée.

Ibn Wahb rapporte, dans son Muwaṭṭa' : "J'ai entendu Mâlik dire : "Il n'y a pas de mal à accepter un salaire en vue d'enseigner le Coran et l'écriture." Ibn Wahb ajoute : "J'ai demandé alors à Mâlik : "Penses-tu qu'il est licite au maître de stipuler, en sus de son salaire pour son enseignement, quoi que ce soit à l'occasion de chaque fête de la rupture du jeûne ou des sacrifices ?." Et Mâlik de répondre : "Il n'y a aucun inconvénient à cela."

'Abû-l-Ḥasan dit : "J'ai rencontré une tradition rapportée d'après Ibn Wahb qui a dit : "J'étais assis auprès de Mâlik lorsqu'un maîte d'école vint le trouver et lui dit : "Ô Abû ᶜAbd Allah ! Je suis un homme chargé d'éduquer les enfants, j'ai perçu [au début] une certaine somme et je n'ai pas voulu alors exiger par contrat [une rémunération]. Par la suite, les clients se sont refusés à me payer ; à présent ils ne me donnent plus autant qu'ils me donnaient avant ; certes, je suis tombé dans la misère avec ma famille et je n'ai pas un autre moyen, à part l'enseignement, [pour subvenir à mes besoins]." Mâlik lui répondit : "Vas poser tes conditions !" et l'homme partit. Certains compagnons de Mâlik apostrophèrent alors ce dernier : "Ô 'Abû ᶜabd Allah ! Lui ordonnes-tu de stipuler un salaire pour l'enseignement ?" – Oui, leur répondit Mâlik ! sinon qui donc corrigera(227) nos enfants ? Qui les éduquera ? Sans maî-

(225) Al-Muwaṭṭa', recueil de traditions et de jurisprudence de Mâlik rapporté par ses élèves.

(226) Abd Al-Ġabbâr ibn ᶜOmar. À identifier.

(227) Maḥaṭa = corriger ; se dit de quelqu'un qui manipule la corde de l'arc pour l'assouplir et l'adapter à l'arc. Mâlik, ici, al-Qâbisî et tous les anciens éducateurs, considèrent l'enfant comme une cire molle que le précepteur façonne à son gré.

tres personnes ne peuvent s'en charger à leur place. Puisque les Guides des croyants ont renoncé à s'occuper de cette tâche dont les musulmans ne peuvent se désister envers leurs enfants ; puisque ces musulmans n'éprouvent de gaîté de cœur qu'en l'accomplissant et qu'ils ont pris l'habitude d'engager un maître en vue de rester assidûment au service de leurs enfants, de prendre soin d'eux selon les règles de conduite appliquées aux élèves ; puisqu'il s'avère invraisemblable que quelqu'un, parmi la communauté, puisse se charger bénévolement d'instruire les enfants des Musulmans, de se consacrer uniquement à eux, de renoncer à chercher des moyens de subsistance, de renoncer également à gérer ses biens et à vaquer à ses autres occupations, il convient par conséquent que les musulmans louent les services d'une personne qui assure l'éducation de leurs enfants, demeure parmi eux, abandonnant toute autre occupation pour se consacrer uniquement à cette tâche.

Ainsi, ce maître assumera, certes, à la place des parents d'élèves, la charge de leur éducation, attirera clairement leur attention sur la droiture, sur ce qui contribue à développer, dans la vertu, leur esprit et épargner du mal leur fortune. Cela nécessite une attention particulière qui engage peu de volontaires. Si on restait à attendre quelqu'un qui, bénévolement, s'engagerait à enseigner aux enfants la Prédication, beaucoup d'entre eux s'égareraient et nombreux seraient ceux qui n'apprendraient pas le Coran. Ce qui conduirait nécessairement à sa disparition des poitrines et serait le motif qui maintiendrait les enfants des musulmans dans l'ignorance. Il n'y a pas lieu, par conséquent, de traîter avec rigueur ce qui n'a pas été l'objet d'une restriction et au sujet duquel, il n'a pas été établi authentiquement, d'après l'Envoyé de Dieu (salut sur lui), quoi que ce soit indiquant l'obligation de s'en abstenir.

'Al-Ḥâriṯ ibn Miskîn[222] mentionne, dans la chronique de l'année soixante treize[223] ceci : "Ibn Wahb"[224] nous rapporte : "J'ai entendu Mâlik dire : "Tous les savants que j'ai atteints [dans ma vie] ne voient aucun inconvénient dans le salaire que les maîtres d'école

(222) Al-Ḥâriṯ ibn Miskîn./Abû ᶜAmr/(154-250 H/771-864 j.c.), Cadi, jurisconsulte mâlikite et traditionniste faisant autorité. Voir Zirikli, T II, 1960. De Slane, Prolégomènes d'Ibn Khaldoun, éd. Paul Geuthner, Paris 1938, T III, p. 12.

(223) Il s'agit probablement de l'année 173.

(224) Ibn Wahb/ᶜAbd Allah b. Wahb b. Moslim al Fihrî al Miṣrî/, savant Mâlikite (125-197/743-813). Voir Zirikli, T IV, p. 289.

convenables. Suis le chemin de celui qui est revenu vers Moi, repentant! Car, ensuite, vers Moi se fera votre retour, et je vous rappelerai tout ce que vous faisiez [sur terre]."[220]

Que Dieu me préserve des tentations déviatrices du droit chemin, contre lesquelles l'Envoyé de Dieu, que le Salut soit sur lui, a mis en garde [les fidèles] en annonçant leur apparition à la fin des temps. A Dieu, le Généreux, je demande de m'admettre, par sa grâce, parmi Ses pieuses créatures cherchant refuge auprès de Lui et secourus. Certes, on rapporte que l'Envoyé de Dieu a dit : "Un groupe de ma communauté ne cessera de défendre la vérité[221] jusqu'à l'avènement de l'empire divin, sans que leurs antagonistes leur portent préjudice..» Les gens véridiques ne cesseront jamais de consulter le Coran, de se faire guider, en vue de le comprendre, par les élucidations de l'Apôtre, que le salut soit sur lui, et par la somme de connaissances enseignées par les grands théologiens, parmi les prédécesseurs de la communauté musulmane ('omma), jouissant de la Satisfaction divine.

Sache, en outre, que les guides des croyants de la période antérieure de cette communauté, ne comptent pas, parmi eux, un seul qui n'ait examiné toutes les affaires des Musulmans sans tenir compte de l'intérêt individuel et communautaire. Mais il n'est pas parvenu à notre connaissance que l'un d'eux installât des maîtres dans des écoles, pour instruire les enfants des croyants dès leur jeune âge, moyennant une somme quelconque prélevée sur le Bien de Dieu, Puissant et Grand, comme ils l'ont fait avec toute autre personne chargée par eux d'arbitrer les litiges opposant les Musulmans, de faire l'appel à la Prière dans leurs mosquées, outre les autres prestations allouées en vue de préserver les intérêts des Musulmans et de prendre soin d'eux. On ne peut supposer qu'ils aient oublié le cas du maître d'école. Cependant, – Allah sait le mieux – ils ont jugé que c'est là quelque chose qui concerne chaque individu en particulier ; en effet, l'enseignement que le père assure à son enfant est dans son propre intérêt ; par conséquent, les guides des croyants ont confié cet enseignement au soin des pères en tant qu'acte leur incombant ; si ces derniers sont en état de le faire, d'au-

---

(220) Sourate XXXI, Loqmân, versets 14-15 ; Blachère, Le Coran, III, 540-541 ; Mazigh, Le Coran, p. 337.

(221) 'al Ḥaqq = ici, l'Islam ; ce terme désigne aussi le Coran, parfois la divinité. Voir E I, II, 240.

dais à ᶜAbd Allâh b. 'Abî 'Awfâ[217] : "l'Apôtre (bénédiction et salut divins sur lui) a-t-il recommandé quelque chose par testament ?," il répondit par la négative. Ayant répliqué : "Comment se fait-il qu'il a prescrit aux fidèles le testament en tant qu'obligation alors que lui-même n'a rien légué par testament ?," ᶜAbd Allah répondit : "Il a recommandé le Livre de Dieu."[218] On rapporte, dans une tradition répandue chez les Musulmans, que l'Apôtre (Bénédiction et salut divins sur lui) a dit : "Je vous ai légué deux choses, si vous y tenez, vous ne vous écarterez pas de la Voie Droite : Ce sont le Livre d'Allah et ma Tradition."[219]

Le Coran est une chose qu'il faut apprendre ; en effet quiconque le retient obtient une récompense et quiconque le néglige laisse échapper sa chance. A Dieu ne plaise que les Croyants s'accordent à le négliger ; car s'il en est ainsi ce sera la perdition absolue. Que Dieu me garde de son courroux. A lui ne plaise que Son Livre soit ôté des poitrines des croyants. Je Le prie de le consolider dans leur cœur, de lui ouvrir leur poitrine, de faire en sorte qu'ils prennent à cœur de le retenir de mémoire, de l'appliquer avec discernement jusqu'à ce qu'Il les rende versés en science coranique, conformément aux instructions claires que leur a fourni le Révélateur, l'Envoyé de Dieu, celui qui clôt la série des prophètes. Que Dieu bénisse notre Seigneur Moḥammad, sa famille et ses compagnons et qu'Il leur accorde le salut éternel. Puisse Dieu montrer aux croyants Sa Voie Droite et Son chemin évident suivi par leurs pieux prédécesseurs. Le Puissant et Grand a bien dit : "Nous avons expressément recommandé à l'homme ses père et mère : Sa mère l'a porté en son sein, subissant pour lui peine sur peine ; son sevrage a lieu à deux ans : "Sois reconnaissant, lui fut-il prescrit, envers Moi qu'envers tes père et mère ! Vers Moi, vous serez ramenés. Mais si tes parents te contraignent à M'associer ce dont tu n'as nulle connaissance, ne leur obéis point! Veuille à observer avec eux, ici-bas, des rapports

---

Dr Al Ahwânî (p. 294). Dans le manuscrit (Q 4595 - p. 31 b) le nom est bien écrit. Il s'agit bien de Ṭalḥa b. Moṣarrif, lecteur et traditionniste faisant autorité à Kûfa. Il y mourut en 112 H/730 j.c. Voir Ibn Saᶜd, "Ṭabaqât", T VI, pp. 308-309 ; Ziriklî, T III, p. 332.

(217) ᶜAbd Allâh b. 'Awfâ : compagnon du Prophète, faisant autorité à Kûfa. Il mourut en 86 H, après avoir perdu la vue. Voir Ibn Qutayba, "Al maᶜârif" ; éd. Le Caire, 1960.

(218) Tradition dans le Ṣaḥîḥ de moslim.

(219) Tradition dans le Ṣaḥîḥ.

"Rappel des questions suivantes que l'interlocuteur a voulu voir au clair : la rémunération que les maîtres reçoivent des élèves et la tradition s'y rapportant ; ce qui convient d'être enseigné avec le Coran, l'obligation du maître d'enseigner aux élèves les disciplines qui leur sont profitables, les matières pour lesquelles il ne peut exiger d'eux une rémunération s'il les enseigne à chacun en particulier ; le Musulman peut-il donner l'enseignement à un chrétien et réciproquement ? Le maître peut-il fixer un temps déterminé pour enseigner le Coran par cœur ?.

'Abû-l-Ḥasan dit : "J'ai exposé, avant le présent chapitre, les promesses faites à celui qui enseigne le Coran ; j'ai suffisamment élucidé ce qui rend cet enseignement urgent et convoité, ce qu'il faut éviter d'enseigner parmi les disciplines qui le font négliger, afin que celui qui retient le Coran de mémoire ne l'oublie pas. Le contenu de la parole suivante de Dieu, Puissant et Grand, adressée à son Prophète – que le salut soit sur lui – "Dis : "Quel témoignage est vraiment plus digne de foi ?" Réponds : "Allah s'érige en témoin entre vous et moi. Ce livre m'a été révélé afin que je vous avertisse, vous et tous ceux auxquels il parviendra "(214), rend obligatoire le fait d'apprendre le Coran. Ainsi, il y aura toujours quelqu'un jusqu'au jour de la Résurrection finale qui se chargera de l'enseigner [aux Croyants]. L'obligation d'apprendre le Coran est également soulignée dans cette parole divine : "Nous avons facilité la compréhension du Coran pour qu'il puisse servir de rappel. En est-il qui en tirent édification ?"(215) Le Coran est rendu accessible pour l'édification, jusqu'au jour de la Résurrection finale. Les croyants sont unanimes pour dire qu'il est la preuve divine à l'intention des créatures et que les musulmans sont tenus d'en prendre soin et de le prêcher jusqu'à la fin du monde.

Ṭalḥa b. Moṣarrif(216) rapporte dans le Saḥîḥ : "comme je deman-

---

(214) Sourate VI, Al'Anᶜâm (Les Troupeaux), une partie du verset 19 ; Blachère, Le Coran, III, 668-669 ; Mazigh, op. cit., p. 139.

(215) Sourate L IV, 'Al-Qamar (La Lune), verset 17 ; Blachère, op. cit., II, 142 ; Mazigh, op. cit., p. 428.

(216) Ṭ alḥa ibn Moṣarrif (Abû ᶜAbdallah) et non pas/Ibn Moṭarrif/ comme l'a établi



croyants pour ces infractions, dans Ses paroles suivantes : "Il n'appartient pas à un croyant ou à une croyante de suivre leur propre choix, quand Allah et Son Apôtre en ont décidé autrement..." (voir verset).[212] "Les Croyants et les Croyantes... (voir verset)." Dieu a associé les personnes des deux sexes dans la récompense dans plus d'un verset de Son Livre, comme dans Sa parole suivante – qu'Il soit glorifié – : "Allah a promis aux Croyants et aux Croyantes... (voir verset)." Il a ordonné aux épouses de Son Apôtre (Salut sur lui) de se rappeler ce qu'elles ont entendu de sa bouche, en leur disant : "Rappelez-vous les versets d'Allah et les sages précepts qui sont récités dans vos demeures !"[213] Comment ne pas leur enseigner, par conséquent, l'amour du Bien et ce qui aide à le faire. Celui qui est chargé de veiller sur les femmes leur évitera ce dont il se méfie pour elles, car il est leur gardien et leur responsable. Certes, Dieu détient la faveur et l'accorde à qui il veut. Dieu est possesseur de la faveur immense.

---

(212) Sourate XXXIII, Al 'Aḥzâb (Les Factions), une partie du verset 36 ; Blachère, Le Coran, III, 991 ; Mazigh, op. cit., p. 345.

(213) Sourate Al'Aḥzâb ; Ibid, une partie du verset 34 ; Blachère, op. cit., III, 990 ; voir Mazigh, op. cit., p. 344.

ment du Coran. Si quelqu'un d'autre s'engage bénévolement à prendre ces frais à sa charge, il en récoltera une récompense. Si l'orphelin n'a personne, parmi les siens, disposé à lui prodiguer cet enseignement, quiconque, parmi les musulmans, s'en occupera, en tirera bénéfice. Si le maître lui enseigne le Coran pour l'amour de Dieu et y persévère, sa récompense, s'il plaît à Dieu, sera portée alors au double ; l'enseignement, en effet, est le métier assurant sa subsistance. En faisant passer l'intérêt de l'orphelin avant le sien propre, il récoltera, s'il plaît à Dieu, une grande part des récompenses des altruistes. Le logion rapporté précédemment de la bouche de l'Apôtre que le salut soit sur lui, lorsqu'il a dit à la femme : "Oui ! et tu en tireras une récompense," te suffit comme explication évidente de la récompense promise à quiconque recherche ces bonnes actions et s'empresse de les faire.

Il est bon d'enseigner le Coran et la science à la femme ; ceci est dans son intérêt. L'art épistolaire, la poésie et les connaissances similaires sont à redouter. On ne lui enseignera que les disciplines jugées bénéfiques pour elle et où elle se trouvera à l'abri des tentations. La dispenser d'apprendre l'écriture, lui est plus salutaire. Lorsque le Prophète (Bénédiction et salut divins sur lui) a permis aux femmes d'assister aux festivités de l'Aïd, il leur a donné l'ordre de faire sortir les affranchies qui sont cachées aux regards – ou, selon une autre version, les femmes affranchies et celles qui sont voilées. Il a ordonné aux femmes ayant leurs menstrues de s'isoler à part au moṣalla (lieu de la prière), en ajoutant ceci : "Que toutes assistent à la réunion pieuse et aux invocations des croyants"(211); c'est un enseignement similaire qu'on recherchera en se proposant de leur inculquer le Bien où elles seront sauvegardées. Il est préférable de leur éviter ce qui représente, pour elles, un danger ; ceci s'impose en tant qu'obligation des plus urgentes à quiconque prend soin d'elles. Comprends donc ce que je t'ai explicité ; demande à Dieu de te guidèr dans la bonne voie. Il t'y guidera. Dieu suffit comme guide et assistant.

Sache, en outre, que Dieu – que Sa Majesté et Sa Gloire soient proclamées – a reproché aux croyantes d'enfreindre les obligations religieuses qui leur sont prescrites de même qu'Il a blâmé les

---

(211) El Bokhârî, Les Traditions Islamiques, T I, titre XIII (Des Deux Fêtes), pp. 319, 322.

que l'enfant récolte de l'enseignement paternel. Celui qui meurt avant l'âge d'éducation,[209] le prophète a remis son cas à Dieu qui sait, seul, ce que ses parents auraient fait de lui s'il était resté en vie.[210] Si, à cause de leurs parents, les enfants des incrédules se trouvent atteints de préjudice, ceux des croyants doivent nécessairement tirer un profit religieux du fait de leurs attaches paternelles. Les prédécesseurs des croyants n'ont pas jugé utile, assurément, de s'imposer la peine de présenter des arguments en pareil cas ; ils se sont contentés du penchant irrésistible pour une telle entreprise, penchant que Dieu a mis dans leur cœur; ils s'y sont conformés en pratique et ont gardé l'éducation enfantine comme une tradition transmise de père en fils. A ce propos, aucun père n'a été obligé de rendre des comptes à qui que ce soit. De même, on n'a pas constaté qu'un père se désintéressât de cette éducation parce qu'il l'a jugée indésirable ou futile ; en effet, ceci n'est pas la qualité du croyant soumis / à Dieu /.

S'il s'avère que quelqu'un renonce, par mépris, à enseigner le Coran à son enfant, celui-là, certes, sera taxé d'ignorance, rendu détestable et considéré comme vil ; il tombera bien bas par rapport aux gens satisfaits, ayant la tranquillité d'esprit. Toutefois, l'indigence entrainerait les parents à manquer à ce [devoir] et, dans ce cas, le père serait excusé dans la mesure où ses excuses s'avèreraient fondées. Quant l'enfant possède un patrimoine, le père ou le tuteur, en cas de décès du père, ne doit pas le laisser sans éducation ; qu'il soit placé dans une école (kuttâb) et qu'on loue le service du maître pour lui enseigner le Coran, moyennant un salaire prélevé sur son patrimoine. Mais si l'enfant n'a pas de tuteur, le Gouverneur des croyants se penchera sur son cas et suivra, dans son éducation, l'exemple du père ou du tuteur. Il en sera de même lorsque l'enfant, se trouvant dans une ville sans autorité, les Citoyens vertueux de cette ville s'accorderont à veiller sur les intérêts de ses habitants. L'examen du cas de cet orphelin en fait parti.

Mais si l'orphelin n'a pas de patrimoine, sa mère ou ses plus proches tuteurs sont sollicités de subvenir à ses frais dans l'enseigne-

(209) Cet âge est fixé à six ans dans l'éducation islamique. Voir Al Ghazzâli "L'Education des enfants dès le premier âge". Texte présenté et traduit par A. Ranon (Extrait de la Revue IBLA, 1945).

(210) Le contexte requiert qu'on lise : "mâ kâna ʿâmilan law ʿâša", au lieu de "law ʿâšû".

donne cet enseignement par mépris et négligence dédaigneuse du Coran, sauf s'il s'agit d'un inhumain n'ayant aucun penchant pour le Bienfait. Décrivant dans Son Livre ses serviteurs, Dieu (que Sa gloire soit proclamée) a dit : "Les serviteurs du Tout Miséricordieux sont ceux dont la démarche est humble sur la terre..." (jusqu'à cette parole du Puissant et Grand) : "ceux qui disent : "Fais Seigneur que nos épouses et notre descendance soient une source de joie pour nos cœurs. Daigne faire de nous un modèle pour les Pieux !."[205] En conséquence, quiconque supplie Dieu humblement de lui donner, en sa descendance, une source de joie pour son cœur, ne se montrera pas avare envers son enfant dans les dépenses consenties pour lui enseigner le Coran.

Dieu (que son Edification soit exaltée) a dit : "Ceux qui auront cru et dont la descendance aura suivi la foi, Nous leur aurons adjoint leur descendance au Paradis. Il ne seront, en rien, frustrés du fruit de leurs œuvres."[206] En d'autres termes, Nous ne leur retrancherons rien du fruit de leurs actions.

Il n'y a que l'inhumain et l'avare qui ne se soucient guère d'enseigner à leur famille et à leurs enfants le Bien par avarice ou mépris du Bien, de telle sorte qu'ils perdent de vue cette notion. Tant qu'il se trouve en bas-âge, l'enfant est considéré comme son père, en matière de croyance religieuse. Le père peut-il donc laisser son enfant sans éducation religieuse ? Apprendre la Prédication affermit sa connaissance en ce domaine. N'a-t-il pas entendu la parole de l'envoyé de Dieu que le salut soit sur lui : "Tout homme naît dans la nature saine, ce sont ses parents qui font de lui un juif ou un chrétien tels les chameaux se multipliant d'une seule bête. Ces derniers discernent-il la chamelle mutilée (jadʿâ').[207] Comme on demandait : Ô Envoyé de Dieu ! Quelle est, à votre avis, l'issue de celui qui meurt tout jeune ?" "Allah, répliqua le Prophète, sait mieux que quiconque ce que ses parents auraient fait de lui."[208] Il a annoncé, par conséquent, ce

(205) Sourate XXV, Al Forqân, versets 63-74 ; Blachère, op. cit., II, 312-314. Mazigh, op. cit., p. 303.

(206) Sourate L II, Aṭ-Ṭûr (LA Montagne), une partie du verset 21 ; Blachère, op. cit., II, 48. Mazigh, Le Coran, p. 423.

(207) Jadʿâ' = mutilée (au nez, aux oreilles, aux lèvres) nom d'une chamelle de Mahomet appelée aussi ʿaḍbâ' et Qaṣwâ'.

(208) Ici allusion à l'intention qui est capitale dans la morale islamique ; on attribue au prophète une autre phrase célèbre : "Les actes valent par leurs intentions". Voir Muslim, Ṣaḥîḥ, Éd 1330 H, 4 Vol ; T III, p. 48.

DEUXIÈME PARTIE

Au nom de Dieu, le Clément, le Miséricordieux !
*Que Dieu répande ses bénédictions sur Moḥ*ammad

'Abû-l-Ḥasan dit : "Ce que je t'ai exposé précédemment à propos des prédictions en faveur du père qui enseigne le Coran à son enfant, ne vise qu'à lui inspirer le désir de l'instruire en bas-âge. L'enfant ne peut préméditer ni le bien ni le mal dans ses actes. Il ne peut, en outre, discerner ce qu'il doit prendre ou laisser et n'a qu'un seul refuge : son père qui est tenu légalement de subvenir à ses besoins d'existence. Ce que le père accomplit en faveur de son enfant, en plus de cette obligation légale (wâjib), est un bienfait similaire à celui qu'il prodigue à des gens n'ayant pas de parenté avec lui, ou à quelqu'un dont les frais de subsistance ne lui incombent pas. Cependant, il lui est promis une récompense plus méritoire pour une bonne action faite au profit de son enfant ayant besoin de lui ; car, personne d'autre ne participe avec lui à cette bienfaisance ; de plus, l'enfant n'a aucune astuce lui permettant de se passer du soin paternel.

Il a été prescrit aux Musulmans d'enseigner à leurs enfants la Prière et son ablution, de les habituer à l'observer, de les éduquer par ce culte afin qu'ils y trouvent la quiétude et s'y accoutument. Ainsi, les charges de la Prière leur paraîtront légères quand ils atteindront l'âge où celle-ci leur sera imposée en tant qu'obligation légale. Quand ils enseignent la Prière à leurs enfants, les Musulmans sont tenus de leur apprendre les passages coraniques susceptibles d'y être récités. C'est devenu une tradition chez eux, d'enseigner à leurs enfants la Prédication et de leur procurer avec zèle des maîtres. Aucun père ne se refuse à le faire quand il en a les moyens, à moins qu'il ne se trouve empêché par son avarice ; dans ce cas il n'a pas de prétexte valable. Dieu (que sa Gloire soit proclamée) a dit : "La ladrerie est inhérente aux âmes."(203) Le Très élevé a dit encore : "Ceux qui se seront gardés de leur propre lésine, ceux-là seront les Bienheureux."(204) Il n'y a pas, non plus, un seul père qui aban-

---

(203) Sourate IV, 'An-Nisâ, une partie du verset 128 ; Blachère, Le Coran, III, 959. Mazigh, Le Coran, p. 119.

(204) Sourate LXIV, At Taġâbun (La Mutuelle duperie), une partie du verset 16 ; Blachère, Le Coran, III, 822. Mazigh, op. cit., p. 451.

maître le dispensera-t-il de payer la rétribution ? Mais, au cas où l'enfant a un père fortuné, ne se souciant guère d'assurer son instruction, l'Imâm est-il en droit ou non d'emprisonner ce père ou de le battre pour avoir failli à son devoir ? Si cela arrive dans une cité où il n'y a aucune autorité qui force les gens à remplir leurs obligations (wâjibât) et qui leur interdit les actes blâmables (munkarât), devons-nous permettre à un groupe de musulmans probes de tenir lieu de cette autorité, ou cela est-il illicite ?."

Un homme dont le fils étudiait la science chez Ibn Saḥnûn[201] a dit à ce dernier : "Je me charge personnellement du travail et je ne distrais pas mon fils des études qu'il entreprend." Et Ibn Saḥnûn de répondre : "Sais-tu que pour cela ta récompense est plus grande que celle que t'apportera le pélerinage à la Mecque, la retraite spirituelle dans le Ribâṭ[202] et la guerre sainte (Jihâd)."

Tu as demandé aussi mon avis sur les questions suivantes : "Un homme refusant de placer son enfant à l'école (Kuttâb), le chef de la communauté musulmane ('Imâm) est-il en mesure de l'obliger à le faire ? Si tel est le cas, va-t-il de même pour les deux sexes ? Si la réponse est que l'Imâm (chef des musulmans) ne doit pas user de contrainte vis-à-vis du père, dis au moins : "ce dernier doit être averti et taxé d'avoir commis un péché."

Tu m'as demandé aussi est-ce une obligation de mettre l'enfant à l'école lorsque celui-ci, ayant perdu son père, trouve un tuteur testamentaire ? Si l'enfant n'a pas de tuteur testamentaire (waṣiy), est-ce le protecteur (waliy) ou l'Imâm (chef des musulmans) qui s'en chargera ? Si l'enfant n'a aucun protecteur, les musulmans doivent-ils l'envoyer à l'école en prélevant, de son patrimoine, les frais de son éducation ? S'il n'a pas de patrimoine, sont-ils tenus de prendre ses frais à leur charge ? Ou bien cet enfant, une fois mis à l'école, le

---

(201) Ibn Saḥnûn : ᶜAbd Allâh Muḥammad b. Saḥnûn b. Saᶜîd b. Ḥabîb at-Tannûḫî, naquit à Kairouan en 202/817 et vécut dans le sillage de son père jusqu'en 235/850, date de son départ pour l'orient pour un double but : l'accomplissement du pélerinage et la recherche de l'enseignement des plus grands maîtres.
Muḥammad b. Saḥnûn se place comme chef de file des Malikites du Maghreb après la mort de son père. Il mourut en 256/870 à l'âge de 54 ans. Son œuvre semble avoir été abondante puisque Abû Bakr Al-Mâlikî dans son ouvrage biographique "Riâḍ an-Nufûs" avance le chiffre de 200 ouvrages dont deux nous sont seulement parvenus :
a) "Kitâb Ajwibat Muḥammad b. Saḥnûn, riwâyat Muhammad b. Sâlim al-Qaṭṭân ᶜanhu" dont il existe un manuscrit à l'Escurial (N° 1162) et un autre dans la bibliothèque particulière de S.E.Ḥ.Ḥ. ᶜAbd el-wahhâb. (B.N. de Tunis).
b) Le Kitâb Adâb al-Muᶜallimîn "Règles de conduite des maîtres d'école", publié en 1931 à Tunis par S.E.Ḥ.Ḥ. ᶜAbdel Wahhâb ; publié et commenté aussi dans le livre du Dr Aḥmad Fu'âd Al-Ahwânî "At Tarbiya fi-l-Islâm" (Le Caire, 1945, pp. 351-367, avec la "risâla fi Aḥwâl al-Muᶜallimîn wa Aḥkâm al-Muᶜallimîn wa-l-Mutaᶜallimîn" d'Abû-l-Ḥasan al Qâbisî, pp. 267-347. Pour plus de renseignement sur Ibn Saḥnûn, voir Al-Mâlikî, Riâd (1951) 345-350 et Gérard Lecomte "Le Livre des Règles de conduite des Maîtres d'école par Ibn Saḥnûn". In R.E.I, Année 1953, Paris 1954, Introduction pp.77-82.

(202) Le Rîbâṭ : forteresse où séjournent des prêtres guerriers (murâbiṭûn) voués à la vie spirituelle et gardant les frontières des pays d'Islam.

dit : "Quand l'Envoyé de Dieu (qu'Allah répande sur lui ses bénédictions et lui accorde le salut) mourut, j'avais dix ans et j'avais déjà récité les moḥkam."[196] 'Abû Mûsa rapporte aussi : "l'Envoyé de Dieu a dit : "Trois personnes auront une double part de récompense : l'homme qui, possédant une femme esclave, l'élève, lui donne une bonne éducation, lui enseigne avec soin tous ses devoirs religieux, puis l'affranchit et l'épouse ; l'homme qui parmi les gens de Livre[197] aura cru en son prophète et en moi (Moḥammad). Enfin, l'esclave en possession de maître, qui remplira ses devoirs envers ses maîtres et envers Dieu, aura aussi double récompense."[198] S'il est prédit une double récompense à quiconque élève une femme esclave, lui donne une bonne éducation et agit à son égard conformément à ce que le Prophète a dit dans ce ḥadîṯ, Celui qui élève son enfant, lui assure une bonne éducation et lui apprend tous ses devoirs religieux, accomplit, dans ce cas, une œuvre pie et peut espérer en tirer un double salaire ; ceci est conforme à ce que Dieu Puissant et Grand a dit : "celui qui consent un beau prêt à Allah, Allah le lui rendra au décuple."[199]

Certes, on rapporte que l'Envoyé de Dieu, étant passé près d'une femme se trouvant dans sa litière, quelqu'un dit à celle-ci : "Voici l'Envoyé de Dieu !". Ayant saisi un gamin par le bras, la femme apostropha le prophète en ces termes : "Le pélerinage est-il permis à celui-ci ?." – Oui, répondit l'Envoyé de Dieu et tu en tireras une récompense."[200] La récompense que cette femme tirera du pélerinage de son jeune enfant ne découle-t-elle pas tout simplement du fait qu'elle l'a fait assister à ce pélerinage et qu'elle a pris soin de lui en lieu saint ? L'enfant ne récoltera de ce pélerinage que la félicité (Baraka) d'avoir contemplé le Bien et répondu à l'invitation faite aux Musulmans. Par contre, ce que l'enfant gagne de l'enseignement du Coran qui lui est dispensé, c'est une science qui demeure parfaitement en sa possession ; et cela est plus utile et plus recherché. C'est tellement clair qu'il n'est pas besoin d'en parler plus longuement.

---

(196) El Bokhârî, Ibid, p. 536.
(197) Les Gens du Livre, ici les Chrétiens et les Juifs.
(198) El Bokhârî, Les Traditions Islamiques, T I, p. 51, Titre III (De la Science).
(199) Sourate II, Al Baqara (La Génisse), une partie du verset 245 ; Blachère, Le Coran, III, 802 ; Mazigh, Le Coran, p. 83.
(200) Tradition citée dans le Saḥîḥ de Moslim avec quelques variantes.

apprendre le coran. Il pourrait compter, avec la permission de Dieu, parmi les devanciers dans les félicités, grâce aux passages coraniques qu'il inculquait à son enfant. Ce degré paradisiaque très élevé (daraja) correspondrait à l'intention de ce père, lorsqu'il enseigne le Coran à son enfant. Les Musulmans désirent encore ardemment enseigner la Prédication à leurs enfants, les éduquer selon ses prescriptions, la leur apprendre en premier lieu,(186) alors qu'ils sont encore en bas-âge, incapables de préméditer le bien ou le mal dans les actes qu'ils entreprennent et qui les concernent directement, ne sachant que ce que leurs parents leur ont déjà appris.

En effet, Hišâm,(187) dans une de ses traditions contenues dans le Ṣaḥîḥ, rapporte avec la chaîne de garants suivante : Abû Bišr,(188) Sa^cîd b. Jubayr(189) – qu'Ibn ^cAbbâs(190) a dit : "Du vivant de l'Envoyé de Dieu, j'avais réuni le moḥkam.(191) Et comme Sa^cîd b. Jubayr lui disait : "Qu'est-ce que le moḥkam ?," il répondit : c'est le mofaṣṣal (détaillé).[(192) et (193)] Abu^cOwâna(194) rapporte d'après Abû Bišr que Sa^cîd b. Jubayr a dit : "les sourates que vous appelez mofaṣṣal, ce sont celles dites moḥkam."(195) En outre Ibn ^cAbbâs

---

(186) Ibn Khaldoun reproche aux Maghrébins le fait d'enseigner à leurs enfants le coran, en premier lieu. Dans son système pédagogique, il conseille aux maîtres de commencer leur enseignement par la lecture, l'écriture et le calcul. Voir : Les Prolégomènes", Trad. de DE SLANE, Librairie Paul Geuthner, 12 rue Vavin, Paris 1936, III, 286.

(187) Hišâm. Plusieurs traditionnistes portent ce nom. Parmi ceux-ci a) Hišâm b. Ḥassân al Azdî, mort en 147/764 à Baṣra/Ziriklî, IX, 81/ ; b) Hišâm b. ^curwa, traditionniste et savant de Médine (61-146/680-763), voir Ziriklî, III, 85.

(188) Abû Bišr (ja^cfar b. 'abî Waḥšiyya) ; traditionniste digne de confiance de Basra, mort en 125 H. Voir Ibn Sa^cd "Ṭabaqât" T. VII, p. 253.

(189) Sa^cîd b. Jubayr (45-95/665-714), compagnon de la seconde génération. Très savant traditionniste, d'origine ethiopienne. Parmi ses maîtres, Ibn ^cAbbâs et Ibn ^cOmar. Voir Ziriklî, III, 145 ; Ibn Qutayba "al Ma^cârif", p. 445.

(190) Ibn ^cAbbâs, mort vers 68/687-8 ; un des cousins de Mahomet ; a composé un corpus de la Révélation. C'est une autorité dans la science du coran et le premier exégète invoqué par la Tradition d'une manière habituelle. Voir, Blachère, Introduction au coran, p. 38 ; E I, I, 19.

(191) Al Moḥkam, à l'opposé de (al motašâbih) se dit de certains versets coraniques clairs et précis.

(192) Le mofaṣṣal est la partie du coran qui débute à la sourate al-Ḥijr et va jusqu'à la dernière sourate. Il comprend des sourates longues, moyennes et courtes. Al Mofaṣṣal, l'opposé d'al mojmal. Voir Risâla, p. 339.

(193) El Bokhârî, op. cit., III, 536.

(194) Abû ^cAwâna (Al Waḍḍâḥ b. Ḫâlid) mort en 176/792 ; un des traditionnistes faisant autorité. Voir Ziriklî, IX, 133.

(195) El Bokhârî, op. cit., III, 536.

le Prophète dit : "Comment cela ?" – Ils faisaient, répondit-on, des prières comme nous en faisions ; ils combattaient comme nous dans la voie de Dieu et ils pouvaient, en outre, dépenser d'abondantes richesses ; tandis que nous, nous ne possédons rien. – Et bien, reprit-il, je vais vous indiquer quelque chose qui vous permettra de rattraper ceux qui vous ont précédés et distancer ceux qui viendront après vous, car ils ne pourront avoir ce que vous aurez à moins qu'ils ne fassent ce que vous ferez vous-même. A la fin de chaque prière prononcez dix fois le tasbîḥ(183) (formule : "Gloire à Dieu"), dix fois le ḥamd (Louange à Dieu), dix fois le takbîr (Dieu est le plus Grand)."(184)

'Abû-l-Ḥasan remarque : "s'adonner à l'évocation de Dieu Puissant et Grand fait hériter aux cœurs sa crainte et y introduit l'évocation de Sa Grandeur. Outre cette évocation, les cœurs s'adoucissent envers leur Seigneur et s'humilient devant Lui. Par ailleurs, l'aumône (ṣadaqa), est un don que l'individu fait pour l'amour de Dieu, Puissant et Grand, à condition que cela soit un acte volontaire. Il ne peut qu'à peine savoir s'il le fait vraiment pour Dieu ; en plus, les intrigues de Satan pourraient intervenir dans cette œuvre. Mais Dieu est le mieux placé pour savoir. Par contre, l'évocation divine et a fortiori une bonne opinion de Dieu sont un talisman (ḥirz) qui préserve de Satan. Certes, Dieu est caution du succés.

Quant à ta question concernant ce qui est prédit en faveur de quiconque enseigne le coran à son enfant, il te suffit de connaître la parole suivante de l'Envoyé de Dieu que le salut soit sur lui : "Le meilleur, d'entre vous est celui qui apprend le Coran et qui l'enseigne (ensuite)."(185) Celui qui enseigne la Prédication à son enfant entre en ligne de compte dans cette faveur. Si tu objectes que le père ne se charge pas lui-même d'enseigner le Livre à son enfant, mais qu'il loue le service de quelqu'un pour le lui apprendre, sache que c'est bien le père qui instruit son enfant lorsqu'il dépense son argent pour lui

---

(183) Il s'agit des formules du "ḏikr" (évocation de Dieu), recommandables aussitôt après les prières. Selon Ibn Abî Zayd al Qayrawânî, il est recommandable de prononcer chacune de ces trois formules trente trois fois : "La centième et dernière mention est : "Il n'y a d'autre divinité qu'Allâh unique ; il n'a point d'associé. A Lui le Royaume ; à Lui la Louage. Il est tout puissant : "Voir Risâla, pp. 65-67.

(184) El Bokhâri, Les Traditions Islamiques, T 4, pp. 246-247 avec quelques variantes ; la même tradition avec des variantes aussi se trouve au T I, p. 280.

(185) El Bokhârî, op. cit., T 3, p. 534.

des ḥizb[179] [à réciter] augmente. L'opinion prépondérante est de lui réduire le nombre de prosternations. S'il se prosterne la première fois [seulement], cela est louable. Certes, Mâlik a dit : "S'il était prescrit comme obligation à quiconque apprenait [la Prédication], de se prosterner chaque fois qu'il rencontrait une sajda, il se serait prosterné à plusieurs reprises. Donc, le fait d'enseigner n'est pas comme les autres activités.

'Abû-l-Ḥasan dit : "Comprends, ceci ; je t'ai bien expliqué les problèmes que tu as soulevés dans ce même esprit." En outre, tu as demandé : "Est-il établi avec certitude ou non, d'après ce qu'on rapporte, que la [récitation] du Coran pendant une prière vaut mieux qu'en dehors d'une prière, qu'elle est dans ce dernier cas plus méritoire que l'évocation de Dieu ;[180] que celle-ci est plus méritoire que l'aumône (ṣadaqa) ?"[181] Sache que j'ai appris cela oralement mais je n'ai pu établir son authenticité dans le texte. Cependant, l'Envoyé de Dieu (que le salut soit sur lui) a dit : "L'homme en prières fait des confidences à son Seigneur ; qu'il prenne donc soin de choisir celles qu'il Lui fera." Ainsi, tu vois nettement que ce qui a été dit en faveur de l'homme en prières ne l'a pas été au sujet de celui qui ne l'est pas. Ceci est une faveur de plus. A propos du mérite de la récitation [coranique] d'une personne qui n'est pas en prières, par rapport à l'évocation (ḏikr) en général, Dieu puissant et Grand a dit : "Allah a révélé un discours sublime."[182] Il a montré, par là, que le Coran est la plus belle des paroles ; ajoutez à cela les passages multiples où sont célébrées les belles louanges du Livre et où est mentionné le très grand nombre d'avantages prédits à son Lecteur. Quant à l'évocation de Dieu (ḏikr) plus méritoire que l'aumône (ṣadaqa), on trouve dans le Ṣaḥîḥ, d'après 'Abû Horaïra ceci : "Comme on disait : "Ô Envoyé de Dieu, les gens opulents ont accaparé les degrés les plus élevés [du paradis] et ses félicités éternelles,"

(179) ḥizb (pl. 'Aḥzâb) : c'est chacune des soixante sections en lesquelles le Coran est divisé.

(180) Aḏ Ḏikr ici veut dire : "L'évocation de Dieu" et non "l'invocation" (ad. Duᶜâ), voir Risâla, pp. 312-318.

(181) Il ne s'agit point ici de l'Aumône dite Zakât ; "l'aumône" (ṣadaqa) ainsi que la "donation" (hiba) sont faites en faveur de la proche parenté ou à un pauvre ; pour l'explication du mécanisme de la donation et de l'aumône, voir Risâla, chap. XXXVI, pp. 230-232.

(182) Sourate XXXIX, Az-Zummar (Les Groupes), une partie du verset 32. Mazigh, Le Coran, p. 375.

de psalmodie,(173) le voyageur étant en selle ne la fera pas ; mais il descendra [de sa monture] et fera cette prosternation, s'il est purifié,(174) dans les moments où la prosternation est permise,(175) à moins qu'il ne se trouve dans un voyage où la prière doit être écourtée.(176) Dans ce cas, le voyageur fera seulement signe de se prosterner tout en étant en selle. En ce qui concerne le Ḥammâm (bain), Mâlik a dit : "Il est loisible au fidèle de réciter le Coran, si cela lui plaît ; le Ḥammâm est un établissement parmi tant d'autres." On attribue à Mâlik aussi l'ordre de s'abstenir de réciter le Coran dans le bain.(177)

Quant à ta question : "Le maître ou l'élève doivent-ils se prosterner, chaque fois qu'ils récitent une Sajda(178) ou seulement à la première récitation ? " [sache que] Mâlik leur a facilité la tâche en leur recommandant de se prosterner la première fois seulement, quand la même sajda se réitère. Pour le maître, lenombre de prosternations de récitation augmente à mesure que le nombre d'élèves ayant

---

(173) "sajdatu – tilâwatin", il s'agit de la prosternation dans la récitation coranique. La récitation du Coran comporte onze prosternations qu'on appelle les ᶜazâim, dans les sourates suivantes : al 'Aᶜrâf, verset 206 ; ar-Raᶜd, verset 16 ; an-Naḥl, verset 52 ; Banû Isrâ'îl, verset 109 ; Maryam, verset 59 ; al Ḥajj, verset 19 ; al Furqân, verset 61 ; an-Naml, verset 26 ; Alîf, lâm, mîm, tanzil, verset 15 ; ṣâd, verset 23 ; ḥâ, mîm, tanzîl, verset 37. Voir Risâla, pp. 88-91.

(174) Ibn Abî Zayd al Qayrawânî dit : "Le fidèle ne fera la prosternation au cours de la récitation que s'il a fait préalablement l'ablution et il prononcera le takbîr à cette occasion, mais il ne dira pas le salut final après. Il a toute latitude pour dire ou ne pas dire le takbîr en se relevant de sa prosternation. Mais [dans le rite Malikite], il est préférable qu'il le dise." Voir Risâla, pp. 92-93.

(175) Ibn Abî Zayd a mentionné, dans sa Risâla, les moments du jour où c'est permis de se prosterner pendant la récitation des onze versets dits ᶜazâ'im : "La Prosternation sera également faite par ceux qui les récitent après le çubḥ, tant que la lumière du jour n'a pas encore apparu, et, assez de temps pour faire au moins une rakᶜa, et après le ᶜaçr, tant que le soleil n'a pas commencé à pâlir." Voir Risâla, p. 93.

(176) Dans le chapitre de la prière du voyage, Ibn Abi Zayd dit : "celui qui fait un voyage sur un parcours de quatre barîd (pl. burûd), soit quarante huit milles, devra écourter la prière et la faire en deux rakᶜa-s, sauf pour celle du maghrib qui ne doit point être écourtée. On fera la prière, écourtée, qu'après avoir dépassé les maisons de l'agglomération et les avoir laissées derrières soi. Donc, il ne faut pas que le voyageur ait des maisons devant lui ou à côté de lui ; en outre, il ne fera la prière complète que quand il sera revenu à cette agglomération ou qu'il en sera proche de moins d'un mille etc..." Voir Risâla p. 93.

(177) Ibn Abi Zayd qui nous présente un traité de droit musulman malikite dit au sujet de la récitation du Coran dans le bain : "Dans le ḥammâm, il ne convient de réciter que de courts versets coraniques et très peu." Voir Risâla p. 319.

(178) Sajda : ici veut dire "prosternation de récitation dite ᶜazima".

Nous t'avons révélée afin que les Hommes en méditent les versets et que ceux doués de sens s'y arrêtent pour refléchir."[168] Ceux qui savent le Coran de mémoire se surpassent à le méditer, chacun selon ses possibilités.

Muʿād b. Jabal[169] a demandé à 'Abû Mûsa-l-'Ašʿarî : "Comment lis-tu le Coran ?." Il a répondu : "Debout, assis et sur le dos de ma monture et je me surpasse à chaque fois dans sa lecture. Quant à moi, répliqua Muʿād, je le lis aussi par intervalles, durant le jour et la nuit."[170] Tu m'as demandé, en outre : "Est-Il permis à celui qui marche, enfourche une monture, ou à quelqu'un debout, ou se trouvant au marché ou au bain (ḥammâm), de réciter le Coran ? – tu veux dire en dehors de la Prière. Si ces récitations sont faites par quelqu'un qui vaque à ses besoin dans les marchés et dans d'autres endroits de la ville, ou par un artisan en train de travailler, Mâlik[171] n'en a rien recommandé, à l'exception seulement des lectures faites à la manière des étudiants s'engageant à apprendre (le Coran) par cœur en le lisant assidûment afin de le conserver soigneusement dans la mémoire.[172] Par contre, pour les récitations faites par quelqu'un en vue de surpasser les autres en compétition , Mâlik a dit à leur sujet : "Le Coran doit être récité uniquement dans les mosquées, pendant la Prière et les retraites consacrées à sa lecture ou au cours du voyage ; et le fidèle le récitera alors quand il voyagera à pied et à dos de bête. Toutefois, s'il arrive à une prosternation

---

(168) Sourate XXXVIII, Ṣâd, verset 29 ; Blachère, Le Coran, II, 242. Mazigh, Le Coran, p. 370.

(169) Muʿād b. Jabal (al-Anṣârî) né en 20 avant l'hégire ; mort en 18 de l'hégire = 602-639 de j.c. compagnon du Prophète qui l'envoya au yémen comme cadi et prédicateur. Les Ṣaḥîh d'al Bokhârî et Moslim contiennent de nombreuses traditions de lui. Voir, Ziriklî, T 8,p. 166.

(170) On trouve l'exégèse de l'expression "atafawwaquhu tafawwuqan". dans le "siḥâḥ" d'Al-Ğawharî, T 4, p. 1547, éd. Le Caire 1956.

(171) Malik B. Anas. juriste islamique, imâm du rite des Mâlikites qui porte son nom. Né entre 90 et 97, il mourut en 179 à Médine à l'âge de 85 ans. L'ouvrage principal de Mâlik est le "Kitâb al Muwaṭṭa'. Le premier ouvrage juridique de l'Islâm qui nous ait été conservé, si l'on fait abstraction du corpus Juris de Zaid B. ʿAli. Ne pas confondre avec 'Anas B. Mâlik, traditionniste mort entre (91-93/709-711). Voir E I, III, 218 sq.

(172) Dans le chapitre XLIII de la Risâla d'Ibn Abî Zayd al Qayrawânî, nous lisons : "on peut réciter/des versets coraniques/quand on est à cheval ou couché, ou qand on se rend à pied au marché ; cependant, selon une opinion, l'étudiant a licence de la faire/en se rendant au marché."

t'enveloppe étroitement d'un manteau ! Lève-toi pour prier la nuit, excepté une partie de celle-ci... (jusqu'à ce qu'il dit) : "Et psalmodie avec soin le Coran. Nous allons te communiquer une parole lourde de sens : en vérité, la prière nocturne est plus efficace et plus correcte de forme."[162] Selon une variante : 'Ašaḏḏu waṭ'an" (plus efficace) veut dire : "'Ašaddu muwâṭa'-atan." C'est-à-dire : [La prière nocturne] rend plus facile à l'ouie et à la vue du lecteur, et plus exactement à son esprit, l'intelligence du Coran. De cette manière, la lecture est plus correcte dans la manière de débiter.

Ḥafṣa,[163] mère des Croyants, rapporte ceci : "L'Envoyé de Dieu (Bénédictions et Salut divins sur lui) lisait la sourate et la psalmodiait de telle sorte qu'elle dépassait en longueur une sourate plus longue qu'elle." 'An-Nisâ'î dit : Isḥâq b. Manṣûr[164] – avec la chaîne de Garants suivante : ᶜAbd ar-Raḥmân, Sofyân, ᶜÂṣim,[165] 'Abû Ḏarr,[166] ᶜAbd Allah b. ᶜUmar[167] – nous rapporte que l'Envoyé de Dieu (Bénédictions et salut divins sur lui) a dit : "Il est dit [dans l'Au-delà] à celui qui sait le Coran : "lis, progresse [dans la lecture] et psalmodie [la Prédication] comme tu psalmodiais dans le bas-monde ; car ton rang est conforme au dernier verset que tu lis."

Abû-l-Ḥasan remarque : "La récitation psalmodiée du Coran revivifie la compréhension, pour le savant ; il la prend pour auxiliaire dans la méditation [pieuse] pour laquelle le Coran a été révélé." Allah, Puissant et Grand a dit : "C'est une Ecriture bénie que

---

(162) Sourate L XXIII, Al Muzammil, versets I à 6, Blachère, Le Coran, II, 97. Mazigh, Le Coran, pp. 447-448.

(163) Ḥafṣa : fille du Calife ᶜOmar et femme du Prophète. Dans le harem de Muḥammad, Ḥafṣa se ligua avec ᶜÂiša contre les autres épouses et mit toute son influence au service du "Triumvirat," c'est-à-dire du parti travaillant à transmettre la succession du Prophète à Abû Bakr et à ᶜOmar. Voir E I, II, 229.

(164) Isḥâq b. Manṣûr b. Bahrâm/Aby yaᶜqûb al Marwazî/connu sous le pseudonyme d'al kûsaj ; jurisconsulte ḥanbalite faisant partie des Ahl al ḥadîṯs, mort en 251/865 ; Ziriklî, I, 289.

(165) ᶜAṣim b. ᶜAdiy : compagnon du Prophète, mort en 45/665. Voir Ziriklî, IV, 13.

(166) 'Abû Ḏarr (AlĠifârî), compagnon du Prophète célébré beaucoup à cause de sa piété. Comme ᶜAbd Allâh b. Masᶜûd, il fut considéré parmi les plus versés dans le coran. Il mourut en 32 ou 33/653 près de Médine. Il est appelé aussi Jondab b. Junâda. Voir E I, I, 85.

(167) ᶜAbd Allah b. ᶜOmar (b. al-Ḫaṭṭâb), fils aîné du calife ᶜOmar. Il fut l'un des compagnons les plus considérés de Muḥammad. Il est généralement connu sous le nom d'Ibn ᶜOmar. Il mourut à la Mecque en l'an 73/693, à l'âge de 84 ans, d'après l'opinion générale. Voir E I, I, 29.

'An-Nisâ'i, certes, dit : "Qutayba ibn Sa^cîd[154] – d'après la chaîne de garants suivante : ya^cqûb,[155] Mûsa b. ^cUqba,[156] Nâfi',[157] ibn ^cOmar – Nous rapporte que l'Envoyé de Dieu (Sur lui Bénédictions et Salut divins) a dit : "L'homme qui sait le Coran est comme l'homme qui possède des chameaux entravés. Tant qu'il les maintient dans cet état, il les conserve, mais s'il les néglige, ses animaux s'enfuient. Quand l'homme connaissant le Coran se met à le réciter nuit et jour, il le retient de mémoire ; mais quand il ne le récite pas, il l'oublie."

'Abû-l-Ḥasan dit : Il a été clairement expliqué dans ce ḥadîṯ comment on doit consacrer tous ses soins à la révision pour que le Coran soit conservé solidement dans la mémoire ; de cette façon le lecteur peut le retenir sans hésitation.

'An-Nisâ'i dit : "^cAbd Allah b. Sa^cîd[158] avec la chaîne de garants suivante : Mu^câḏ b. Hišâm[159] son père, Qatâda, Zarâra b. 'Awfâ[160] Sa^cd b. Hišâm,[161] ^cÂ'iša – nous rapporte que l'Envoyé de Dieu (Bénédictions et salut divins sur lui) a dit : "celui qui récite ingénieusement le Coran, compte parmi les Messagers illustres et Vertueux ; Celui qui le récite avec difficulté, a droit à double récompense."

'Abû-l-Ḥasan remarque : "Le lecteur habile est invité à psalmodier (rattala) le Coran. Allah Puissant et Grand a dit : "Ô Toi qui

(154) Qutayba b. Sa^cîd/b. jamil at. Ṯaqafî/ (150-240/767-855), affranchi et l'un des grands traditionnistes. Il vécut en Irâq ; al-Bokhârî et Moslim rapportent de lui plusieurs ḥadîṯs. Voir, Zirikli, VI, 27.

(155) Ya^cqûb. Plusieurs traditionnistes portent ce nom tels que ya^cqûb b. Ḥumayd ; ya^cqûb ad. Darûqi (166-252) (782-866) ; ya^cqûb al Ḥaḍrami (117-205/735-821) un des dix lecteurs, d'origine basrienne. Ya^cqûb b. Kâsib, traditionniste de Médine, mort en 242 ou 243 H. Ibn Saḥnûn tient directement de lui des traditions du Prophète. Voir "Kitâb 'Âdâb al Mu^callimîn" Éd. Tunis 1972, p. 77 en note.

(156) Mûsa b. ^cuqba/Abû Muḥammad Mûsa b. ^cuqba b. Abi ^cAyyâš/, client des Banû Zubayr ; traditionniste digne de foi ; il est originaire de Médine où il est mort en 141/758. Voir, Zirikli, T VIII, 276.

(157) Nâfi^c (Abû ^cAbd Allah Nâfi^cal Madanî), un des grands savants Médinois de la seconde génération, connu comme jurisconsulte et transmetteur de ḥadîṯs digne de confiance ; il mourut en 117 H. Voir Zirikli, IX, 319.

(158) ^cAbd Allah b. Sa^cîd. (À identifier).

(159) Mu^câḏ b. Hišâm. (À identifier).

(160) Zurâra b. 'Awfa traditionniste de Basra, faisant autorité ; il mourut en l'an 73 de l'Hégire. Voir Ibn Sa^cd "Ṭabaqât," T VII, p. 150.

(161) Sa^cd b. Hišâm (b. ^cAmir al-Anṣârî) ; traditionniste digne de confiance ; il mourut durant la bataille de Uḥud. Voir Ibn Sa^cd "Ṭabaqât," T VII, p. 209.

Coran, car il s'échappe plus facilement de la mémoire des hommes que le chameau (non surveillé)."[148] 'Abû-l-Ḥasan remarque : "Vois donc comment l'Apôtre, que le salut soit sur lui, a reproché à quelqu'un de dire : "J'ai oublié tel et tel verset" et il a ajouté : "Plutôt on le lui a fait oublier" ; c'est-à-dire : "Dieu le lui a fait oublier." Dans ce cas, le Serviteur doit examiner ce qui l'a distrait du Livre au point qu'il en a oublié une partie, et voir s'il peut trouver une excuse à cela ou non ! Il ferait bien de se repentir à Dieu de l'oubli dont il n'a point d'excuse. Certes, Dieu Puissant et Grand a dit à son Prophète : "Nous t'enseignerons le Coran et tu n'en oublieras pas que ce qu'Allah voudra tefaire oublier. Il sait le notoire et ce qui est caché."[149]

L'Envoyé de Dieu (que le salut soit sur lui) a recommandé aux porteurs du Coran de le réciter constamment, et les a informés que le Coran s'échappe plus facilement des poitrines des hommes qu'un chameau (non surveillé). 'Abû Mûsa rapporte que le Prophète (Salut et bénédictions de Dieu sur lui) a dit : "Consacrez tous vos soins au Coran, car, j'en jure par celui qui tient mon âme entre ses mains, il s'échappe plus facilement que les chameaux dans leurs entraves."[150] Quant à Ibn ᶜOmar,[151] il rapporte de la bouche de Mâlik[152] et d'autres que l'Apôtre (que Dieu le bénisse et lui accorde Son salut) a dit : "l'Homme qui sait le Coran est comme l'homme qui possède des chameaux entravés. Tant qu'il les maintient ainsi, il les conserve, mais s'il leur rend la liberté, ils s'enfuient."[153] Sache que si le propriétaire de chameaux entravés les lache délibérément de telle sorte qu'ils disparaissent, il commet une prohibition selon une tradition où l'Envoyé de Dieu interdit le gaspillage de la fortune. Si, par contre, il les lache pour une raison qui lui permet cela, il ne commet pas un interdit religieux, mais perd le profit de ses chameaux. Le Prophète a comparé l'homme qui sait le Coran au propriétaire de ces chameaux, quand il néglige de consacrer tous ses soins à la révision du Coran.

---

(148) El Bokhârî, op. cit., T 3, p. 536 ; tradition citée avec plusieurs variantes.
(149) Sourate L XXXVII, Al 'Aᶜlâ (Le Très-Haut), versets 6 et 7 ; Blachère, Le Coran, II, 32. Mazigh, Le Coran, p. 489.
(150) El Bokhârî, Les Traditions Islamiques, T 3, p. 536, avec quelques variantes.
(151) Ibn ᶜOmar (Voir ᶜAbd Allah Ibn ᶜOmar note 167).
(152) Il s'agit de Anas b. Mâlik et non de Mâlik b. Anas.
(153) El Bokhârî, T 3, pp. 535-536.

dans le Ṣaḥîḥ, que le Prophète (que Dieu répande sur lui Ses bénédictions et lui accorde le Salut) a dit : "j'ai vu cette nuit en songe deux hommes venir à moi ; ils m'éveillèrent et me dirent !. En route ; je partis avec eux et voilà que j'aperçus deux individus : l'un couché sur le dos ; l'autre, debout, tenant à la main un roc, s'en servait pour broyer la tête du premier. Après chaque coup, la pierre roulait et, pendant le temps que le bourreau mettait à l'aller ramasser, la tête du supplicié se cicatrisait et reprenait sa forme. Alors, le bourreau se remettait à frapper sa victime comme la première fois. Gloire à Allah ! Que signifie ceci ? demandai-je à mes compagnons. – En route ! me répondirent-ils." Samora cita le ḥadîṯ jusqu'à ce qu'il dit : "Je [le Prophète] demandais à mes deux compagnons : "Cette nuit, j'ai vu quelque chose d'étonnant ; apprenez-moi maintenant ce que signifie tout ce que j'ai vu !" – Eh ! bien, me répondirent-ils : "Quant au premier homme que tu as vu se faire broyer la tête par le roc, en passant auprès de lui, c'était un homme qui apprenait le Coran et l'oubliait et qui dormait toute la nuit sans faire la Prière prescrite."(142)

Abû-l-Ḥasan ajoute : "Il a été ordonné à quiconque a oublié un passage coranique de ne pas dire : "Je l'ai oublié,"(143) d'après un ḥadîṯ de Sufyân, dans le Ṣaḥîḥ. Sufyân – avec la chaîne de garants suivante : Manṣûr,(144) Abû Wâ'il,(145) ᶜAbd Allâh(146) – rapporte que l'Envoyé de Dieu (Que Dieu répande sur lui ses bénédictions et lui accorde le salut) a dit : "Personne ne doit dire : "J'ai oublié le Coran," mais : "on m'a fait oublier."(147)

Šuᶜba et d'autres rapportent, d'après Manṣûr, Abû Wâ'il, ᶜAbd Allah, que le Prophète (salut et bénédictions de Dieu sur lui) a dit : "Malheur à celui d'entre vous qui dit : "J'ai oublié tel et tel verset, et à plus forte raison qu'on le lui a fait oublier. Cherchez à songer au

---

(142) Tradition dans El Bokhâri, op. cit., avec des variantes, T I, Titre XXIII (Des Funérailles), chap. X, III bis, pp. 446-449.

(143) Allusion à une Tradition qui sera mentionnée un peu plus loin et au verset coranique N° 6, sourate L XXXVII "Nous te ferons réciter le Coran, et tu n'en oublieras que ce que Dieu voudra".

(144) Manṣûr : Peut être (Abû ᶜAttâb Manṣûr b. al Muᶜtamir b. ᶜAbd Allâh as-Salami), un des grands traditionnistes de Kûfa. (mort en 132/750). Voir Zirikli, T 8, p. 245.

(145) Abû Wâ'il. A identifier.

(146) ᶜAbd Allah (b. ᶜomar) voir note 167.

(147) El Bokhâri, op. cit., T 3, p. 537.

"La seconde personne est celle qui a reçu de Dieu la fortune et qui la prodigue pour la vérité." – Un homme dit alors : "Plût à Dieu que j'eusse reçu ce qu'a reçu un tel, car je pourrais faire ce qu'il fait."(139) Dieu (gloire à Lui) a bien décrit dans son Livre le lecteur du Coran. Aussi, le Puissant et Grand a-t-il dit : "Ceux qui récitent le Livre d'Allah, accomplissent la Prière, dispensent en aumônes, en secret comme en public, une partie de ce que Nous les avons pourvus, Ceux-là espèrent un gain impérissable. [Allah] leur donnera entièrement leur rétribution et les gratifiera d'un surplus de ses faveurs. Car Il est Tout Clément et reconnaît les œuvres méritoires. Ce que Nous t'avons révélé de l'Ecriture est la Vérité même, confirmant la véracité des Messages antérieurs. Sur ses serviteurs, Allah est, certes, informé et clairvoyant."(140)

Abûl-Ḥasan dit : "Je t'ai bien expliqué ce qui a été dit sur les mérites de quiconque apprend le Coran et l'enseigne ; de même, je t'ai présenté une description du porteur du Livre assez suffisante de sorte que tu n'auras pas besoin de poser des questions sur l'usage du Coran, sur l'équité de celui qui le connaît. Tout ceci est [tiré] du Livre de Dieu Puissant et Grand et des Traditions rapportées de la bouche de l'Apôtre (qu'Allah le bénisse et lui accorde le salut éternel). Quant à ta question concernant celui qui a appris le Coran, puis l'a délaissé au point qu'il l'a oublié, [sache que] s'il l'a négligé par renoncement et non à cause d'une tâche préoccupante qui lui tient lieu d'excuse, je crains qu'il n'aura à endurer une épreuve évoquée au sujet de celui qui a appris le Coran, puis l'a oublié ; car c'est là un bienfait qu'il a renié. Ceci ne s'applique qu'à celui qui, de propos délibéré, se détourne du Livre pour une autre préoccupation. S'il l'a négligé pour entreprendre une des actions propres aux Insensés, [son châtiment] sera plus dur encore. Qui te dit que cet oubli ne l'a pas atteint uniquement par châtiment ?. Car il s'est détourné du Livre pour un piètre bénéfice. Ce mauvais profit est, de sa part, un péché dont le châtiment anticipé découle du fait qu'il ait oublié le Coran après l'avoir retenu.

Samora b. Jondob,(141) rapporte, dans un de ses hadîṯs contenu

---

(139) Ibid, p. 534.

(140) Sourate XXXV, Fâṭir 'al-Malâ'ika, versets 29-31 ; Blachère, Le Coran, III, 602. Mazigh, Le Coran, p. 355.

(141) Samora b. Jondob. (Samora b. Jondob b. Hîlâl al Farâzî) ; un des compagnons du Prophète, il a été promu au gouvernorat de Baṣra, par Ziyâd, à combattre les Harijîtes. Il mourut en 60/679 ; Voir Ziriklî, T 3, p. 203.

clamée) a précisé les catégories de porteurs du Coran d'après la parole du Puissant et Grand : "Ensuite Nous avons fait hériter de l'Écriture ceux de Nos serviteurs que Nous avons élus. Parmi eux, il en est qui se font tort à eux-mêmes. Parmi eux, il en est qui suivent une voie moyenne. D'autres, enfin, avec la permission d'Allah se surpassent en bonnes œuvres. C'est là la Grande Faveur. Ceux-là entreront aux Jardins Édéniques... (jusqu'à ce qu'il dit) : "Nulle peine ne nous y touchera. Nulle lassitude ne viendra nous y effleurer."(133)

Saᶜîd(134) – avec la chaîne de garants suivante Qatâda,(135) 'Anas, Abû Mûsa(136) – rapporte, dans un ḥadîṯ du Ṣaḥîḥ(137) que le Prophète (que Dieu répande sur lui ses bénédictions et lui accorde le salut) a dit : "Le Croyant, qui récite le Coran et qui le met en pratique, ressemble à l'orange qui a une saveur agréable et une excellente odeur ; le croyant qui ne récite pas le Coran et qui ne le met pas en pratique, est pareil à la datte dont la saveur est agréable mais qui n'a pas de parfum. Enfin, l'hypocrite qui récite le Coran est pareil au myrte dont le parfun est agréable et le fruit amer. Quant à l'hypocrite qui ne récite pas le Coran, il est comme la coloquinte dont le fruit est amer – ou suivant une variante – exécrable, et donc le parfum est amer."(138) D'après Abû Huraïra dans le Ṣaḥîḥ, l'Envoyé de Dieu (que Dieu répande sur lui ses bénédictions et lui accorde le Salut) a dit : "Il n'y a que deux personnes dont le sort soit enviable : celle à qui Dieu a enseigné le Coran et qui le récite nuit et jour." – Un voisin ayant entendu cela s'écria : "Plût à Dieu que j'eusse reçu (du Coran) ce qu'a reçu un tel, car je pourrais faire ce qu'il fait." –

---

(133) Sourate XXXV, Fâṭir et al-Malâ'ika (créateur ou le Anges), versets 32-35 ; Blachère, Le Coran, III, 602-603. Voir Mazigh, Le Coran, p. 356.

(134) Saᶜîd. Plusieurs traditionnistes s'appellent ainsi : Saᶜîd b. Hârûn ; Saᶜîd b. Saᶜîd al Maġribi ; Saᶜîd b. al-Musayyib (13-94 H = 634-713 j.c.), l'un des sept grands jurisconsultes ; Saᶜîd b. Jubayr, un des compagnons de la 2e génération, mort en 95/714 ; Zirikli, III, 145.

(135) Qatâda (b. Diᶜâma), exégète et traditionniste originaire de Baṣra (61-118) (680-736) ; Zirikli, VI, 27 ; Ibn Ḫallikân, "wafayât" T III, p. 248. Voir aussi Ibn Saᶜd "Ṭabaqât" T VII, p. 229.

(136) Abû Mûsa (al Ašᶜari), mort vers 52/672 ; croyant d'une haute conscience, il joua un grand rôle dans le différent ayant opposé ᶜAlî à Muᶜâwiya. Voir E I, I, 488.

(137) Le Ṣaḥîḥ (L'Authentique), recueil de Traditions authentiques recensées par El Bokhârî et Moslim.

(138) Tradition in El Bokhârî, op. cit., T III, Titre LXVI (Des Mérites du Coran), chap. XXXVI, pp. 542-543.

ar-Raḥmân[126] – rapporte que le Prophète (salut et bénédiction divins sur lui) a dit : "le plus méritant d'entre vous est celui qui apprend le Coran ou l'enseigne."[127] Selon Sufyân : "Le meilleur d'entre vous est celui qui apprend le Coran et qui l'enseigne (ensuite.)"[128] An-Nisâî – avec la chaîne de garants suivante : ʿUbayd Allah ibn Saʿîd, ʿAbd-ar-Raḥmân,[129] ʿAbd ar-Raḥmân b. Budayl b. Maysara,[130] 'Anas b. Mâlik[131] – rapporte aussi que l'Envoyé de Dieu a dit : "Allah a les Siens parmi les hommes." Comme on lui demandait qui sont-ils ?, il répondit : "Les porteurs du Coran : ce sont les élus d'Allah, ses intimes."[132] Dieu (que Sa gloire soit pro-

---

(122) Yaḥia/Abû Zakariyâ, yaḥya b. Ḥassân Az-Zikrî/ : Savant traditionniste faisant autorité, né à Damas en 144/761 ; il s'établit en Egypte où il mourut en 208/823. Voir Ziriklî, T IX, p. 170.

(123) Šuʿba/b. al Ḥajjâj b. alward al ʿatakî al Azdî al-wâsiṭî al baṣrî/, grand traditionniste (82-160/701-776). Voir Ziriklî, T III, p. 241.

(124) Sofyân. 2 célèbres traditionnistes portent ce nom : a) Sofyân b. Saʿîd b. Musrûq aṯ Ṯawrî (97-161/716-778), savant traditionniste originaire de Kûfa qui s'établit à la Mecque et à Médine. Il réunit des traditions dans 2 ouvrages "Al Jâmiʿal Kabîr" et "al Jâmiʿ 'aṣ-Ṣaġîr". Voir Ibn Ḫallikân "Wafayât", T II, p. 127 ; éd. 1367/1948. b) Sofyân b. ʿuyayna (107-198/725-814) : savant traditionniste de Kûfa ; il rédigea "al Jâmiʿ", ouvrage de traditions. Voir Ibn Ḫallikân, op. cit., T II, p. 129 sq.

(125) ʿalqama b. Marṯad ; traditionniste de Kûfa de la troisième génération. Voir Ibn Saʿd "Ṭabaqât", T VI, p. 331.

(126) Abû ʿAbd ar-raḥmân/as-Sulamî/Voir note 116.

(127) Tradition in El Bokhârî, op. cit., T III, p. 534.

(128) Ibid, p. 534.

(129) ʿAbd ar-raḥmân : Plusieurs transmetteurs de ḥadîṯs s'appellent ainsi, tels que ʿabd ar-raḥmân b. Mahdî, ʿabd-ar-raḥmân b. Nawfal, ʿabd ar-raḥmân b. Isḥâq etc...

(130) Abd ar-raḥmân b. Budayl b. Maysara : A identifier.

(131) Anas b. Mâlik/Abû Ḥamza/, un des plus féconds traditionnistes. Ne pas le confondre avec Mâlik B. Anas, célèbre jurisconsulte, mort vers 179 H. Après l'hégire, sa mère l'offrit au Prophète comme serviteur. Il était alors âgé de 10 ans. Jusqu'à la mort de Muḥammad, il resta à son service, puis il prit part aux guerres de la conquête. Il joua aussi de petits rôles dans les guerres civiles. Anas mourut à Baṣra à un âge très avancé entre 97 et 107 ans (on trouve souvent, comme date de sa mort, 91-93 = 709-711). Comme traditionniste, il ne jouit pas de la meilleure renommée. Voir E. I. I, 350-51.

(132) La même tradition se trouve - avec une chaîne de garants différente – dans S (Ibn Saḥnûn "Les règles de conduite des maîtres d'école"). Al-Qâbisî éprouve le besoin de défendre le maître qui enseigne le Coran en insistant sur son mérite ; "être maître d'école était [parfois] une injure, car la profession de pédagogue était très méprisée en milieu arabe". Voir sur cette question H. Lammens "La cité de Tâïf à la veille de l'hégire", Beyrouth 1922, I vol in 4°, p. 140. Voir Ǧaḥiẓ "Risâlat al-muʿallimîn".

versets révélés dans ce sens abondent dans le coran et sont bien connus. La poursuite de leur énumération dans le présent ouvrage le rendra très long. C'est une notion explicite dans le coran qui dispense de tout autre livre. Qu'Allah, maître des Mondes, en soit loué.

Quant aux mérites de celui qui apprend le Coran ou l'enseigne, il existe, à ce propos, une Tradition célèbre et répandue ; c'est celle de Saᶜd ibn ᶜobaïda[115] qui rapporte d'après la chaîne de garants suivante : Abû ᶜAbd ar-Raḥmân as-sulami,[116] Utmân[117] (Qu'Allah l'agrée), que l'Apôtre (salut et bénédiction divins sur lui) a dit : "Le meilleur d'entre vous est celui qui apprend le Coran et l'enseigne."[118] Saᶜd, un des râwî (transmetteur de ḥadîṯs) ajoute : 'Abû ᶜAbd ar-Raḥmân enseigna le Livre sous le règne de ᶜUṯmân jusqu'à l'époque d'El Ḥajjâj ;[119] c'est ce hadîṯ dit Abû ᶜAbderraḥmân qui m'a retenu ici à la place que j'occupe." 'Abû-l-Ḥasan remarque : "C'est bien Abû ᶜAbd ar-Raḥmân qui a dit : "c'est ce ḥâdîṯ qui m'a retenu à la place que j'occupe", voulant remarquer que c'est le ḥadîṯ de ᶜUṯmân que Dieu l'agrée, rapporté de la bouche de l'Apôtre (salut et bénédiction divins sur lui) au sujet du mérite de quiconque apprend le Coran ou l'enseigne, qui l'a incité à s'asseoir pour enseigner aux gens le Coran et le leur faire réciter.

'Abû ᶜAbd ar-Raḥmân an-Nisâ'î[120] – avec la chaîne de garants suivante : ᶜUbayd Allah ibn Saᶜîd,[121] Yaḥia,[122] Šuᶜba,[123] Sufyân,[124] ᶜalqama ibn Marṯad,[125] Saᶜd ibn ᶜUbayda, 'Abû ᶜAbd

---

(115) Saᶜd ibn ᶜObaïda (as-salamî) ; il transmit les hadiṯ-s d'après ᶜAbd Allâh ibn ᶜOmar, ᶜAbd Allah ibn ᶜAbbâs ; c'est un traditionniste de Kûfa faisant autorité. Voir Ibn Saᶜd "Ṭabaqât" T VI, p. 298.

(116) Abû ᶜAbd ar-Raḥmân as-Sulami ; transmetteur de ḥadiṯs. Compagnon de la seconde génération et traditionniste faisant autorité "Il mourut pendant le règne de ᶜAbd al Malik ibn Marwân à Kûfa. Voir Ibn Saᶜd "Ṭabaqât," T VI, pp. 172-175.

(117) ᶜuṯmân (b. ᶜAffân) : troisième calife (de 23/644 à 35/655) ; Voir E I, III, 1077 sq.

(118) Tradition in El Bokhârî "Les traditions Islamiques", T III, Titre LXVI (Des mérites du Coran), p. 534.

(119) Hajjâj (b. Yûsuf) : homme d'état né à Tâ'if, vers l'an 41/661 ; très loyal aux omaiyades. Voir E I, II, 215 sq.

(120) Abû ᶜabd ar-raḥmân an-nisâ'î (215 – 303/830 – 915) : câḍi et traditionniste d'origine persane ; il s'est établi en Egypte et a réuni 2 ouvrages de Ḥadiṯs "As-Sunan al Kubrâ" et "Al Mujtanâ" (ou As-Sunan aṣ Ṣuġrâ). Voir Ziriklî, T I, p. 164.

(121) ᶜUbayd Allah b. Saᶜîd/Abû Qudâma, ᶜubayd Allah b. Saᶜîd b. yaḥyâ As Sarahsî/, mort en 241/855 ; traditionniste faisant autorité, d'origine persane. El Bokhârî et Moslim rapportent de lui plusieurs ḥadîṯs. Voir Ziriklî, T IV, p. 349. ⟶

aux humains et d'Edification pour les croyants."(108)

Tout ce qui est dit de cette façon, au début des Sourates, est une glorification du Coran et un enseignement sur son mérite, destiné aux Croyants ; il en est de même de cette parole du Puissant et Grand : "Humains ! une preuve décisive vous est venue de votre Seigneur et Nous avons fait descendre vers vous une Lumière éclatante"(109) ; et de même cette parole du Très-haut : "Il vous est venu, émanant de Dieu, une Lumière, une Ecriture explicite par laquelle Il dirige ceux qui quêtent Sa grâce, dans les chemins du Salut. Ainsi, ils se verront, avec Sa permission, tirés des Ténèbres vers la Lumière et dirigés vers le droit chemin."(110) Dieu (que Sa gloire soit proclamée) a dit aussi à Son prophète (salut et bénédiction divins sur lui) : "[Prophète] ! Nous avons fait descendre vers toi l'Ecriture chargée de Vérité, déclarant véridiques les Ecritures antérieures et les parachevant."(111) "Cette Ecriture – le savent-ils ? – est transcendante (ᶜazîz). Le Faux ne s'y glisse par aucun côté. C'est une révélation (tanzîl) émanant d'un [Seigneur] sage et digne de louanges"(112) ; "Ce coran conduit vers la voie la plus droite ; il annonce aux Croyants qui accomplissent des œuvres pies qu'ils auront un grand salaire et, à ceux qui ne croient point en l'Au-Delà, que Nous leur avons préparé un tourment douloureux(113) ; "ceci est une Ecriture bénie que Nous avons fait descendre. Suivez-la et soyez pieux! Peut-être vous serez-vous admis en Sa grâce."(114) Les

---

(108) Sourate VII, Les 'Aᶜrâf, versets 1 et 2 ; Blachère, Le Coran, III, 607 ; voir Mazigh, op. cit., p. 153.

(109) Sourate IV, 'An-Nisâ, verset 174 ; Blachère, op. cit., III, 969 ; Mazigh, op. cit., p. 123.

(110) Sourate V, 'Al-Mâ'ida (La table servie), versets 15 et 16 ; Blachère, op. cit., III, 1118 ; Mazigh, op. cit., p. 126.

(111) Sourate V, 'Al-Mâ'ida (La table servie), une partie du verset 48 ; Blachère, op. cit., III, 1127. "Muhayminun ᶜalay-hi," "en proclamant l'authenticité" ; sens accueilli par les commentateurs, mais fort discutable. Le terme ne se trouve que dans le N° L IX, 23, peut-être avec le sens de "Pacificateur." Nous optons pour la traduction plus fidèle de Sadok Mazigh où il est question du Coran qui "parachève" les Écritures antérieures ; voir Mazigh, Le Coran, p. 129.

(112) Sourate XLI, Fuṣṣilat (Elles ont été rendues intelligibles), versets 41 et 42 ; Blachère, op. cit., II. (voir), également, Mazigh, Le Coran, p. 388.

(113) Sourate XVII, 'Al'Isrâ' (Le Voyage Nocturne ou Les Fils d'Israël), versets 9 et 10 ; Blachère, op. cit., II, 378 ; Mazigh, op. cit., p. 243.

(114) Sourate VI, Al'Anᶜâm (Les Troupeaux) ; verset 155 ; Blachère, op. cit., III, 702 ; Mazigh, Le Coran, p. 152.

"De sa question concernant ce qui est dit sur les mérites du coran, ce qui est prédit en faveur de quiconque l'apprend et l'enseigne, les matières qu'on enseigne avec le Livre, l'équité de quiconque le connaît, celui qui l'a négligé à tel point qu'il l'a oublié, ce qui est promis à quiconque l'enseigne à son enfant et si cela est un devoir qui incombe au père ou à un autre, celui qui instruit les filles."

'Abû-l-Ḥasan dit : "Tu m'as demandé de commencer par te citer quelques mérites du coran ; de ces mérites, il te suffit de savoir que le coran est la parole de Dieu, Puissant et Grand ; cette parole n'est point créée.(103) En outre, Dieu a loué le mérite de cette Prédication, à maintes reprises dans le Livre. Il a dit : "Allah a révélé le plus beau des discours, un Livre aux versets tout pareils et qui se font écho. Ceux qui craignent le Seigneur en sont saisis d'un frisson pour se fondre ensuite, corps et âmes, en une paix ineffable au souvenir de Dieu. Telle est la grâce de Dieu par laquelle Il dirige vers Lui qui Il veut. Mais quiconque est égaré par Allah nul ne saurait le guider."(104)

Dieu très Haut a dit encore : "'Alîf-Lâm-Râ. Ce sont les 'âya d'un livre explicite. Nous l'avons fait descendre en une Prédication arabe pour vous le rendre accessible. Nous te contons par cette Révélation les plus beaux contes, bien qu'avant cela tu aies certes été parmi les Insouciants."(105) «Alîf-Lâm Mîm. Cette Ecriture – nul doute à son endroit – est Direction pour les Pieux."(106) "A.L.M.Ṣ.(107) [ceci est] une Ecriture qu'on a fait descendre vers toi. Qu'elle ne suscite en ton cœur nulle angoisse! Qu'elle serve, par ta voie, d'avertissement

---

(103) Al-Qâbisî partage l'opinion des savants malikites Ifriqyens sur l'éternité du Livre sacré. Voir "Riaḍ an-Nufûs" d'al Mâlikî. Éd. 1951 ; voir dans biographie de Saḥnûn (La querelle entre savants et gouvernants à propos de la création du coran).

(104) Sourate XXXIX, Az Zummar (Les groupes) ; Blachère, Le Coran, T 2, pp. 514-515, verset 23 ; Mazigh, op. cit., p. 375.

(105) Sourate XII, Joseph, versets 1, 2, 3 ; Blachère, op. cit., T 2, pp. 462-463 ; Mazigh, op. cit., p. 209.

(106) Sourate II, Al Baqara (La Génisse), versets 1 et 2 ; Blachère, op. cit., III, 731 ; Mazigh, op. cit., p. 60.

(107) Sur ces sigles, voir. Blachère, Introduction au Coran, p. 145.

voyé de Dieu (salut et bénédictions divins sur lui) a dit : "L'Heure suprême ne sonnera que lorsque le soleil se lèvera du couchant. Quant elle se lèvera et quand les Gens la verront, tous auront la foi ; mais ceci, au moment où la foi [nouvelle] ne sera d'aucune utilité à l'âme."[102] Ensuite le prophète a récité le verset coranique.

(102) Tradition dans la Ṣaḥîḥ d'al Bokhârî, voir Mustapha Muḥammad ʿAmâra "Ǵawâhir al Bokhârî", éd. Le Caire 1371, T 4, p. 383.

a dit encore : "A quiconque réalise une belle action, Nous répondons par récompense plus belle encore. Allah, si enclin au pardon, est prompt à apprécier les bonnes œuvres."(96) La meilleure action est celle que le fidèle s'engage à accomplir en ayant l'impression qu'il voit Dieu, comme l'a expliqué clairement l'Apôtre – que le salut soit sur lui. Selon l'Envoyé de Dieu, Gabriel, salut divin sur lui, est venu enseigner aux hommes leur religion. L'Archange a demandé : "Quand sonnera l'Heure Finale ?" et le Prophète a repris ; "Celui qui est interrogé sur ce point n'en sait pas plus que celui qui interroge" ; jusqu'à ce qu'il a dit : "Cette Heure est une des cinq choses que Dieu seul connaît" : Puis l'Apôtre a récité : "Allâh sait l'Heure [de la résurrection générale]... (voir verset)." L'Envoyé de Dieu a informé les fidèles que Dieu seul connaît ces cinq mystères, conformément à cette parole du Puissant et grand : Dis-leur : "ceux qui sont dans le ciel et sur la terre ne connaissent pas le Mystère du Monde. Seul ! Allah [le connaît]."(97) Il a dit aussi : "Il (Allah) détient les clefs de l'Inconnu. Lui seul peut en percer le mystère."(98)

Les créatures en connaissent seulement ce que Dieu leur en fait paraître dès que le mystère se dévoile à la vue, car cela peut se produire ; Dieu veut dire : "Certes, je connais ce que vous ne devez pas poser de question à son sujet." L'Heure suprême a des signes(99) précurseurs qui annoncent son approche. Tirez de ceci argument et prenez garde! car Dieu, Puissant et Grand, a dit : "Lui seul la fera surgir [c.à.d. L'Heure] en son terme fixé. Tout en sera bouleversé dans les Cieux et sur la terre !. Elle ne viendra à vous qu'à l'improviste."(100) Dans un autre verset : "Le jour où certains signes de ton Seigneur se feront visibles, alors la profession de foi ne servira plus à rien à quiconque n'aura pas cru auparavant ou accompagné sa foi de bonnes œuvres."(101) Il est rapporté dans le Ṣaḥīḥ ceci : "L'En-

---

(96) Sourate XLII, 'Aš-Šûrâ (La Délibération), verset 23 ; Blachère, op. cit., T 3, p. 551 ; Mazigh, op. cit., p. 392.

(97) Sourate XXVII, An Naml, Les Fourmis), verset 65, Blachère, op. cit., T 2, p. 324. Mazigh, op. cit., p. 317.

(98) Sourate VI, Al'Ancâm Les Troupeaux), verset 59, Blachère, op. cit., T 3, p. 676 ; Mazigh, op. cit., p. 142.

(99) Dans le manuscrit, nous trouvons "wa laysa li-s-sâcati ašrâṭun" ; il faut plutôt lire : "wa lis-Sâcati ašrâṭun".

(100) Sourate VII, Al 'Acrâf, une partie du verset 187, Blachère, op. cit., T 3, p. 652 ; Mazigh, op. cit., p. 169.

(101) Sourate VI, Al 'Ancâm, une partie du verset 158, Blachère, op. cit., T 3, p. 703. Mazigh, op. cit., p. 152.

il entendait, la vue qui lui servait pour voir, la main avec laquelle il forçait et le pied sur lequel il marchait. Et certes, s'il me demandait une aide, je la lui accorderais ; s'il cherchait refuge auprès de Moi, je le protègerais."

'Abû-l-Ḥasan dit : "Voici une tradition bien évidente, profondément exhortante et réjouissante pour quiconque l'admet, soit qu'il se contente de s'aquitter des obligations d'institution divine (farâ'iḍ) ou qu'il y ajoute, une fois qu'il les a toutes remplies, des actes surérogatoires (nawâfil) ; car ces derniers ne doivent être entrepris qu'après l'accomplissement des obligations d'institution divine. Celles-ci font partie des œuvres pies prescrites comme obligations divines ; les nawâfil sont aussi des actes d'obéissance, mais que Dieu a simplement recommandé de pratiquer (nadaba)[92] et inspiré à Son Envoyé le désir de les accomplir (Raġġaba)[93]. La parole divine suivante, dans la Tradition en question : "J'étais l'ouie par laquelle il entendait, jusqu'à la fin de cette description [métaphorique]" veut dire : "J'étais son protecteur qui empêchait son ouie d'entendre un péché quelconque ; Je lui protégeais aussi l'œil, la main et le pied et l'empéchais d'employer un de ces organes ou membres dans un péché ou dans un acte réprouvable,[94] vu la protection qu'il a méritée par sa piété."

Je t'ai expliqué les actes dont la pratique place le croyant parmi les Saints quand il s'y limite et ceux dont l'accomplissement supplémentaire lui assigne une place plus élevée [auprès de Dieu] et l'en rapproche davantage. Tout ceci est contenu dans la parole de Dieu, Grand et Puissant : "Il leur a été ordonné d'adorer seulement Allah, lui vouant le culte pur, d'accomplir la Prière, de donner l'Aumône (Zakât) ; car tel est la vrai religion."[95] Le Puissant et Grand

(92) Nadaba (louer, d'où le mandoûb (louable) ; acte qu'il est simplement recommandé de faire. Rappelons que les qualifications légales sont au nombre de cinq : le wâjib ou farḍ (obligatoire) ; le ḥarâm (interdit), acte qui entraîne désapprobation quand on le fait et approbation quand on s'en abstient ; le makroûh (réprouvable), acte qu'il est simplement recommandé de ne pas faire ; le mandoûb (louable) et le mubâh (licite) qu'il est indifférent de faire ou de ne pas faire. Voir Risâla d'Ibn 'Abî Zayd, p. 17 et notes p. 337.

(93) Raġġaba ; voir note 91.

(94) "Les organes qui sont : l'ouïe, la vue, la langue, les mains, les pieds, le ventre et les parties sexuelles, doivent être employés selon les commandements divins." Voir-Risâla, p. 15.

(95) Sourate XCVIII, Al Bayyina (La Preuve), verset 5 ; Blachère, Le Coran, T 3, p. 818 ; Mazigh, Le Coran, p. 497.

Prophète renouvelle la foi du Croyant, chaque fois qu'il s'en souvient.

Ainsi, lorsqu'il se met à pratiquer le culte de Dieu en se souvenant que Dieu est témoin de ses pratiques, son attachement à Lui se raffermit. Si Satan tente de camoufler au croyant la réalité d'une chose, et que celui-ci implore le secours de Dieu, cherche refuge auprès de Lui [contre Satan], Dieu lui suffira pour vaincre son ennemi ; il l'assistera contre lui. Satan ne trouvera aucune issue pour le tenter comme il l'a trouvée pour tenter l'insoucieux vivant dans le tumulte des obsessions démentielles et des appétits. Il n'y a d'infaillible que celui que Dieu Puissant et Grand protège. Si le serviteur dont la pratique religieuse est bonne, se limite à acquitter uniquement les obligations d'institution divine (farâ'iḍ) et à éviter les prohibitions légales (Maḥârim), celui-là comptera aussi parmi les Pieux. Dieu, Puissant et Grand, a dit : "Quiconque, homme ou femme ayant la foi, accomplit des œuvres pies, celui-là entrera au Paradis et il ne sera pas lésé d'un zeste."[89] Lorsque le serviteur se soustrait aux péchés, il comptera parmi les Pieux. Les actes de dévotion qu'il accomplira, à part cela, lui apporteront d'autres récompenses.

Selon 'Abou Horaïra, dans le Saḥîḥ, l'Envoyé de Dieu (Salut et bénédiction divins sur lui) a dit : Allah dit : "Quiconque manifeste une hostilité envers l'un de mes Saints, certes je lui déclare la guerre. Jamais mon serviteur ne s'est rapproché de Moi par un acte quelconque qui me parût plus cher que les obligations légales prescrites.[90] Il n'a cessé de rechercher Ma faveur par les actes surérogatoires (Nawâfil)[91] jusqu'à ce que je l'aie aimé. J'étais l'ouie par laquelle

---

(89) Sourate IV, Les Femmes, Blachère, op. cit., T 3, p. 958, verset 124 ; Mazigh, Le Coran, p. 118.

(90) Le farḍ ou wâjib (obligation) : une des cinq qualifications légales ; acte qui entraine approbation quand on le fait et désapprobation quand on s'en abstient. Voir Risâla d'Ibn 'Abi Zayd al Qayrawâni, note p. 337.

(91) Les actes qui ont le caractère de sunna dite surérogatoire (Nâfila, pl. Nawâfil) sont les actes que le Prophète n'a pas fait habituellement et pour lesquels il n'a pas fixé exactement le nombre de fois que chacun d'eux devrait être accompli. Un acte a le caractère de sunna, quand sans être wâjib, il a été fait habituellement et publiquement par le Prophète. Nous distinguons trois catégories de sunna : Les sunna renforcées (sunna mu'akkada) qui sont plus méritoires que les autres ; les sunna désirables (raghâ'ib) qui sont les actes faits habituellement mais non publiquement par le Prophète et dont il a recommandé la pratique plus instammant que celles de sunna dites surérogatoires (nâfila, pl. nawâfil). Voir cette question, La Risâla d'Ibn 'Abî Zayd, p. 17 et notes p. 337.

à l'égard des Infidèles et compatissants entre eux...", jusqu'à la fin de la Sourate.[83] Certes, Ibn Masᶜoud[84] dit : "A mon avis, le plus beau des discours est le Livre d'Allah,[85] le plus bel exemple est celui de Moḥammad[86] et les choses les plus blamâbles sont les innovations (Muḥdaṯât).[87] Ce qui vous est promis arrivera inéluctablement et vous n'êtes point Pécheurs."

Quant à ta question : comment bien faire, [sache] que les caractéristiques du bien faire ont été décrites précédemment dans ce chapitre dès le début. Quiconque réalise pleinement et de la meilleure manière ce qui a été dit, celui-là réunit toutes les qualités des Vertueux. Par contre, celui à qui échappe une de ces qualités, l'écart entre lui et quiconque réunit toutes les qualités de la Vertu est proportionné à cette carence, quand elle résulte de sa négligence. Dieu, Puissant et Grand, a dit : "Quiconque, homme ou femme, accomplit œuvre pie, étant croyant, Nous lui accorderons une vie heureuse et, certes, Nous lui donnerons sa récompense pour prix de ce qu'il a accompli de mieux."[88]

Je t'ai exposé clairement ce que je sais comme explication de l'action de bien faire ainsi que la parole suivante de l'Apôtre, que le salut et la bénédiction de Dieu soient sur lui : "Bien faire, c'est adorer Dieu comme si on le voyait" ; le serviteur doit observer cela rigoureusement, pour l'amour de Dieu, dans ses déplacements et ses haltes ; cette façon d'adorer Dieu est facile pour celui auquel Dieu la lui a rendue aisée, et son bienfait est immense ; en effet, cette parole du

---

(83) Sourate XL VIII, Al Fatḥ, (Le Succès) ; Blachère, op. cit., T 3, p. 1057, verset 29 ; Mazigh, op. cit.,p. 414.

(84) Ibn Masᶜoud : ᶜAbd-Allah Ibn Masᶜoud (mort vers 30 H/650 J.-C.), ancien berger,converti de la première heure, ce personnage devient le serviteur de Mahomet qu'il révère avec une piété touchante. Il se flattait d'avoir reçu de la bouche de l'Apôtre soixante dix et quelques sourates et de connaitre le coran mieux que personne. Promoteur de l'idée d'une Vulgate coranique nécessaire à la communauté islamique, il constitua un corpus et réussit à le faire prévaloir à coufa." Voir Blachère, Introduction au Coran, Édit. Besson et Chantemerle, Paris, 1959, pp. 43-45 ; E I, T II, p. 428.

(85) Réminiscence coranique : "'Allah a fair descendre le plus beau des discours" : sourate XXXIX, Az-Zummar (Les groupes), une partie du verset 32.

(86) Voir note (2), p. 21.

(87) Moḥdaṯât, synonyme de bidaᶜ (sing. bidᶜa) veut dire innovation ; l'innovation est répréhensible chez les musulmans orthodoxes ; V. Risâla d'Ibn 'Abî Zayd 'al Qayrawânî, pp. 183, 301, 337, 340.

(88) Sourate XVI, An-Naḥl (Les Abeilles) ; Blachère, Le Coran, T 2, p. 413, verset 17 ; Mazigh, op. cit., p. 240.

aussi ! "Ce que Le Messager vous a donné, prenez-le! ce qu'il vous a interdit, renoncez-y. Craignez Allah! Allah est redoutable en Son châtiment."(76) Il a dit encore : "[Croyants!] vous avez, en le Messager de Dieu, un si bel exemple pour quiconque espère en Dieu et au Jugement Dernier, et invoque (ḏakara) Allah fréquemment."(77) ; "Dis [aux croyants] : "Si vous aimez vraiment Allah, suivez-moi ! Allah vous en aimera et vous pardonnera vos péchés. Allah est Absoluteur et Miséricordieux."(78)

Ḥoḏaïfa ibn-'al-yamân(79) dit : "Ô vous qui suivez [la génération] des compagnons du Prophète,(80) si vous allez droit, vous devancerez largement [les croyants dans le Paradis] ; mais si vous déviez à droite ou à gauche, vous serez plongé dans l'égarement."

'Abû-l-Ḥasan remarque : "Ḥoḏaïfa - que la bénédiction divine soit sur lui - a voulu, par cette parole, ordonner à ceux qui n'ont pas vécu au temps du Prophète (Bénédictions et salut de Dieu sur lui), de persister droitement à suivre l'exemple des compagnons du Prophète ; car les compagnons du Prophète sont ceux qui doivent être suivis dans la voie où l'Envoyé de Dieu a invité [les croyants]." Dieu, Puissant et Grand, a dit à son Prophète que le salut soit sur lui : Dis : "Ceci est ma voie. En toute clairvoyance, j'appelle à Dieu, moi et ceux qui me suivent."(81) Le Grand Annonciateur a dit encore : "[Quiconque] suit une autre voie que celle des croyants sera livré par Nous au sort qu'il s'est choisi lui même. Nous lui ferons subir le supplice infernal et quel détestable Devenir !"(82) Les Compagnons du Prophète sont ceux-là que Dieu a dit à leur sujet : "Moḥammad est l'Envoyé de Dieu. Ses compagnons sont terribles

---

(76) Sourate L IX, Al ḥašr (Le Rassemblement) ; Blachère, op. cit., T 3, p. 978, une partie du verset 7 ; voir Mazigh, op. cit., p. 442.

(77) Sourate XXXIII, Al'Aḥzâb (Les Factions) ; Blachère, op. cit., T 3, p. 987, verset 21 ; voir Mazigh, op. cit., p. 343.

(78) Sourate III, 'âl-ᶜImrân (La Famille de ᶜImrân) ; op. cit., T 3, p. 864, verset 31 ; voir, aussi, Mazigh, Le Coran, p. 91.

(79) Hoḏaïfa ibn al-yamân, émir ayant pris part à la campagne d'Arménie, vers 30/650 ; voir Ziriklî, T 2, p. 180.

(80) Traduction de l'expression "yamaᶜšara-l-qarâ" ; al-qarâ. nom d'action de la forme I qarâ = suivre ; al-Qâbisî fait l'exégèse de cette expression un peu plus loin.

(81) Sourate XII, Joseph ; Blachère, Le Coran, T 2, p. 481, une partie du verset 108 ; Mazigh, Le Coran, p.218.

(82) Sourate IV, 'An-Nisâ' ; Blachère, op. cit., T 3, p. 956, une partie du verset 115. Mazigh, op. cit., pp. 117-118. Il manque la première partie du verset "Qoiconque se sépare ouvertement du Prophète après avoir connu clairement la Voie du Salut etc."

siste le plus longtemps, même si elle est rare.[70] Et l'Apôtre d'ajouter : "Appliquez-vous assidûment aux œuvres que vous êtes à même de faire."

Selon 'Abou Horaïra,[71] le Prophète a dit : "La religion, en principe, est de pratique facile. Que personne ne cherche à être trop rigoureux dans l'observance de la religion, sinon il succombera à la tâche. En conséquence, restez dans un juste milieu en cherchant à vous rapprocher de la perfection. Ayez bon espoir et appelez à votre aide la prière, le matin, le soir et un peu aussi pendant la nuit."[72] Comprends-le. Je t'ai exposé clairement les caractéristiques de la Probité de telle sorte qu'il n'y ait plus d'ambiguité dans ton esprit ; demande donc l'aide de Dieu et modère-toi. En effet, Ibn al-ᶜabbâs[73] que Dieu l'agrée – a dit à ce propos : "la modération, la tempérance et la belle conduite constituent la vingt cinquième partie de la prophétie. Ces trois vertus se réunissent chez quiconque se conforme aux ordres de l'Apôtre – que le salut et la bénédiction de Dieu soient sur lui – évite ce qu'il a prohibé et l'imite dans son bel exemple."[74] Dieu, Grand et Puissant, a dit : "Veillez à ne pas interpeller le Prophète comme vous le faites entre vous-mêmes. Allah connaît trop bien les artifices de certains d'entre vous, toujours prompts à s'esquiver en douceur. Que ceux qui s'opposent à Son ordre prennent Garde que ne les atteigne une épreuve pénible ou que ne les atteigne un tourment cruel."[75] Le Très Haut a dit

---

(70) Extrait d'une tradition d'Al Bokhâri – Titre II (De la Foi) ; chap. XXXII, p. 24 (avec variantes).

(71) Abou Horaïra : Compagnon du Prophète dont il transmit avec zèle les sentences et les actes. Il mourut à Médine en l'an 57 ou 58 (676-678) à l'âge de 78 ans. Voir E I, I, 96.

(72) El Bokhâri, Les Traditions Islamiques, Titre II (De la Foi), chap. XXIX, T 1, p. 276.

(73) ᶜAbd Allah Ibn ᶜAbbâs, un des cousins de Mahomet (mort vers 68/687-8) ; il est reconnu comme une autorité dans la science du coran, au début de l'Islam. Il est le premier exégète invoqué par la Tradition d'une manière habituelle. Voir E I, I, 19 sq. Il ne s'agit pas d'Ibn ᶜAbbâs (mort en 73/692), un des premiers lecteurs.

(74) En conseillant l'imitation du Prophète, Al-Qâbisî est bien dans la ligne de l'orthodoxie musulmane qui veut que le Prophète soit l'exemple de tout musulman. Les compagnons cherchaient à imiter le prophète en toute chose ; cf Muslim (Abû-l-Ḥusayn, mort en 261 H), Ṣaḥîḥ 4 vol., éd. 1330 h, Livre VIII, p. 69. Al Qâbisî suit cette ligne de conduite dans la morale qu'il enseigne aux élèves, dès leur bas-âge.

(75) Sourate XXIV, 'An-Nûr, La lumière ; Blachère, Le Coran, T 3, pp. 1021-1022, verset 63 ; voir Mazigh, Le Coran, pp. 298-299.

auras décidé et s'y soumettront totalement."[64] Il a dit encore : "Si nous leur avions prescrit de se sacrifier par la mort ou de s'expatrier, ils ne l'auraient pas fait, sauf un petit nombre d'entre eux. S'ils avaient fait ce à quoi ils sont exhortés, c'eût été meilleur pour eux et plus à même d'affermir leur foi. [S'ils faisaient cela,] Nous leur donnerions alors une immense rétribution et Nous les dirigerions dans un droit chemin ."[65] Puis, Il a ajouté : "Ceux qui obéissent à Allah et à l'Apôtre, ceux-là sont avec les Prophètes, les Justes (Ṣiddîq), les Martyrs et les Saints qu'Allah a reçus en Sa grâce. Ce sont là les meilleurs des compagnons !...," jusqu'à ce qu'Il dit : "Il n'y a pas de science égale à celle d'Allah."[66] Dieu, Puissant et Grand, a ordonné aux Croyants, dans la Liminaire,[67] de dire : "Dirige-nous dans le droit chemin, Voie de ceux que Tu as reçus en Ta grâce, qui ne sont ni l'objet de Ton courroux ni les Egarés."[68] Le Puissant et Grand a indiqué aux Croyants ceux à qui Il a accordé ses bienfaits, en les amenant à Son obéissance et à celle de Son Apôtre ; ce sont ceux ayant accepté ce qui est venu d'Eux et répondu, par la pratique, à l'exhortation. Cette faveur émane de Dieu qui suffit pour tout savoir.

La Probité ('Istiqâma), c'est le fait de persévérer dans la pratique religieuse, avec constance et équilibre, de ne pas s'en écarter ni à droite ni à gauche, de ne pas s'imposer comme obligation ce qui dépasse la capacité humaine.

ᶜÂ'îcha,[69] que Dieu l'agrée rapporte : "Le Culte qui plaît le plus au Messager de Dieu (Bénédictions et Salut divins sur lui), c'est celui que le fidèle peut persister longtemps à pratiquer ?" Elle rapporte encore : "comme on demandait au Prophète ; "Quelle est l'œuvre qui plaît le plus à Dieu ?," il répondit : "c'est celle qui per-

---

(64) Sourate IV, an-nisâ', Les Femmes, Blachère, op. cit., T 3, p. 943, verset 65. Voir Mazigh, op. cit., p. 112.

(65) Ibid, verset 66 à 68.

(66) Ibid, Blachère, T 3, p. 943-944, verset 70.

(67) Fâtiḥat al Kitâb, "Celle qui ouvre le Livre", "La Liminaire", titre postérieur usuel de la Sourate, qui paraît avoir été désigné du vivant de Mahomet, sous le nom d'al-Maṯânî ou d'as-Sabᶜal-Maṯânî, probablement : "Les Septs versets à répéter, dans l'oraison. A toutes les époques, elle est désignée par l'expression d'Ûmm al Kitâb ou encore de Umm-l-Qur'ân "La Somme de l'Ecriture, du Coran" ; voir Blachère, op. cit., T 2, pp. 125-126.

(68) Sourate I, Blachère, op. cit., p. 127, versets 6-7 ; voir Mazigh, op. cit., p. 59.

(69) ᶜÂïcha : Epouse du Prophète ; s'est opposé à ᶜAli dans sa lutte contre Muᶜâwiya. Elle mourut 58/678. Voir E I, I, 220.

"Nous ne laissons pas perdre le salaire de ceux qui ont fait le bien,"(60) et de cette autre parole : "Jamais Allah ne laisse perdre le salaire de ceux qui ont pratiqué les œuvres pies."(61)

Tous les versets de ce genre signifient que les fidèles pratiquent de bonnes œuvres pour l'amour de Dieu. La définition de ce Bien Faire ('iḥsân) est contenue dans les propos échangés entre Gabriel et l'Apôtre que le salut et la Bénédiction de Dieu soient sur lui. Le Prophète a dit : "[Bien faire], c'est adorer Dieu comme si tu le voyais. Si tu ne Le vois pas, Lui certes te voit." Ensuite l'Envoyé de Dieu a informé ses Compagnons que l'interlocuteur est Gabriel, [venu] enseigner aux fidèles leur religion ; il a indiqué que la contemplation du Seigneur par les serviteurs est un des principes de leur religion qu'il doivent constamment respecter. Comprends donc ceci ; je t'en ai parlé longuement pour qu'il n'y ait plus pour toi d'ambiguité dans l'explication que je t'ai donnée. Mais seul Dieu garantit le succès.

Quant à ta question relative à la définition de la Droiture ('Istiqâma), sache qu'elle a été traitée dans les passages précédents de ce chapitre. En outre, Dieu a dit à Son prophète, que le salut soit sur lui: "Maintiens-toi dans le droit chemin, comme tu en as reçu l'ordre, ainsi que ceux qui se sont convertis à tes appels! Ne commettez pas d'excès ! Dieu est si bien au courant de vos actions."(62) La droiture, c'est le fait d'accomplir les prescriptions divines. A ce propos, Dieu, Puissant et Grand, a dit aussi : "Eh quoi ! Celui qui sait que ce Message qui t'est révélé par ton Seigneur est la Vérité même, serait-il l'égal de celui qui s'y montre aveugle ? Seuls réfléchissent ceux doués d'entendement."(63) Quiconque possède les qualités des Gens sensés et persévère dans l'accomplissement des obligations divines telles qu'elles lui ont été prescrites est authentiquement probe. Ce qui te montre mieux encore ce que je t'ai déjà décrit, c'est la parole divine suivante : «Non! par ton Seigneur !, ils ne croiront point avant qu'ils ne t'aient fait arbitrer ce qui est litige entre eux ; Ils ne trouveront plus ensuite de gêne (ḥaraj) à l'égard de ce que tu

---

(60) Sourate XVIII, Al Kahf, La Caverne, Blachère, op. cit., T 2, p. 335, une partie du verset 30. Mazigh, op. cit., p. 253.

(61) Coran, Sourate IX, At Tawba, verset 120. Voir Mazigh, op. cit., 189.

(62) Sourate XI, Houd, Blachère, op. cit., T 2, p. 450, verset 112. Voir Mazigh, op. cit., p. 208.

(63) Sourate XIII, Ar-Raᶜd, Le Tonnerre, Blachère, op. cit., T 3, p. 711, verset 19. Voir Mazigh, Le Coran, p. 221.

lah sait ce qui est en vos âmes ! Craignez d'encourir Son châtiment et n'oubliez pas qu'Il est Absoluteur, plein de Miséricorde."[51] Il dit encore : "Certes, Nous avons crée l'Homme. Nous connaissons les plus secrets murmures de son âme."[52] Dans plusieurs versets, Dieu met en garde le serviteur contre l'insouciance de son âme. Le Puissant et Grand dit : "Invoque le Seigneur en ton âme, avec humilité et crainte, et plutôt à voix basse, le matin et le soir. Que ta pensée n'en soit pas distraite."[53] Le Très Haut a dit, décrivant l'adoration des anges : "ceux qui se tiennent auprès de ton Seigneur, ne ressentent nulle humiliation à l'adorer ; ils L'exaltent et se prosternent à Lui."[54] Décrivant cette adoration, il a dit, ailleurs : "Ils Le glorifient nuit et jour, sans se lasser."[55] Et vous, serviteurs de Dieu, Allah vous a ordonné d'être pieux envers Lui. Ô toi[56] qui en es convaincu ! adore le Seigneur comme si tu le vois ; car tu es déjà persuadé qu'Il t'observe. Dieu, Puissant et Grand, a dit : "Il est Allah, Souverain Maître des Cieux et de la terre. Il connaît vos pensées intimes et celles clairement divulguées et Il sait ce que vous vous acquérez."[57] Le très Haut a dit : "Il est avec vous, où que vous soyez. Allah observe clairement ce que vous faites ;"[58] "Je suis avec vous. Si vous observez la Prière et donnez l'Aumône (Zakât), si vous croyez en Mes Apôtres, et les assistez, Si vous faîtes un beau prêt à Allah, je vous ferai remise de vos péchés et vous ferai entrer en des jardins sous lesquels couleront les ruisseaux."[59] Dieu, Puissant et Grand, a enseigné à celui qui agit conformément à Ses ordres, de le faire pieusement. Tel est le sens de la parole divine :

---

(51) Sourate II, Al Baqara, La Génisse, op. cit., T 3, p. 799, 237-238, verset 235. Voir, aussi, Mazigh, op. cit., p. 82.
(52) Sourate Qâf, une partie du verset 16. Voir Mazigh, Le Coran, p. 418.
(53) Sourate VII, Al'Aʿrâf, Blachère op. cit., T 3, p. 655, verset 205 ; voir, également, Mazigh, op. cit., p. 170.
(54) Sourate XXI, Al'Anbiyâ', Les Prophètes, Blachère, op. cit., T 2, p. 291, verset 20 ; voir, aussi, Mazigh, op. cit., p. 274.
(55) Ibid, une partie du verset 20. Blachère, T 2, p. 291 ; S. Mazigh, p. 274.
(56) Au lieu de "mâ-l-mûqinu", il faudrait lire "ay-yuhâ-l-mûqinu" comme le propose al ahwânî sans, toutefois, adopter cette lecture dans son édition.
(57) Sourate VI, Al'Anʿâm, Les Troupeaux, Blachère, Le Coran, T 3, p. 666, verset 3 ; voir Mazigh, Le Coran, p. 137.
(58) Sourate L VII, Al Ḥadîd, Le Fer, Blachère, op. cit., T 3, p. 913, une partie du verset 4. Voir Mazigh, op. cit., p. 436.
(59) Sourate V, Al-Mâ'ida, La Table Servie, Blachère, op. cit., T 3, p. 1117, verset 12 ; voir, aussi, Mazigh, op. cit., p. 125.

Quant à la parole de l'Envoyé de Dieu-que le salut soit sur lui – relative à l'explication suivante du Bienfait : "c'est adorer Dieu comme si vous le voyez ; si vous ne le voyez pas, lui, certes, vous voit :", elle signifie : "c'est cette façon d'adorer Dieu, dans tous les actes de dévotion, qui est la bonne, que ce soit dans le Témoignage au [Seigneur] d'être la seule divinité [vraie], ou dans l'ensemble des actes d'obéissance qu'il a prescrits. Le fidèle qui s'y conforme doit exécuter ces pratiques religieuses en sachant que Dieu l'observe et connaît bien ce qu'il cache derrière elles. De même, dans son culte voué au Seigneur et qui consiste à éviter ce que Dieu lui a prohibé, le fidèle doit savoir que Dieu Puissant et Grand l'observe, sait ce qu'il tient secret et ce qu'il vise en s'abstenant d'entreprendre les interdits religieux ; c'est ainsi que le culte offert au Seigneur sera vraiment sincère et préservé de toutes sortes de péchés qu'inspire Satan et vers lesquels les mauvais penchants sont portés.

Les gens savent, entre eux, que lorsque l'esclave accomplit ce que son maître lui ordonne de faire, en sa présence et sous ses yeux, cet esclave se dépense dans cette tâche pour que son maître soit satisfait de sa parfaite docilité. Lorsque le maître de cet esclave est une autorité, l'esclave s'applique mieux encore [dans son travail] et s'efforce d'exécuter avec zèle les directives. Mais, quand l'esclave échappe à la vue du maître, ou quand ce dernier manque de vigilance à son égard, il faillit à sa tâche. C'est l'attitude de l'esclave en présence de l'inattentif qui se distrait d'une occupation par une autre.

Quant à toi, serviteur de Dieu, en accomplissant tes obligations divines sans perdre de vue que le Seigneur te guette dans tes actes d'obeissance, cachés ou apparents, tu es convaincu qu'Allah t'observe et que ce que tu cèles ou divulgues ne Lui est pas caché, même si tu ne Le vois pas de tes yeux. Sois donc sincère dans les pratiques religieuses que tu Lui voues ; reste constamment attaché à Sa contemplation, car [Dieu] Puissant et Grand a dit : "En quelque état que vous soyez, quelque passage du Livre que vous lisiez, quelque œuvre que vous puissiez entreprendre, Nous en sommes témoin lorsque vous l'entreprenez... et il n'échappe à ton Seigneur ni le poids d'un atome sur la terre et dans le Ciel, ni (un poids) plus petit ou plus grand qu'un atome sans que cela soit recensé dans un Livre explicite."(50) Dieu, Puissant et Grand, a dit aussi : "Sachez qu'Al-

---

(50) Sourate X, Jonas, Blachère, op. cit., T 3, p. 572, verset 61 ; Mazigh, op. cit., p. 196.

lui : "Il croit en Dieu (yu'minu) et fait créance aux croyants !"(44); en d'autres termes, il ajoute foi (yuṣaddiqu) aux paroles des fidèles. En outre, Dieu lui a ordonné de dire à ceux, parmi les Hypocrites invoquant des excuses pour s'abstenir d'entrer en campagne : "Nous ne vous croirons point,"(45) c'est-à-dire : nous n'ajouterons pas foi à ce que vous dites(46) ; "Allah nous a fixés sur votre compte" (voir verset).(47) Dieu a ordonné à Son Messager de leur dire : "Dis [à ces Nomades] : Agissez ! Allah observera vos actions, ainsi que l'Apôtre et les Croyants, et vous serez ramenés à Celui qui connaît si bien toute chose, invisible ou apparente. Alors il vous avisera de toutes vos œuvres."(48) Je t'ai indiqué, par ailleurs, que la conversion à l'Islam, quand elle n'est pas contenue vraiment dans le cœur de celui qui la professe, signifie la soumission ; car, ce pseudo-musulman ne fait que se rendre à merci à quiconque le subjugue, pour lui similer l'obéissance ; et, par conséquent, cette conversion ('Islâm) est une hypocrisie. En effet, Dieu – que Sa Gloire et Sa Majesté soient proclamées – dit : "Qu'avez-vous à vous diviser au sujet des hypocrites ?" jusqu'à ce qu'il dit : "Si [ces transfuges] se tiennent à l'écart de vous, s'abstiennent de vous combattre et vous offrent la paix, Allah ne vous donne contre eux nulle justification [pour les inquiéter] ; vous trouverez d'autres [Hypocrites] qui cherchent à gagner votre confiance et celle des leurs. Chaque fois que ceux-là seront tentés par la révolte impie, ils y essuieront un échec. S'ils ne se tiennent pas à l'écart, [s'ils ne] vous offrent pas la paix et ne s'abstiennent pas de toute hostilité..." (cf suite verset).(49) Je t'ai indiqué dans quel cas la Foi en Dieu ('Îmân) signifie [seulement] la soumission ('Islâm) et vice-versa, de telle sorte que cette explication te suffise s'il plaît à Dieu, le Très-Haut.

---

(44) Sourate IX, At Tawba, Blachère, op. cit., T 3, p. 1092, une partie du verset 61 ; voir Mazigh, op. cit., p. 183.

(45) Ibid, une partie du verset 94 relatif à la guerre sainte (Jihâd) ; Blachère, op. cit., T 3, p. 1100 ; voir Mazigh, Le Coran, p. 186.

(46) Al Qâbisî fait l'exégèse de deux synonymes ('Âmana) et (Ṣaddaqa)/croire, ajouter foi/ ; il explique l'un par l'autre.

(47) Sourate IX, une partie du verset 94.

(48) Ibid, verset 105 ; Blachère, op. cit., T 3, pp. 1102-1103 ; voir Mazigh, Le Coran, p. 187.

(49) Sourate IV, An Nisâ', Les Femmes, versets 87-91, Blachère, op. cit., T 3, pp. 948-949 ; la suite est : "Prenez-les et tuez-les où que vous les acculiez" ; voir, aussi, Mazigh, Le Coran, p. 114-115.

là, se protéger eux-mêmes et préserver leurs familles et leurs biens des conséquences [funestes] attendant les infidèles Renégats (Ṣâbi'ûna)[39] pour leur impiété. Certes Allah, Puissant et Grand, a dit : "Parmi les Nomades des alentours aussi bien que parmi les habitants de Médine, il se trouve une foule d'hypocrites qui sont diaboliques en l'«hypocrisie."[40] Il a dit aussi : "Les Nomades sont les plus marqués par l'impiété et l'« hypocrisie » et les plus à même de ne pas savoir les lois [ḥudûd] [contenues dans] ce qu'Allah a révélé à Son Messager."[41] Dieu (que Sa Majesté et Sa Gloire soient proclamées) a dit aussi : "Celui qu'Allah veut diriger dans Sa vie, Il lui ouvre la poitrine à l'Islam. Celui qu'Il entend égarer, Il lui rend le souffle coupé, [le met à la] gêne (ḥaraj) comme s'il montait au ciel. Ainsi Allah fait peser le courroux sur ceux qui ne croient point."[42] Dieu a montré aussi, par là, que l'Islam est [la Croyance] qui épanouit le cœur ; mais quiconque entreprend ce qui ne peut être accepté sans gêne, ce qui est répugné quand on en entend parler, n'est pas croyant (mu'min). Dès lors, le terme 'îmân (foi) est synonyme d'Islâm (soumission) comme l'atteste la parole divine suivante : "Eh quoi ! celui dont Allah a ouvert le cœur à l'Islam, celui-là est guidé par la lumière de son Seigneur. Malheur donc à ceux aux cœurs endurcis à l'Edification d'Allah ! Ceux-là sont en un égarement évident..."[43]

'Abû-l-Ḥasan dit : "comprends donc ceci ; je t'ai montré que la Foi ('Îmân) signifie la croyance (at-taṣdîq). Dieu – que Son Edification soit exaltée – a dit, en décrivant son Apôtre, que le salut soit sur

---

(39) Aṣ-Ṣâbi'ûna (Sabéens). Le nom a désigné deux sectes bien distinctes : 1°/ Les Mandéens ou Soubbas, secte Judéo-chrétienne baptiste de Mésopotamie (chrétiens de Jean-Baptiste) ; 2°/ Les Sabéens de Ḥarrân, secte païenne qui a survécu assez longtemps sur l'Islam, intéressante par sa doctrine et importante par les savants qu'elle a produits.
Les Sabéens dont il est question dans le Coran, qui sont placés à trois reprises entre les Juifs et les chrétiens parmi les "gens du livre", possesseurs d'un livre révélé, sont apparemment les Mandéens. Voir, E I, IV, 22-23. Le mot est employé ici dans le sens de Rénégats, apostats.

(40) Sourate IX, At Tawba ou Barâ'a, Revenir [de l'erreur] ou [l'Immunité], une partie du verset 101 ; Blachère op. cit., T III, p. 1102 ; voir Mazigh, Le Coran, p. 187.

(41) Ibid, une partie du verset 97 ; Blachère, op. cit., p. 1101 ; Mazigh, op. cit., p. 187.

(42) Sourate VI, Al'An'âm, Les Troupeaux, verset 125, Blachère, op. cit., T III, pp. 692-693 ; voir, aussi, Mazigh, Le Coran, p. 148.

(43) Sourate XXXIX, 22, Az-Zummar, Les groupes, Blachère, op. cit., T 2, p. 514 ; voir Mazigh, op. cit., p. 375.

les Perdants."[33] Il a montré que celui qui recherche une religion autre que l'Islam, renie la foi. Ainsi, c'est devenu évident que la foi ('Imân) est en vérité soumission à Dieu ('Islâm) et vice-versa. Ceci vous est plus clairement expliqué par une parole divine mentionnée dans l'histoire du peuple de Loth,[34] que le salut soit sur lui : "Nous avons fait sortir ceux des croyants qui se trouvaient dans cette ville. Nous n'y avons trouvé qu'une demeure de Soumis à Dieu."[35] Quand la foi n'est pas contenue dans le cœur de celui qui la professe, sa proclamation en public est, de sa part, une hypocrisie,[36] d'après cette parole de Dieu Majestueux et Glorieux : "Ô Apôtre!, que ne t'attriste pas [la vue de] ceux qui se ruent vers l'impiété, parmi ceux qui se disent croyants du bout des lèvres, alors que leurs cœurs ne croient point."[37]

Ainsi, quiconque professe la foi, agit conformément aux ordres divins et évite dans ses actes apparents le prohibé, alors que son cœur ne croit pas que ces prescriptions émanent de Dieu, ne fait pas preuve d'une véritable conversion à l'Islâm. Ceci est, d'ailleurs, conforme à cette parole de Dieu-que Sa Majesté et Sa gloire soient proclamées – : "Les nomades ont dit : "Nous croyons en Dieu" : ('âmannâ)." Dis [leur] : Vous êtes loin de croire. Dites plutôt : "Nous nous sommes soumis ('aslamnâ). La foi ('îmân) n'est pas encore entrée en vos cœurs."[38] Dieu les a avisés que la foi, croyance en paroles et en actes, n'est pas entrée en leurs cœurs, mais qu'ils ont accompli des actes à caractère de soumission ('Islâm) ; en d'autres termes, les Nomades se sont résignés et rendus à merci à ceux qui les ont subjugués, pour les flatter tout simplement ; et, par

---

(33) Sourate V, Al Mâ'ida, La Table servie, Blachère, op. cit., T 3, p. 1114, une partie du verset 5 ; voir Mazigh, Le Coran, p. 125.

(34) Pour l'histoire du peuple de Loth, voir Le Coran, Sourates N°s VI, verset 86 ; XXII, verset 43 ; LIV, verset 37 ; XV, verset 61 ; XI, versets 79,83 ; XXIX, verset 32, LIV, verset 34 etc...

(35) Sourate L I, Ad Dâriyât, Les vents qui dispersent, versets 35 et 36, op. cit., T 2, p. 138 ; voir Mazigh, Le Coran, p. 421.

(36) La Foi (L'Imân), selon Al Qâbisi, savant Malikite "consiste en paroles, en dévotions (ihlâṣ) du Cœur et en actes des membres" ; V. Risâla, p. 25.

(37) Sourate V, 'Al-Mâ'ida, La Table servie, début du verset 41, Blachère, op. cit., T 3, p. 1124 ; voir Mazigh, Le Coran, p. 129.

(38) Sourate XLIX, Al-Ḥujurât, Les Appartements, une partie du verset 14 ; Blachère, op. cit., T 3, p. 1073. Retenir plutôt le terme "Soumis" au lieu de "Convertis". Voir Mazigh, Le Coran, p. 416.

sa foi. Lorsqu'il fait la Prière, paye l'impôt Zakât, accomplit le jeûne du mois de Ramadan et se rend en pélerinage à la Maison de Dieu[27] quand il en a la possibilité, il se soumet ('istaslama)[28] ; par cette soumission, il confirme sa profession de foi aux yeux de celui qui l'a remarquée. En outre, cette soumission est évaluée par Dieu selon ce qu'il reconnaît comme authentique et véridique dans la croyance du fidèle. La parole suivante prononcée par l'Envoyé de Dieu, que le salut soit sur lui, lorsqu'il a expliqué l'Islam : "[l'Islam], c'est le fait d'adorer Dieu, de ne point lui donner d'associés", veut dire : par ces actes religieux précités se réalise la véritable conversion du fidèle à l'Islam[29], conformément à la parole divine suivante : "Que quiconque espère rencontrer son Seigneur, accomplisse œuvre pie et qu'il l'adore sans associer personne à Son culte."[30] La Foi, c'est le fait d'accepter le Message de l'envoyé de Dieu, de confirmer la parole par la croyance du cœur en sa véridicité.

L'Islam, c'est le fait d'agir conformément aux ordres du prophète, d'éviter ce qu'il a prohibé. Cette pratique religieuse est authentifiée par une croyance intime du fidèle à ce que Dieu, Puissant et Grand, a prescrit par l'intermédiaire de Son Envoyé, que le salut soit sur lui. S'il en est ainsi, l'Islam est dans ce contexte synonyme de l'Imân (la foi), comme l'indique la parole divine : "La vraie religion, aux yeux d'Allah, C'est l'Islam,"[31] et cette autre parole du Très Haut : "Quiconque recherche une religion autre que l'Islam, [cela] ne sera pas accepté de lui et il sera, dans l'Au-delà, parmi les Perdants. Comment Allah pourrait-il guider vers Lui des Gens qui ont rejeté la foi après l'avoir embrassée et attesté que l'Apôtre est vérité."[32] Dieu – que Son Edification soit exaltée – a dit : "Quiconque rejette la foi voit devenir vaines ses actions et, dans l'Au-delà, il sera parmi

(27) Il s'agit de la Mecque.

(28) Istaslama ; ici nous trouvons une explication philologique et religieuse de la X° forme (istaslama).

(29) Islâmuhu : éthymologiquement veut dire "Soumission à Dieu", le fait de se faire musulman", "l'inclination à l'Islam".

(30) Sourate XVIII, Al Kahf (La Caverne), Blachère, Le Coran, T 2, p. 347, une partie du verset 110, voir, aussi, Mazigh, Le Coran, p. 258.

(31) Sourate III, 'Âl-ᶜImrân, La Famille de ᶜImrân, Blachère T 3, p. 860, une partie du verset 19 ; voir, aussi, Mazigh, p. 90.

(32) Ibid, p. 879, verset 85 et une partie du verset 86 ; voir Mazigh, Le Coran, p. 96.

'Abû-l-Ḥasan remarque : "Ainsi ᶜOmar – qu'Allah l'agrée – a indiqué au Juif que le jour de la révélation de ce verset en Islam est glorifié à jamais ; chaque vendredi est un jour férié dans tous les pays musulmans ; le lieu de la révélation est celui du pélerinage prescrit comme une obligation légale à la charge de tous les musulmans[24]. La Glorification de ce Jour et du lieu de la révélation du dit verset est un fait déjà acquis : Grâces en soient rendues à Allah, Maître des Mondes.

Ce que l'Envoyé de Dieu – que le salut soit sur lui – a appelé, dans cette Tradition, Foi, consiste à en proclamer le contenu. Ce qu'il a appelé 'Islâm (Soumission) ce sont les actes des membres[25] employés selon l'obligation divine ; car ces actes dénotent la soumission ('Istislâm)[26] de celui qui dit : "Je me soumets à Allah". Par contre, quiconque dit : "Je crois en Allah, en ses Anges, en Sa rencontre dans l'autre vie, en ses prophètes et en la Résurrection des morts" ne fait qu'annoncer sa croyance au Message apporté par l'Envoyé de Dieu, que le ṣalut soit sur lui. L'authenticité de cette croyance consiste à entourer des liens du cœur les articles de foi et à en être convaincu. Il en va de même pour la croyance du fidèle à tous les Messages apportés par les prophètes. Sa parole : "Je crois en ces Messages» n'est autre qu'une information émanant du cœur et montrant que le fidèle les a admis avec sérénité. Tel est le cas de sa croyance aux obligations légales suivantes : "la Prière, la dîme (Zakât), le jeûne du Ramadan, le pélerinage qui est une obligation d'institution divine et toutes les autres obligations qui incombent aux musulmans."

Croire que toutes ces obligations sont d'institution divine et véridiques, a valeur d'articles de foi que la parole exprime. Personne – hormis Allah que Sa Gloire et Sa Majesté soient proclamées – ne sait ce qu'il y a d'authentique derrière les paroles de quiconque professe

---

(24) C'est-à-dire "à la Charge de tous ceux qui peuvent s'y rendre" ; v. Ibn Abî Zayd Al-Qayrawânî "La Risâla", Traduit et présenté par Léon Bercher, Alger, éd. Jules Carbonel, 1952, p. 141.

(25) Istislâm ou Islâm : soumission.

(26) Entre Al Qâbisî et Ibn Abi Zayd, dans sa Risâla, nous trouvons certaines affinités ; en effet, en plus de l'intérêt purement pédagogique et juridique de l'épître d'Abu-l-Ḥasan, son manuel, comme celui d'Ibn 'Abî Zayd d'ailleurs, est un compendium renfermant les obligations de la religion, d'après le rite de l'Imâm Mâlik Ibn Anas ; cf Ibn Abî Zayd "Risâla", pp. 15-17.

ordonnait de le faire revenir, on n'en retrouva pas la moindre trace." Cet homme, dit le Prophète, c'est Gabriel ; il est venu enseigner aux hommes leur religion."[18]

'Abû-l-Ḥasan ajoute : "Le Prophète, que la bénédiction et le salut de Dieu soient sur lui, a montré que tout ce qui est dit dans cette Tradition a valeur d'articles de foi pour les fidèles. Son contenu indique aussi qu'elle existait bien avant que ne fût révélée l'obligation légale (farḍ)[19] du pélerinage ; car le pélerinage compte aussi parmi les actes [religieux] des membres. Avec le pélerinage, les actes religieux qui constituent l'Islam se sont parfaits. Ceci est montré clairement dans une Tradition citée dans le Ṣaḥîḥ et transmise par Târiq ibn Šihâb[20], d'après ᶜOmar ibn 'al Ḫaṭṭâb[21] qui rapporte qu'un homme parmi les juifs lui dit : "Ô prince des Croyants, il est dans votre livre sacré un verset que vous récitez ; si ce verset avait été révélé à nous, peuple juif, nous aurions sûrement pris le jour où il a été révélé comme un jour de fête. – Quel est ce verset ? demanda ᶜOmar. – Le voici répondit le juif : "Aujourd'hui, j'ai parachevé votre culte et vous ai accordé Ma Grâce toute entière. J'agrée pour vous l'Islam, comme religion."[22]. – Nous connaissons, reprit ᶜOmar, et le jour et le lieu où ce verset fut révélé au Prophète : C'était un vendredi pendant qu'il était à ᶜArafa."[23]

---

le Jugement Dernier ; Voir par exemple le Coran, Sourate XXI, 1. Le Prophète aurait dit : "Ma venue et l'Heure sont séparées l'une de l'autre comme mon index de mon médius" ; cela conduit Régis Blachère à conclure que "Le Coran est une apocalypse, au moins dans sa première partie (non juridique)" ; V. Blachère, Introduction au Coran, Librairie G.P. Maisonneuve, Paris 1951, p. 22 sqq.

(18) in El Bokhâri "Les Traditions Islamiques", Traduites de l'Arabe avec Notes et Index par O. Houdas et Marçais, Paris 1903 – 14 ; 4 vol. in 4° ; voir cette Tradition au T 1, p. 28.

(19) farḍ ou wâjib, (obligation), une des cinq qualification légales ; acte qui entraîne approbation quand on le fait et désapprobation quand on s'en abstient.

(20) Târiq ibn Šihâb/Abû ᶜabd Allah/mort en l'an 83/702 ; un des compagnons du prophète. Al Bokhârî et Moslim rapportent de lui plusieurs traditions. Voir Ziriklî T 3, p. 314 ; Ibn Saᶜad : "Tabaqât" T VI, p. 66.

(21) ᶜOmar ibn 'al Ḫaṭṭâb – 2° Khalife, une des figures les plus grandioses des débuts de l'Islam et le fondateur de l'empire arabe. Il fut assassiné en l'an 23/644 par Abû Lu'Lu'a, esclave chrétien d'al-Muġîra b. Šuᶜba, gouverneur du Baṣra. Voir E. I, III, 1050-1052.

(22) Sourate Al-Mâ'ida, La Table servie, V, Blachère, Le Coran, T 3, p. 1113, une partie du verset 3 ; voir également Sadok Mazigh, Le Coran, p. 124.

(23) El Bokhâri, Les Traditions Islamiques, Titre II (De La Foi), p. 25.

CHAPITRE I

De sa question concernant l'explication de la Foi[14] ('Îmân), de l'Islâm[15] et du Bienfait ('Iḥsân), la définition de la probité ('Istiqâma), la nature de la Vertu ('Aṣ ṣalâḥ).

'Abûl-Ḥasan dit : Quant à la définition de la Foi et de l'Islam, elle a été précisée dans le Ṣaḥîḥ [16]. En effet, 'Abû Horaïra rapporte ceci : "Le Prophète qu'Allah répande sur lui Ses bénédictions et lui accorde le salut, s'étant un jour montré en public au peuple, un homme vint le trouver et lui dit : "Qu'est-ce que l'Imân ? (ou la foi). – C'est, répondit-il, croire en Dieu, à ses anges, à l'autre vie, aux prophètes et à la Résurrection Finale. Et qu'est-ce que l'Islam ? reprit l'homme. – L'Islam, dit le Prophète, c'est le fait d'adorer Dieu, de ne point lui donner d'associés, de pratiquer la prière, de payer la dîme légale, de jeûner pendant le ramadan. – Qu'est-ce que bien faire (Iḥsân) ? ajoute l'homme. – C'est, répliqua Moḥammad, adorer Dieu comme si tu le voyais. Si tu ne le vois pas, lui certes t'observe. – Quand aura lieu l'Heure Finale ? reprit l'homme. – Celui qui est interrogé sur ce point n'en sait pas plus que celui qui interroge. Ce que je vais te dire, c'est que les signes suivants annonceront sa venue : la fille esclave enfantera son maître ; les obscurs pasteurs de chameaux se vautreront dans les palais, cette Heure est une des cinq mystères que Dieu seul connaît." Ensuite le Prophète récita ce verset : "Certes Dieu seul a la connaissance de l'Heure du Jugement Dernier."[17] L'homme s'éloigna alors ; et comme le Prophète

---

(14) 'Imân (Foi) : conviction intérieure et sincère en matière de religion – En théologie, al-îmân signifie : confiance en Allah, la croyance en Lui, à Son Prophète, et à sa prédication. Voir E. I, II, 504.

(15) Islâm ; il s'agit de la pratique extérieure du culte musulman. Le mot Din, comme le mot Islâm, d'ailleurs, s'appliquent plutôt à la profession de foi et au culte extérieur.

(16) As-Ṣaḥîḥ) veut-dire ici : les Traditions authentiques du prophète.

(17) Blachère traduit ainsi : "Auprès d'Allah est la science de l'Heure" ; début du verset 34, sourate XXXI (loqmân) ; voir Mazigh, Le Coran, p. 339 ; V. Blachère, Le Coran, T 3, p. 545 "Auprès d'Allah est la science de l'Heure. Il fait descendre l'ondée. Il sait ce qui est dans les entrailles des mères alors que nulle âme ne sait ce qu'elle gagnera demain et que nulle âme ne sait en quelle terre elle mourra. Allah est omniscient, très informé."
Le Coran fait constamment état d'un jour qui sera la fin du monde et que suivra

Protecteur ! Tu est notre Seigneur, le meilleur parmi les Maîtres et le meilleur des Aides. Aide-nous, par Ta miséricorde envers Tes pieux serviteurs qui s'élancent dans les bonnes actions et en sont toujours les devanciers, à nous acquitter des charges que Tu nous as confiées, à affronter les épreuves que Tu nous a fait subir, en s'en sortant confirmés dans la piété. Il n'y a de Force et de Puissance qu'en Allah, l'Elevé, l'Immense.

'Abû-l-Ḥasan dit : "Quelqu'un m'a prié instamment de répondre à des questions qu'il a présentées par écrit en y posant certaines conditions. Il s'est excusé de son insistance auprès de moi en alléguant qu'il avait un impérieux besoin des réponses et qu'il cherchait à élucider les problèmes qu'il ne pouvait résoudre lui-même ; car ces questions le préoccupaient, se fixaient tellement dans son esprit qu'il en était effrayé. Il redoutait d'en entreprendre la solution et craignait qu'en s'abstenant de le faire, il n'en résulterait une angoisse ; car il ne trouvait pas, auprès de lui, quelqu'un susceptible de l'aider dans sa tâche. Je l'ai excusé pour ses prétextes. Cependant, je me suis gardé de répondre aux questions qu'il m'a adressées, par crainte de ne pas pouvoir le faire dans tous les cas. Longtemps, j'ai laissé traîner les réponses et lui n'a cessé de m'inciter à les lui donner. Finalement, Dieu-que Sa gloire et Sa Majesté soient proclamées-a projeté dans mon cœur le sentiment de me laisser conduire aux réponses. Que Dieu me garde d'être de ceux qui se mêlent de ce qui ne les regarde pas. A lui le Généreux, je demande de me livrer la vérité infaillible dans l'épreuve qu'Il m'a fait subir en avançant mes opinions dans le domaine religieux. Qu'Il veuille me montrer le meilleur discours afin que je puisse, par sa Grâce, le suivre. C'est Lui qui dirige les croyants dans le droit chemin.

Louange à Allah qui nous a guidé vers la Foi, enseigné le Coran et accordé la faveur de suivre son prophète Moḥammad - que le Salut soit sur lui. Ô mon Dieu! Accorde Ton Salut à Moḥammad et à la famille de Moḥammed, de même que Tu as accordé Ton Salut à Abraham ; bénis Moḥammad et sa famille de même que Tu as béni Abraham parmi les Créatures. A Toi la Louange et la Gloire. Ô mon Dieu ! Enseigne-nous l'Ecriture et la Sagesse avec lesquelles Tu nous a envoyé notre prophète Moḥammad qui clôt la série des apôtres ! Enseigne-nous aussi Tes 'âya (versets) qu'il a communiquées. Purifie-nous ; c'est bien Toi le Puissant, le Sage. Ô mon Dieu, inspire-nous la reconnaissance du Bienfait que Tu nous a fait en nous l'envoyant ! Certes, Tu as dit : "Je parachève Mon bienfait envers vous. Peut-être serez-vous dans la bonne voie. Ainsi, Nous avons envoyé, issu de vous, un Apôtre qui vous communique Nos versets, vous purifie, vous enseigne l'Ecriture et la Sagesse, et vous initie à bien des choses que vous ignoriez."(9)

Ô Dieu! aide-nous, aussi, à T'invoquer, à Te remercier, à Te bien adorer. C'est bien Toi qui as dit : "Invoquez-Moi, et je penserai à vous. Soyez reconnaissant de Mes faveurs! Ne Me reniez pas !"(10) Consolide-nous dans notre obéissance à Toi, en implorant Ton aide pour y parvenir, comme Tu nous l'as prescrit. Tu as bien dit ; "Ô vous qui croyez ! demandez aide à la constance et à la Prière! Allah soutient ceux qui sont constants."(11) Tu es la Vérité(12). Ta promesse est vérité. Nulle divinité excepté Toi, le Roi authentique, l'Evident. C'est Toi que nous adorons, Toi à qui nous demandons l'aide. "Dirige-nous dans le droit chemin, voie de ceux que Tu as reçus en Ta grâce" : Apôtres, Gens très véridiques, Martyrs et Saints, "qui ne sont ni l'objet de Ton courroux ni les Egarés."(13) Assure-nous, par Ta grâce et Ta miséricorde, leur bonne compagnie [dans l'Au-delà]. C'est Toi le plus parfait Miséricordieux. Tu nous suffis, Ô meilleur

---

(9) Sourate 'al Baqara, La Génisse, Blachère, op. cit., T 3, pp. 770-771, une partie du verset 150 et le verset 151 ; voir, également, Mazigh, Le Coran, p. 73.

(10) Sourate 'al Baqara, blachère, op. cit., T 3, p. 771, verset 152 ; voir également Mazigh, Le Coran, p. 73.

(11) Blachère, op. cit., Ibid, verset 153 ; voir, aussi, Mazigh, Le Coran, p. 73.

(12) Voir Sens des termes (ḥaqiqa et ḥaqq), in Massignon "Essai sur les origines du lexique technique de la mystique musulmane", Paris, 1954, p. 39.

(13) Réminiscence coranique ; Al Fâtiḥa (La Liminaire), Blachère, Le Coran, T 2, p. 127, versets 5-7 ; voir aussi Mazigh, Le Coran, p. 59.

guide sûr et d'heureuse annonce à Ceux qui sont soumis à Dieu."(4) Allah – que Sa Louange soit exaltée – a dit aussi: "Ṭâ - Hâ. Nous n'avons point fait descendre sur toi le Coran pour que tu pâtisses, mais plutôt en rappel pour quiconque redoute [Allah] [et comme] révélation venant de celui qui créa la terre et les cieux sublimes. Le Bienfaiteur, sur le Trône siégeant. Il est le Souverain Maître des cieux, de la terre, de tout l'univers et aussi des profondeurs du sol. Peu importe que ta voix s'élève ou s'abaisse : Allah décèle le secret même bien caché. Allah – nulle divinité en dehors de Lui – possède les noms les plus beaux."(5)

Je loue Allah et crois en Lui ; j'implore son aide et m'en remets à [Sa Volonté] ; je déclare être démuni de force et de puissance devant Lui ; je témoigne qu'il n'y a de Dieu qu'Allah, L'Unique, sans associé, et que Moḥammad, son Serviteur et Envoyé, clôt la série des Prophètes. Allah l'a envoyé porteur du [Coran](6) et de la vraie religion pour la placer au-dessus de toute autre religion, même si cela déplaît aux associateurs. L'Apôtre a transmis le Message, s'est acquitté fidèlement de ce qui lui fut confié en dépôt. Il a exhorté la Communauté musulmane ('umma). "Si sensible Il est à vos épreuves. Avide Il est de votre salut, toute sollicitude et toute bonté pour les Croyants."(7)

Gloire à Allah qu'exalte ce qui est dans les cieux et sur la terre, [Lui] "le Roi, le Très Saint, le Tout-Puissant, le Sage. C'est Lui qui a envoyé, parmi les gentils, un prophète issu d'eux-mêmes qui leur récite ses versets, les purifie, leur enseigne l'Ecriture et la Sagesse, à eux qui étaient certes auparavant dans un égarement évident. Dieu fera bénéficier encore de ce Message d'autres générations à venir, issues d'eux. Lui le Tout-Puissant, le Sage. Il est en cela une grâce de Dieu. Il l'accorde à qui Il veut. Allah est le Détenteur de la Faveur Immense."(8)

---

(4) Les Abeilles, Sourate XVI, une partie du verset 102 ; Voir S. Mazigh, op. cit., p. 204.

(5) Ṭâ . Hâ, Sourate XX, versets 1 à 8 ; R. Blachère op. cit., t 2, p. 180., voir Mazigh, Le Coran, p. 265.

(6) Al Hudâ, littéralement veut dire : le bon chemin, la direction par excellence ; emploi métaphorique pour dire (le Coran, l'Islam).

(7) Sourate Al Touba [Revenir (de l'erreur)] ; Blachère, le Coran, T 2, pp. 1109-1110, une partie du verset 128 ; voir Mazigh, Le Coran, p. 190.

(8) Sourate Al Jumuʿa, Le Vendredi, L XII ; Blachère, op. cit., T 3, pp. 823-824, versets 1 à 4 ; voir, également, Mazigh, Le Coran, p. 448.

PREMIÈRE PARTIE

Au Nom d'ALLAH, LE BIENFAITEUR, Le Miséricordieux ;
C'est Lui le Garant de mon Succès.

'Abû-L-Ḥasan ᶜAlî ibn Moḥammad ibn Ḫalaf 'al Ma ᶜâfirî[1] 'al Qâbisî'al Faqîh 'al-Qayrawânî dit:

"Louange à Allah qui a révélé l'Ecriture à Son serviteur, sans la moindre tortuosité, un livre droit pour avertir [les hommes] de Ses terribles rigueurs et annoncer aux Croyants, qui accomplissent des œuvres pies, la belle récompense qui les attend et dont ils jouiront éternellement. Il met, également, en garde ceux qui prêtent des enfants à Allah. Ni ces gens, ni leurs pères ne l'ont appris de science sûre. Monstrueux est le mot qui sort de leurs bouches. Il ne disent que mensonge."[2] Et "Béni soit celui qui fit descendre le Code Sacré ('al Forqân) sur Son Serviteur pour en faire un avertisseur universel. [Béni soit] celui qui détient le Royaume des cieux et de la terre, qui ne s'est point donné d'enfants, n'a point d'associé en ce Royaume, a créé toute chose, selon de justes proportions."[3]

Louange à Allah qui n'a cessé d'être Unique, Seul, Vivant, Subsistant, de posséder les Noms les plus beaux, les attributs suprêmes. Rien ne lui est semblable ; c'est Lui l'Audient, le Clairvoyant, qui a parlé avec le Coran, l'a fait descendre sur Moḥammad, le meilleur des créatures, comme [témoignage] de la miséricorde et mise en évidence [de la Vérité], avec la Lumière et la Preuve, la Sagesse et le Code Sacré, "afin de raffermir la foi des Croyants, et pour servir de

---

(1) Abû-l-Ḥasan al Qâbisî – Voir biographie dans l'introduction de la présente traduction. Pour plus de détails sur cet auteur, voir Dr Al Ahwânî (Aḥmed Fu'âd) "at tarbiya fi-l-'islâm" ; éd. Caire, 1955, pp. 9-20 ; Ibn Ḫallikân "wafayât al 'aᶜyân" ; éd. Caire 1367 H/1948 J.-C., T III, p. 9 sq ; muḥammad Maḫlûf "Šajaratu-n-nûr az-zakiyya", éd. Caire, 1349, p. 97 ; H.R. Idris "Deux juristes Kairouanais de l'époque Ziride : Ibn Abî Zaid et al-Qâbisî (Xᵉ - XIᵉ s.) in A.I.E.O., tome XII, 1954, 173-198. Etc...

(2) Sourate XVIII, La caverne, versets 1 à 5 ; voir R. Blachère, Le Coran, Paris 1949, T 2, p. 329. Voir aussi Le Coran, traduction de Sadok Mazigh, Maison Tunisienne de l'Édition, 1979, p. 250.

(3) Sourate 'al Forqân (La Salvation) versets 1 et 2 ; voir R. Blachère, op. cit., t 2, p. 303. Voir, également, S. Mazigh, Le Coran, p. 299.



rares où le maître d'école (mu'addib) essaye de moderniser son échoppe et sa méthode, surtout dans les grands centres urbains.

Un curieux passage sur les fêtes chrétiennes qui, semble-t-il, étaient adoptées par certains milieux de la société ifriqiyenne (tunisienne) musulmane au Moyen/âge mérite d'être souligné. Al-Qâbisî y stigmatise, en faqîh défenseur de l'orthodoxie, les cadeaux apportés par les élèves à leur maître à l'occasion de ces fêtes intruses dans la société musulmane de cette époque. Al-Qâbisî en cite notamment Noël, Pâques, la fête des tabernacles appelée « al' inbidâs" en Ifriqiya, la gaieté "al Ġibṭa" en Espagne, le baptême "al Ġitâs" en Egypte. C'est là une preuve de réminiscences chrétiennes, juives et païennes dans la société musulmane d'Ifriqiya où la langue latine était encore présente à l'époque d'Ibn Ḫaldûn.

Cet engouement de la société ifriqiyenne pour l'allégresse des fêtes de toutes sortes qu'elles soient d'origine musulmane sunnite ou šᶜite, chrétienne, juive ou même païenne telles que la ᶜÂšûrâ' (nom d'un jour de jeûne facultatif célébré le 10 Muḥarram), la réminiscence du rite de Tanit pendant les périodes de sécheresse, le Mihragân persan, la ripaille à Noël, sans compter les deux ᶜAïds et les autres fêtes rituelles musulmanes, demeure de nos jours en Tunisie un fait frappant, bien ancré dans les traditions populaires. À ces festivités s'ajoutent encore les fêtes familiales et amicales si nombreuses et si variées. Elles dénotent un penchant naturel chez le Tunisien à la ripaille et à la joie de vivre, bien enraciné en lui depuis les temps reculés.

avec douceur." Et plus loin, il dit : "Le maître doit éviter de manifester toujours aux enfants la gaîté familière et doit leur montrer, de temps en temps, un air renfrogné et effrayant. En aucun cas, il ne plaisantera avec l'un d'eux et ne lui sourira ouvertement, même s'il lui donnera satisfaction et s'acquittera entièrement de ses obligations. S'agit-il d'un bon élève, le maître ne doit pas se mettre en colère contre lui de façon à l'effrayer." Le maître qui frappe plus d'un coup est, à son avis, inhumain et ignorant.

En définitive, selon al-Qâbisî puisant ses préceptes aux sources de la tradition éducative musulmane, l'autoritarisme ne peut former que des individus peureux et craintifs.

Ce n'est pas douteux, assurément, en pédagogie moderne, que le système autoritaire n'aide aucunément l'enfant à se libérer de l'image qu'il se fait de l'adulte, plus précisément de l'image du père effrayant et omnipotent. L'élève demeurera infantile tant qu'il restera fixé à cette image. Pour éviter les châtiments, il portera le masque qui plaît au maître et sera porté au mensonge.

La récompense et l'émulation restent, en conséquence, les meilleurs moyens d'éduquer l'enfant et de stimuler son enthousiasme dans les études. C'est, d'ailleurs, l'avis d'al-Qâbisî : "Il est bon, avoue-t-il, que le maître réserve un moment... pour créer entre eux (les élèves) une émulation, et ceci contribue à leur formation et à leur perfectionnement."[25]

D'après cette analyse de la punition, selon al-Qâbisî, et ce parallèle entre ses idées et celles du pédagogue Ibn Ḫaldûn, il apparaît que la Risâla dont nous présentons une traduction annotée est d'une importance pédagogique indéniable.

Ce document juridico-pédagogique est intéressant à plus d'un titre, comme le remarque très justement Gérard Lecomte, à propos d'une autre épître "Règles de conduite des maîtres d'école" d'Ibn Saḥnûn.[26] Aride dans sa forme, la Risâla d'al-Qâbisî "évoque, pour un lecteur averti, toute la vie de ce petit monde studieux du Kuttâb" où les méthodes d'enseignement en Afrique du Nord n'ont guère varié depuis des siècles, sauf de nos jours dans certains cas très

(25) Voir notre essai "al'uqûba 'inda-l-murabbîn-al-'ifriqiyîn fi-l-qurûn-al-wusṭâ" in revue Al Fikr. Tunis ; Mai 1964, pp. 22-33.

(26) Voir R.E.I., année 1953. Éd. Paris, Librairie orientale Paul Geuthner, 12 rue Vavin, 1954, p. 81.

Certes, al-Qâbisî a signalé les inconvénients de la méthode totalitariste et de la contrainte. Son opinion concorde ici avec celle d'Ibn Ḫaldûn. Mais, ce dernier analyse plus profondément encore les conséquences funestes du châtiment corporel particulièrement abusif et de la contrainte d'une façon générale.

S'insurgeant contre toutes sortes de contrainte, même la religion mal interprétée, et ceci est étonnant de la part d'un Cadi de l'époque médiévale au stade de sa décadence, Ibn Ḫaldûn stigmatise la méthode totalitariste fondée sur la crainte ; cette méthode dégrade l'enfant, le maintient longtemps dans sa condition infantile, rétrécit son esprit et entrave son développement psychique. Cette opinion d'Ibn Ḫaldûn nous est révélée dans un excellent passage : "Employer trop de sévérité dans (l'éducation) des enfants leur est très nuisible, surtout quand ils sont en bas-âge, parce que cela donne à leur esprit une mauvaise disposition." (Prolégomènes, III, 290). Et, comme d'habitude, il cite des exemples concrets : "Les enfants qu'on a élevés avec sévérité, tant les écoliers que les mamlûks (esclaves blancs) ou Khadams (esclaves noirs) en sont tellement accablés que leur esprit se rétrécit et perd son élasticité." (Prolégomènes, III, 291). La sévérité, d'après lui, dispose les enfants à la paresse et au mensonge, à la dissimulation et à la fraude ; autrement dit, ils apprennent "les vices" qui, selon ses propres termes, "leur deviennent habituels et comme une seconde nature." (Ibid, III, 291).

Comme nous touchons, ici, du doigt des vérités psychologiques très actuelles. Assurément, nous découvrons en Ibn Ḫaldûn un excellent psychologue et un éminent pédagogue dépassant son temps et son aire géographique et culturelle. Poussant plus loin son investigation, il nous cite l'exemple des peuples soumis à un régime oppressif, tombant dans la dégradation : "Parcourez, dit-il, les nations qui subissent la domination de l'étranger ; elles ne conservent plus cette noblesse de caractère qui assure l'indépendance." (op. cit., III, 291). Et notre pédagogue d'en tirer, alors, la conclusion qui s'impose : "Donc, le précepteur ne doit pas user de trop de sévérité envers ses élèves ni le père envers ses enfants."

Nous trouvons cette même pensée profondément humaniste chez al-Qâbisî qui conseille au précepteur d'être bienveillant envers l'enfant et de tenir les deux bouts de la chaîne, c'est-à-dire de ne montrer ni trop de sévérité, ni trop d'indulgence. Point n'est besoin de souligner ici l'importance du conseil prodigué par al-Qâbisî au maître d'école : "La bonne façon d'éduquer les élèves est de les traîter

dépasser parfois dix coups de férule. "Il se peut, dit-il, que, parmi les élèves..., quelqu'un ayant presque atteint l'âge de puberté, soit encore mal éduqué et d'un naturel grossier ; celui-ci ne craignant pas de recevoir dix coups, on estime qu'il est capable de supporter davantage sans risque. Il n'y a, par conséquent, aucun inconvénient... à dépasser les dix coups. Mais Dieu seul sait distinguer entre le bienfaiteur et le corrupteur."

La discipline et son application dénotent chez les Musulmans du Moyen/âge un système bien précis qui proportionne le châtiment à la faute. L'intensité des coups doit être bien mesurée. Selon notre auteur, "le châtiment corporel doit être de nature à faire souffrir, sans toutefois dépasser la souffrance pour laisser des traces atroces et affaiblir l'organisme d'une manière préjudiciable."

Quant aux auxiliaires sinistres, mais parfois efficaces du maître, ce sont la dirra (férule) et la falaqa.[24]

En cas d'application d'une punition corporelle, que le maître n'oublie jamais qu'il s'agit "de la dignité et de l'épiderme des petits musulmans ; qu'il évite donc de leur porter atteinte en dehors de l'équité et de la légalité."

Al Qâbisî stigmatise les coups portés au visage de l'enfant et à la tête, "car les suites des coups peuvent avoir pour conséquences funestes d'affaiblir le cerveau, de blesser l'œil, ou de défigurer. Les coups portés sur la plante des pieds sont moins dangereux et plus superficiels."

Al-Qâbisî n'oublie pas ce qui est dû à la dignité de l'enfant et fait preuve de beaucoup d'égard pour la délicatesse de ses sentiments et respecte sa personne. Il condamne les sanctions abusives des maîtres, pouvant entraîner parfois le décès de l'enfant ; dans de longs passages de la III[e] partie de son épître, il analyse juridiquement la question du châtiment corporel et pose plusieurs conditions embarrassantes pour l'application de la sanction corporelle, afin qu'elle ne dévie pas de son but essentiel qui consiste à éduquer et à corriger les caractères.

---

(24) Falaqa : instrument de correction se composant d'un grand bâton rond, muni de deux trous au milieu, à égale distance des deux extrémités du bâton. Une corde est attachée aux deux trous. On mettait les pieds de l'enfant puni entre la corde et le bâton, et à mesure qu'on tournait le bâton, la corde serrait les pieds de l'enfant.

léger et vos paroles n'auraient plus d'effet sur son cœur."[22]

En outre, al-Qâbisî s'élève contre la mauvaise façon de blâmer l'enfant par des injures, car le maître ne les prononce qu'une fois dominé par la colère. Voici ce qu'il dit : « Les paroles hideuses ne sont prononcées par le pieux qu'en étant sous l'emprise de la colère et celle-ci ne convient pas dans ce cas. L'envoyé de Dieu – que le salut soit sur lui – a interdit au cadi de prononcer une sentence en étant irrité. ᶜOmar ibn ᶜAbd el ᶜAzîz ordonna de battre quelqu'un ; lorsque ce dernier fut présenté pour la bastonnade, ᶜOmar dit : " Laissez-le." Comme on lui demandait une explication, il répondit : " Ayant senti, au fond de mon cœur, un courroux contre lui, j'ai jugé qu'il est blâmable de le frapper, en étant sous l'emprise de la colère."

Nul, sans doute, qui ne sache voir ici un principe éducatif très juste et toujours valable : L'éducateur doit éviter la correction corporelle dictée par la vengeance ; car, la punition ne vise, selon al-Qâbisi, qu'à éduquer et corriger les mauvais caractères.[23] Elle n'est pas donc une échappatoire permettant au maître de se décharger d'un désir inconscient de vengeance. Laissons lui encore la parole : "Celle-ci (la correction) n'est, en effet, pour le maître, ni un moyen d'apaiser sa colère, ni quelque chose qui délivre son cœur du courroux. Si la colère le domine, il ne frappera les enfants des musulmans qu'en vue de soulager son âme ; et ceci n'a rien à voir avec l'équité."

Mais, si le châtiment corporel s'impose quelquefois, il doit être bien dosé. Quand il s'agit d'une faute grave : coups donnés à un camarade, négligence habituelle excessive, fuite de l'école, le père ou le tuteur de l'enfant doit être consulté pour qu'il soit permis au maître d'administrer plus de trois coups de férule. En aucun cas, le nombre de coups ne doit dépasser dix. Ce châtiment extrême n'est permis que si l'enfant le supporte. Al-Qâbisî permet au maître de

---

(22) op. cit., p. 64.

(23) Carra De Vaux soutient que "l'idée et l'éxpression de correction des caractères" sont d'origine chrétienne. Elles sont entrées dans la morale musulmane où on les rencontre souvent ; mais les écrivains musulmans les appliquent en général aux adultes." (La Doctrine de l'Islam. Paris 1909, p. 197). Ce jugement dénote chez lui un parti pris certain. Al Gazâli juge nécessaire de travailler le caractère de l'enfant, de le corriger, c'est-à-dire d'éduquer et d'enseigner, (voir Al Ghazâlî "L'éducation des enfants." op. cit., p. 59).

Muḥammad Ibn Saḥnûn et al-Qâbisî ont considéré licite de châtier l'enfant lorsqu'un premier blâme est resté inutile, lorsque l'élève a manqué l'école ou qu'il a fait trop de fautes dans son devoir écrit ; lorsqu'il s'agit de fautes graves : Coups donnés à son camarade, négligence excessive, école buissonnière, etc...

Laissons la parole à al-Qâbisî : "Si l'enfant mérite d'être battu, dit-il, sache que les coups à porter sont de un à trois ; que le maître s'éfforce de ne pas dépasser la limite de la sanction corporelle méritée. C'est ce châtiment qui sera infligé à l'enfant quand il manquera de soins dans sa tâche, mettra trop de temps pour arriver chez le maître, se montrera lent à retenir le coran par cœur, fera, en lisant son ḥizb ou en écrivant sa tablette, beaucoup de fautes ; quand, malgré les rappels successifs à l'ordre, il multipliera les négligences ; quand le blâme et la réprimande par des paroles menaçantes mais dépourvues d'insultes ou d'injures blessant la dignité... demeureront inefficaces."

Toutefois, al Qâbisî conseille au maître de réprimer l'enfant par des paroles menaçantes, avant de recourir au châtiment corporel. Ces paroles ne doivent pas être outrageantes. Pas d'insultes ou d'injures blessant la dignité de l'enfant tels que ces remontrances vexatoires : "Hé l'affreux ! espèce de singe !.

"Que le maître, dit-il, évite ces propos et les paroles exécrables qui leur sont assimilables. S'il lance à l'enfant une de ces formules, qu'il en demande pardon à Dieu et qu'il ne la répète plus." Notre auteur désapprouve ces réprimandes par des paroles odieuses et injurieuses, car elles sont de nature à blesser l'amour propre de l'enfant, à le pousser à haïr le maître ayant dépassé les limites de la bonne éducation. De plus, l'éducateur ne doit se servir de la sévérité dans le langage que de temps à autre ; de même, il doit éviter la familiarité avec l'enfant. C'est, d'ailleurs, l'avis d'al-Ġazâlî, quand il dit : "Que le père se réserve la sévérité dans le langage, ne s'en servant que de temps à autre."[21]

Al Ġazâlî justifie son point de vue par le fait que l'enfant finit par s'habituer aux reproches et à la réprimande ; ceux-ci n'auront plus d'effet sur lui. Laissons lui la parole : "Évitez d'abonder en reproches à chaque instant, car d'entendre la réprimande lui deviendrait

(21) Al Ghazzali "L'éducation des enfants dès le premier âge" texte présenté et traduit par A. Ranon (extrait de la revue IBLA, 1954), p. 64.

mes on ne peut plus catégoriques, il dit : « Il faut commencer par lui soumettre quelques problèmes appartenant à chaque division de la science qu'on va traiter... Pour faciliter la compréhension de ces questions, on les expose d'une manière sommaire en se réglant d'après l'intelligence de l'élève et sa capacité, plus ou moins grande, de recevoir les notions qu'on veut lui communiquer... On lui fait aborder ensuite le même sujet pour la seconde fois, en le conduisant, par la voie de l'enseignement oral, à un degré de connaissance plus élevé que celui auquel il est parvenu. On lui donne alors toutes les explications nécessaires et tous les éclaircissements... Le (maître), voyant que l'élève a fait maintenant de grands progrès, recommence avec lui l'examen de la science et lui explique tout ce qui s'y trouve de difficile, d'obscur et d'abstrait, sans rien omettre. » (Prolégomènes, III, 275, 276).

A L'opposé de cette conception pédagogique, Al-Qâbisî s'adresse trop à la mémoire. C'est ce que Ibn Ḫaldûn reproche aux pédagogues de son temps. Parlant de ceux qui se sont donnés beaucoup de peine pour se charger la mémoire, il dit, en termes claires : « Ils n'avaient rien acquis d'utile en ce qui touche la faculté de faire valoir leurs connaissances ou de les enseigner. » (Ibid, II, 444)

Ces considérations d'Ibn Ḫaldûn sur les méthodes d'enseignement sont, d'une façon générale, plus précieuses que celles fournies par les pédagogues musulmans de l'époque médiévale. Cela s'explique par son esprit génial qui lui donne une dimension humaniste dépassant et son époque et les frontières du monde musulman.

La discipline d'après Al Qâbisî :

Néanmoins, plusieurs principes pédagogiques d'al-Qâbisî valent autant que ceux fournis par Ibn Ḫaldûn. Nous en citons, à titre d'exemple, la codification poussée à l'extrême du châtiment corporel dans la punition éducative, de telle sorte qu'al-Qâbisî rend ce châtiment presque impossible à administrer. Avec la pensée de ce pédagogue dans le domaine de la discipline, la pensée d'Ibn Ḫaldûn, à l'évidence, présente des affinités. Portons notre regard sur la discipline dans les écoles (Kuttâbs) au Moyen-âge et essayons de préciser le point de vue de nos deux éducateurs.

l'Islam a permis la punition et l'a considérée comme un moyen d'éduquer et de corriger les caractères. D'après Mâlik Ibn 'Anas, la punition est permise dès l'âge de dix ans, lorsque l'enfant a négligé sa prière.

ment avec impartialité, et ne doit pas avoir de préférence à l'égard de quelques-uns de ses élèves, même s'ils lui versent une plus forte somme ou essaient d'attirer sa faveur en lui offrant des présents, ou en lui rendant divers services. Mais il peut marquer sa préférence à l'égard de qui il veut, et ce, pendant ses loisirs, et après avoir rempli ses fonctions avec équité. ».

À propos de l'enseignement simultané à tout un groupe, al-Qâbisî dit : « Le fait de donner l'enseignement coranique en commun peut empêcher le maître de discerner l'élève doué d'une bonne mémoire de celui dont la mémoire est faible et même, si les enfants apprennent sans trop de difficulté, le maître doit pourtant les prévenir qu'il examinera à part chacun d'eux et qu'il leur demandera compte de leur négligence. ».

Al-Qâbisî remarque fort pertinemment qu'il ne suffit pas, pour l'étude du coran, que l'élève écoute passivement ; le maître doit surveiller de près la lecture et la prononciation nette et correcte du texte ; car ce sont des choses difficiles à acquérir si les enfants lisent en groupe. Le maître se trouve obligé de recourir à la méthode collective, simultanée, et de renoncer à la méthode individuelle lorsqu'il y a trop d'enfants dans le Kuttâb. Al Qâbisî s'élève contre la première méthode qui empêche le maître de discerner les bons élèves et les élèves peu doués. Cependant, il ne la condamne pas d'une façon absolue puisqu'il permet même au maître de l'employer, lorsque bon lui semble, à condition qu'il suive de près chaque élève en particulier.

Cette méthode collective et simultanée, avec le travail de mémoire, était courante en occident même au XVIIIe siècle. Laissons la parole à Marmontel : " Pour passer d'une classe à une autre, il y avait un sévère examen à subir, et l'une des tâches que nous avions à remplir pour cet examen était un travail de mémoire. » Ce travail se faisait dans la campagne où, dit-il, « nous allions bourdonnant comme des essaims d'abeilles. »[20]

Ibn Haldûn, dans sa Muqaddima, stigmatise cette méthode collective simultanée ainsi que l'excès de travail de mémoire. Il conseille au maître de s'occuper de chaque élève, de se régler, pour lui faciliter la compréhension, d'après son intelligence et sa capacité, et de monter graduellement du facile au difficile. Et, en des ter-

(20) Marmontel "Une Éducation au XVIIIe siècle" op. cit., p. 17.

mènes. Après l'étude du coran, l'enfant s'occupera, ensuite, des principes fondamentaux de la religion, de la jurisprudence, puis s'appliquera à la dialectique très en vogue chez les théologiens, et finira par les traditions et les disciplines qui s'y rattachent.

C'est ce projet pédagogique d'Abû Bakr ibn al ʿArabî qu'Ibn Ḫaldûn juge très bon. " J'avoue, dit-il, que le système proposé par le cadi 'Abû Bakr est très bon, mais les usages s'opposent à son emploi ; et les usages nous gouvernent despotiquement dans cette vie. » (Prolégomènes, III, 290).

Ce système, très en vogue en Espagne musulmane, est cependant incomplet, puisque les sciences rationnelles y sont négligées. Ibn Ḫaldûn n'oublie pas de le remarquer, d'autant plus qu'il place ces sciences rationnelles au-dessus des autres sciences théologiques et linguistiques dans sa classification des connaissances. Les sciences, d'après lui, se rangent en deux classes : « La première est celle des sciences qui sont naturelles à l'homme et vers l'acquisition desquelles il est conduit par sa faculté réflective ; la seconde consiste en sciences traditionnelles. » (Ibid, II, 450). Viennent ensuite les sciences qui se rattachent à la langue. Cette classification des sciences est pourtant théorique, car, quelques pages plus loin, notre historien sociologue la renverse, contraint à cela par la réalité et les constatations au Moyen/âge en général et la réalité de sa société en particulier, surtout en Ifriqiya. Il commence alors par énoncer les sciences traditionnelles, puis passe en revue les sciences rationnelles, enfin, celles qui se rattachent à la langue. En conséquence, ce renversement de classification des sciences dans les Prolégomènes n'est pas une contradiction dans la démarche intellectuelle d'Ibn Ḫaldûn.

Nous avons évoqué les programmes d'éducation proposés par deux pédagogues tunisiens médiévaux, à des époques différentes et dans deux systèmes distincts, l'un traditionnel et conformiste, l'autre rationnel et révolutionnaire, d'une portée futuriste qui dérangeait, en ce temps là, les docteurs traditionnistes.

Cependant, cela ne veut pas dire que nous reprochons à al-Qâbisî un manque d'originalité. Cet auteur nous signale les usages courants, en son temps, dans le domaine de l'enseignement et nous indique le point de vue des orthodoxes malikites en la matière. Sa valeur éducative réside incontestablement dans plusieurs principes pédagogiques qu'il envisage tels que le conseil qu'il fournit au maître d'être équitable à l'égard des enfants et d'éviter l'enseignement simultané. Lisez ce qu'il dit : " Le maître doit donner son enseigne-

tes : « Par exemple que les angles de chaque triangle sont égaux à deux angles droits... Que lorsque deux lignes droites se coupent, les angles opposés sont égaux... etc. » (Prolégomènes, III, 140). Lisez ce qu'il dit à propos de la géométrie : « Nos professeurs disaient : l'étude de la géométrie est pour l'esprit ce que l'emploi du savon est pour les vêtements ; elle enlève les souillures et fait disparaître les tâches. » (Ibid. III, 142).[18]

Al Qâbisî, par contre, considère le calcul comme une matière secondaire et l'évoque en passant. Voici ce qu'il dit : « Il est bon qu'il (le maître) leur enseigne le calcul, mais cela ne constitue une obligation que si la chose est stipulée dans le contrat. De même pour la poésie, la science des raretés linguistiques, la langue arabe, la calligraphie, l'ensemble de la grammaire, tout ceci devant être enseigné bénévolement. Il n'y a pas d'inconvénient à leur enseigner la poésie – à condition qu'elle ne soit pas indécente – ainsi que les propos tenus par les anciens Arabes et leurs chroniques. Mais ceci ne constitue pas pour lui une obligation. »

Par contre, Ibn Ḫaldûn qui, certes, s'intéresse comme al Qâbisî à l'enseignement populaire de base, insiste sur l'importance de l'enseignement du calcul ; de là apparaît que le système d'éducation d'al-Qâbisî est destiné à former, avant tout, de bons croyants ; alors que le système éducatif d'Ibn Ḫaldûn vise à former, non seulement des vertueux ou des érudits, mais surtout des hommes à l'esprit clair, capables de raisonner juste. D'ailleurs, cet éducateur insiste beaucoup, dans son système que nous ne traiterons pas ici dans tous ses détails,[19] sur l'importance de la faculté refléchissante chez l'enfant. À ce propos, il dit : « Dieu a distingué l'homme de tous les autres animaux en lui accordant la réflexion, faculté qui marque le commencement de la perfectibilité humaine et qui achève la noblesse de l'espèce. » (Prolégomènes, II, 426).

Après les études préliminaires de la langue et du calcul, l'enfant trouvera facile l'étude du coran, selon Ibn Haldûn. Il n'en est pas de même dans le système d'al-Qâbisî qui est, d'ailleurs, le système traditionnel suivi en Ifriqiya jusqu'à l'époque de l'auteur des Prolégo-

(18) Ibn Haldûn "Prolégomènes". Trad. De Slane ; Librairie Paul Geuthner, 12 rue Vavin, Paris 1936 ; T III, p. 133.

(19) Voir notre essai "Caractère génial du système pédagogique d'Ibn Khaldoun" in Revue Pédagogique édité par l'office pédagogique de Tunisie, Mars 1963.

ficulté d'exprimer nettement leurs idées, et une grande incapacité pour le maniement de la parole. » (Prolégomènes, III, 287).

Il faudrait avoir l'audace et la clairvoyance d'esprit d'Ibn Ḫaldûn pour oser avancer une telle idée qui paraît révolutionnaire dans une société d'un conservatisme ayant confiné à la stagnation. Ce n'est pas, par simple jalousie, que le célèbre juriste malikite "Ibn ᶜArafa" a dressé une cabale de dévots contre notre génial historien sociologue et éminent pédagogue, et l'a contraint à l'exil. Le triomphe d'Ibn ᶜArafa, c'est assurément le refus d'une vraie renaissance intellectuelle.(16)

L'Ifriqiya, remarque Robert Brunschvig, « a rejeté de son sein Ibn Ḫaldûn, comme beaucoup de communautés humaines ont renié les plus illustres de leurs enfants, et c'est malgré ses compatriotes qu'il a porté au loin la gloire de son pays natal. »(17)

Certes, le système éducatif plus ouvert d'Ibn Ḫaldûn diffère, en plusieurs points, de celui d'al-Qâbisî plutôt traditionniste conservateur. Poussons encore plus loin le parallèle pour mieux montrer leurs différences et leurs affinités.

Après avoir étudié la langue, l'élève passerait ensuite au calcul, dans le système d'Abû Bakr ibn Al ᶜArabî, c'est déjà dire dans le projet pédagogique apprécié par Ibn Ḫaldûn. Par ce conseil, notre pédagogue se révèle un véritable psychologue ; compter est, en effet, la première chose que l'enfant conçoit après les mots. Dans le calcul, surtout l'arithmétique et la géométrie, nous trouvons les « idées claires et distinctes » selon le dire de Descartes. L'idée, il est vrai, était déjà dans Ibn Ḫaldûn. Il n'est, pour s'en rendre compte, que de lire ce passage des "Prolégomènes" : « On a vulgarisé le calcul dans les grandes villes par l'enseignement premier, et on le regarde même comme le meilleur point de départ de cet enseignement, parce qu'il fournit des connaissances parfaitement évidentes, qu'il offre un système régulier de démonstrations et qu'il a presque toujours pour résultat de rendre l'esprit clairvoyant et de l'habituer à raisonner juste.» (Prolégomènes III, 133). Nous touchons là du doigt un cartésianisme avant la lettre, surtout quand Ibn Ḫaldûn nous dit que les sciences géométriques enseignent les vérités éviden-

---

(16) Voir Robert Brunschvig "Berbérie orientale sous les Hafsides" Éd. Librairie d'Amérique et d'orient, Adrien, Maisonneuve ; Paris, 1947 ; T II, pp. 391-392.

(17) op. cit., II, 355.

dire ce qui permet à l'humanité d'évoluer, de se connaître. Mais comment saisir la pensée profonde d'un écrit d'une langue, si, de cette langue, nous ignorons les éléments ? Jean François Marmontel, pédagogue du XVIII[e] siècle, s'en est bien rendu compte dans un excellent passage de ses "Mémoires", celui, justement, où il décrit son enfance et son éducation : « Je m'aperçus, dit-il, que c'était l'idée attachée au mot qui lui faisait prendre racine, et la réflexion me fît bientôt sentir que l'étude des langues était aussi l'art de démêler les nuances de la pensée, de la décomposer, d'en former le tissu, d'en saisir avec précision les caractères et les rapports ; qu'avec les mots autant de nouvelles idées s'introduisaient et se développaient dans la tête des jeunes gens ». Et Marmontel d'ajouter : « Ainsi, les premières classes étaient un cours de philosophie élémentaire bien plus riche, plus étendu et plus réellement utile qu'on ne pense, lorsqu'on se plaint que, dans les collèges, on n'apprenne que du latin. »[15]

C'est, sans doute, pour la même raison et non seulement par désir de pousser "Pantagruel" à l'acquisition d'une culture universelle que "Gargantua" l'engage à apprendre parfaitement les langues, en premier lieu.

Conscient de cette nécessité, Ibn Ḫaldûn, deux siècles avant Rabelais, reproche aux habitants du Maghreb et surtout à ceux de l'Ifriqiya de ne tenir leurs enfants qu'à l'étude du coran. Dans aucun de leurs cours d'enseignement primaire, dit-il, « ils ne parlent des traditions, de la jurisprudence, de la poésie, de la langue des anciens Arabes. » (Prolégomènes, III, 286).

Même s'il trace un programme détaillé, al-Qâbisî attache une importance capitale à l'enseignement du coran qui doit prévaloir sur n'importe quelle autre discipline ; l'enfant peut se contenter de le réciter de mémoire, sans pouvoir le lire dans le texte.

L'importance qu'on attache à l'enseignement du coran, en premier lieu, a pour résultat d'empêcher les habitants de l'Ifriqiya de posséder complètement la langue arabe, d'après Ibn Ḫaldûn. Et, en des termes-on ne peut plus catégoriques – il affirme : « L'étude du texte coranique ne procure que rarement la faculté de bien parler... Tout ce que (les élèves) retirent (de ce genre d'instruction) est la dif-

(15) Marmontel "Une éducation au XVIII[e] Siècle," Extraits des mémoires, les Belles Lectures ; Paris 1953, p. 15.

dique et professionnel sur le salaire du maître et les cadeaux licites – des principes pédagogiques très intéressants concernant surtout la discipline dans les écoles (Kuttâb-s) en Ifriqiya au Moyen/âge.

Enfin, nous trouvons un traîté sur la question des lectures coraniques (Qirâ'ât).

Étant donné l'importance pédagogique de ce livre, nous donnons ci-après quelques détails sur le système éducatif d'al-Qâbisî. L'auteur, dans sa Risâla, nous met dans l'ambiance de l'école élémentaire (kuttâb) et nous montre que la tâche essentielle du maître consiste à enseigner aux élèves la lecture, l'écriture et avant tout la récitation du coran. Dans cet ouvrage, les méthodes d'enseignement sont codifiées. Nous y remarquons une forte emprise religieuse. Les enfants commencent par apprendre le coran de mémoire ; mais l'étude de la loi et des autres sciences, vu leur grande étendue, doit être faite par compréhension, non par mémoire. Le programme comprend l'analyse grammaticale du coran, l'étude de la vocalisation, de l'orthographe, de la calligraphie, de la lecture correcte, de la prière et ses ablutions. L'Art épistolaire, la poésie et les connaissances similaires sont à craindre pour les filles ; quant aux garçons, le maître peut leur enseigner le calcul, la poésie, la grammaire, la lexicographie ; en tout cas, il ne s'agit que de matières secondaires. Enfin, il s'appliquera à leur éviter d'apprendre la poésie licencieuse et de lire les récits historiques immoraux.

C'est ce programme d'enseignement traditionnel et populaire obligatoire que préconise al-Qâbisî et qu'Ibn Haldûn critique dans ses Prolégomènes. Abû-l-Ḥasan conseille d'enseigner le coran, en premier lieu. Mais le génial Ibn Ḫaldûn, amené à des considérations précieuses sur les méthodes d'enseignement par une conception très large de sa nouvelle science « le peuplement humain » (al ᶜImrân al bašarî), estime qu'il faudrait suivre l'esprit du système d'enseignement proposé par le cadi 'Abû Bakr ibn al ᶜArabî (mort à Seville en 543 H/1148 J.-C.), dans son récit de voyage, et enseigner l'arabe et la poésie avant les autres sciences. (Prolégomènes, III 289). Les Espagnols, remarque Ibn Ḫaldûn, enseignent à leurs enfants, en premier lieu, les éléments de la langue, c'est-à-dire la lecture et l'écriture.

C'est là, ce semble, une idée fort pertinente ; car, avec ces éléments, l'enfant serait capable d'embrasser toutes les branches de la science et d'y voir clair. Ibn Ḫaldûn, bien sûr, est humaniste ; ce qui l'intéresse, avant tout, ce sont les idées, la pensée, le fond, c'est-à-

Moyen/âge. Le maître d'école (mu^c^allim ou mu'addib) enseigne aux enfants à lire, à écrire, et surtout à réciter le coran. Les remarques d'Ibn Haldûn concernant l'enseignement traditionnel de son époque sont, à ce sujet, très justes et corroborent les constatations indirectes d'al Qâbisî : "les habitants de l'Ifriqiya, écrit-il, tiennent surtout à familiariser les élèves avec le texte du coran et avec les diverses variantes et leçons de ce livre. Cette partie de l'enseignement est plus soignée que partout ailleurs."(14)

II. Dans la seconde partie, l'auteur répond, dans un premier chapitre, à des questions qui préoccupaient l'interlocuteur : les honoraires des maîtres et la tradition s'y rapportant ; les disciplines qu'il convient d'enseigner en même temps que le coran et celles pour lesquelles le maître ne peut exiger des élèves une rémunération quand il les enseigne à chacun d'eux en particulier ; le musulman peut-il donner l'enseignement à un chrétien et réciproquement ? Le maître peut-il fixer un délai pour faire apprendre à ses élèves le coran par cœur ?

Dans un second chapitre, il énonce les règles de conduite du maître à savoir : la droiture, le soin qu'il doit prendre des enfants, l'équité et la bienveillance qu'il observera à leur égard ; s'il peut ou non faire appel au concours de quelques uns d'entre eux pour s'occuper des autres, se faire remplacer par un autre maître lorsqu'il en éprouve le besoin, assumer avec son concours l'éducation des enfants ou le charger de cette tâche, pour son compte ? Comment organisera-t-il l'horaire des leçons et des exercices écrits ? De quelle manière les enfants effaceront-ils leurs tablettes et omoplates ? Quelles sont les périodes de congé et les sanctions corporelles légales ? Qui doit payer l'instrument du châtiment corporel et la location du local ? Est-il permis de mêler les garçons aux filles, de donner l'enseignement à l'intérieur d'une mosquée avec le concours de deux ou plusieurs maîtres ? Les enfants étudieront-ils ensemble une seule section du coran (Ḥizb) ? Leur est-il permis de toucher l'exemplaire du coran sans être, au préalable, purifiés par ablution (ṭuhr) ? Doit-on leur enseigner l'ablution afin qu'ils puissent s'en servir ? Feront-ils la prière sous la direction de l'un d'eux.

III. La troisième partie renferme – outre les détails d'ordre juri-

(14) Ibn Haldûn "Prolégomènes" Trad. de Slane ; Librairie Paul Geuthner, 12 rue Vavin, Paris 1936, T III, p. 287.

(bâṭin) ».
4. « Aḥkâm ad-Diyâna », concernant les pratiques cultuelles.
5. « Kitâb Manâsik al-Haǧǧ », écrit didactique sur les rites du Pélerinage.
6. « Kitâb Rutab alᶜIlm Wa'Aḥwâli'Ahlihi », sur la science religieuse.
7. « Ar-Risâla-l-Mufaṣṣila li 'Aḥwâl al-Mutaᶜallimîn wa 'Aḥkâm al Muᶜallimîn wa-l-Mutaᶜallimîn ».

Al Qàbisi, contrairement à ce que soutiennent certaines études,[11] n'est pas né aveugle. Il fut atteint tardivement de cécité comme le montre Ad-Dabbâġ dans ses « Maᶜâlim al Imân ».[12] Très tôt, il se consacra à l'étude et à l'ascèse. Sa célébrité s'affirma surtout dans ses fatwas, traitant de fiqh et de questions de théologie.

■ Analyse de la Risâla :

Son opuscule, la Risâla-l-mufaṣṣila que nous présentons, ici, avec une traduction et des annotations – outre son aspect juridique le classant précisément dans le genre « fatwas » – est un véritable traité sur l'éducation et l'enseignement en Islam médiéval dans les Kuttâbs (écoles coraniques).[13] Nous y trouvons les principes pédagogiques recommandés aux maîtres par une autorité malikite de l'Ifriqiya ainsi que les règles de conduite qui leur sont prescrites. La Risâla-l-mufaṣṣila renferme trois grandes parties :

I. Une définition de la foi, de l'Islam et du bienfait, une explication de la droiture (Istiqâma) et de la nature de la Vertu (aṣ-ṣalâḥ).

Al-Qâbisî fournit, dans cette première partie, un enseignement moral et trace aux élèves une ligne de conduite s'inspirant des principes de l'Islam et visant à garder la communauté dans les limites de l'orthodoxie. Le meilleur exemple à suivre, dit-il, est celui du Prophète. Il invite les parents d'élèves à enseigner à leurs enfants, en bas-âge, le coran et, dans un long passage, il cite à son interlocuteur le mérite du livre Saint. Évidemment, nous remarquons le primat du facteur religieux dans l'enseignement primaire en Ifriqiya au

---

(11) Voir a) H.R. Idris "Deux juristes Kairouanais."
b) Chedly Bouyahia "La Vie Littéraire Sous Les Zirides." Éd. S.T.D. 1972, p. 54.
(12) Dabbâg "Maᶜâlim al Imâm", p. 174-177.
(13) Salama (Ibrahim" : "Bibliographie analytique et critique touchant la question de l'enseignement en Egypte depuis la période des Mameluks jusqu'à nos jours." Éd. Le Caire 1938.

Savant traditionniste, dialecticien et autorité de l'école malikite kairouanaise, al-Qâbisî désavouait le šiᶜisme en refusant de coopérer avec l'autorité fatimide de l'Ifriqiya et celle de leurs successeurs Zirides qui restèrent fidèles à l'hétérodoxie šiᶜite au début de leur règne. Selon une information rapportée dans « Maᶜâlim al 'Îmân » de Dabbâġ et d'Ibn Nâǧî, al-Qâbisî, en signe de répulsion, ne mangeait aucune denrée vendue à Ṣabra - Manṣûriyya et ne buvait pas l'eau de la source qui alimentait cette capitale fatimide.

Abû-l-Ḥasan fut remarqué pour sa droiture et sa grande piété. Il mourut en 403 H/1012 à l'âge de 77 ans et fut enterré à Kairouan, dans le cimetière de Bâb Tûnis, non loin du Bassin des Aghlabites. Abû ᶜImrân al Fâsî présida à la prière des morts. Près d'une centaine de thrènes furent composés en l'honneur du pieux défunt.

Al Qâbisî est une grande figure de l'Ifriqiya au IXᵉ siècle H/Xᵉ J.-C. C'était l'époque de l'apogée de la culture et de la civilisation arabo-islamiques. Au cours de ce siècle, Kairouan, comme Baghdad et Cordoue, brilla d'un vif éclat et s'imposa par ses sommités littéraires, religieuses et scientifiques.

L'œuvre :

Malikite pro-ašᶜarite, al-Qâbisî était-outre ses prédilections pour la « lecture coranique » - juriste féru des principes du droit élaboré rationnellement. Auteur de fatwas (consultations juridiques), il s'affirma également comme pédagogue et auteur d'écrits didactiques.

L'œuvre d'al-Qâbisî est abondante. Parmi ses ouvrages, on peut citer notamment :

1. « Kitâb al Mulaẖẖiṣ-li-Musnad Muwaṭṭa' Mâlik b. 'Anas » ou « Mulaẖẖaṣ al Muwaṭṭa' ». Une magnifique copie kairouanaise de ce manuscrit existe au Musée de Damas. Il en existe une autre à Médine et une troisième à Pankipür en Inde, selon Brockelmann dans le supplément Band, p. 298.
2. « Kitâb al Mumahhid fi-l-Fiqh », recueil volumineux de traditions classées sous la rubrique du fiqh, resté inachevé à la mort d'al Qâbisî. Il a atteint soixante volumes.
3. « Kitâb al Munqiḏ min šabah at-Ta'wîl », sur les points douteux de l'interprétation coranique. At-ta'wîl est le terme utilisé surtout par les šiᶜîtes, au lieu du terme « tafsîr » consacré par les sunnites, pour dire qu'il y a lieu de distinguer dans l'interprétation coranique une signification exotérique (Ẓâhir) et une autre ésotérique

18. Ibn Šaraf (m. 460 H/1067), célèbre poète et critique littéraire, émule d'Ibn Rašîq. Il est notamment l'auteur de « Masâ'il al-'Intiqâd ».
19. Abû l-Ḥasan b. al-Maqlûb as-Sûsî, autorité en matière de jurisprudence et personnage considérable de Sousse. Il enseigna également à Mahdia.

B. Autres disciples :

Al-Qâbisî eut pour disciples Siciliens Ibn al-Ḥaṣâ'irî et Ibn yûnus (m. 451 H/1059).

Parmi ses élèves andalous, on peut citer :
Ibn al Faraḍî (m. 403 H/1012) ; 'Aḥmad b. Muḥammad al Qurašî (Ibn aṣ-Ṣiqillî) qui fut transmetteur d'un grand nombre d'ouvrages d'al-Qâbisî ; ʿAbd Allah b. Muḥammad al-ǧadalî (m. 444 H/1052) qui recueillit de la bouche d'al-Qâbisî le Ṣaḥîḥ de Buḫârî ; ʿAbd ar-Raḥmân b. Saʿîd b. Farağ (m. 439 H/1047) qui savait par cœur le « Kitâb Mulaḫḫaṣ al Muwaṭṭa' » de son maître al Qâbisî ; Abû ʿAbd al-Malik Marwân al-Bûnî (m. avant 440 H/1048), fut l'un des plus éminents disciples d'al-Qâbisî. Après un séjour à Kairouan, il se rendit à Bône d'où il tira son ethnique d'al-Bûni car il y demeura longtemps jusqu'à sa mort. Il est l'auteur d'un commentaire du Muwwaṭṭa' de l'Imâm Mâlik.

Abû ʿAmr ad-Dânî (m. 444 H/1053), célèbre « lecteur » andalou, fut pendant un séjour de quatre mois à Kairouan un brillant élève d'al-Qâbisî qui lui accorda l'iǧâza de son « Mumahhid » et lui enseigna son « 'Kitâb al-Mulaḫḫaṣ ».

Un autre disciple andalou, Muḥammad b. Abî Ṣufra (mort à Kairouan en 416 H/1025), vécut à Mahdia. Il est l'auteur d'un commentaire résumé de ce même « Kitâb al Mulaḫḫaṣ ». Son frère Al Muhallab b. Abî Ṣufra (m. 433 H/1041) fut également l'un des principaux disciples d'al-Qâbisî qui lui enseigna son « Mulaḫḫaṣ ». Ḥâtim b. Muḥammad b. aṭ-Ṭarâbulsî (m. 469 H/1076), cordouan originaire de Syrie, séjourna à Kairouan et suivit les cours d'al-Qâbisî. Il fut l'un des principaux transmetteurs du Ṣaḥîḥ de Buḫârî d'après la « riwâya » de son maître.

Il serait long d'énumérer, ici, tous les élèves d'al-Qâbisî. D'autres noms sont cités par H.R. Idris dans une liste exhaustive de disciples ifriqiyens, tripolitains et andalous.[10]

(10) H.R. Idris "Deux juristes Kairouanais...," pp. 190-195.

Cordoue en 437 H/1045), docte très versé dans les sciences coraniques. Auteur de nombreux ouvrages sur les « lectures », il composa notamment sa Tabṣira à Kairouan en 392 H/1001.
6. Abû Bakr ᶜAtîq b. Ḫalaf at-Tuǧîbî (m. 422 H/1030), auteur de « Al Iftiḫâr fî Manâqib Fuqahâ al-Qayrawân », ouvrage perdu que l'auteur a rédigé en hommage aux docteurs Kairouanais.
7. Abû ᶜImrân al-Fâsî (m. 430 H/1038), jurisconsulte Kairouanais originaire de Fès, un des plus éminents disciples d'al-Qâbisî. Il eut une influence considérable sur l'école juridique sous les Zirides.
8. Abû Bakr ᶜAtîq as-Sûsî (m. vers 450 H/1058), savant en droit, en hadiṯ, en grammaire et en lexicographie, vécut dans la pauvreté et la piété.
9. Abû-l-Ḥasan ᶜAlî b. 'Abî Ṭâlib al ᶜÂbir, auteur d'une centaine d'ouvrages. Il s'est consacré à l'interprétation des songes.
10. Abû-l-Qâsim b. Muḥriz (m. vers 450 H/1058), controversiste renommé, composa une glose de la Mudawwana intitulée « at-Tabṣira » et un gros ouvrage « al-Qaṣd wa-l-'Îǧâz ».
11. Abû ᶜAbd Allah Muḥammad b. Sufyân al-Hawwârî 'al-Muqri' al Faqîh (m. 415 H/ 1024), célèbre « lecteur » qui séjourna à Mahdia. Il est l'auteur de « Kitâb al Hâdî », Kitâb Iḫtilâf Qurrâ' al 'Amṣâr fî 'Adab 'Ây al-Qur'ân », « at-Taḏkira fî l-Qirâ'ât » etc...
12. Abû l-ᶜAbbâs Aḥmad b. ᶜAmmâr al-Mahdawî, natif de Mahdia, fut célèbre lecteur et exégète. Dans la dernière décade de sa vie, il s'installa en andalousie où il mourut en 440 H/1048.
13. Abû Ḥafṣ ᶜUmar al ᶜAṭṭâr (m. vers 430 H/1038). Réputé comme professeur et jurisconsulte, il est l'auteur d'une glose sur la Mudawwana.
14. Abû ᶜAbd Allah Muḥammad al Mâlikî (m. 438 H/1046). Son fils Abû Bakr al Mâlikî est l'auteur du célèbre ouvrage biographique des docteurs et dévots Kairouanais, le « Riâḍ an-Nufûs ».
15. Abû ᶜAbd Allah Makki b. ᶜAbd ar-Raḥmân al'Anṣârî (m. 432 H/1040). Il servait de secrétaire à son maître al-Qâbisî et consignait ses œuvres.
16. Abû ᶜAlî Ḥasan b. Ḫaldûn al Balawî (m. 407 H/1016). Juriste très estimé par le petit peuple kairouanais, il semble avoir été l'un des instigateurs du massacre des šiᶜites au début du règne du Ziride al-Muᶜizz b. Badîs.
17. Abû l-Qâsim ᶜAbd ar-Raḥmân, connu sous le nom d'Ibn al-Kâtib (m. 408 H/1017), célèbre jurisconsulte et controversiste qui se mesurait à Abû ᶜImrân al-Fâsî et l'affrontait brillamment.

7. Abû-l-Qâsim Ziyâd b. Yûnus al-yaḥṣubî as-Sidrî (m. 361 H/971), juriste de valeur, refusa la charge de Cadi.
8. Ibn Zakrûn (m. 370 H/980), jurisconsulte ascète, composa de nombreux ouvrages notamment sur le droit et la mystique.
9. Abû 'Isḥâq al ǧabanyânî (m. 369 H/979), dévot célèbre par ses invocations. Al-Qâbisî et Ibn 'Abî Zayd le vénéraient.

B. Maîtres Orientaux :

1. Abû-l-Qâsim Ḥamza b. Muḥammad al Kinânî, docteur égyptien qui semble avoir eu le plus d'influence sur notre auteur. Il lui transmit le livre d'an-Nasâ'î.
2. Abû Zayd Muḥammad b. 'Aḥmad al-Marwazî, enseigna à al-Qâbisî le Ṣaḥîḥ de Buḫârî à La Mecque.
3. Abû-l-Fatḥ b. Badhân (m. 359 H/969), docteur égyptien, autorité en matière de « lecture coranique ».
4. Abû Bakr Muḥammad b. Sulaymân an-Naᶜâlî, docteur égyptien. Al-Qâbisî l'estimait énormément.
5. Abû 'Aḥmad Muḥammad b. 'Aḥmad al-ǧurǧânî, transmetteur du Ṣaḥîḥ de Buḫârî.
6. Abû Ḏarr al-Harawî (m. 434 ou 435 H/1042-1043), jurisconsulte malikite. Il composa – entre autres ouvrages – « Musnad al Muwaṭṭa'. » Al-Qâbisî s'en est peut-être inspiré dans son Mulaḫḫiṣ.

Ses principaux disciples.

A. Disciples ifriqiyens :

1. Abû Bakr 'Aḥmad b. ᶜAbd ar-Raḥmân (m. 432 ou 435 H/1040-1043), fut le meilleur disciple d'al-Qâbisî qui l'autorisa de son vivant à rendre des fatwas.
2. Al-Labîdî (m. 440 H/1048), grand docteur orthodoxe, célèbre notamment par son ouvrage juridique « Aš-šarḥ wa-t-Tafṣîl li-Masâ'il al-Mudawwana », commentaire et détails comprenant le Muwaṭṭa' de Mâlik et les Nawâdir d'Ibn Abî Zayd.
3. Abû ᶜAbd Allah Muḥammad b. ᶜAbbâs al'Anṣârî connu sous le pseudonyme d'al-Ḫawwâṣ (m. 428 H/1036), jurisconsulte et ascète très estimé. Ibn Rašîq fit son thrène.
4. Abû ᶜAbd Allah al Ḥusayn b. Abî- l-ᶜAbbâs ᶜAbd ar-Raḥmân al-'Aǧdâbî al-Mu'arriḫ (m. 432 H/1040), composa des Eloges « Manâqib » de plusieurs dévots Kairouanais. Il fut le maître du célèbre Abû Bakr al-Mâlikî, l'auteur du Riâḍ an-Nufûs (ouvrage biographique très instructif, en deux volumes).
5. Abû Muḥammad Makki b. Abî Ṭâlib al-Muqri' al Qaysî (mort à

240/776-856).[8] Al Qâbisî était compagnon d'Ibn 'Abî Zayd al Qayrawânî (310-386 H/922-996 J.-C.). Il serait même son cousin et celui de Muḥriz Ibn Ḫalaf (m. 413 H/1022 J.-C.), le patron de la ville de Tunis.[9]

Al-Qâbisî, né en 324 H/935 et mort en 403 H/1012, a vécu une bonne partie de sa vie sous le régime chiᶜite Fâtimide qui céda le pouvoir aux Zirides, lorsque le khalifa al-Mu ᶜizz quitta Kairouan pour s'installer au Caire en 362 H/972. Al Qâbisî fut, notamment à l'exemple de son aîné Ibn 'Abî Zayd, une des personnalités d'envergure de l'orthodoxie malikite kairouanaise aux prises avec l'hétérodoxie chi ᶜite.

Al Qâbisî partit en Orient en 352 H/963 dans le but d'accomplir le pélerinage ; ce voyage lui fournit aussi l'occasion d'entrer en contact avec les grands maîtres du Ḥiǧâz et de l'Egypte. Il étudia les traditions d'El Buḫârî et le fiqh de Mâlik b. 'Anas sous la direction d'éminents traditionnistes et jurisconsultes ifriqiyens et orientaux du IVᵉ/Xᵉ siècle. Al Qâbisî ne revint à Kairouan qu'en l'an 357 H/967.

Ses principaux maîtres

A. Maîtres ifriqiyens :

1. Abû-l-ᶜAbbâs al 'Ibyânî at-Tamîmî (m. 352 ou 361 H/963-971), savant ḉhâfiᶜîte tunisois qu'al-Qâbisî considérait comme l'un des plus éminents docteurs Maghrébins et Orientaux, peut-être le plus savant.
2. Ibn Masrûr aḍ-Dabbâġ (m. 359 H/969), principal maître d'al-Qâbisî.
3. Abû ᶜAbd Allah b. Masrûr al ᶜAssâl (m. 346 H/957), grande figure du malikisme Kairouanais, fut également le maître d'Ibn 'Abî Zayd al Qayrawânî.
4. Ibn al-Ḥaǧǧâǧ (m. 346 H/957), de savoir éclectique, laissa à sa mort une bibliothèque impressionnante dont le fond essentiel était écrit de sa main.
5. Abû-l-Ḥasan al Kânišî (m. 347 H/958), dévot et fin lettré, a vécu à Monastir.
6. Darrâs b. Ismaᶜîl al-Fâsî (m. 357 H/967), docteur pro-ašᶜarite, enseigna à Kairouan le Kitâb d'Ibn al-Mawwâz.

---

(8) Voir Al Mâlikî "Riâḍ" Éd. 1951, I, 249-290.

(9) chedly Bouyahia "La vie Littéraire en Ifriqiya sous Les Zirides" Éd. S.T.D. 1972, p. 54.

tableaux de mœurs qui semblent pris sur le vif dans l'atmosphère si particulière, si vivante et si bruyante du Kuttâb. »[3]

La matière du livre est constituée par les réponses qu'al-Qâbisî a faites à des questions posées par un interlocuteur qui semble bien avoir réellement existé. Il s'agit, en grande partie, d'un recueil de fatwas et, par là, le livre présente un intérêt juridique et professionnel, outre les considérations pédagogiques précieuses qui méritent, certes, une nouvelle approche psychologique à la lumière d'une étude pédagogique comparée comme elles méritent une autre analyse conceptuelle qui compléterait celle d'Aḥmad Fu'âd al-'Ahwânî dont la présentation qu'il a faite de la Risâla d'al Qâbisî remonte à l'année 1945.

L'Auteur :

Ibn Ḫallikân (608-681 H/1211-1282), dans son ouvrage biographique « Wafayât al 'a ᶜyân »[4] que nous utilisons -entre autres- comme source médiévale d'une part, et Dr Aḥmad Fu'âd al 'Ahwânî[5], Hédi Roger Idris, auteurs modernes, d'autre part, qui se réfèrent à plusieurs sources biographiques[6], nous donnent d'amples renseignements sur l'auteur de la « Risâla-l-mufaṣṣila li 'aḥwâl 'al mutaᶜallimîn wa 'aḥkâm 'al muᶜallimîn wa-l-mutaᶜallimîn. »

Abû-l-Ḥasan ᶜAlî ibn Muḥammad ibn Ḫalaf al Maᶜâfirî al-Qâbisî al-Faqîh al-Qayrawânî naquit en 324 H/935 J.-C., probablement à Kairouan, d'où l'ethnique d'al-Qayrawânî. On ne sait au juste, en effet, s'il naquit à Kairouan ou s'il y fut amené tout jeune par son père qui était originaire d'al Ma ᶜâfiriyyîn, une localité aujourd'hui disparue des environs de Gabès. Marié à une Kairouanaise, son père ne tarda pas à se faire adopter par la bourgeoisie de la Cité de ᶜUqba.[7] Abû-l-Ḥasan passa, donc, sa vie dans cette métropole et y exerça la fonction de mufti. Il fut, surtout après la mort d'Ibn Abî Zayd al Qayrawânî (310-386 H/922-996), le chef de l'école malikite d'occident musulman dont l'implantation définitive au Maghreb fut l'œuvre de l'éminent savant et pédagogue Saḥnûn ibn Saᶜîd (160-

(3) R.E.I., op. cit., p. 81.
(4) Wafayât. Éd. Le Caire, 1349/1948 ; T 3, p. 9 sq.
(5) "At tarbiya fi-l-islâm" Éd. Le Caire, 1955, pp. 9-20.
(6) Voir H.R. Idris "Deux juristes Kairouanais de l'époque Zîride : Ibn Abî Zaid et Al Qâbisî (Xᵉ-XIᵉ siècle) – in Annales de l'Institut d'Études orientales, Tome XII, Année 1954, pp. 173-198.
(7) Ibid, op. cit., pp. 173-174.

les précieux détails sur la punition dans les écoles (Kuttâbs) de l'Ifriqiya au Moyen-âge, dans les méthodes d'enseignement qui y étaient suivies, les programmes qui y étaient appliqués et dans d'autres renseignements intéressants d'ordre pédagogique et juridique. C'est, donc, une œuvre plus complète qui parachève celle de Muḥammad Ibn Saḥnûn.

Al-Qâbisî cite la source des passages du « Kitâb 'Âdâb al-muᶜallimîn » qu'il reproduit dans son ouvrage dans les termes « qâla ibn Saḥnûn » et plus rarement « qâla Saḥnûn ». J'ai jugé bon d'adopter la traduction déjà publiée par Gérard Lecomte des passages en question, sauf lorsqu'il s'agit d'y apporter des retouches nécessaires. Je signalerai ces passages dans les annotations.

Concernant les versets coraniques de citations, j'ai essayé de concilier la rigueur philologique souvent poussée jusqu'à la littéralité dans la traduction de l'orientaliste érudit, Régis Blachère, avec la finesse et le souci de pénétrer l'esprit du texte coranique dans la traduction du poète et homme de haute culture tunisien, Sadok Mazîgh. Houdas et William Marçais ont été, également, mis à contribution dans la traduction de quelques Ḥadîṯs (traditions islamiques). J'ai tenu, donc, à présenter une traduction complète de l'ouvrage d'al-Qâbisî.

Le texte m'ayant servi de première base, dans ce travail, est celui qu'a publié Dr Aḥmad Fu'âd al-Ahwânî dans son livre « at-tarbiya fi-l-'islâm. »[2] Par ailleurs, certaines phrases confuses et quelques expressions obscures reflètent la gêne éprouvée par cet auteur à établir correctement certains passages en se servant du manuscrit n° 4595 de la Bibliothèque Nationale de Paris. C'est la copie manuscrite unique que nous connaissons jusqu'à ce jour de l'épître d'al-Qâbisî ; elle remonte à l'année 706 de l'hégire, donc assez tardive. Moi-même, j'ai éprouvé beaucoup de gêne à rendre les mêmes phrases embarrassées et assez confuses. Je me suis, donc, référé au manuscrit précité pour une deuxième lecture afin de mieux établir le texte initial et de l'exploiter aussi fidèlement que possible dans ma traduction.

Aride dans sa forme, ce texte est pourtant un auxiliaire précieux de l'historien et nous évoque, comme le signale justement Gérard Lecomte, à propos de l'épître d'Ibn Saḥnûn, « une série de petits

(2) Dr Aḥmad Fu'âd al Ahwânî "at-tarbiya fi-l-'islâm." Éd. Le Caire 1955, pp. 265-347. 2e édition.

INTRODUCTION

Le présent travail est à double volet : Le premier, en français, comprend une traduction annotée de « l'Epître détaillée sur les situations des élèves, leurs règles de conduite et celles des maîtres », d'Abû-l-Ḥasan 'Al Qâbisî 'Al Qayrawânî, présentée, avec une biographie de l'auteur, dans une étude introductive comparée. Le second volet, en arabe, se compose du texte initial de l'Epître d'Al-Qâbisî, revu et établi, d'une introduction analytique et d'index.

Ce travail s'adresse, donc, aux lecteurs arabophones et francophones, aussi bien aux profanes qu'aux initiés à l'éducation islamique populaire comme elle se présentait en Ifriqiya médiévale, selon le témoignage écrit d'un pédagogue et jurisconsulte de l'école malikite de Kairouan.

Au cours de mes recherches, mon attention fut attirée par des textes d'auteurs maghrébins de l'époque médiévale, tels que les considérations précieuses sur les méthodes d'enseignement contenues dans les « Prolégomènes » (Al Muqaddima) d'Ibn Khaldûn (732-808 H/1332-1406 J.-C.), certains passages très intéressants du « Riâḍ an-Nufûs » d'Al-Mâlikî (mort en 453 H/1061), le « Kitâb 'Âdâb 'al-muᶜallimîn » de Moḥammad Ibn Saḥnûn (202-256 H/817-870), et la « Risâla-l-mufaṣṣila li 'aḥwâl al mutaᶜallimîn wa 'aḥkâm al muᶜallimîn wa-l-mutaᶜallimîn » d'Abû-l-Ḥasan al-Qâbisî.

En étudiant ce dernier texte, je constatais qu'al-Qâbisî avait presque intégralement repris plusieurs paragraphes de l'épître d'Ibn Saḥnûn, avec un abondant commentaire ; cependant, Al-Qâbisî, comme le remarque justement Gérard Lecomte, traducteur du Kitâb « 'Âdâb al-muᶜallimîn » (Règles de conduite des maîtres d'école) d'Ibn Saḥnûn, semble avoir eu un souci plus grand de l'ordre logique du texte, « en groupant sous une même rubrique des passages dispersés dans le Kitâb 'Âdâb al-muᶜallimîn ».(1) Ces deux ouvrages d'al-Qâbisî et d'Ibn Saḥnûn traîtent en gros du même sujet.

Cependant, l'originalité de la Risâla d'al-Qâbisî consiste non seulement dans le souci de l'ordre logique du texte, mais, surtout, dans

---

(1) Gérard Lecomte "Le livre des règles de conduite des maitres d'école" par Ibn Saḥnûn. Revue des Études Islamiques, année 1953 ; éd. Paris, Librairie Orientale Paul Geuthner, 12, Rue Vavin, 1954 ; p. 77.



Marmontel "Une éducation au XVIII^e^ siècle." Extraits des "Mémoires". Les Belles Lectures ; Paris, 1953.
Massignon (L) "Essai sur les origines du lexique technique de la mystique musulmane." Paris 1954.
Mazigh (Sadok) "Le Coran," traduction. Maison Tunisienne de l'Édition, Tunis 1979.
Muslim (Abû-l-Ḥusayn) "Saḥîḥ." Éd. 1330 H ; en 4 vol.
Pellat (Ch) "Lẹ Milieu Baṣrien et la formation de Ǧâḥiz." Paris 1953 ; pp. 82, 95, 97, 98.
Qâbisî (Abû-l-Ḥasan) "Ar-Risâla-l-mufaṣṣila li 'aḥwâl al-mutaᶜallimîn wa 'aḥkâm al muᶜallimîn wal-mutaᶜallimîn." Éd. Ahwânî (A. Fu'âd) in "at.tarbiya fi-l-islâm" ; Le Caire 1955, pp. 265-347 (83 p.).
"Ar-Risâla-l-mufaṣṣila li-aḥwâl al mutaᶜallimîn wâ 'aḥkâm al muᶜallimîn wa-l-mutaᶜallimîn." Manuscrit n° 4595, B.N.P.
On l'indiquera par Q.
Salama (Ibrahîm) "L'enseignement islamique en Egypte, son évolution, son influence sur les programmes modernes." Éd. Le Caire 1938.
"Bibliographie analytique et critique touchant la question de l'enseignement en Egypte depuis les périodes des Mamluks jusqu'à nos jours." Éd. Le Caire 1938.
Tâha Ḥusayn "Le livre des Jours." Trad. Jean Lecerf et Gaston Wiet ; éd. Gallimard 1947 ; pp. 40-41.
Zirikli (Ḥayrad-Dîn) "Al 'Aᶜlâm" ; 2^e^ éd., Damas 1954-1959 ; en 10 vol.

THÈME

La Risâla d'al-Qâbisî est une œuvre riche qui peut se prêter à des études diverses. L'ouvrage se compose d'une série de réponses à des questions relatives aux problèmes de l'enseignement au IV^e^/X^e^ siècle en Ifriqiya ; il nous présente des tableaux très vifs de la vie de ce petit monde bruyant et studieux du Kuttâb, en plus des questions importantes, d'ordre juridico-pédagogique , qui sont au centre de cette épître.

L'ouvrage a été édité et présenté par Dr Muḥammad Al Ḥabîb al Hîla. éd. M.T.E., Tunis 1968, 194 pages.
Ibn Haldûn "Les prolégomènes" Trad. De Slane ; librairie Paul Geuthner, 12 rue Vavin, Paris 1936 ; 3 vol.
Ibn Ḫallikân "Wafayât al 'aᶜyân." Éd. Le Caire, 1367/1948 ; 6 vol.
Ibn Manẓûr "Lisân al ᶜArab." Boulâq, 1300 ; 20 vol. in 4ᵉ.
Ibn an Nadîm "Kitâb al Fihrist." Éd. Flugel ; Leipzig, 1817 ; 2 t. en I vol. in 4ᵉ.
"Al Fihrist." Éd. Le Caire, sans date ; I vol.
Ibn Qutayba "Kitâb al maᶜârif." Éd. Le Caire, 1960.
Ibn Saᶜd "aṭ. ṭabaqât al kubrâ." Éd. Beyrouth 1907 ; en 8 vol.
Ibn Saḥnûn "Âdâb al-Muᶜ allimîn." Texte arabe édité par al Ahwânî (A. Fu'âd) in "at.tarbiya fi-l-islâm." Éd. Le Caire 1955, pp. 351-367 (17 p.) On l'indiquera en notice par la lettre S.
"Kitâb Âdâb al-Muᶜallimîn." Publié par S.E. Ḥasan Ḥusnî Abd el Wahhâb. Imprimerie Al ᶜArab 1931.
"Les règles de conduite des maîtres d'école" Trad. Gérard Lecomte, in. revue des Études Islamiques, Année 1953 ; Paris 1954. On l'indiquera en notice par R.E.I.
Ibn Tamîm (Abû-l-ᶜArab Moḥammad ibn Aḥmad) et Ḫošanî (Muḥ. ibn al Ḥâriṯ ibn Asad). "Classes des savants de l'Ifrîqiya." Éd. Ben Cheneb (Muḥ) ; Paris 1915.
H.R. Idris "Deux juristes Kairouanais de l'époque Zîrîde : Ibn Abî Zaid et al-Qâbisî (Xᵉ-XIᵉ siècle). Annales de l'Institut d'études orientales d'Alger, Tome XII, Année 1954.
Kazimirski "Dictionnaire Arabe – Français." Éd. G.P. Maisonneuve ; Paris, 1960 ; 2 vol.
Khaled (Ahmed) "Caractère génial du système éducatif d'Ibn Khaldoun" inRevue pédagogique, Tunis, 1963.
Lammens (H) "La cité arabe de Taïf à la veille de l'hégire." Dans Mél. Université St. Joseph ; Beyrouth 1922 ; I vol. in 4ᵉ.
Lecomte (G) "Le livre des règles de conduite des maîtres d'école par Ibn Saḥnûn." R.E.I., Année 1953. Paris, librairie Orientaliste Paul Geuthner, 12 rue Vavin, 1954.
Lévi-Provençal "Histoire de l'Espagne Musulmane." T 3, éd. Maisonneuve ; Paris 1953. "L'instruction élémentaire."
Maḫlûf (Muḥ) "Šajaratu-n-nûr az-zakiya." Éd. Le Caire, 1349 H, T I, p. 97.
Mâlikî (Abû Bakr) "Riâḍ an-Nufûs." Éd. Le Caire 1951 ; T I., p. 37-42.

BIBLIOGRAPHIE

Ahwâni (Aḥmed Fu'âd). "At. tarbiya fi-l-islâm" ; Le Caire 1955.
ᶜAmâra (Mustapha Muḥammad) "Ǧawâhir 'al Buḫâri" avec le commentaire d'al Qistalânî. 8ᵉ éd. ; Le Caire, 1371 H.
Bišr Fâris "L'honneur chez les Arabes avant l'Islam." Éd. Adrien – Maisonneuve 1932.
Blachère (R) "Introduction au Coran." Éd. Librairie G.P. Maisonneuve ; Paris 1951.
Blachère (R) "Le Coran." Trad. Éd. Maisonneuve ; Paris 1949 ; 2 vol.
Boḫârî "Aṣ-Ṣaḥîḥ." Les Traditions islamiques. Trad. Houdas et Marçais. Dans Publ. École des Langues Orientales vivantes. Paris, 1903 – 14 ; 4 vol. in-4ᵉ.
Bouyahia (Chedly) "La vie littéraire sous les Zirides." Éd. Tunis, 1972.
Brunschvig (R.) "La Berbérie orientale sous les Ḥafsides des origines à la fin du XVᵉ siècle. "Librairie d'Amérique et d'Orient, Andrien-maisonneuve ; Paris 1947, T 2, chap. XIII.
Carra De Vaux "La Doctrine de l'Islam." Paris 1909 ; chap. VIII ; l'enfant et l'éducation.
Dabbâgh-Ibn Nâjî "Maᶜâlim al 'Îmân" Tunis, 1320 H, III, pp. 168-180.
Dasûqî (Dr Kamêl) "ᶜIlm an-nafs 'al ᶜiqâbî." Éd. Le Caire 1961.
Dozy (R) Supplément aux dictionnaires arabes. Paris 1927 ; 2ᵉ éd., 2 vol. in 4ᵉ.
E.I = Encyclopédie de l'Islam. Leyde, 1913 ; 4 vol. in 4ᵉ et supplément.
Ǧâḥiẓ "Bayân". Éd. Le Caire, 1345/1926 ; 3 tomes 1 vol.
Ǧawharî "Aṣ-Ṣiḥâḥ." Éd. Le Caire 1956 ; 6 vol.
Ghazâlî "L'éducation des enfants dès le premier âge." Texte présenté et traduit par A. Ranon (Extrait de la revue IBLA ; 1945).
Ḥuṣarî (Ṣâtiᶜ'al) "Dirâsât ᶜan muqaddimati 'ibn Ḫaldûn." Éd. Le Caire – Beyrouth 1967.
Ibn Abî Dâwûd "Kitâb al-maṣâḥif." Éd. Jeffery ; Leyde, 1937. ; 1 vol. in 4ᵉ.
Ibn 'Abî Zayd al Qayrawânî "La Risâla." Trad. Léon Bercher ; Alger, éd. Jules Carbonel 1952.
Ibn 'Al-Ǧazzar "Siyâsatu-ṣ-ṣibyân" ; ms. coll H.Ḥ. Abdelwahhâb.

TABLE DE MATIÈRES

Translitération de l'Arabe

ء	'			ض	ḍ		
ب	b			ط	ṭ		
ت	t			ظ	ẓ		
ث	ṯ			ع	ʿ		
ج	ǧ	j		غ	ġ		
ح	ḥ			ف	f		
خ	ẖ	kh		ق	q		
د	d			ك	k		
ذ	ḏ			ل	l		
ر	r			م	m		
ز	z			ن	n		
س	s			هـ	h		
ش	š			و	u	û	w
ص	ṣ			ي	i	î	y

Voyelles : a, i, u, â, î, û



AHMED KHALED

Agrégé de l'Université

Abû-l-Ḥasan Al Qâbisî

Pédagogue tunisien du X^e siècle

Texte et traduction annotés de "l'épître détaillée sur les situations des élèves, leurs règles de conduite et celles des maîtres" d'al Qâbisî avec deux introductions et des index.

Cette première Edition à été achevée d'imprimer en Janvier 1986 au Centre Industriel du Livre de la S.T.D. dans un tirage de dix mille exemplaires.

AHMED KHALED

L'éducation islamique populaire dans le système éducatif d'al-Qâbisî

'Abū - L - Hasan 'Alī 'al - Qābisī

pédagogue tunisien du IVe Sh /Xe S j.c

ÉPITRE DÉTAILLÉE

sur les situations des élèves, leurs règles de conduite et celles des maîtres.



étude, établissement de texte, annotations, index et traduction.

Ahmed Khaled

STD